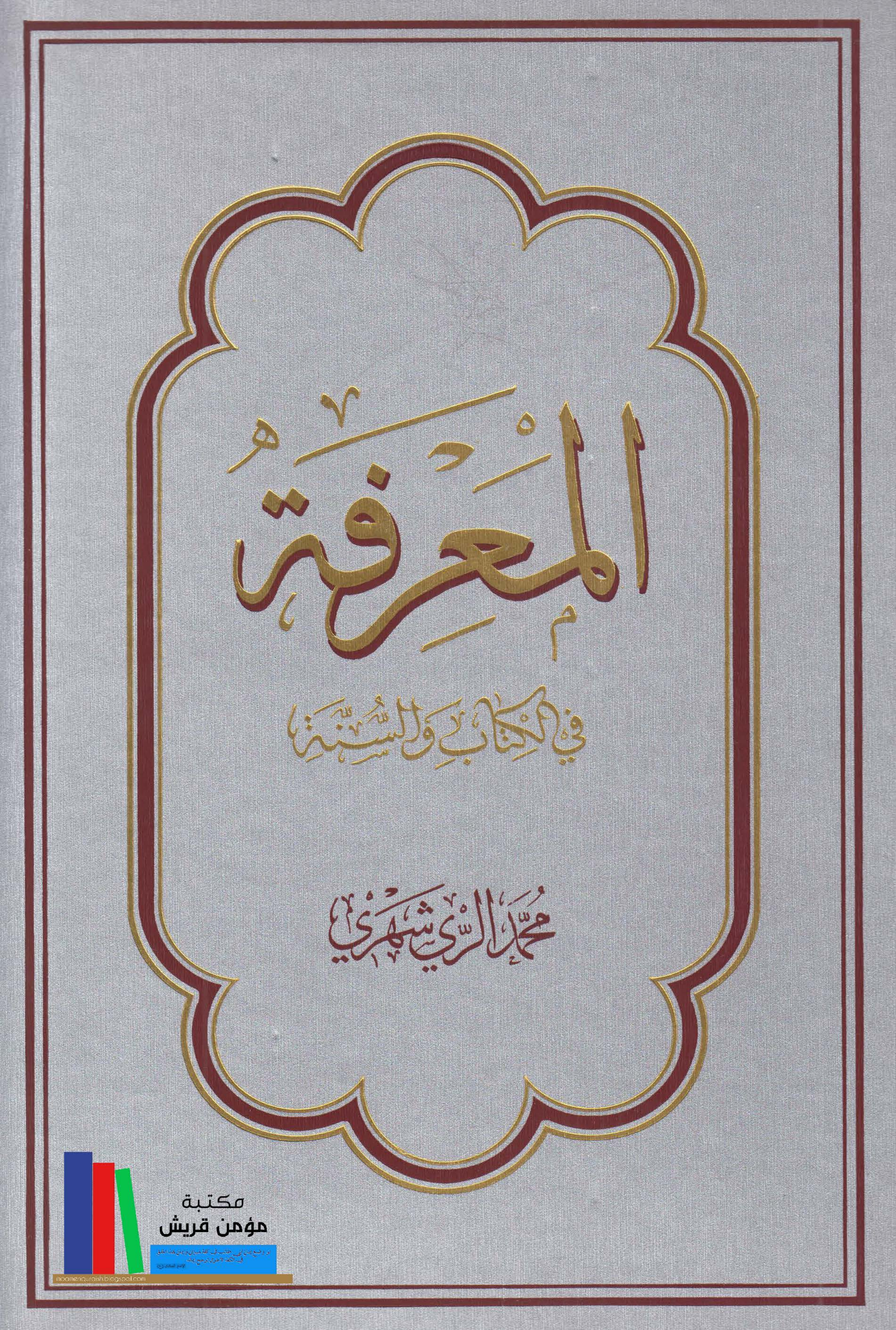

المعرفة
في الكتاب والسنة
محمد الري شهري

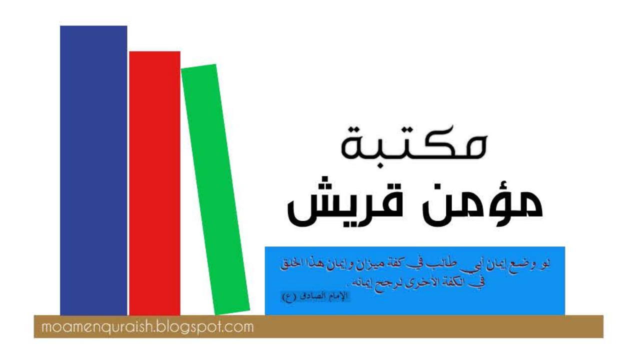
بسم الله الرحمن الرحيم

محمّدی ری‌شهری، محمّد، ۱۳۲۵ ـ
المعرفة في الكتاب والسنّة / محمّد الرَّيشهري. ـ تهران: نشر مشعر، ١٤٣٠ق ۱۳۸۸.
٤٢٩ ص.
ISBN: 978-964-540-181-06
[طبعة مصحّحة ومنقحة].
این کتاب قبلاً با عنوان المعرفة به چاپ رسیده است.
کتاب‌نامه: ص. ٤١٦ ـ ٤١١؛ همچنین به صورت زیر نویس.
۱. اسلام ـ عقاید. ـ ۲. اسلام ـ بررسی و شناخت. الف. عنوان.
BP ۲۱۱ / ۵ / م۳م٦
فهرست‌نویسی پیش از انتشار، توسط کتاب‌خانه تخصصی دار الحدیث قم




## في الكتاب والسنة

محمد الريشهري







**المعرفة في الكتاب والسنّة**

**تأليف : محمّد الرَّيشهري**

المراجعة النهائية : السيّد مجتبىٰ غيوري ، حيدر المسجدي ، حسنين الدّباغ ، عبدالكريم المسجدي

المقابلة المطبعية : علي نقي نگران ، السيّد هاشم الشهرستاني ، حيدر الوائلي

الاخراج الفني و استخراج الفهارس : محمّد ضياء سلطاني

نضد الحروف : حسين افخميان ، علي أصغر دُرياب

الخطّاط : حسن فرزانگان

الناشر : نشر مشعر

الطبعة : الأولىٰ ، ١٤٣٠ ق / ١٣٨٨ ش

المطبعة : نشر مشعر

الكمية : ١٠٠٠

الثمن : ٤٥٠٠ تومان

| شابک : ٦ - ١٨١ - ٥٤٠ - ٩٦٤ - ٩٧٨ | ISBN : 978 - 964 - 540 - 181 - 6 |
|---|---|

**مراكز پخش و فروشگاه‌های مشعر :**

**تهران : تلفن : ٦٤٥١٢٠٠٣ - ٠٢١ / قم : تلفن : ٧٨٣٨٤٠٠ - ٠٢٥١**



## القسم الأوّل: مدخل لمعرفة العقيدة


الفصل الأوّل: منزلة العقيدة ........ ١١

الفصل الثاني: التقليد في العقيدة ........ ١٧

الفصل الثالث: التحقيق في العقيدة ........ ٣٩

الفصل الرابع : تصحيح العقيدة ........ ٥٥

الفصل الخامس : علامات صحّة العقيدة ........ ٨٣

الفصل السادس : حرّية العقيدة ........ ١٠٥

الفصل السابع : تعليم العقيدة ........ ١٣٩


## القسم الثاني: مصادر المعرفة


الفصل الأوّل : مصادر المعرفة في كيان الإنسان ........ ١٤٧

الفصل الثاني : طرق المعرفة من منظار القرآن ........ ١٦٣

الفصل الثالث : نطاق مصادر المعرفة ........ ١٧٥

الفصل الرابع : المعارف الفطرية ........ ١٨٥

الفصل الخامس : نقد نظرية المادّيين ........ ١٩٧


## القسم الثالث : موانع المعرفة


المدخل ........ ٢١٩

الفصل الأوّل : الموانع الحسّية ........ ٢٢١

الفصل الثاني : الموانع العقلية والقلبية ..... ٢٢٣
الفصل الثالث : إزالة موانع المعرفة ..... ٢٣٥
الفصل الرابع : الموانع غير القابلة للإزالة ..... ٢٤٥
الفصل الخامس : موانع المعرفة من منظار القرآن ..... ٢٥٣
الفصل السادس : مناشئ موانع المعرفة ..... ٢٨٩
الفصل السابع : أمراض الفكر ..... ٢٩٧
الفصل الثامن : علاج مرض الفكر ..... ٣١٩

## القسم الرابع : شرائط المعرفة

المدخل ..... ٣٣١
الفصل الأوّل : شرائط الحصول على المعرفة ..... ٣٣٥
الفصل الثاني : طرق تحصيل شرائط المعرفة ..... ٣٥٧

# كلمة للقارئ الكريم

بدأتُ تدريس أُصول العقائد الإسلاميّة لأوّل مرة تزامناً مع بداية العام الدراسي لسنة ١٣٩٤ ـ ١٣٩٥ قمري الموافق لسنة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ميلادية في الحوزة العلميّة بمدينة قُمّ المقدّسة، بطريقة حديثة، وذلك على أساس ما توصّلت إليه من خلال القرآن والحديث. وقد قمت بتدريسها لمجموعات مختلفة من الطلّاب الشباب مرّاتٍ عديدة استمرّت حتّى عام ١٣٩٨ هـ.ق.

وبعد انتصار الثورة الإسلاميّة، قمت بإلقاء محاضرات أُسبوعيّة على مجموعة من قادة الجيش في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة. تناولت مباحث المعرفة؛ معرفة الله، العدل، النبوّة العامّة والنبوّة الخاصّة.

هذا، وقد اقتضى أُسلوبي الحديث للبحث والمطالعة في مجال التدريس للدورات الجديدة، أن تكون المباحث في كلّ دورة أكثر تكاملاً من سابقتها؛ حتّى بدأت الدورة الأخيرة عام ١٤٠٣ هـ.ق بعنوان «دروس في أُصول العقائد الإسلاميّة» تُدرّس لحرس الثورة الإسلاميّة بصورة غير مباشرة.

ومنذ ذلك الوقت، وهذه الدروس تُبثّ عبر شاشة التلفزيون في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة؛ كما تقوم مجلّة «مكتب انقلاب»[1] الّتي تصدرها وحدة التعليم

---

١. بالفارسية، وتعني «مدرسة الثورة».

العقائدي السياسي التابعة لحرس الثورة الإسلاميّة، بنشرها على حلقات.

والّذي تطالعونه في هذا الكتاب، هو نصٌّ منقّح متكامل لبحوث ومواضيع مهمّة في المعرفة، والتي هي أُصول المعرفة من منظر القرآن والحديث، وقد كانت نشرت من قبل في المجلّة المذكورة. جدير بالذكر أنّنا قد ذكرنا فيه بعض الأبحاث التي لم تكن مبحوثة من قبل، كما تمّ تنقيح متن الكتاب وإجراء بعض التعديلات علىٰ فصوله وأبوابه، وتصحيح هوامشه في الطبعة الجديدة.

**محمّد الرَّيْشهري**

**٤ رجب ١٤٢٩ ش**

# القسم الأول

# مدخل لمعرفة العقيدة


| | |
|---|---|
| الفصل الأول | منزلة العقيدة |
| الفصل الثاني | التقليد في العقيدة |
| الفصل الثالث | التحقيق في العقيدة |
| الفصل الرابع | تصحيح العقيدة |
| الفصل الخامس | علامات صحة العقيدة |
| الفصل السادس | حرية العقيدة |
| الفصل السابع | تعليم العقيدة |

الفصل الأوّل

# مَنزِلَةُ العَقيدَةِ

## معنى العقيدة

كلمة «عقيدة» مشتقّة من المصدر «عقْد» الذي يعني الإحكام والشدّ والربط، وربطُ الشيءِ بشيءٍ آخر أو شدُّه إليه وهذا الربط يمكن أن يكون حقيقيًّا وماديًّا ـ كتطعيم شجرةٍ ببرعمٍ أو بغصنٍ من شجرةٍ أُخرى ـ ويمكن أن يكون اعتباريًّا ومعنويًّا كزواج رجلٍ بامرأةٍ بواسطة عقد قرانه عليها.

فالعقيدة إذاً عبارة عن ذلك الشيء الذي ينعقد في ذهن الإنسان وروحه وفكره. فعندما يتقبّل الذهن أنّ الأرض تدور حول الشمس أو أنّ الشمس تدور حول الأرض، وعندما يتقبّل أنّ الدمَ يدور في الجسم أو لا يدور، وعندما يتقبّل أنّ للكون خالقاً أو ليس له خالق، وعندما يتقبّل أنّ الإنسان يحيا بعد مماته أو لا يحيا بعده، فتقبُّله لأيّ نظرية ـ حقًّا كانت أم باطلاً ـ يعني شدَّ تلك النظرية إلى الذهن وربطها به وإحكام صلتها فيه. هذه الصلة تسمّىٰ «عقداً» وتلك النظريّة تسمّىٰ «عقيدة».

## دور العقيدة في الحياة

إنّ عقائد الإنسان وتصديقاته هي الأساس لجميع توجّهاته في الحياة، وعليه، فالعقيدة لها الدور الأكبر في الحياة الفردية والاجتماعية، وعلى حدّ قول الباري سبحانه:

﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾.[١]

فعقائد الإنسان وتصديقاته هي التي تحدّد هيئته الباطنية وحقيقته الواقعية، وهي التي تحفّزه إلى العمل وتحدّد اتّجاهه في الحياة، فإذا كانت عقيدته صائبة مطابقة للواقع كان طريق حياته صائباً كذلك، أمّا إذا كانت عقيدته فاسدة باطلة فإنّ طريق حياته لا يؤدّي إلّا إلى الضياع، ومن ثَمّ كان اهتمام الإسلام بتصحيح العقيدة قبل أيّ شيء آخر. بل لا نجد مدرسة تفوق مدرسة الإسلام في تقديرها للعقيدة، فالعقيدة في الإسلام هي المعيار لتقييم الأعمال، حتّى الأعمال الصالحة فإنّها إذا لم تنبعث عن عقيدة صحيحة صائبة فهي فاقدة للقيمة! يقول الإمام الباقر عليه السلام:

لا يَنفَعُ مَعَ الشَّكِّ وَالجُحودِ عَمَلٌ.[٢]

وهذا يعني أنّ صحّة العمل وفائدته ودوره في تكامل الإنسان منوطٌ بصحّة عقيدة العامل، وعلى هذا فإن لم تكن عقيدة الإنسان سالمة وكان منكِراً لما هو حقّ أو اعتراه الشّك فيه فإنّ ما يتأتّى عن عقيدته من عمل لا يمكن أن يكون سالماً أو يجدي نفعاً، وذلك لأنّ العقيدة هي التي تثير في الإنسان دافعاً للعمل، والدافع هو الذي يوجّه العمل، والدافع والاتّجاه هما اللذان يحدّدان مفهوم العمل ومعناه ولياقته وعدم لياقته.

لذلك، فإنَّ ـ من وجهة نظر الإسلام ـ أوّلَ ما يُطرح على الإنسان بعد مماته ودخوله في عالم الآخرة من استجوابات لتسجيلها في ملفّ أعماله هو السؤال عن العقائد، فأوّل سؤال هو: من ربك؟ وما دينك؟ ومن هم أئمّتك وقادتك؟[٣]

ولا يمكن العثور علىٰ مدرسة بين مدارس العالم تعير العقيدة الإنسانيّة ما يعيرها

---

١. الإسراء: ٨٤.

٢. الكافي: ج ٢ ص ٤٠٠ ح ٧، فقه الرضا: ص ٣٨٨، بحار الأنوار: ج ٧٢ ص ١٢٤ ح ١.

٣. راجع: ميزان الحكمة: باب ٣٢١١ (ما يُسأل عنه في القبر).

الإسلام من الاهتمام والقيمة والاحترام البالغ، فالبحوث العقائديّة من منظار الإسلام تتصدّر البحوث الأُخرىٰ علىٰ الإطلاق.

فعلى المؤسّسات العلميّة الدينيّة والجامعات في الأقطار الإسلاميّة أن تُولي المحاضرات والبحوث والقضايا العقائديّة عظيم اهتمامها قبل كُلّ شيء.

وسيأتي الحديث مفصّلاً في الأقسام اللاحقة من هذا الكتاب عن رؤية الإسلام للأهميّة التي تتَّسم بها مباحث المعرفة. ونشير هنا إشارةً مقتضبة إلىٰ قصّة تربويّة بالغة التعليم في هذا المجال.

### قصّةٌ تَربويّة

روىٰ الشيخ الصدوق (المتوفّى ٣٨١ هـ) ـ وهو من أعلام محدّثي الشيعة ـ في كتبه المعروفة: معاني الأخبار والخصال والتوحيد، عن شخص يُدعىٰ القدام بن شريح بن هانئ، عن أبيه قال: إنّ أعرابيًّا قام يوم الجمل إلىٰ أميرالمؤمنين، فقال:

يا أَميرَ المُؤمِنينَ، أَتَقولُ إِنَّ اللهَ واحِدٌ؟!

وهو سؤال لم تكن له في نظر المقاتلين أيّ مناسبة بالظرف الراهن حيث كانوا منهمكين في القتال ولا شاغل لهم إلّا التخطيط للعمليات والخطط الحربية وما يلزم لتنفيذها. فلو أنّ سائلاً أراد أن يسأل عن شيء في ذلك الموقف فلابدّ أن يكون سؤاله مرتبطاً بالحرب، بالمسألة الأصلية في ذلك اليوم. فلمّا رأوا أنّ سؤال الأعرابي عن مسألة عقائدية تبدو حسب الظاهر وكأنّها لا مِساسَ لها بالمعركة من أيّ جهة وأنّ في إمكانه أن يطرح سؤاله ويحظى بجوابه في أيّ وقت آخر، اشتاطوا غضباً من تصرّف هذا الرجل وعدم تقديره لظروف الوضع القائم، وارتفعت أصواتهم بالاعتراض عليه، كلٌّ من جانبه.

فلمّا رأى الإمام علي ذلك الأعرابي وسط وابل من الاعتراض والتهجّم تداركه بعبارة تاريخية وموعظة تعليمية عظيمة، تعبّر بدقّة عن أهمّية البحوث

العقائديّة؛ حيث قالﷺ :

دَعوهُ؛ فَإِنَّ الَّذي يُريدُهُ الأعرابِيُّ هُوَ الَّذي نُريدُهُ مِنَ القَومِ!

إنّ عبارة الإمام هذه والتي أُلقيت في تلك الظروف هي غاية في الأهمّية، وما أجدرها بالتأمّل والتّحقيق.

فلو تصوّرنا الظروف في تلك اللحظات المصيرية الحاسمة بالنسبة للإمامﷺ لتجلّى الواقع عن عدم توفّر المجال المناسب للإجابة على مثل هذا السؤال، وأنّه كان بإمكان الإمامﷺ أن يحيل الإجابة إلى غيره، أو أن يستمهله إلى فرصةٍ أوسع؛ إلّا أنّه لم يحلها ولا اعتذر عنها لضيق الوقت، وإنّما رآها فرصةً مناسبة لتعليم المسلمين درساً، يبين لهم من خلاله فلسفة الجهاد، ويبيّن لنا أهمّية المسائل والبحوث العقائدية ودراستها والكلام حولها.

وإنّهﷺ في تلك اللحظات المصيريّة الحسّاسة وتأزُّم الظروف، تصدّى للإجابة عن تساؤل ذلك الأعرابي، وبيان فلسفة الجهاد والقتال، قائلاً:

دعوه يسأل مسألته، فلا هدف لنا من قتالنا ضدّ هؤلاء القوم إلّا هذا، نحن لا نهدف السلطة على الآخرين، وإنّما هدفنا هو المعرفة والإدراك والتّنَوُّر، وما القتال إلّا من أجل تحطيم الموانع وإزالة العراقيل ورفع الحجب التي تمنع الحقيقة من أن تتجلّى عن نفسها، ففلسفة الجهاد هي تحرير الإنسان من ربقة المعتقدات الموهومة، وتهيئة الأرضية المناسبة لتصحيح العقائد، وازدهار المعتقدات العلمية الصحيحة.[1]

وعليه، فإنّ سؤال الأعرابي لم يقتصر على كونه ذا صلة مباشرة بالمسألة الأصلية، وهي الحرب فحسب، بل إنّه ليرتبط بها في أدقّ أبعادها وأعمقها، ذلك لأنّ سؤاله يتعلّق بفلسفة القتال والجهاد، وما من صلةٍ أقوىٰ من صلة الشيء بفلسفته.

---

١. سنتعرّض لهذا الموضوع بالتفصيل في الفصل السادس من هذا القسم تحت عنوان «حرّية العقيدة» ص ١٠٥.

لذلك أدار الإمام علي عليه السلام وجهه نحو الأعرابي وأجاب عن سؤاله في غاية الوقار والدقّة، قائلاً:

يا أَعرابِيُّ، إِنَّ القَولَ في أَنَّ اللهَ واحِدٌ عَلىٰ أَربَعَةِ أَقسامٍ: فَوَجهانِ مِنها لا يَجوزانِ عَلَى اللهِ عزّوجلّ، ووَجهانِ يَثبُتانِ فيهِ.

فَأَمَّا اللَّذانِ لا يَجوزانِ عَلَيهِ فَقَولُ القائِلِ: «واحِدٌ» يَقصُدُ بِهِ بابَ الأَعدادِ، فَهٰذا ما لا يَجوزُ؛ لِأَنَّ ما لا ثانِيَ لَهُ لا يَدخُلُ في بابِ الأَعدادِ، أَما تَرىٰ أَنَّهُ كَفَرَ مَن قالَ: إِنَّهُ ثالِثُ ثَلاثَةٍ. وقَولُ القائِلِ «هُوَ واحِدٌ مِنَ النّاسِ» يُريدُ بِهِ النَّوعَ مِنَ الجِنسِ، فَهٰذا ما لا يَجوزُ؛ لِأَنَّهُ تَشبيهٌ، وجَلَّ رَبُّنا وتَعالىٰ عَن ذٰلِكَ.

وأَمَّا الوَجهانِ اللَّذانِ يَثبُتانِ فيهِ فَقَولُ القائِلِ: «هُوَ واحِدٌ لَيسَ لَهُ فِي الأَشياءِ شِبهٌ» كَذٰلِكَ رَبُّنا، وقَولُ القائِلِ: «إِنَّهُ عزّوجلّ أَحَدِيُّ المَعنىٰ» يَعني بِهِ أَنَّهُ لا يَنقَسِمُ في وُجودٍ ولا عَقلٍ ولا وَهمٍ، كَذٰلِكَ رَبُّنا عزّوجلّ.[١]

---

١. الخصال: ص ٢ ح ١، معاني الأخبار: ص ٥ ح ٢، التوحيد: ص ٨٣ ح ٣.

## الخلاصة

▣ كلمة «عقيدة» مشتقّة من «عقْد»، وهو مصدر يعني الشدّ والربط.

▣ العقيدة هي شيء يرتبط بذهن الإنسان بصورة اعتبارية.

▣ عقائد الإنسان هي التي تكون شاكلته وهيئته الباطنية والحقيقية، وتحفّزه على العمل وترسم له خطوط حياته. وعليه فلو كانت عقائد الإنسان صحيحة اهتدى إلى الطريق الصحيح، وإن كانت فاسدة انحرف عن سبيل السلامة.

▣ لمّا كانت عقائد الإنسان هي التي تحدّد اتّجاه أعماله فقد اهتمّ الإسلام بتصحيح العقائد أكثر من أيّ شيءٍ آخر.

▣ ليست هناك مدرسة تقدّر قيمة عقائد الإنسان أكثر ممّا يقدّرها الإسلام، فالإسلام يزن أعمال الإنسان بميزان عقائده، وأوّل ما يُسألُ الإنسان عنه بعد مماته -من وجهة نظر الإسلام- هو عقائده.

▣ الإمام علي‌ﷺ وسط معمعة حرب الجمل تراه يجيب على سؤال عقائدي وجّهه إليه أعرابي من أبناء البادية، ويتداركه بين هجمات المعترضين عليه بأنّ الوقت غير مناسب لمثل هذا السؤال، بقوله: «دعوه، فإنّ الذي يريده الأعرابي هو الذي نُريده».

أي: إنّ فلسفة الجهاد هي تحرير الناس من رقّ العقائد الموهومة، وتوفير الأرضية الملائمة لتصحيح العقائد ونموّ العقائد الصحيحة.

الفصل الثاني

# التّقليدُ في العَقيدة

من اللازم بادئَ ذي بَدءٍ أن نرى ـ فيما لو احتكمنا إلى العقل ـ من أين ينبغي لنا أن نكتسب مبادئنا العقائدية؟ وهل يجيز لنا العقل فيما يتعلّق بالرؤية الكونية والأُصول العقائدية تقليد الوالدين أو زعماء الحزب والمنظمة أو العلماء أو مَن نثق بهم ومَن إلى ذلك؟ بعبارة أُخرى: هل يجيز العقل للإنسان أن يكون مقلِّداً في عقائده؟ أو يوجب عليه التحقيق فيها؟

وبعد أن يجيب العقل على هذا السؤال علينا أن نستطلع الجواب في رأي الإسلام، وهل يتّفق الجواب بين العقل والإسلام، أم أنّ للإسلام جواباً آخر؟

فلنبدأ البحث بالإجابة عن السؤال الأوّل:

نحن الآن مثول مع العقل أمام محكمة الضمير، نسأله: ما تكليفنا بالنسبة للأُصول العقائدية؟ هل يجب علينا التحقيق أم التقليد؟

وما أحوجنا الآن قبل الاستماع إلى جواب العقل أن نبيّن معنى كلمة «التقليد» ومدلولها ونوضّح المقصود منها.

**ما التقليد؟**

التقليد عبارة عن الأخذ برأي الآخرين دون المطالبة بالدليل والبرهان.[1]

---

١. التقليد في اصطلاح أهل العلم: قبول قول الغير من غير دليل (مجمع البحرين: ج ٣ ص ١٥٠٧).

وهنا يَعِنُّ سؤال: هل يجيز العقل ذلك، فيسمح للإنسان قبول رأي الآخرين بخصوص المسائل العقائدية دون ثبوته بالدليل والبرهان؟ أم أنّه لا يجيز ذلك، بل يقضي على الإنسان بضرورة تحصيل عقائده عن طريق التحقيق، وأنّ نظريات الآخرين وآراءهم غير صالحة للقبول ما لم تكن مدعومة بالأدلّة والبراهين العقلية؟

### حكم العقل بالنسبة للتقليد في العقائد

بناءً على تعريف التقليد المشار إليه آنفاً فإنّ العقل لا يسمح للإنسان مطلقاً بأن يصبح مقلِّداً في المبادئ والأُسس العقائدية؛ ذلك لأنّ الأُصول العقائدية تتطلّب العلم، والتقليد لا يكسب علماً.

وضرورة العلم بالنسبة لأُصول العقائد أمر لا شكّ فيه ما دامت العقيدة أساساً للعمل، فالعقل لا يجيز مطلقاً وبصورة قطعية أن يبني الإنسان كلّ نشاطاته الفردية والاجتماعية على أساس عقيدة لا يعرف هو شخصيًّا صحّتها من سقمها أو مدى مطابقتها للواقع.

أمّا كون التقليد لا يكسب أو لا يحقّق للإنسان علماً فهو أمر بديهيّ وواضح، إذ لو كان التقليد يستحصل للإنسان علماً لكانت قاطبة المدارس وجميع العقائد والأديان المختلفة في العالم ـ ما كان منها وما يكون ـ علميّة صحيحة منطبقة على الواقع.

### المقلِّد عالِمٌ بالوهم والخيال

أجَل، إنّ التقليد لا يكسب علماً، ومبلغ إدراك المقلِّد هو أن يتخيَّل في نفسه أنّه عالم، فهو عالمٌ في عالم الخيال لا في عالم الواقع. بعبارة أُخرى: المقلِّد عالِمٌ خيالي لا عالِمٌ واقعي.

فما من أتباع دينٍ ـ أيًّا كانوا ـ إلّا ويعتبرون عقيدتهم صحيحةً منزّهةً عن كلّ خطأ، ويُخيَّلُ إليهم أنّ عقيدتهم وحدها هي العقيدة الصائبة المطابقة للحقيقة، ثم

إنّهم يعتبرون هذا الخيال عِلماً يقينياً.[١]

ولو أنّ أتباع كلّ دين فكّروا في عقائدهم وأزالوا الموانع التي تحجب المعرفة[٢] عن بصائرهم وعقولهم واستعاضوا التقليد بالتحقيق لارتفعت كلّ الخلافات من بين المدارس العقائدية في المجتمع البشري، ولتوصّل الجميع إلى وجهة نظرٍ مشتركة ودينٍ واحد، فالخلاف لا يوجد إلّا حيثما حلَّ العلم الخيالي محلّ العلم الحقيقي، وحيث يوجد العلم بمفهومه الحقيقي لا مجال للخلاف.

**التقليد في العقائد من وجهة نظر الإسلام**

لقد تبيّنت لنا وجهة نظر العقل بالنسبة للتقليد في المسائل العقائدية، وبقي علينا أن نستطلع وجهة نظر الإسلام في هذا الصدد أيضاً، وهل الإسلام شأنه شأن العقل يحرّم التقليد في العقائد أو لا؟

وهنا يلزمنا أن نذكر أولاً وقبل كلّ شيء أنّ المسائل الإسلامية بصورة عامة تنقسم إلى قسمين هما: الأُصول والفروع، أي أُصول الدين وفروعه.

فأُصول الدين عبارة عن المبادئ والأُسس العقائديّة التي تشكّل القاعدة لمختلف المسائل الفقهية والسياسية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وما إليها، نظير الاعتقاد بالتوحيد والعدل والنبوّة والإمامة والمعاد.

أمّا فروع الدين فعبارة عن المقرّرات التي شرّعها الإسلام لتنظيم الصلة بين الإنسان وربّه من جهة، وبينه وبين الآخرين من جهةٍ أُخرىٰ، كالصلاة والصوم والخُمس والزكاة والحجّ وما إلى ذلك.

أمّا بالنسبة إلى فروع الدين فإنّ الإسلام لا يقتصر على جواز التقليد فيها فحسب، بل إنّه يوجب ذلك إيجاباً، ومرجع التقليد في فروع الدين بصورة محدّدة

---

١. راجع: ص ٥٥ «الفصل الرابع: تصحيح العقيدة».

٢. راجع: ص ٢٢٧ «القسم الثالث: موانع المعرفة».

هو النبيﷺ أو الإمامعليه السلام، وفي حالة غيبة الإمام فإنّ مرجع التقليد بالنسبة لمن لم يتخصّصوا في استنباط الأحكام في المسائل الإسلامية من الكتاب والسنّة، هو المجتهد الذي تتوفّر فيه شرائط الاجتهاد.[١]

أمّا موضوع بحثنا هنا فهو التقليد في أُصول الدين والأُسسِ العقائدية من وجهة نظر الإسلام، وهل الإسلام كالعقل يحرّم التقليد في أُصول العقائد على الإطلاق أيضاً؟ أم يجيزه؟ بعبارة أُخرى: ما رأي الإسلام في تكليف الناس تجاه الأُصول العقائدية؛ أتحقيق هو أم تقليد؟

كلّ من له اطّلاع على القرآن والنصوص الإسلامية يعرف أنّ الإسلام قد حرَّم التقليد في أُصول العقائد صراحة وبكلّ وضوح، وأصرَّ على مطالبة الناس وشدّد التأكيد عليهم بأن يحقّقوا في المسائل العقائدية، وألّا ينساقوا مع عقيدة أيًّا مّا كانت إلّا بالتدقيق والبرهان العقلي.

فالباريﷻ لم يطلب من الناس أبداً أن يستسلموا لكلامه ـ على سبيل المثال ـ فيما يختصّ بإثبات وجوده أو إثبات نبوّة أنبيائه استسلاماً تعبّديًّا تقليديًّا لا ينهض به برهان عقليّ، إنّه سبحانه يستدلّ على إثبات وجوده ونبوّة مرسليه بالأدلّة العقلية، ويدعو الناس إلى تحكيم العقل.

وما من نبيّ دعا الناس إلى تقليده في أُصول العقائد وقبول كلامه دون تساؤل، لمجرّد كونه مبعوثاً من قِبل الله تعالى؛ بل إنّ الأنبياء جميعاً كانوا يستندون إلى الأدلّة والبراهين العقلية على إثبات نبوّتهم، ويدعون الناس إلى تحكيم العقل، كما كانوا يطالبون معارضيهم أيضاً بالإتيان بأدلّة وبراهين عقلية على إثبات ادّعاءاتهم، قائلين: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾.[٢]

---

١. سنتناول هذا الموضوع بالتفصيل في نهاية هذا الفصل ص ٣٤.

٢. البقرة: ١١١، وراجع أيضاً النمل: ٦٤، الأنبياء: ٢٤.

كما نشاهد أنّ المجتهدين والمتخصّصين في المسائل الإسلامية اليوم لا يجيزون التقليد في أُصول العقائد، ويوصون الناس بالتحقيق والبحث في عقائدهم[1]. لكي يتجلّى لنا رأي الإسلام بخصوص التقليد في أُصول العقائد بصورة دقيقة نستعرض بعض الآيات والأحاديث المرتبطة بهذا الموضوع:

**التقليد في العقائد من وجهة نظر القرآن**

إنّ القرآن الكريم ـ وفي آيات عديدة تتعلّق بالأُصول العقائدية ـ يستقبح التقليد ويحرّمه ويشدّد في التنديد به، وينبّه صراحةً على أنّه ما لم تحصل للإنسان معرفة كاملة ويقين قطعيّ بنظريةٍ أو عقيدةٍ مّا لا يحقّ له اتّباعها أو بناء حياته الفردية والاجتماعية على أساسها:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.[2]

فهذه الآية الكريمة توصي الإنسان بنفس ما دلّ عليه العقل من حكم صريح، بمعنى: أيّها الانسان، اتّبع نداء الضمير وما يُصدر العقل من أمر صريح واضح في المسائل العقيدية، وإيّاك والتقليد الأعمىٰ، وما لم يتحقّق لديك الوعي بصحّة أيّ نظرية مّا لا تجعلها معياراً وملاكاً لأعمالك ولا تتّبعها.

ويقول في آية أُخرى:

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَابِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾.[3]

وليس المراد من الصمّ والبكم في هذه الآية الذين فقدوا حاسّة السمع وخرسوا

---

١. راجع: عدّة الأُصول، الشيخ الطوسي: ج ٢ ص ٧٢٩، زبدة البيان، المحقّق الأردبيلي: ص ٣٤٤، كتاب الاجتهاد والتقليد، السيّد الخوئي: ص ٤١١، الفتاوى الميسّرة، السيّد السيستاني: ص ٣٧، صراط النجاة، الشيخ التبريزي: ج ٣ ص ٤٣٩.

٢. الإسراء: ٣٦.

٣. الأنفال: ٢٢.

عن الكلام، وإنّما هم مَن تصفهم الآية بأنهم ﴿لَايَعْقِلُونَ﴾ أي: ليسوا من أهل التعقّل والتفكير في المسائل العقائدية، وهُمْ من أُشير إليهم في آية أُخرى بقوله:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّايَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّايُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّايَسْمَعُونَ بِهَا﴾.[1]

لهم قلوبٌ لا يصلون بها إلى الوعي والمعرفة، ولهم عيونٌ لاترى الحقيقة، ولهم آذانٌ لاتعي كلام الحقّ، فالمقصود بهم إذاً الذين يتّبعون الآخرين، وهم غاضّو أبصارهم وصامّو آذانهم وحابسو ألسنتهم، المتّبعون عقائد الأغيار بدون دليل أو برهان، بدلاً من أن يتّبعوا عقولهم وتفكيرهم.

وهكذا، فإنّ القرآن الكريم يحرّر الإنسان من أصفاد التقليد الأعمى، ويعتقُ البشر من أغلال الرقّ الفكري للآخرين، ويمنح أفراد المجتمع كلّاً على حدة استقلاله الفكري وحقّه في إبداء رأيه وإظهار وجهة نظره، حتّى إذا ما حرّر الناس من ربقة التقليد العقيدي أهاب بهم إلى التأمّل والتحقيق.

وهنا، نصل إلى نقطة في غاية الحسّاسية والدقّة، فالقرآن الكريم يسعى لتطهير أذهان الناس من خيال توهّم المرء نفسه عالماً، ليجعلهم علماء واقعيين، أنّ القرآن يسعى إلى إنقاذ أتباع المدارس كافّةً والمعتقدين بجميع العقائد من مرض المعرفة الخيالية الناشئة عن التقليد الأعمى، والوصول بهم إلى المعرفة الحقيقية والعلم الواقعي[2]، ولهذا يحمل بشدّة على من يفضّلون التقليد على التحقيق، والانصياع إلى السنن والتقاليد بدلاً من الانصياع إلى الحقائق والواقع.

وقد وردت بهذا الخصوص في القرآن الكريم آيات متعدّدة، نذكر اثنتين منها على سبيل المثال، قال سبحانه:

---

١. الأعراف: ١٧٩.

٢. راجع: ص ٥٥ «الفصل الرابع: تصحيح العقيدة».

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾.[١]

يعني عندما يُقال للمحافظين الجامدين على السنن التقليدية الموروثة والمتّبعين للتقاليد والعادات والعقائد المأثورة عن الآباء والأُمّهات والأقوام والقبائل والمجتمع: تعالوا وانظروا ماذا يقول الله ورسوله، لقد سمعتم كلام الجميع، تعالوا واسمعوا كلامنا أيضاً، ثمّ تدارسوا وارجعوا إلى عقولكم فتبيّنوا الأصحّ فيما بين هذه الكلمات، فإذا تبيّن لكم صدق ما يقول الله ورسوله فتقبّلوا كلامهما واعملوا به، وإن رأيتم أنّ ما يقوله آباؤكم وأُمّهاتكم أو سنن قومكم وقبيلتكم أو خطط أحزابكم وتنظيماتكم هو الصواب فاتّبعوهم، فيجيبون على هذا الكلام المنطقي بقولهم: لسنا في حاجة لسماع كلام الله ورسوله، وحسبنا ما اكتفيا به من عقائدنا التقليدية وسنننا الموروثة التي وصلتنا من آبائنا.

فيردّ القرآن عليهم في آخر الآية مشيراً إلىٰ العقل وحكمه الصريح الجليّ بقوله:

﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَايَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَايَهْتَدُونَ﴾.[٢]

يعني هل أنّ ما تدعونه منطقيّ؟ وهل يقبل العقل هذا الجواب؟ وهل عليهم أن يقلّدوا آباءهم تقليداً أعمىٰ، ولو كان آباؤهم قد اتّبعوا شيئاً بلاتعقّل واختاروا عقيدةً بلا فهم؟ وهل من المناسب أن يحذوا حذوهم صمًّا بكماً عمياناً؟![٣]

**التقليد في العقائد من منظار الحديث**

تطلق كلمة «إمَّعة» في لغة الحديث علىٰ من لا رأي له، بل يقتدي بآراء غيره لا

---

١. المائدة: ١٠٤.

٢. المصدر السابق.

٣. لمزيد من التعرّف على الآيات المشابهة راجع: الأعراف: ٢٨ و ٧٠ و ٧١، يونس: ٧٨، الأنبياء: ٥٣ و ٥٤، الشعراء: ٧٤ و ٧٧، لقمان: ٢١، الزخرف: ٢٢ و ٢٤، المؤمنون: ٦٨، الصافّات: ٦٩، يوسف: ٤٠، النجم: ٢٣، هود: ٦٢ و ٨٧.

علىٰ سبيل التحقيق بل علىٰ سبيل التقليد.

**لا تكن إمّعَة**

على الإنسان ـ من منظار الإسلام ـ إمّا أن يعرف الحقيقة أو أن يُحاول كشفها، ولا يعملْ عملاً بلا علمٍ فيهلك[1]، فقد أُثِرَ عن النبيّ ﷺ أنّه قال:

ما مِن أَحدٍ إلّا عَلىٰ بابِهِ مَلَكانِ، فَإذا خَرَجَ قالا: أُغـدُ عـالِماً أو مُـتَعَلِّماً ولا تَكُـنِ الثّالِثَ.[2]

وقد يعبّر في الأحاديث الإسلاميّة عمّن ليس بعالم ولا متعلّم بـ «الهمج الرعاع» كما جاء في الحديث النبوي:

النّاسُ اثنانِ: عالِمٌ ومُتَعَلِّمٌ، وما عَدا ذٰلِكَ هَمَجٌ رَعاعٌ.[3]

وقد يعبّر عنه بـ «غُثَاء» كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام:

النّاسُ ثَلاثَةٌ: عالِمٌ ومُتَعَلِّمٌ وغُثاءٌ.[4]

وقد يعبّر عنه بـ «إمَّعة» كما في النهاية في غريب الحديث:

فيه: «أُغدُ عالِماً أو مُتَعَلِّماً ولا تَكُن إمَّعَةً».[5]

وقال في بيان معناه: الإمَّعَة ـ بكسر الهمزة وتشديد الميم ـ: الذي لا رأي له، فهو يتابع كلّ أحد على رأيه. والهاء فيه للمبالغة. ويقال فيه «إمَّعَ» أيضاً.

بعبارة أُخرى: تطلق كلمة «إمّعة» في اللغة العربية على من لا يتمتّع بالاستقلال الفكري ولا يرى لنفسه حقَّ التفكير والإدلاء برأيه، فعينُه وأُذنه مرتهنتان بأقلام

---

١. راجع: موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٢ ص ٢٢٢ «التحذير من ترك التعلم».

٢. راجع: موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٢ ص ٢٢٢ ح ٢٠٨٩.

٣. راجع: موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٢ ص ٢٢٣ ح ٢٠٩٤.

٤. الكافي: ج ١ ص ٣٤ ح ٢، الخصال: ص ١٢٣ ح ١١٥.

٥. النهاية: ج ١ ص ٦٧.

الآخرين وألسنتهم فيما يكتبون وما يقولون، فيبقى هو وأمثاله دائماً على انتظار لتلقّي ما يمليه مُنَظِّر الحزب أو رئيس المنظّمة، أو يتبعون غالبيّة الناس في طريقة تفكيرهم وعملهم.

فالإمّعة: هو مَن لا يحمل نفسه على التفكير والتحقيق فيما يكتبه أو يقوله الآخرون.

وهذه الأحاديث توصي الناس بأن يكونوا علماء أو متعلّمين ولا يكونوا مقلّدين في اعتقاداتهم، وهذا من وجهة نظر الإسلام يعني: إمّا أن يتأكّد الإنسان من أنّ معتقداته صحيحة وأنّها حقّة ومطابقة للواقع، وإمّا أن يمارس التحقيق ويسعى لطلب العلم والمعرفة، ولا يسوغ له أن يبقى إمَّعةً، إذ ينبغي له ألّا يتّبع الآخرين، يقلّدهم في عقائدهم ونظريّاتهم بدون تحقيق.

ورُويت في هذا المجال عن الإمام علي عليه السلام أبياتٌ ضمن رواية، نذكر بعضها:

إذا المشكلاتُ تصدَّينَ لي ... كشفتُ حقائقَها بالنظَرْ

ولستُ بإمَّعةٍ في الرجال ... يُسائِلُ هذا وذا، ما الخبَرْ

ولكنّني مذرب[1] الأصغرين ... أُبيِّن[2] مَعْ ما مضَى ما غَبَرَ[3]

وعليه، فإنّ أتباع الإسلام والسائرين على نهج النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام حقّاً هم الذين لهم آراء ووجهات نظر في المسائل النظرية والعقائدية، ولا يقلّدون هذا أو ذاك، ولا يخشون أن يرموا بالغرابة لانفرادهم بما يقولون، فهم لا يقبلون أيّ عقيدة أو رأي، حتّى تُثبت بالتحقيق أنّها حقّ وإن أجمع الناس على خلاف ذلك، ولا

---

١. قال المترجم (صلاح الصّاوي رحمه الله): «في نظري أنّ المصراع الأول: (ولكنّني ذَرِبُ الأصغرين) حتّى يصحّ وزناً ومعنىً؛ ففصاحة اللّسان دليل فصاحة القلب وفصاحة القلب بيان عن الحقائق؛ وإلّا فالبيت مكسور، ولعلّ ذلك راجع إلى عدم الدقّة في الرواية أو الاستنساخ». ولعلّ ما يرى الدكتور الحسيني أنّها (مِدرَه) أصحّ.

٢. وفي بعض النسخ: «أقيس مع ما مضى ما غبر».

٣. جامع بيان العلم وفضله: ج ٢ ص ١١٣؛ الأمالي للطوسي: ص ٥١٤ ح ١١٢٥.

ينهجون سبيلاً، إلّا على يقين من أنّه سواء السبيل، ولا يقدمون على عمل ما لم يتشخّص لهم بالتأمّل والتدقيق أنّه منطقي وخيِّر ومقبول لدى العقل.

وفي حديثٍ آخر رواه الترمذي في صحيحه عن حُذَيْفَةَ عن النبيﷺ أنّه قال:

لا تَكونوا إمَّعَةً؛ تَقولونَ: إن أحسَنَ النّاسُ أحسَنّا، وإن ظَلَموا ظَلَمنا! ولٰكِن وَطِّنوا أنفُسَكُم؛ إن أحسَنَ النّاسُ أن تُحسِنوا، وإن أساؤوا فَلا تَظلِموا.[1]

ويقول الإمام الصادقؑ، في وصيّته لأحد أصحابه:

لا تَكونَنَّ إمَّعَةً.

ويقول في توضيحه:

تَقولُ: أنَا مَعَ النّاسِ وأنَا كَواحِدٍ مِنَ النّاسِ.[2]

أي: لا تقلّد الآخرين في المسائل النظرية أو العملية، وفكِّر في أقوالهم وأفعالهم لتتبيّن صحّة أقوالهم من عدمها وسلامة أفعالهم من خطئها، ولا تقل: أنا مع الناس وأنا كواحدٍ منهم، أقول ما يقولون، وأفعل ما يفعلون.

وفي روايةٍ أُخرى عن الإمام الكاظمؑ أنّه قال لأحد أصحابه يُدعى الفضل بن يونس:

أبلِغ خَيراً وقُل خَيراً وَلا تَكُن إمَّعَةً.

قال الفضل بن يونس: وما الإمّعة؟ فقال الإمامؑ:

لا تَقُل أنَا مَعَ النّاسِ وأنَا كَواحِدٍ مِنَ النّاسِ.

وفي أثناء توضيحه روى الإمامؑ كلام رسول اللهﷺ أنّه قال:

يا أيُّهَا النّاسُ، إنَّما هُما نَجدانِ: نَجدُ خَيرٍ، ونَجدُ شَرٍّ؛ فَلاَ يَكُن نَجدُ الشَّرِّ أحَبَّ إلَيكُم مِنْ نَجدِ الخَيرِ.[3]

---

١. سنن الترمذي: ج ٤ ص ٣٦٤ ح ٢٠٠٧.

٢. معاني الأخبار: ص٢٦٦ ح ١.

٣. تحف العقول: ص ٤١٣، الأمالي للمفيد: ص ٢١٠ ح ٤٧.

فقول الرسولﷺ: «إنّما هما نَجدان» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[١]، بمعنى أنّ الإنسان قد خُلِق بحيث يعرف الخير كما يعرف الشرّ، ويعلم الطيّب والخبيث.

وقول الرسولﷺ ـ إذ يشير إلى قول الله تعالى ـ إنّما يتضمّن استفهاماً توبيخياً مؤدّاه: إذا لم يكن أمام الإنسان بُدٌّ إلّا من طريقين، فلماذا يعدل عن الطريق الذي يقرّر العقل صوابه إلى الآخر الذي ينهاه العقل عنه؟!

واستناد الإمامعليه السلام إلى حديث الرسولﷺ في بيان مدلول كلمة «إمَّعة» يفيدنا أمرين:

الأوّل: أنّ الباعث ـ من وجهة النظر الاجتماعية ـ على اختيار الإنسان للشرّ هو إمّعيّته، وكونه إمَّعةً يقلّد الآخرين في عقائدهم وأعمالهم تقليداً أعمى، فلو تحرّر البشر يوماً من قيد التقليد، لَانحلَّت كثير من المشاكل الاجتماعية.

والآخر: إنّ الإنسان قد خُلق بحيث لو تحاشى التقليد لأصبح صاحب رأي، ولاختار طريق الخير؛ لأنّ العقل كفيلٌ بالتمييز بين الخير والشرّ، والإسلام بدوره لا يدعو الناس إلَّا إلى الخير والعدل واجتناب السوء والظلم.[٢]

## تقليد الشخصيّات في العقائد

الملاحظة البالغة الأهمّية والجديرة بالعناية التي نلاحظها في الروايات الإسلامية حول محور التقليد في العقيدة هي شجب تقليد الشخصيات المذهبية في العقائد الدينية، حتّى وإن كانت تلك العقائد حقّةً.

فقد قال الإمام الصادقعليه السلام:

---

١. البلد: ١٠.

٢. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ...﴾ (النحل: ٩٠).

مَن دَخَلَ في هٰذَا الدّينِ بِالرِّجالِ أَخرَجَهُ مِنهُ الرِّجالُ كَما أَدخَلوهُ فيهِ ، ومَن دَخَلَ فيهِ بالكِتابِ وَالسُّنَّةِ زالَتِ الجبالُ قَبلَ أَن يَزولَ.[١]

وقال أيضاً:

مَن عَرَفَ دينَهُ مِن كِتابِ اللهِ ﷻ زالَتِ الجِبالُ قَبلَ أنْ يَزولَ ، ومَن دَخَلَ في أَمرٍ بِجَهلٍ خَرَجَ مِنهُ بِجَهلٍ.[٢]

وفي هاتين الروايتين عدّة نقاط قيّمة:

أوّلاً: إنّ تقليد الشخصيّات الدينيّة في العقائد الدينية مذمومٌ مردود. ويتحتّم على الإنسان العاقل أن يكتسب معتقداته عن طريق التحقيق لاعن طريق التقليد.

ثانياً: إنّ الذين اتّخذوا تقليد الشخصيّات الدينيّة مدخلاً للإسلام وصاروا مسلمين سيرتدّون عن الإسلام من حيث دخلوا، إذا ما ارتدّت تلك الشخصيّات عنه يوما مّا، وسوف يغيّر هؤلاء عقائدهم تبعا لاولئك أيضاً، وهذا، لأنّهم مسلمون بالتقليد، ولأنّ عقائدهم فاقدة للأساس العلمي، وعليه فالعقيدة التقليدية على الدوام في معرض التغيير والزوال: «مَن دَخلَ هٰذَا الدّينَ بِالرِّجالِ أَخرَجَهُ مِنهُ الرِّجالُ».

ثالثاً: إنّ الذين يعتنقون الإسلام وعقائده مقتدين في ذلك بالقرآن والحديث تتأصّل فيهم المعتقدات الدينيّة وتستحكم أكثر من استحكام الجبال ورسوخها في الأرض، ولا يمكن أن تزول هذه العقائد من قلب المقتدين بهدى القرآن والحديث حتّى ولو اقتلعت الجبال من الأرض: «ومَن دَخَلَ فيهِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ زالَتِ الجِبالُ قَبلَ أَن يَزولَ».

رابعاً: إنّ القرآن والحديث يؤكّدان علىٰ ضرورة استناد عقائد الإنسان إلى الموازين العقلية والعلمية، فلو أنّه اعتقد بحقيقةٍ مّا على غير اُسس عقلية وعلميّة

---

١. الغيبة للنعماني: ص ٢٢، بحار الأنوار: ج ٢ ص ١٠٥ ح ٦٧.

٢. بشارة المصطفى: ص ١٢٩، بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ١٠٣ ح ١١.

فسوف ينكر نفس الحقيقة على نفس الأُسس بالذات: «مَن دَخَلَ في أمرٍ بِجَهلٍ خَرَجَ مِنهُ بِجَهلٍ».

إنّ النقاط التي يشير إليها الإمام الصادقعليه السلام في كلامه حقائق أثبتتها التجربة وأيّدها التاريخ، فكم من أُناسٍ على مدى تاريخ الإسلام اعني خلال ألفٍ وأربعمئة سنة دخلوا الإسلام من مدخل تقليد الشخصيات، ثمّ ارتدّوا على أعقابهم إثر تقليدهم لهؤلاء الشخصيّات أيضاً.

كما أن تاريخ الأديان السماوية يؤكّد أنّ تقليد الشخصيّات السياسية والدينيّة في الأُمور العقائدية ـ أو بعبارة أُخرى: داء التبعية والاحتذاء الأعمىٰ أو وَطْءُ أعقاب الرجال ـ قد سدَّدَ أكثر الضربات إلى الأديان الإلهية، وكم هي حلوة شيّقة دراسة تاريخ الأديان من هذا البُعد، وكم هي ضرورية تعليمية، ولكن لا مجال هنا لتناول هذا الأمر إذ إنّ بحثنا في هذا الفصل مقدّمة لدراسة النصوص العقائدية في الإسلام ولذا نقتصر هنا على ذكر نماذج من اتّباع الرجال في صدر الإسلام.

**ظاهرة التبعية العمياء في صدر الإسلام**

إبّان حكومة أميرالمؤمنين الامام عليّ بن أبي طالبعليه السلام كان جمع غفير من المسلمين المعاصرين للإمام قد واكبوا بعض الشخصيّات السياسية والدينية آنذاك، اولئك الذين عرفوا فيما بعد بالناكثين والقاسطين والمارقين، وكردّ فعلٍ لابتلائهم بداء وطء أعقاب الرجال تخلّوا عن الإسلام الحقّ، ولم يكتفوا حتّى تحشّدوا لمناهضته، وأصابوا النبتةَ الحديثة في جذرها، بما لاتزال مرارته تؤثّر في نفس المجتمع الإسلامي.

فكان الإمامعليه السلام يتحرّق ألماً وهو يشاهد المساعيَ والجهودَ التي بذلها نبيّ الإسلامصلى الله عليه وآله والمحبّون المخلصون للإسلام، في سبيل تشكيل الحكومة والمجتمع الذي يعنيه الإسلام تُمْنَى بالفشل، وذلك نتيجةً لسلوك أُناسٍ كانوا يوماً من الأيام

يحاربون معه وفي صفّه جنباً إلى جنب، وكان ممّا يزيد في ألمهﷺ أن يرى من المسلمين مَن لا يسمح لنفسه بالتفكير حتّى يفهم ما يقوله أُولئك الأشخاص هل هو صحيح ام خاطئ، والطريق الذي سلكوه طريق حقٍّ أم طريق باطل، وما إذا كان أُولئك الذين يرفعون شعار الإسلام هل ينشدون الإسلام حقًّا أم أنّهم يجعلون الإسلام قنطرة للوصول إلى مآربهم الشخصية؟

لا شكَّ في أنّ المقلّدين العمي الصمّ للشخصيّات المنحرفة التي كانت تعاصر الإمام كانوا أشدّ مثاراً لألمه من تلك الشخصيّات ذاتها، إذ لولا هؤلاء الموالون لهم لما كانت لأُولئك سطوةٌ ولما استطاعوا شيئاً.

لقد روي عن الإمامﷺ في نهج البلاغة تحليل سياسي اجتماعي، للمجتمع المعاصر له، وهو تحليل قصير إلّا أنّه عميق. وما أجدر لهذا التحليل بأن يكون لمجتمعنا الحاضر أيضاً رائداً أو مسلكاً ومنهجاً.

إنّ لهذا التحليل ميزتين تتطلّبان التأمّل:

الأُولى: إنّ الإمام يأخذ يد كميل وهو من خاصّة أصحابه ويخرج به إلى الصحراء، وهناك يلقي على كميل بتوجّع وتأوّه مطالب تعليمية صوّرت ما كان في قلبه من لوعة الألم والحزن.

الثانية: إنّ الإمام ـ قبل أن يتعرّض بالحديث لمجتمعه المعاصر ـ استهلّ كلامه بتنبيه كُميل على اختلاف القلوب في استعدادها وسعتها للوعي، وأنّ من الناس من لهم هذا الاستعداد، ومنهم من ليس لهم ذلك، وأنّ الفضل على قدر هذا الاستعداد.

ومنه يتّضح أنّ الإمام لم ير التصريح بهذا الكلام الموجع مناسباً لكلّ أحد، فاستماع هذا الكلام يحتاج إلى استعداد لا يتوفّر في الجميع، كيف يتكلّم الإمام عن

عدد من المسلمين الصادقين، أُولئك الذين عرفوا الإسلام حقّ المعرفة وظلّوا أوفياء له؟! وكيف يقول بأنّ أفراداً ـ مع ما لهم من تلك السابقة المشرقة في الإسلام ـ قد ودّعوا الإسلام لمجرّد أن هدّد الخطر مصالحهم الشخصية؟! وكيف يقول بأنّ الكثير من أهل زمانه ممّن جذبتهم تنظيمات الشخصيّات البارزه في المجتمع باسم الإسلام ليسوا مسلمين، ولم يفهموا الإسلام، ودينهم معلّق بالشخصيّات التي اعتقدوا بها واتّخذوها معياراً للحقّ والباطل ؟!

وعلى أيّ حال، فالتحليل المُفعم بالألم والذي كان يبوح به الإمام علي عليه السلام إلى كميل؛ لأنّه يعي شكوى الإمام من مجتمعه المعاصر آنذاك يبدأ من قوله:

النّاسُ ثَلاثَةٌ: فَعالِمٌ رَبّانِيٌّ، ومُتَعَلِّمٌ عَلىٰ سَبيلِ نَجاةٍ، وهَمَجٌ رَعاعٌ أتباعُ كُلِّ ناعِقٍ، يَمِيلونَ مَعَ كُلِّ ريحٍ، لَم يَستَضيئوا بِنورِ عِلمٍ، ولَم يَلجَؤُوا إلىٰ رُكنٍ وَثيقٍ.[1]

فالإمام عليه السلام في هذا الكلام يقسّم الناس في مجتمعه أو مطلق الناس إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأُولى: من عرفوا الحقيقة، فعقيدتهم وعملهم ومواقفهم الفردية والاجتماعية على أساس المعايير الصحيحة والراسخة، وهم من عبّر الإمام عنهم بقوله: «عالِمٌ رَبّانِيٌّ».

المجموعة الثانية: من لم يبلغوا الحقيقة بعدُ، إلّا أنّهم أهل تحقيق وتفكّر، دائبون على طريق الحقيقة، حتّى إذا ما بلغوها تحقّقت لهم النجاة، وهم من عناهم الإمام بقوله: «مُتَعَلِّمٌ عَلىٰ سَبيلِ نَجاةٍ».

والمجموعة الثالثة: هم أُناس لم يعرفوا الحقيقة ليكونوا علماء ربّانيين، ولا هم أهل تحقيق وتفكّر ودأب على طريق الحقيقة حتّى يصدق عليهم الوصف بالمتعلّمين على سبيل النجاة، وإنّما هم أناسٌ لايتيحون لأنفسهم فرصة التفكير

---

١. نهج البلاغة: الحكمة ١٤٧.

والتحقيق، بل لا يجيزون لها ذلك أصلاً، وقد عبّر الإمام عن هذا القبيل من الناس بقوله: «هَمَجٌ رَعَاعٌ».

قال ابن الأثير، في بيان معنى «همج»: تعني الذباب الصغير الذي يحطُّ على وجوه الغنم والحمير، وقيل: هو البعوض[1]، وأما «الرعاع» فقد كتب الفيروز آبادي في تفسيرها قائلاً: أنّه من لا فؤاد له ولا عقل.[2]

فشبّه الإمام عليه السلام المجموعة الثالثة التي لا تكلّف نفسها عناء التفكير والتحقيق بذباب أحمقَ يتطفّل على أحمق أكبر منه ليتغذّى عليه. ذباب يندفع حيثما ارتفعت صيحة مّا دون أن يعرف صاحبها أو ما إذا كانت على حقّ أم على باطل. فشأنها شأن الذباب تدفعه الريح حيثما هبّت يميل معها حيث تميل.

ويرى الإمام عليه السلام أنّ العلّة في انحدار هؤلاء الناس إلى هذا الدرك من الضعة والدناءة هي عدم استضاءتهم وتنوّرهم بنور العلم، وافتقارهم إلى عقيدةٍ وأفكارٍ تبتني على أسس وطيدة.

وهذا التصنيف الذي صنّفه الإمام عليه السلام لأفراد المجتمع، هو مروي عن النبي صلى الله عليه وآله أيضاً، إلّا أنّ ما تحدث به الرسول صلى الله عليه وآله كان في صيغة الأمر، وأمّا ما قاله الإمام علي عليه السلام فجاء في صورة الخبر، فالرسول الأكرم يأمر المسلم بأن يكون إمّا عالماً أو متعلّماً ولا يجيز له أن يكون إمَّعة، وأمّا الإمام علي عليه السلام فقد أخبر بأنّ المسلمين في زمانه ثلاثة: عالِمٌ ربّاني، ومتعلمٌ على سبيل النجاة، وهمج رعاع، ومراده من «همج رعاع» هو الإمَّعة في حديث الرسول صلى الله عليه وآله، أي الذين لا يستقلّون بأفكارهم وعقائدهم عن التقليد والتذيُّل للآخرين في عقائدهم؛ ومن ثَمَّ كانوا أخطر الأعداء

---

١. النهاية: ج ٥ ص ٢٧٣.

٢. القاموس المحيط: ج ٣ ص ٣٠.

لحكومة الحقّ والعدالة.[١]

فالذي كان يؤلم الإمام عليﷺ هو أنّ غالبية الناس في عصره كانوا من المجموعة الثالثة، كانوا من قبيل «الإمَّعة»، كانوا «همجاً رعاعاً» يفتقرون إلى الاستقلال الفكري والعقائدي، ويميلون مع الريح حيث تميل!

وأمّا المتعلّمون على سبيل نجاة فهُم على حدّ وصف الإمام عليﷺ لهم في حديثه مع كميل بن زياد النخعي: لا يستغلّون العلم، ولا يستعملون آلة الدين للدنيا، ولا ينقدح الشّكّ في قلوبهم لأوّل عارضٍ من شبهة، ولاهم منهومون باللّذة، ولا سلسو القياد للشهوة أو مُغرَمون بجمع المال وادّخاره: **أُولئِكَ وَاللهِ الأَقَلّونَ عَدَداً**.

وهكذا نشاهد أنّ الإمام كان يعيش مع أُناس ليسوا من أهل التمييز والتحقيق، أي: لا هم علماء ولا هم متعلّمون، أُناسٌ تبع لشخصيات، لكنّهم لم يتبعوهم بعقولهم وأفكارهم ومعارفهم وعقائدهم فحسب، وإنّما ارتبطوا بهم مصيرياً ارتباطاً وثيقاً فكانوا ينجرّون حيث يجرّونهم.

لقد كان الإمام عليﷺ بين قوم أبوا أن يفهموا أو أعوزهم إمكان الفهم بأنّ الشخصيات التي كانوا يوالونها على خطأ، فلم تساعدهم عقولهم على أن يفهموا أنّ من الممكن أن تشتبه الأُمور على طلحة والزبير أيضاً، وأنّ مقدّسي النهروان ليسوا معصومين من الخطأ.

وكانت الأوضاع الاجتماعية آنذاك بدرجةٍ من الغموض والالتباس بحيث إنّ البعض لم يحتمل أن يكون معاوية على خطأ!

ففي معركة الجمل وجّه أحد أصحاب الإمام وهو الحارث بن حوط إلى الإمامﷺ سؤالاً، إنْ دلَّ فإنّما يدلُّ على المستوى الفكري للمسلمين آنذاك، وذلك عندما رأى عائشة (أُمّ المؤمنين) في تلك الحرب على رأس الجيش المضادّ،

---

١. راجع: ص ١٧ «التقليد في العقائد من وجهة نظر الإسلام».

وشخصيات ذات سابقة في الإسلام، مثل طلحة والزبير يضربون بسيوفهم في ركاب (أُمّ المؤمنين) لم يستطع أن يتصوّر أنّ هذه الشخصيات البارزة في الإسلام على ضلالة في قتالها ضدّ عليّ عليه السلام، ولهذا جاء إلى الإمام قائلاً:

**يا أميرالمؤمنين، ما أرى طلحة والزبير وعائشة اجتمعوا إلّا على حقّ!!**[1]

وفي روايةٍ أُخرى:

**أتراني أظنّ أصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟!**[2]

وحسبنا أن نتصوّر أنّه إذا كان بين أصحاب الإمام ـ المواكبين له المغمورين بفيض من النور والعلم والمعرفة والروح المعنوية ـ أفراد لم يكن في استطاعتهم أن يصدّقوا أنّ شخصيات ذات ماضٍ مشرّقٍ كطلحة والزبير على ضلالٍ في قتالهم عليًّا عليه السلام، فما الذي يمكن أن يتوقّع ممّن عاصروا الإمام ولم يروه؟

ومهما كان، فقد أجاب الإمام عن سؤال الحارث بكلام هو بحقّ كما قال طه حسين: «لم يكن في تلك الظروف كلام أكثر إحكاماً ورفعةً من هذا... ولم يُسمَعْ كلامٌ بهذه العظمة منذ انقطع الوحي وانقطع نداء السماء».

أمّا جواب الإمام عليه السلام فهو:

**لا يُعرَفُ الحَقُّ بِالرِّجالِ، اعرِفِ الحَقَّ تَعرِف أهلَهُ.**[3]

أي: أنّ سبب اشتباه الأمر عليك و على أمثالك هو أنك اتّخذتَ الشخصيات معياراً للحقّ والباطل بدلاً من أن تجعل الحقّ والباطل مقياساً وميزاناً للشخصيات، أتريد أن تعرف الحقّ بمقياس الأفراد؟!

لو أنّك أجزت لنفسك أن تفكّر لعلمت أنّ الأمر على العكس تماماً، فالشخصيات ـ مهما بلغوا من التعيّن والثقة في الاعتماد عليهم ـ لا يمكن أن يكونوا

---

١. الأمالي للطوسي: ص ١٣٤ ح ٢١٦.

٢. نهج البلاغة: الحكمة ٢٦٢.

٣. الطرائف: ص ١٣٦ ح ٢١٥.

معياراً لمعرفة الحقّ والباطل، بل الحقّ والباطل هما معياران لمعرفة الشخصيات، فإذا عرف الإنسانُ الحقَّ فقد عرف أهله وإن لم يكن لهم تاريخ مشرق أو صيت ذائع، وإذا عرِفَ الباطل تشخّص موالوه وإن كانوا من ذوي التاريخ المشرق والصيت الذائع.

**التقليد في فروع الدين**

ثبت لدينا حتّى الآن أنّ التقليد في أُصول العقائد مذموم مردود من وجهة نظر العقل والقرآن والحديث، والسؤال الذي يمكن أن يتبادر إلى الذهن هنا هو: ما حكم التقليد في فروع الدين؟ وهل التقليد فيها كالتقليد في أُصول الدين غيرصحيح؟ أو يختلف عنه؟

والجواب هو: إنّ التقليد في فروع الدين ليس صحيحاً فحسب، بل إنّه واجب وضروري لمن هم ليسوا من أصحاب الاختصاص في المسائل الفقهية، ولا يتأتّى لهم بدون مراجعة أهل الاختصاص في هذا الباب أن يؤدّوا أعمالهم على الوجه الذي تقتضيه العقائد الدينية.

وهنا سؤال آخر هو: لماذا كان التقليد في أُصول الدين غير جائز عقلاً وشرعاً على حين كان التقليد في فروع الدين لازماً ضرورياً؟ أو بعبارة أُخرى: إذا كان حكم العقل والقرآن والحديث يؤكّد صراحة على الإنسان أن لا يقبل نظرية الآخرين بدون معرفة وعلم واطّلاع، وكان التقليد في أُصول الدين غير جائز لأنّه لا يكسب علماً، فلماذا كان التقليد في فروع الدين صحيحاً بل واجباً؟! وإذا كان التقليد لا يكسب علماً فالأُصول والفروع في ذلك على حد سواء؟!

**التقليد في فروع الدين حكمٌ عقلائي**

إنّ التقليد في فروع الدين هو في الحقيقة حُكمٌ عقلائي.

إيضاح ذلك مع ذكر مثال هو كالتالي: إذا كنت مريضاً أو لديك في البيت مريض

وتريد أن تراجع الطبيب فبماذا يشير العقل عندئذ؟ وماذا أنت فاعل إذاً؟

العقل يشير عليك بما يلي: اذهب واستشر ذوي الخبرة والاطّلاع ممّن يوثق بهم، ثمّ اذهب إلى الطبيب الأكثر خبرةً وتخصّصاً واعتماداً، فإذا ما وصلت بعد التحقيق إلى هذا الطبيب وعرضت الحالة عليه وحدّدَ المرض وكتب وصفة العلاج فإنّ العقل لا يسمح لك بأن تسأله قائلاً: على أيّ أساس أو بأيّ دليل كتبت هذه الوصفة وأجزتَ تناول هذه الأدوية، وإنّما يقول لك: لستَ من أهل التخصّص، خذ الوصفة التي كتبها الطبيب وتناول الدواء وفقاً لما ذكره الطبيب في الوصفة، فهذا العمل بوصفة الطبيب هو بعينه تقليد الطبيب.

وبناءً عليه، فإنّ العقل الذي يأمر بالبحث والتحقيق من أجل معرفة الطبيب هو الذي يقول في صدد العمل بوصفته: إنّ تقليد الطبيب لازمٌ ضروري.

فالتحقيق في المسائل العقيدية هو عين التحقيق لمعرفة الطبيب، والذي يأمر به العقل ولا يسمح لإنسان بأن يقبل نظريةً من الآخرين ويعمل بها دون تحقيق ومعرفة ووعي تامّ. والتقليد في فروع الدين كالعمل بوصفة الطبيب بعد التعرّف والاطّلاع على تخصّصه والاطمئنان به، وكما أنّ تقليد الطبيب بمعنى العمل بنظريته ووصفته لا يخالف أمر العقل بل إنّه تنفيذ دقيق لأمر العقل؛ فإنّ التقليد في فروع الدين يعني العمل بنظرية المجتهد الجامع للشرائط، المتخصّص في المسائل الدينية، وهو بكلّ دقّة رجوع إلى العقل وإجراء لحكمه أيضاً.

## الخلاصة

▣ التقليد عبارة عن قبول رأي الآخرين دون المطالبة بالدليل والبرهان.

▣ إنّ التقليد في المبادئ العقائدية غير جائز من وجهة نظر العقل؛ لأنّ الإنسان بحاجة إلى العلم في أُصول العقائد، والتقليد لايكسب علماً.

والدليل على ضرورة العلم في أُصول العقائد هو أنّ المبادئ العقائدية هي الأساس لجميع الأعمال، فلو أنّ التقليد يكسب علماً لكانت المدارس المتضادّة جميعاً صحيحةً علميّة.

▣ المقلّد عالِمٌ خيالي، وأتْباع كلّ دين يخيَّل إليهم أنّ عقائدهم صحيحة، ولا يسمحون لأنفسهم بالتحقيق. ولو حلَّ التحقيق محلَّ التقليد وانزاحت عنهم موانع المعرفة لتوصّل الناس جميعاً إلى وجهة نظر مشتركة في المبادئ العقائدية.

▣ يستنكر القرآن الكريم -في العديد من آياته- التقليد في العقيدة، ويذمّ بشدّة أُولئك الذين يفضّلون التقليد على التحقيق، ويفضلون السنن والتقاليد على الحقيقة.

▣ أطلقت الأحاديث الإسلامية عنوان «إمَّعة» و «همج رعاع» على الذين لا رأي لهم ومن يقلّدون الآخرين في آرائهم واعتقاداتهم.

▣ جاء في الروايات الإسلامية أنّ الناس على ثلاثة أقسام: عالِمٌ ربّاني، ومتعلّمٌ على سبيل نجاة، و «إمّعة» أو «همج رعاع». وقد أوصى الإسلام بأن يكون المسلم إمّا عالماً أو متعلّماً، ولا يكون «إمَّعةً» أو «همجاً».

▣ يعرض تاريخُ الأديان كيف أنّ تقليد الشخصيات السياسية والدينية في العقيدة قد أنزل أشدّ الضربات بالأديان الإلهية.

▣ لأجل التحرّر من قيد التقليد في العقائد ومعالجة داء (وطء أعقاب الرجال) يلزم جعل الحقّ والباطل معياراً لمعرفة الشخصيات، بدلاً من جعل

الشخصيات معياراً لمعرفة الحقّ والباطل.

▣ كما أنّ تقليد الطبيب بالعمل بموجب رأيه ليس خلافاً لأمر العقل بل هو تنفيذٌ له، فالتقليد في فروع الدين بالعمل برأي المجتهد الجامع للشرائط المختصّ بالمسائل الدينية هو أيضاً رجوع إلى العقل وتنفيذ لأوامره.

الفصل الثّالث

# التّحقيق في العقيدة

لقد برهنّا في البحوث السابقة علىٰ وجوب التحقيق في أُصول العقائد، وذلك ضمن التأكيد علىٰ تحريم التقليد استناداً للعقل والدِّين، ونتناول في هذا الفصل الحديث عن قيمة التحقيق في نظر الإسلام، وأنّ الإسلام يدعو النّاس إلى التحقيق فيه، وأنّه لا يعتبر المحقّق في هذا المجال كافراً. وسنتناول في هذا الفصل ثلاثة بحوث:

١. التحقيق في العقيدة من وجهة النظر الإسلامية.

٢. علاقة العلم بالإيمان.

٣. العلاقة بين الجهل والكفر.

**أوّلاً: التحقيق في العقيدة من وجهة النظر الإسلامية**

لكي تتجلّىٰ قيمة التحقيق ومعرفة الحقيقة في المسائل العقائدية من وجهة نظر الإسلام، يجب دراسة المصطلحات التالية استناداً لما جاء في القرآن الكريم والأحاديث النبويّة الشريفة:

العقل، العلم، المعرفة، الفكر، الفقه، الحكمة، التدبّر، التذكّر، التبيّن، النظر والرؤية.

إنّ ملاحظة هذه المصطلحات في النصوص الإسلامية تبرهن بلا شكّ أنّه ليست هناك مدرسة تقدّر التحقيق في المبادئ العقائدية ومعرفة الحقيقة، كما هو في

الإسلام من تقدير لها، وأنّه لا مدرسة أقدمت على إزالة العقبات من طريق التحقيق ومعرفة الحقيقة وتوفير الشروط اللازمة للوصول إلى الحقيقة، كما أقدم الإسلام علىٰ ذلك.[١]

فالإسلام يُلحُّ على دعوة النّاس إلى التحقيق والتفكّر والتفقّه والتعقّل في عقائده ومبادئه إلحاحاً مثيراً للعجب جدّاً.

فهو إذ يعتبر العلم رأس الفضائل، وحجاباً من الآفات، وأنفعَ الكنوز، وأساس كلّ خير، وعماد الدِّين؛ ويَزِنُ الإنسانَ بميزان معلوماته، ويجعل طلب العلم في كلّ الأحوال فريضة علىٰ كلّ مسلم ومسلمة، ويعتبر طلّابَ العلم أقرب النّاس مرتبةً للنبوّة، كما يصفه بأوصاف نظير: إنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم حتّىٰ يطأ عليها رضىً به، وأنّ طالب العلم يستَغْفِر له كلّ شيء، وأنّ من كان في طلب العلم كانت الجَنَّةُ في طلبه، وأنّ العلماء ورثة الأنبياء، وأنّ مداد العلماء خير من دماء الشهداء، وأنّ النظر إلى وجه العالم عبادة، وأخيراً، إذ يكلّل الإسلام العلم والعالم وطالب العلم بعشرات الفضائل الأُخرىٰ،[٢] فهو من أجل تشجيع النّاس وترغيبهم في التثبّت وتحريرهم من قيود التقليد وحثّهم علىٰ تقدير أعمالهم وفقاً للموازين العقلية والعلمية.

فالإسلام يرىٰ أنّ الإنسان بحاجة إلى معرفة في جميع حركاته الإرادية، وأن تكون مدروسةً ومسموحاً بها من جانب العقل، ففي وصية أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام لكميل، قال:

يا كُمَيلُ ما مِن حَرَكَةٍ إلّا وأنتَ مُحتاجٌ فيها إلىٰ مَعرِفَةٍ.[٣]

---

١. راجع: ص ١٥٣ «القسم الثاني: مصادر المعرفة»، وص ٢٢٧ «القسم الثالث: موانع المعرفة».

٢. راجع: موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٢ ص ٢٥ «الفصل الثاني: فضل العلم» وص ٧٩ «الفصل الثاني: فضل الحكمة»، وص ٣٧٣ «الفصل الأوّل: فضل العالم».

٣. تحف العقول: ص ١٧١.

وهذا يعني أنّ الإسلام لا يسمح للإنسان بالقيام بعمل دون التحقيق والعلم بصحّته، فالعمل بدون التحقيق لايقتصر علىٰ كونه غير مصون من الخطأ فحسب، بل إنّه في حدّ ذاته خطأ كبير.

فالإسلام يسعىٰ إلىٰ ترغيب النّاس في التحقيق ويشوّقهم إلى طلب العلم والمعرفة الحقيقية قبل أيّ شيء آخر، ويعتبر أفضل المسلمين أكثرهم معرفةً، لا أكثرهم عبادة، وهو مصداق قول الرسولﷺ:

أفضَلُكُم إيماناً أفضَلُكُم مَعرِفَةً.[1]

كما رويت عن المعصومينعليهم السلام رواية أُخرىٰ للتعريف بالمسلم الأفضل، هذا نصّها:

بَعضُكُم أَكثَرُ صَلاةً مِن بَعضٍ، وبَعضُكُم أَكثَرُ حَجًّا مِن بَعضٍ، وبَعضُكُم أَكثَرُ صَدَقَةً مِن بَعضٍ، وبَعضُكُم أَكثَرُ صِياماً مِن بَعضٍ، وأَفضَلُكُم أَفضَلُكُم مَعرِفَةً.[2]

كما أوصَى الإمامُ الباقرعليه السلام، الإمامَ الصادقعليه السلام بقوله:

يا بُنَيَّ، اعرِف مَنازِلَ الشّيعَةِ عَلىٰ قَدرِ رِوايَتِهِم ومَعرِفَتِهِم، فَإِنَّ المَعرِفَةَ هِيَ الدِّرايَةُ[3] لِلرِّوايَةِ.[4]

و«الرواية» عبارة عن الكلام المنقول عن النّبيﷺ أو الإمامعليه السلام. و «الدراية» عبارة عن إدراك المفهوم الحقيقي للرواية ومعرفة ما يقصده النّبيﷺ أو الإمامعليه السلام.

بعبارة أُخرى: الرواية هي حفظ الحديث ونقله، والدراية هي تفقّه الحديث وفهمه، والراوي هو ناقل الحديث، والفقيه هو المحقّق والعالِم بالحديث.

---

١. جامع الأخبار: ص ٣٦ ح ١٨.

٢. صفات الشيعة: ص ٩٣ ح ٢٨.

٣. دَرَيتُ بالشيء دَرياً ودِرايَةً: عَلِمته (المصباح المنير: ص ١٩٤).

٤. معاني الأخبار: ص ١ ح ٢.

فالإمام الباقرعليه السلام يوصي ابنه الصادقعليه السلام أوّلاً بمعرفة منازل الشيعة علىٰ قدر رواياتهم ومعرفتهم، ثمّ يوضّح بعد ذلك أنّ ما يعنيه بالمعرفة هو دراية الروايات، ويقول:

وبِالدِّراياتِ لِلرِّواياتِ يَعلُو المُؤمِنُ إلىٰ أَقصىٰ دَرَجاتِ الإيمانِ.[١]

أي: إنَّ المهمّ هو التحقيق والمعرفة وفهم الحديث؛ لأنّ الرواية إذا لم تصحبها الدراية لا تجدي نفعاً.

ثمّ نقل الإمام رواية عن أميرالمؤمنينعليه السلام:

إنّ قيمَةَ كُلِّ امرِئٍ وقَدرَهُ مَعرِفَتُهُ.[٢]

وقال الإمام الصادقعليه السلام في كلام آخر له بشأن قيمة دراية ومعرفة الحديث:

حَديثٌ تَدريهِ خَيرٌ مِن أَلفِ حَديثٍ تَروِيهِ.[٣]

فرواية الحديث ونقله يمكن أن ينفع الآخرين أكثر من الراوي نفسه[٤]، و تكون بالنسبة للراوي مفيدة لو اقترنت بالدراية، ورواية الحديث دون درايته ـ كما جاء في كلام الإمامعليه السلام ـ لا تجدي نفعاً للراوي، بل ربما تكون مضرّة في بعض الأحيان له ولغيره أيضاً، إذ لو لم يكن الراوي علىٰ علم بالحديث فقد يتسبّب في تحريفه، ولهذا قال أميرالمؤمنين عليّعليه السلام:

عَلَيكُم بِالدِّراياتِ لا بِالرِّواياتِ.[٥]

---

١. معاني الأخبار: ص١ ح ٢.

٢. المصدر السابق.

٣. المصدر السابق: ص ٢ ح ٣.

٤. إشارة إلى قول النبيّصلى الله عليه وآله: «ورُبَّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه» (الكافي: ج ١ ص ٤٠٣ ح ١).

٥. كنز الفوائد: ج ٢ ص ٣١.

وجاء في كلام آخر لهﷺ:

هِمَّةُ السُّفَهاءِ الرِّوايَةُ، وهِمَّةُ العُلَماء الدِّرايَةُ.[١]

ونستخلص من هذه الروايات وأمثالها[٢] ملاحظتين مهمّتين:

الأُولى: إنّ الإسلام يقدّر التحقيق ومعرفة الحقيقة وتجنّب التقليد في المسائل النظرية تقديراً بالغاً، وأنّ المهمّ في نظر هذا الدِّين القويم هو العلم به، لا روايته المجرّدة عن الفهم. بعبارة أُخرىٰ: إنّ الإيمان يتحتّم عن طريق المعرفة والعلم، لاعن طريق التعبّد العشوائي.

والثانية: إنّ أئمّة الدِّين واثقون ومطمئنون من مطابقته للموازين العلمية والعقلية، علىٰ نحو لو أنّ أهل التحقيق كانوا من أهل الإنصاف أيضاً لوقفوا علىٰ حقّانية الإسلام، وإلّا لم يكن معنىً لهذا التأكيد والحثّ على التحقيق.

### ثانياً: علاقة العلم بالإيمان

تثير مسألة الترابط بين العلم والإيمان ـ من وجهة النظر الإسلامية ـ لدى المحقّقين اهتماماً فائقاً للغاية، وهذا نظراً لما يدّعيه أشباه المثقّفين ـ ممّن لا دين لهم المنكرون للمعتقدات الدِّينية ـ من أنّه ليست هناك أيّ صلةٍ بين العلم والإيمان، وأنّ المعتقدات المذهبية تتنافىٰ مع العلم أصلاً، وأنّ العلم ضدّ الإيمان والاعتقادات الدِّينية، وعليه فأينما وُجِدَ العلم لم تكن المعتقدات الدِّينية، وبالعكس أينما وُجِدَ الدِّين لم يكن مجال لظهور العلم وازدهاره.

فلننظر ماذا يقول الإسلام في هذا الصدد:

إنّ الصلة بين العلم والإيمان ـ في نظر الإسلام ـ صلة وثيقة لا تنفكّ مطلقاً؛ فالإيمان ثمرة العلم، والعالِمُ مؤمن؛ وعدمُ الإيمان نتيجة الجهلِ، والقرآن الكريم

---

١. كنز الفوائد: ج ٢ ص ٣١.

٢. راجع: موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٢ ص ٢٥٦ «الدراية».

يبيّن هذه الحقيقة في غاية البلاغة والدقّة في قوله تعالىٰ:

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ...﴾.[١]

وقوله:

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ﴾.[٢]

فنلاحظ أنّ هذه الآيات تفيد بصراحة ووضوح أنّ الترابط بين العلم والإيمان ترابط لا يقبل الانفصال والعلماء يدركون ضرورة حقّانية الإسلام، بمعنىٰ أنّه إن اقتلعت جذور الجهل من المجتمع البشري ساد الإسلام العالم قاطبة؛ فإنّ الإسلام دينٌ علميّ منطقيّ يقوم علىٰ ضوابط عقلية.

بعبارة أُخرىٰ: ـ بناءً على هذه الآيات ـ لا يتسنّىٰ لأحدٍ أن يصبح عالماً بالمعنى الحقيقي للكلمة ويظفر بالعلم والمعرفة مادام لايعتقد ولا يؤمن بالإسلام، أجل، إنّ هذا الإمكان يتيسّر لمن يتخيّل أنّه عالم وصل إلى الحقيقة ومع ذلك هو غير مؤمن، إلّا أنّه يجمع في الواقع بين تخيّل العلم وعدم الإيمان، لا بين العلم وعدم الإيمان.

أمّا العلم فيصطحبه الإيمان في حدّ ذاته، إذ إنّ العلم والإيمان، كما جاء في الآيات السابقة لا ينفكّ أحدهما عن الآخر. ففي نظر الإسلام: العلم والإيمان توأمان يولدان معاً ويموتان معاً، وما أجمل ما استلهمه الإمام عليّ عليه السلام من القرآن حيث يقول:

الإِيمانُ وَالعِلمُ أَخَوانِ تَوأَمانِ ورَفيقانِ لا يَفتَرِقانِ.[٣]

وهذا يعني: أنّك لو شاهدت أحد توأمين أو لقيت رفيقاً ملازماً لرفيقه فكأنّك قد رأيت الآخر منهما ولقيته في نفس الآن، فكذلك الحال بالنسبة للعلم والإيمان، فلو وصل الإنسان إلى العلم لوصل إلى الإيمان، ولو وصل إلى الإيمان فقد وصل

---

١. سبأ: ٦.

٢. الحجّ: ٥٤.

٣. غرر الحكم: ح ١٧٨٥.

إلى العلم ومعرفة الحقيقة، وقد روي عن النَّبيﷺ في هذا المعنىٰ حديث يسترعي النظر، يبيّن علاقة العلم والإيمان بوجه آخر، قال:

العِلمُ حَياةُ الإسلامِ وعِمادُ الإيمانِ.[1]

فشُبِّهت رابطة العلم بالإيمان في هذا الحديث بشيئين:

أحدهما: صلة الجسم بالروح، والآخر: صلة العمود بسقف البناء، فلو فَقد الجسم روحه فقد جمد عن الحركة والنموّ، وسقف البناء لايستقرّ لحظةً بدون دعامة، وهكذا التلازم والترابط بين العلم والإيمان، فالإسلام موجود متحقّق حيثما وُجِدَ العلم، ويزدهر في المجالات العلمية في كلّ زمان ومكان.

وهنا ننتقل إلى الموضوع الثالث من هذا الفصل، أي: العلاقة بين الجهل والكفر، لنرى أنّ الترابط بينهما كالترابط بين العلم والإيمان؟ بمعنىٰ أنّ الصلة بين الكفر والجهل غير قابلة للانفصام هي الأُخرىٰ، وهل كلّ جاهلٍ كافرٌ، وكلّ كافرٍ جاهلٌ؟ أم أنّ هناك صلة أُخرىٰ بينهما؟

### ثالثاً: العلاقة بين الجهل والكفر

الحقّ أنّ صلة الجهل بالكفر ليست كصلة العلم بالإيمان، فالجهل والكفر ليسا توأمين لا ينفصلان أو يفترقان؛ ذلك لأنّه من الممكن أن يكون الإنسان جاهلاً ولا يكون كافراً، كما يمكن أن يكون كافراً ولا يكون جاهلاً.

ولتوضيح هذا الإجمال تستدعي الضرورة الانتباه إلىٰ مقدّمتين:

إحداهما: حول معنى الكفر والكافر.

والثانية: حول مواقف الإنسان التي يتّخذها لمواجهة الحقائق المعلومة والمجهولة.

---

١. راجع: موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٢ ص ٤٥ ح ١٤٢٠.

### أ ـ معنى الكفر والكافر

الكفر في اللغة: الإخفاء والستر، لذا يقال لكلّ من أخفى شيئاً: إنّه كفره، ويطلق عليه أنّه كافر.

والإخفاء نوعان: عينيٌّ واعتباريٌّ، فالإخفاء العيني كإخفاء بذرة تحت التراب، والاعتباري كإخفاء الحقّ بالباطل أو الباطل بالحقّ.

وعليه، لو أظهر الإنسان شيئاً علىٰ خلاف علمه واطّلاعه واعتقاده فعمله يعدُّ كفراً ويطلق عليه أنّه كافر، ومن يعرف حقيقةً ويقول لا أعرفها، أو لايعرف حقيقة ويقول أعرفها، كلاهما كافر؛ لأنّ الأوّل قد أخفى علمه، والثاني قد أخفى جهله، أمّا من لايعرف حقيقة ويصرّح بقوله لا أعرفها فهذا ليس بكافر، وإنّما هو جاهل.

### ب ـ مواقف الإنسان في مواجهة الحقائق

يمكن للإنسان أن يتّخذ في مواجهته للحقائق المعلومة أو المجهولة موقفاً من أربعة:

١. أن يعرف حقيقة ويقول: أعرفها.

٢. أن يعرف حقيقة ويقول: لا أعرفها.

٣. ألّا يعرف حقيقة ويقول: أعرفها.

٤. ألّا يعرف حقيقة ويقول: لا أعرفها، أو يسكت.

فأمّا الذي يعرف شيئاً ويقول: أعرفه، فهو عالِمٌ ومؤمن.

وأمّا الذي يعرف شيئاً ويقول: لا أعرفه، فهو عالِمٌ وكافر؛ لأنّه يكتم علمه.

وأمّا الذي لايعرف شيئاً ويقول: أعرفه فهو جاهل وكافر؛ لأنّه يخفي جهله.

وأمّا من لايعرف شيئاً ولا يتظاهر بالعلم فهو جاهل وليس كافراً.

وعليه، فالإنسان في مقابل الحقائق الوجودية إما عالِمٌ مؤمن، أو عالِمٌ كافر، أو جاهلٌ كافر، أو جاهلٌ غير كافر.

ويتّضح من هذا البيان أنّ الجهل والكفر لا يرتبطان ببعضهما ارتباط العلم بالإيمان، وإنّما الصلة بينهما ـ على حدّ تعبير المنطقيّين ـ هي كصِلَةِ «العموم والخصوص من وجه» بمعنىٰ أنّه يمكن أن يكون الإنسان كافراً ولا يكون جاهلاً، أو يكون جاهلاً ولا يكون كافراً، أو أن يكون جاهلاً وكافراً في الوقت ذاته.

**الكافر الذي ليس جاهلاً**

إنّ مَن يُنكر حقيقة مّا وهو يعرف حقّانيتها كافرٌ وليس جاهلاً؛ لأنّه يعرف تلك الحقيقة، ومَثَله كمَثل مَن يَثبت له وجود الله تعالىٰ بأدلّةٍ مؤكّدةٍ واضحةٍ ولكنّه لدوافع خاصّة يتلفّظ بإنكار وجوده تعالى، فهو علىٰ حدّ وصف الإمام عليّ عليه السلام:

تَشهَدُ لَهُ أعلامُ الوُجودِ عَلىٰ إقرارِ قَلبِ ذِي الجُحودِ.[1]

ومصداق ذلك فِرعَوْنُ وأتباعه الذين أخبر القرآن عنهم بأنّهم عرفوا الحقيقة وتيقّنوها بالأدلّة والبراهين الجليّة التي أتىٰ بها نبيّ الله موسىٰ عليه السلام لإثبات وجود الله تعالىٰ وإثبات نبوّته عليه السلام ولكنّهم أبوا الاعتراف بالحقيقة وكذّبوه وأنكروا وجود الله عزّ وجلّ بدافع من استعلائهم واستكبارهم وطغيانهم وإجرامهم، وهذا ما قاله القرآن عنهم:

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا﴾.[2]

إنّ الأدلّة الواضحة التي أتىٰ بها موسىٰ عليه السلام ومنطقَه القويَّ ومعجزاتِه طمأنت فرعون وأتباعه إلى صدق موسىٰ فيما يقول، وإنّ الله الذي يتحدّث عنه موسىٰ عليه السلام ويدّعي رسالته ويدعو الناس لعبادته هو خالق الكون وربُّ العالمين، بَيدَ أنّهم ـ رغم هذا اليقين والطمأنينة القلبية ـ أنكروا آيات الله وكذّبوا نبيَّهُ واعتبروا ربَّه أُسطورة! ألا يصحُّ لنا هنا أن نسأل: لماذا كان هذا؟!

وأجاب القرآن الكريم على هذا السؤال بأنّ السبب والدافع لهذا الإنكار هو

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ٤٩.

٢. النمل: ١٤.

الظلم وحبّ الاستعلاء. لقد كانوا يعلمون بأنّهم لو اعترفوا بصدق موسىٰ عليه السلام وحقّانيته وبربّه الذي أرسله لوجب أن ينتهوا عن الظلم والإجرام وحبّ التعالي والرئاسة، ولكن هيهات منهم ذلك! فأخفوا علمهم وحجبوا الحقيقة بستار الكفر وأنكروا آيات الله ﷻ.

هذا فيما يتعلّق بتصوير الكافر غير الجاهل. أمّا الصورة الثانية فهي:

**الجاهل الذي ليس كافراً**

إنّ من لايعرف حقيقة مّا ولا يدّعي بأنّه يعرفها هو جاهلٌ وليس كافراً، بعبارة أُخرىٰ: إن من لايبدي رأياً فيما لايعرف أو يعترف بجهله فيه جاهلٌ وليس كافراً؛ لأنّه لم يُخفِ شيئاً، والكفر هو الإخفاء.

يقول الإمام الصادق عليه السلام بهذا الخصوص:

لَو أنَّ العِبادَ إذا جَهِلوا وَقَفُوا ولَم يَجحَدوا لَم يَكفُروا.[1]

يعني أنّ الكفر يتحقّق نتيجة لإنكار حقيقة مجهولة، فاذا امتنع الإنسان عن إبداء الرأي في أمرٍ لايعرفه وانتهىٰ عن إنكاره فهو ليس كافراً بتلك الحقيقة؛ لأنّه ـ سواء اعترف بجهله أو أمسك عن إبداء الرأي ـ لم يُخفِ شيئاً، وعليه فإنّ مثل هذا الجاهل ليس كافراً وإن لم يكن مؤمناً.

روىٰ أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام هو محمّد بن مسلم، قال: كنتُ عند أبي عبدالله عليه السلام جالساً عن يساره وزرارة عن يمينه، فدخل عليه أبوبصير، فقال: يا أبا عبدالله، ما تقول فيمن شكّ في الله؟

فقال: كافر يا أبامحمّد.

قال: فشكّ في رسول الله؟

فقال: كافر.

---

١. الكافي: ج ٢ ص ٣٨٨ ح ١٩.

قال: ثُمَّ التفت [الإمام] إلى زرارة، فقال:

إِنَّما يَكفُرُ إذا جَحَدَ.[١]

أي: لو أنّ أحداً شكَّ في وجود الله ولم ينكر وجوده ﷻ فليس كافراً، إنّما الكافر مَن ينكر وجود الله تعالىٰ مع قيام الشكّ في نفسه وعجزه عن الاستدلال علىٰ عدم وجوده سبحانه وتعالىٰ.

وجاء في تفسير العيّاشي نقلاً عن الإمام الصادق أو الإمام الباقر عليهما السلام[٢] في شأن الآية الكريمة الواردة في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى﴾:

إنَّما كانَ طالِباً لِرَبِّهِ ولَم يَبْلُغْ كُفراً، وإنَّهُ مَن فَكَّرَ مِنَ النّاسِ في مِثلِ ذٰلِكَ فَإِنَّهُ بِمَنزِلَتِهِ.[٣]

أي: إنّ مَن يبحث ليحصل على معرفة الله تعالىٰ ليس كافراً، بل هو كالنّبي إبراهيم عليه السلام.

وقد رويت عن الإمام عليّ عليه السلام في شأن الجاهل الذي لا يدّعي العلم رواية تسترعي النظر بما تتضمّنه من نقطة لطيفة، وهي أنّه قال:

لَو أنَّ العِبادَ حينَ جَهِلوا وَقَفوا لَم يَكفُروا ولَم يَضِلّوا.[٤]

أمّا النكتة الجديرة بالاهتمام في هذه الرواية فهي ـ طبقاً لقول الإمام عليه السلام ـ أنّ توقّف الجاهلين عن إبداء الرأي بالنسبة للحقائق المجهولة لهم لا يقتصر علىٰ إعفائهم من داء الكفر فقط، بل سيحول دون ضلالتهم أيضاً، يعني أنّ الجاهل بتوقّفه

---

١. الكافي: ج ٢ ص ٣٩٩ ح ٣.

٢. الترديد من الراوي.

٣. تفسير العيّاشي: ج ١ ص ٣٦٤ ح ٣٨. ومن عقائد الشيعة أنّ أنبياء الله عليهم السلام لم يكونوا كفّاراً أبداً في حياتهم، وكذا آباؤهم.

٤. غرر الحكم: ح ٧٥٨٢.

وإمساكه عن إظهار نظره، يجذبه للتحقيق والبحث عن الحقيقة تدريجيًّا، فإن استقرّ علىٰ طريق التحقيق وكان هدفه الوصول إلى الحقيقة فإنّه في مجال أُصول العقائد سينجو من الضلال ويظفر بالحقيقة بأيدٍ من الإمدادات الإلهية.

بعبارة أُخرىٰ: كأنّ الإمامعليه السلام أراد أن يقول إنّ أصل الضلال في العقيدة ومنشأه آراء جُهلاءَ غير متخصّصين، ولو أنّ هؤلاء الجُهلاء أمسكوا عن إبداء آرائهم أو إظهار نظرهم فيما لا علم لهم به لاقتلعت جذور الكفر والضلال من المجتمع البشري.[1]

**الجاهل الكافر**

لو أنّ الكافر كان يعرف الحقيقة لَما كان جاهلاً، ولو أنّ الجاهل لم يُخفِ جهله لَما كان كافراً، فإن أخفى الجاهل جهله فقد اجتمع فيه الجهل والكفر.

وعليه، فإنّ الجاهل الكافر هو من يبدي رأيه فيما لا يعرف.

وعندما نتعرّض بالبحث لموضوع معرفة الله تعالىٰ سنوضّح أنّ منكري وجود الله‌ﷻ حتّى لو افترضنا جدلاً أنّهم أقاموا أدلّة صحيحة، فإنّهم ما برهنوا في النهاية إلّا علىٰ شيءٍ واحدٍ، هو أنَّ الإنسان لايجد سبيلاً لمعرفة ماوراء المادة، أي: ليس في مقدوره أن يفهم ما إذا كان هناك شيء آخر وراء الطبيعة المحسوسة أم لا.[2]

ولو أنّهم اعترفوا بجهلهم لم يكونوا كفّاراً، ولكنّهم لا يقفون عند عدم الاعتراف بجهلهم فحسب، بل يتجاوزونه إلى قطاف ثمرة الجهل، ممّا يعتبرونه في نظرهم علىٰ أنّه هو العلم، فيتّخذون من جهلهم أساساً لنظريّتهم بالنسبة للمسائل الميتافيزيقية وماوراء الطبيعة. وبالتالي يستنتجون أنّه لا وجود لشيءٍ أصلاً إلّا للطبيعة المحسوسة.

---

١. راجع: موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٢ ص ١٦٥ «الفصل الأوّل: حجب العلم والحكمة».

٢. راجع: موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٣ ص ٦٥ ـ ٧٢ «العقل».

وهكذا، يتواءم الجهل والكفر، فيخفي الإنسان جهله بعلم مزعوم.

### الفاصل بين الإيمان والكفر

في المقام تجب الإجابة على السؤال التالي، حيث ينبغي القول استناداً إلى ما مرّ في بيان العلاقة بين الجهل والكفر: إنّ هناك فاصلاً بين الكفر والإيمان، وإنّ الشخص الّذي يشكّ في أُصول الإسلام العقيدية مع عدم إنكاره لها لا يعدّ مسلماً ولا كافراً، في حين أنّه لا توجد الفاصلة المذكورة بين الكفر والإيمان من الناحية الفقهية، فكلّ شخص غير مؤمنٍ فهو كافر فما هو سبب ذلك؟

للجواب على هذا السؤال نقول: إنّ ما يخضع للدراسة في هذا الموضوع، هو العلاقة بين الجهل والكفر من الناحية المعرفية لا من الناحية الفقهية، صحيح أنّه لا توجد فاصلة بين الإيمان والكفر من الناحية الفقهية استناداً إلى النصوص الكثيرة الواردة في هذا المجال[١]، ولكن هناك فاصل بينهما بالتأكيد من الناحية المعرفية، فالشاكّ لا يكون كافراً من الناحية المعرفية إلّا إذا أنكر أُصول الإسلام العقيدية، وأمّا إذا لم ينكرها ـ وخاصّةً إذا كان بصدد التحقّق والعثور على الحقيقة ـ فليس بكافرٍ، بل يعدّ جاهلاً ومستضعفاً من الناحية العقيدية.

وعلى هذا الأساس، فليست هناك فاصلة بين الكفر والإيمان من الناحية الفقهية، فكلّ من لا يكون مؤمناً حقيقةً أو حكماً يُعتبر كافراً، في حين أنّ بين الكفر والإيمان من الناحية العقيدية فاصلة.

وبعبارةٍ أُخرى، من الناحية المعرفية هناك فرق بين العالم والجاهل الّذي لا يُنكِر جَهلَه والجاهل الّذي يُنكِرُ جَهلَه، فالكافر هو الجاهل الّذي يُنكِرُ جهلَه ويدّعي العلم.

---

١. مثل الآية ٦٧ من سورة النمل والرواية ١٠ و ١١ من أُصول الكافي: ج ٢ ص ٣٨٦.

وفي ختام هذا الفصل بقي سؤالان مهمّان سنجيب عليهما، هما:

الأوّل: هل التحقيق في أيّ موضوع يحتّم الوصول بالنتيجة إلى الواقع ومعرفة الحقّ؟ بعبارة أُخرىٰ: هل التحقيق ـ أيًّا كان مورده ـ يصل بالمحقّق والباحث بالضرورة إلى هدفه من البحث؟ أم أنّ من الممكن أن يحقّق الباحث ولا يصل إلى نتيجةٍ مّا؟ أو يخيَّل إليه أنّه وصل إلى معرفةٍ حقيقية مع أنّه لم يصل إليها في الواقع؟

الثاني: هل هناك معيار وميزان لمعرفة صحّة نظريةٍ أو عقيدةٍ مّا أم لا؟

والجواب عن السؤال الأوّل هو: أنَّ للمعرفة شروطاً وموانع، فلو أنّ الباحث أو المحقّق أزال موانعها وحقّق شروطها لتوصّل بالضرورة إلى النتيجة المنشودة. وسنبيّن ذلك بتفصيل في المباحث الآتية.[1]

أمّا الإجابة عن السؤال الثاني فستأتي في الفصل القادم، إن شاء الله تعالىٰ.

---

١. راجع: ص ١٥٣ «القسم الثاني: مصادر المعرفة» و ص ٢٢٧ «القسم الثالث: موانع المعرفة».

## الخلاصة

▣ يسعى الإسلام إلى تشجيع الناس وترغيبهم في التحقيق وطلب العلم ومعرفة الحقّ، ويَعتبر أفضل المسلمين أكثرهم معرفةً لا عبادةً.

▣ إنّ العلم والإيمان في نظر الإسلام مترابطان ببعضهما بصلةٍ لا انفصام لها. فالإيمان ثمرة الأبحاث العلمية، والعالم مؤمن؛ أمّا عدم الإيمان فهو نتيجة للجهل.

▣ الإنسان في مواجهة حقائق الوجود، إمّا عالمٌ مؤمن، أو عالمٌ كافر، أو جاهلٌ كافر، أو جاهلٌ غير كافر.

▣ إنّ من يعتقد شيئاً ويعترف به فعلاً فهو مؤمن به، ومن يخفي علمه أو جهله فهو كافر، أمّا من لا يخفي جهله فهو ليس كافراً. وعليه، فإنّ من يتّبع طريق التحقيق ومعرفة الحقيقة فهو ليس كافراً.

الفصل الرّابع

# تصحيح العقيدة

من أهمّ المسائل التي تجب دراستها قبل البحوث العقائدية هي بيان المعيار في معرفة العقيدة الصحيحة من السقيمة وتصحيح العقائد الفاسدة. والسؤال المطروح هو هل من سبيل لمعرفة العقائد الصحيحة وتصحيح العقائد الفاسدة؟ وإن كان، فما هو؟

والجواب: نعم. إنّ في النصوص الإسلامية في هذا الشأن توصيات دقيقة تسترعي الانتباه وإن كانت ـ كما يبدو ـ لم تخضع للبحث والتحليل حتّى الآن، وهذه التوصيات من أبرز مايلزم وأهمّ ما يقتضي لمن يحاول سبْر أغوار البحوث العقائدية بعين باصرة لواقع الحال ورؤية غير قاصرة عن المآل، أيًّا كانت عقيدته ومسلكه ومذهبه. فالتزام هذه التوصيات يُوصل الباحث والمحقّق إلى ما يتوخّاه من تحقيقه ويوفّر له الثقة في نتائجه.

والأجدر بنا ـ قبل أن نتحدّث عن التوصيات الإسلامية اللازمة لتصحيح العقيدة ـ أن نستعرض شيئاً عن أخطر الأدواء العقائدية، ألا وهو داء اعتبار الإنسان نفسه عالماً.

### رواج داء اعتبار الإنسان نفسه عالماً

إنّ داء اعتبار الإنسان نفسه عالماً أو بكلمة أُخرى داء العلم الخيالي نوع من الأمراض النفسية التي يبتلى بها الكثيرون ويصعب تشخيص أعراضه، فإن صار

مزمناً استحالت معالجته، وهذا مايطلق عليه بـ«الجهل المركّب».

ولتوضيح هذه الظاهرة نقول: إنّ الإنسان يواجه حقائق الوجود بأحد حالات أربع:

الحالة الأُولى: أنّه يعلم الشيءَ على حقيقته ويعلم أنّه يعلم، فهو في هذه الحالة عالِمٌ حقيقي.

الحالة الثانية: أن يعلم الشيءَ على حقيقته، ولكنّه لا يعلم أنّه يعلم، فهو في هذه الحالة مصاب بالغفلة والنسيان، ويسمَّى غافلاً.

الحالة الثالثة: ألّا يعلم الشيءَ على حقيقته ويعلم أنّه لا يعلم، أي أنّه عالِمٌ بجهله، فهو جاهلٌ بسيط.

الحالة الرابعة: ألّا يعلم الشيءَ على حقيقته ولا يعلم أنّه لايعلم، أي أنّه جاهلٌ بجهله ويتصوّر بأنّه يعلم، ففي هذه الحالة يسمَّى جاهلاً مركّباً.[1]

ولمزيد إيضاح الفرق بين الجهل البسيط والجهل المركّب نقول: إنّ الجهل البسيط جهلٌ لم يتركّب بجهلٍ آخر، كعدم معرفة الطريق الفلاني أو الشخص الفلاني أو المسألة العلمية الفلانية، وأمّا الجهل المركّب أو المطْبِق فهو عبارة عن جهلين يتركّبان مع بعضهما بشكل خاصّ، فالجهل الأوّل: هو جهل الإنسان بالشيء، وهذا هو الجهل البسيط، والجهل الثاني: هو تصّور الإنسان جهله علماً، وهذا جهلٌ آخر يتركّب مع الجهل الأوّل لينتج جهلاً مركّباً[2] أو مطبقاً.

---

١. الجاهل المركّب: من لا يتطابق ما يعلمه مع الواقع، فهو يظنّ أنّه يعلم الشيء ولكنّه لا يعرفه على حقيقته. وهو قسيم للجاهل البسيط، وهو من جهل الشيء مطلقاً، فهو جاهل به أصلاً. (لغت‌نامه دهخدا «بالفارسيّة»: ج ٥ ص ٦٥٤٦).

٢. الجهل المركّب: هو الاعتقاد بماهية الشيء بخلاف ماهيته اعتقاداً جازماً غير مطابق للواقع، سواءٌ أكان هذا الاعتقاد مستنداً إلى شبهة أم إلى التقليد. وعليه فثباته ليس اعتبارياً. والسبب في تسميته بالجهل المركّب هو ↔

يجب أن نعترف ـ ببالغ الأسف ـ أنّ أغلب الناس مبتلون بهذا المرض الروحي، حيث تظهر أعراضه في الكثير من الأمور العقائدية والنظرية، وخاصّةً في ثلاثة موارد يحدّدها الإمام الصادقعليه السلام في مجال المعتقدات الدينية والسياسية والأمور الإدارية، فيُروى عنهعليه السلام أنّه قال:

ثَلاثُ خِلالٍ يَقولُ كُلُّ إنسانٍ إنَّهُ عَلىٰ صَوابٍ مِنها: دينُهُ الَّذي يَعتَقِدُهُ، وهَواهُ الَّذي يَستَعلي عَلَيهِ، وتَدبيرُهُ في اُمورِهِ.[1]

فبهذه الخلال يتصوّر الجميع أنّ ما يقولونه صحيح مطابق للواقع، ولا يحتمل أحدٌ أن يكون ادّعاؤه خطأً.

### احتمال الخطأ في العقائد الدينية

إنّ من يتّبع ديناً أو مذهباً مّا فالغالب أن لا يتطرّق إليه الشكّ إلى عقائده الدينية، فلا أحد يحتمل أن تكون عقائده خطأً، ولو أنّك استفسرت من شخصٍ مّا عن صحّة معتقداته أو سقمها لأجاب جازماً بأنّ عقيدته وحدها هي الصحيحة المطابقة للواقع، وأنّ كلّ من يقول بخلاف ذلك أو يعتقد بما يخالف عقيدته فاعتقاده غير صحيح وغير مطابق للواقع وقوله مجانب للعلم، وعلى هذا الغِرار فإنّ الشيوعي يقول للكلّ: إنّكم جميعاً على خطأ، وليس هناك إلّا مدرستي وعقيدتي وحدها هي التي تعتبر علميةً، ولمّا كان لايحتمل أن يكون ما اعتقده خطأً فهو لا يسمح لنفسه بالتحقيق.

ومن ثَمّ اعتبر الإمام الصادقعليه السلام في الحديث الآنف الذكر أنّ أمثال هذا التفكير

---

← أنّ الإنسان حينما يعتقد بشيء خلافاً لحقيقته فقد جهله وهذا جهل. ثمّ يعتقد بأنّ اعتقاده فيه هو الصواب بعينه، وهذا في حدّ ذاته جهلٌ آخر يتركّب مع الجهل الأوّل لينتج ما يسمّى بالجهل المركّب (لغتنامه دهخدا «بالفارسية»: ج ٥ ص ٦٩٦٥).

١. تحف العقول: ص ٣٢١.

الجزمي نوعٌ من الأمراض العقائدية السائدة، وعليه، فما دام الإنسان مصاباً بهذا المرض فلا أملَ في تصحيح عقيدته واختياره الدين الصحيح.

### احتمال الخطأ في المعتقدات السياسية

المعتقدات السياسية تأتي في المرحلة الثانية بعد المعتقدات الدينية، لا من حيث عدم احتمال الإنسان لخطئه فيها فحسب، بل ومن حيث جزمه بأنّ الحقّ بجانبه، فالدول والحكومات والمنظمّات والفئات وكذلك العناصر التي تسعى للوصول إلى الحكم والقدرة جميعاً يدّعون بأنّ الحقّ إلى جانبهم، ولابدّ من أن تطبّق مبادؤهم ومعتقداتهم السياسية على أساس ما يستصوبونه، وأنهم هم الأولى بحكم الناس.

فالمسؤولون الأمريكيون ـ مثلاً ـ يعتبرون عقائدهم السياسية حقًّا، ونفس الاعتبار لدى زعماء الحكومات الأُخرى أيضاً.

فعلى سبيل المثال يعتقد مسؤولوا الحكومة الامريكية بانهم على مبادئ سياسية صحيحة ولهذا يفرضون آراءهم على الدول الاخرى. وفي أيّ دولة يعتبر كلّ حزب أو فئة أنّه على الحقّ وأنّ منافسه على الباطل، وكذلك الحال بالنسبة لعناصر المنظّمة أو الحزب الواحد، فإنّ كلّ من يسعى لفرض سلطته يعتبر معتقداته السياسية حقًّا وما سواها باطلاً.

ولو تأمّلنا قليلاً أفعال أُولئك الذين يجهدون لإحراز المناصب والاستيلاء على السلطة وأمعنّا النظر في تصرّفاتهم لعلمنا بأنّ الكلّ لا يهدفون لشيء سوى الاستعلاء والهيمَنة، وأنّ ما يدعون من عقائد سياسية ليست إلّا ذريعة وجسراً يَعبُرون عليه إلى السلطة لاغير، ولهذا عبّر الإمام الصادقعليه السلام عن عقائد المتعطّشين إلى السلطة وبرامجهم السياسية بـ«الهوى الذي يَستَعلي عليه».

### احتمال الخطأ في إدارة الأمور

والخلّة الثالثة التي يعتبر كلّ شخص نفسه على صواب فيها هي كيفية إدارته للأُمور،

فلا أحد يحتمل أن يكون مخطئاً في إدارة الأُمور التي تفوّض إليه إدارتها، بل يجزم بأنّه أفضل مدير وأنّ تدبيره فيما يناط به من عمل أفضل تدبير، والكلّ ـ ابتداءً برئيس الحكومة وانتهاءً بربّ العائلة ـ يرى الحقّ إلى جانبه في حُسن تدبيره، ومن ثمّة لا يسمح لأحد بانتقاده.

وخلاصة القول، إنّ الجزم في المعتقدات الدينية والسياسية والإدارية مرضٌ فكريٌّ وعقائديٌّ سائدٌ يهدّد المجتمع البشريّ قاطبةً.[1]

### أضرار داء اعتبار النفس عالماً

إنّ من أخطر الأمراض التي تهدّد الإنسان هو أن يتوهّم المرء نفسه عالماً، فإذا طرأ على الإنسان هذا المرض وصار مزمناً لم يصعب عليه علاجه فحسب، بل ربّما استحال.

لقد أثبتت التجارب أنّه لم يُشْفَ من المبتلين بهذا المرض إلّا القليل، ذلك لأنّ من لا يعلم أنّه لايعلم لا يخطر بذهنه أن يفكّر في علاج مرض الجهل، فكيف يفكّر في دوائه؟! ولهذا يعيش مغموراً في الجهل أبد الدهر.

وفي هذا المجال يقول الشاعر ما ترجمته: من يعلم ويعلم أنّه يعلم، فقد سما بهذا المركب إلى الأفلاك، ومن لا يعلم ويعلم أنّه لايعلم فهو كمن ركب حماراً أعرج إلى الدار، ومن لا يعلم ولا يعلم أنّه لا يعلم بقي في الجهل المركّب أبد الدهر.[2]

---

١. يحذّر القرآن الكريم الناس من هذا المرض في مجالات متعدّدة. راجع: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: كلمة «أكثر».

٢. هذه ترجمة الأبيات الفارسية التالية:

آن كس كه بداند وبداند كه بداند     اسب طرب خويش به افلاک رساند
آن كس كه نداند وبداند كه نداند     آن هم خرک لنگ به منزل برساند
آن كس كه نداند ونداند كه نداند     در جهل مركب ابدالدهر بماند

(لغت‌نامه دهخدا «بالفارسية»: مادّة الجهل البسيط والجهل المركّب).

### علاج داء اعتبار الإنسان نفسه عالماً

ينبغي لنا بعد هذه المقدّمة الوجيزة أن نعرف ماذا يوصي به الإسلام لتصحيح العقيدة وللوقاية من داء ادّعاء العلم واعتبار الإنسان نفسه عالماً ومعالجته.

فللوقاية من هذا الداء وعلاجه للوصول إلى العقيدة الصحيحة يوجد ركنان أساسيان، هما: إزالة موانع المعرفة وتحرير بصيرة العقل، وتوفير الشروط اللازمة للمعرفة، والإسلام بدوره لايوصي بغيرهما، ونظراً لأنّنا سنتعرّض لدراسة الموانع من المعرفة والشروط اللازمة لهابالشرح الكافي في البحوث الآتية لا نرى بأساً في إرجائها إلى وقتها.

أمّا ما نعرضه في هذا الفصل، فهو التوصيات الخاصّة التي وردت في النصوص الإسلامية بخصوص موانع تصحيح العقيدة أو شروط تصحيح العقيدة، وإن كان مآل هذا البحث هو بحث موانع المعرفة وشروطها أيضاً.

### موانع تصحيح العقيدة

موانع تصحيح العقيدة هي الأُمور التي تؤدّي بالفكر إلى الزلل والخطأ، والباحث لا يستطيع ـ إذا ما برزت أمامه ـ أن يطمئنّ إلى مطابقة رأيه وعقيدته للواقع.

فالتاريخ يشهد بأنّ مؤسّس علم المنطق أرسطو (٣٨٤ ـ ٤٤٧ ق.م) كان أوّل من فكّر في الوقاية من خطأ الفكر.

لقد كانت بحوث سقراط وافلاطون أساساً لجهود أرسطو في كشف طريقة تحصيل العلم، حيث إنّ طبعه المدقّق لم يقتنع بالمباحث السقراطية، ولم يعترف ببيان افلاطون فيما يختصّ بمنشأ العلم وسلوك طريق المعرفة، أو يعتبرهما مطابقين للواقع، وإنما تمكّن في مقابل المغالطة ومناقشة السّفسطائيين من اكتشاف القواعد الصحيحة للاستدلال واستنتاج الحقيقة، وعلى هدى افلاطون وسقراط توصّل إلى وضع أُصول المنطق وقواعد القياس على أساس محكم، بحيث لم يُضف أحد إليها

شيئاً مّا إلى يومنا هذا.[1]

وقيل في تعريف المنطق: إنّه عِلْمٌ آليٌّ (آلةٌ قانونيةٌ) تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر.

ومنذ زمن بيكن (١٥٦٠ ـ ١٦٢٦ م) وديكارت (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠ م) حصل تغيّر فكري في أُوربّا، أدّى إلى الاعتقاد بأنّ المنطق الأرسطي غير كافٍ للوقاية من الخطأ في الفكر، فقد كان ديكارت يعتقد أنّ قواعد المنطق رغم صوابها وثبوتها لا تجعل المجهول معلوماً، وأنّ فائدتها الحقيقية تكمن في معرفة المصطلحات وتملّك القدرة على التفهيم والبيان فقط، وذلك لأنّ البرهان هو استخراج النتيجة من المقدّمات، وإذا لم تكن المقدّمات معلومة فلن تتحقّق النتيجة، وقواعد المنطق وحدها لاتكفي للحصول على معلوم، وإذا ما توفّرت المقدّمات الصحيحة فالنتيجة حاصلة بذاتها، والعقل السليم يستخدم القواعد المنطقية بالفطرة دون الحاجة إلى كلّ هذا البحث وجَدَلِ المناطقة، و إذا كانت المقدّمات المتوفّرة لدينا خاطئة فبطبيعة الحال ستكون النتيجة خاطئة أيضاً، والحاصل هو الضلال عن الحقيقة بدلاً من الاهتداء إليها، ومن ثَمَّ نلاحظ كثرة ما أخطأه طلّاب العلم رغم وقوفهم التامّ على قواعد المنطق!

لقد أعلن ديكارت في بيانه الواضح ما أعلن فرنسيس بيكن في الأرغنون الجديد[2]، أنّهما قد وضعا منطقاً جديداً.

لقد اجتهد كلّ من العالم الإنجليزي بيكن، والفيلسوف الفرنسي ديكارت، للتأكيد على أنّ منطق أرسطاطاليس ليس وسيلة لكشف المجهولات، وأنّ ما يوليه السوكولاستيكون من أهمّية له، ليس جديراً بها، ولا ينبغي لهم أن يُضيعوا معظم

---

١. سير حكمت در اروپا (بالفارسية) لمحمّد علي فروغي: ج ١ ص ٣١.

٢. الأرغَنونُ الجديد اسم كتاب لم يتم لبيكن.

أوقاتهم في طريق المعرفة وصرفها في هذا الطريق.[1]

وهكذا تنبّه كلّ من بيكن وديكارت إلى إمكان حدوث الخطأ في الاستدلال عن طريقين:

١. المقدّمات التي يفترضها الذهن معلومة ثمّ يتّخذها أساساً لبناء الاستدلال عليها، مع أنّها لا تخرج عن كونها بمثابة مواد البناء.

٢. الشكل والصورة والنظم والترتيب التي يكيّف فيها الذهن مواد الاستدلال.

فمقياس الخطأ في منطق أرسطو متعلّق بصورة الاستدلال، ولذلك سمّي بالمنطق الصوري، أو منطق الصورة، فلم يأخذ هذا المنطق قياس الخطأ في المواد واللوازم، بعين الاعتبار، على حين أنّ المهمّ للوقاية من الخطأ في الفكر من أجل تصحيح العقيدة هو قياس الخطأ في المقدّمات والمواد الأُولى للقياس، ذلك لأنّ العقل السليم يعتمد القواعد المنطقية بالفطرة، وإن كان جاهلاً بالاصطلاحات المنطقية.

أمّا المنطق الجديد الذي يعرضه بيكن لقياس الخطأ في مواد الاستدلال ولوازمه فيتمثّل في اتّقاء موانع كشف الحقيقة، هذه الموانع التي يعبّر عنها بالأوثان الطائفية، والأوثان الشخصية، والأوثان السوقية، والأوثان المسرحية.

فالإنسان يواجه أثناء تحصيل العلم مشاكل وعقبات لابُدّ من تجنّبها، أهمّها تلك الأخطاء التي يُبتلى الذهن بها، ونظراً لأنّ هذه الأخطاء مدعاة للإضلال فقد اعتبرها أوثاناً أو أصناماً وقسّمها إلى أربعة أقسام:

القسم الأوّل: الأوثان الطائفية. أي: الأخطاء التي هي من خصائص الطبع البشري، فكما أنّ المرايا المعوجّة غير المستوية تكسر الأشعّة الضوئية وتجعلها عوجاء منحرفة وتعكس الصور قبيحة مشوّهة، فذهن الإنسان أيضاً شأنه شأن هذه المرايا في تحريف المحسوسات والمعقولات وضياعها، فإذا أحبّ شخص أن

---

١. سير حكمت در اروپا (بالفارسية): ج ١ ص ١٣٦.

تكون الأُمور منظمة وأن يوجد بينها وجوه شبه؛ كما لو أحبّ الشكل الدائري والكروي وحكم على أساسه بكروية العالم والحركة الدائرية لأجزائه وعلى أساس ذلك يقيس الأمور الأُخرى أيضاً، ويراها العلّة الغائية في جميع الأشياء ويعتقد الأُمور دون تأمّل وتتبّع، ويحاول تصحيح ما اختاره من خلال ذكر المؤيّدات ولا يلتفت إلى الأُمور التي من شأنها أن تزلزل هذه العقيدة وتقض بنيانها، (فمثلاً لو طابق ما رآه من الحلم للواقع في إحدى المرّات فإنّه سيأخذها مؤيّداً ويبني عليه، في حين أنّه لا يأخذ بنظر الاعتبار عشرات الأحلام التي رآها ولم تطابق الواقع) ويتمسّك بما سبق أن اعتقد به ويتعصّب له، وغالباً ما يفقد الإنصاف فيحكم حسب عواطفه ونفسيّاته، ويتدخّل الغرور والنخوة والهلع والغضب والشهوة في آرائه بصورة تامّة، فحواسّ الإنسان التي هي منشأ علّة هي الأُخرى قاصرة ومعرّضة للخطأ، ومع ذلك نجد الإنسان غير مستعدّ لإصلاح خطئها بالتأمّل والدقّة، بل يقتصر على رؤية ظاهر الأشياء ولا يسبر أغوارها وبدلاً من تحليل القضايا الطبيعية يحاول دوماً الاعتماد على انتزاعاته الذهنية ويعدّها حقائق فيعتمد عليها.

القسم الثاني: الأوثان الشخصية أي: الأخطاء التي يرتكبها الشخص استجابةً لما تقتضيه طبيعته، كأن يتعلّق الإنسان بشيء ويجعل ذلك الشيء أساساً أو ركيزةً يبني عليها عقائده، كما حدث مع أرسطو، فقد كان مولعاً بالمنطق، فبنى عليه فلسفته، وهناك أذهان تجذبها التشابهات والجمع بين الأُمور، وهناك أذهان أُخرى يعنيها الاختلاف وفصل الأُمور عن بعضها، وهناك مَن يصدر الحكم القطعي في كلّ باب، وهناك من يتردّد في إصدار الحكم ويتأمّل حتّى يصير شكّاكاً، وهناك من يعشق القدماء، وفي قبال ذلك لا يرى البعض قيمة للقدماء وينجذب للمتأخّرين مع غفلتهم عن أنّ الزمان ينبغي ألّا يكون محطاً للنظر، وأنّه يلزم قبول الحقائق سواء كان القائل من المتقدّمين أم من المتأخّرين، كما أنّ البعض مولع بالجزئيات وآخر مولع بالكلّيات، مع أنّه يلزم لحاظ الأمرين معاً.

القسم الثالث: الأوثان السوقية، أي الأخطاء التي تحدث نتيجةً لمجالسة الناس

بعضهم بعضاً، مع نقصٍ وقصورٍ في الألفاظ والعبارات، وذلك أنّ الواضع لها هو عامّة الناس ولم يضعوها عن تحقيق، فكثير من الألفاظ لا واقع خارجي لها نظير «الحظّ، والصدفة» أو أنّ معانيها مجملة ومبهمة نظير «الجوهر، والعرض، والوجود، والماهية، والكون، والفساد، والعنصر، والمادّة، والصورة»، ولهذا لا تفهم بشكل صحيح ويحصل للناس بسببها تصوّرات خاطئة.

القسم الرابع: الأوثان المسرحية، أي الأخطاء التي تنجم عن تعاليم الحكماء واستدلالاتهم المغلوطة.[1]

ولتجنّب الأخطاء في الفكر وضمان صحّة المقدّمات أو الموادّ الاستدلالية وضع ديكارت مجموعة من الأُصول والقواعد، الأصل الأوّل منها هو:

**لا أعتبر شيئاً حقيقة ما لم يكن بديهياً بالنسبة لي، وأتحاشى العجلة وسبق الذهن والرغبة بالنسبة للتصديقات، ولا أقبل شيئاً حتّى يتّضح ويتميّز بشكل لايبقى معه أدنى شكّ.**[2]

## موانع تصحيح العقيدة في القرآن

سبق القرآن الكريم أن لخّص كلّ ما توصّل إليه العلماء الأُوربيون قبل أكثر من عشرة قرون بخصوص التقويم لمقدّمات الاستدلال، وذلك في الآية التالية، ونحن نذكرها باعتبارها نموذجاً للمعجزات العلمية في القرآن، قال سبحانه:

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾.[3]

أي أنّ هناك عاملين يتسبّبان في وقوع الإنسان في الخطأ في آرائه

---

١. سير حكمت در اروپا (بالفارسية): ج ١ ص ١١٤ـ١١٦.

٢. سير حكمت در اروپا (بالفارسية): ج ١ ص ١٣١. ولمزيد من الاطّلاع على قواعد منطق ديكارت إقرأ ص ١٤١ ـ ١٤٣ من نفس الكتاب.

٣. النجم: ٢٣.

وعقائده:

أحدهما: اتّباع الظنّ، والآخر: اتّباع الهوى النفسي.

كما أنّ هناك أُموراً أُخرى وردت في الروايات الإسلامية باعتبارها مواضع زلل للفكر، كالتعصّب والتقليد والاستبداد واللجاجة، إلّا أنّ جميع هذه الأُمور تعود إلى الأهواء النفسية، أي أنّ كلّ ما جاء في الروايات الإسلامية بهذا الشأن هو في الحقيقة تفسير للآية الكريمة الآنفة الذكر وبيان لها.

ونظراً إلى هذه المقدّمة نستعرض أهمّ موانع تصحيح العقيدة على ضوء القرآن الكريم والروايات الإسلامية، وهذه الموانع ـ كما سبقت الإشارة إليها ـ هي:

أ ـ الظنّ.

ب ـ الميولات النفسية.

ج ـ التعصّب.

د ـ التقليد.

هـ ـ الاستبداد.

و ـ اللجاجة.

**أ ـ الظنّ**

هو من أخطر العوامل التي تزلّ بأفكار الغالبية في العالم إلى مهاوي العقائد الباطلة الفاسدة.

وأول ما يوصي به القرآن الكريم لتصحيح العقيدة هو تجنّب الاعتماد على الظنّ، ويؤكّد على أتباعه بعدم بناء عقائدهم وآرائهم على دعائم الظنّ والشكّ والتسليم بشيء دون التأكد من صحّته وثبوته، فيقول عزّوجلّ في صريح كلامه:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.[1]

---

١. الإسراء: ٣٦.

ففي نظر القرآن لا يحقّ لمسلم أن يقتفي شيئاً أو يجعله مداراً لعمله ما لم يثبت له بنحو قطعيّ.

كما ينتقد القرآن الكريم ذوي الآراء والعقائد الباطلة في أنّهم لماذا يقولون ما ليس لهم به علم، بقوله تعالى:

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾.[1]

وقد ردّ القرآن على منكري المعاد بأنّهم معوزون إلى الدليل على إنكار الحياة بعد الموت، وأنّ اعتقادهم لا يقوم على أساس علمي وإنّما يقوم على الظنّ والحدْس، بقوله:

﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.[2]

وكذلك يصبّ انتقاده واعتراضه على الذين يحسبون أنّ خلق هذا العالم ليس له هدف وأنّ الخلق باطل وعبث، بأنّ هذا الاعتقاد لا ينشأُ عن علمٍ، ولو أنهم دقّقوا النظر قليلاً لأدركوا أنهم ليسوا على وعي فيما يعتقدون، وإنّما اعتقاداتهم قائمة على الظنّ، لقوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلاً ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.[3]

فلو أمعنّا النظر في العقائد والآراء المتناقضة بين الناس في المجتمعات المختلفة وطرحناها على بساط البحث والتحليل الجذري لانتهينا بلا عناء إلى أنّ أغلب هذه العقائد فاقدة للأُسس العلمية جذريًّا وأنها لا تستند إلّا على الظنّ أو على الشكّ، وأنّ أهل الدنيا كانوا وما زالوا يقتفون أثر الظنّ في المسائل العقائدية، وخاصّةً

---

١. النور: ١٥.

٢. الجاثية: ٢٤.

٣. صٓ: ٢٧.

في أُصولها، ولهذا نرى القرآن يعلن صراحةً بأنّ من اتّبع الأكثرية فقد ضلّ. فمن ذلك قوله تعالى:

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.[١]

ولو صمّم أتباع المذاهب والعقائد المتناقضة جميعاً على اقتفاء أثر العلم فقط وعدم الايمان بشيءٍ إلّا بعد العلم به بصورة بديهية، لانفضّت التناقضات والخلافات بين المذاهب كافّة.

فالإمام الصادق عليه السلام يقول:

إنَّ اللهَ خَصَّ هٰذِهِ الأُمَّةَ بِآيَتَينِ مِن كِتابِهِ: ألّا يَقولوا إلّا ما يَعلَمونَ، وألّا يَرُدّوا ما لا يَعلَمونَ. ثُمّ قَرَأَ: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾.[٢] وقَرَأَ: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ﴾[٣] الآية.[٤]

**ب ـ الميول النفسيّة**

هذا المانع في نظر القرآن ثاني أخطر مزالق الفكر، ولا يَقِلّ خطراً عن سابقه إن لم يكن أكبر منه خطراً.

فعندما يحبّ الإنسان شيئاً ويتعلّق به تعمَى بصيرة عقله وتُصَمُّ مسامع فكره، وبالتالي لا يقدر أن يتبيّنَ أو يدركَ نقاط ضعف محبوبه، وهكذا الحال إذا أبغض، وعليه لو أراد أن يميّز نقاط الضعف والقوّة في نظريةٍ مّا ويفكّر فيها تفكيراً صائباً فعليه أن يتحرّر من الميول والرغبات النفسية أوّلاً؛ لأنّ هذه الميول

---

١. الأنعام: ١١٦.

٢. الأعراف: ١٦٩.

٣. يونس: ٣٩.

٤. مجمع البيان: ج ٥ ص ١٦٨، الأمالي للصدوق: ص ٥٠٦ ح ٧٠٢.

والرغبات تؤثّر في اعتقاده، شاء أم أبى.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، أنّه اشتهر عن العلّامة الحِلِّي[1] عندما أراد أن يُفتي بشأن إمكان تطهير ماء البئر وعدمه، فأمر بردم بئر منزله أولاً، ثمّ بدأ بمطالعة النصوص الفقهية في هذا الصدد، ثُمَّ أفتى بعد ذلك بأنه لو تنجّس ماء البئر أمكن تطهيره.

فالعلّامة الحلّي كان يعلم أنّه لو لم تردم بئر منزله لأثّر وجودها في رأيه وفتواه بصورة لا إرادية، وهذه حقيقة لا يمكن انكارها، فالإنسان لا يمكنه أن يدرك الحقائق العقلية حقَّ الإدراك أو يبدي رأياً صائباً فيها إلّا إذا ردمت بئر ميوله ورغباته النفسية وتحرّر ذهنه من قيد هواها[2]، وعليه، فكلّما تحرّر ذهن المحقّق أو الباحث من الميول والرغبات النفسية اقترب من الصواب، كما قال الإمام عليّ عليه السلام:

أقرَبُ الآراءِ مِنَ النُّهىٰ أبعَدُها مِنَ الهَوىٰ.[3]

وقال أيضاً:

خَيرُ الآراءِ أَبعَدُها مِنَ الهَوىٰ وأَقرَبُها مِنَ السَّدادِ.[4]

ويروىٰ أيضاً: أنّ أحد أصحاب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ـ وهو زيد بن صوحان العبدي ـ سأل الإمام عليه السلام قال: أيُّ النَّاسِ أثبت رأياً؟ فأجابه عليه السلام:

مَن لَم يَغُرَّهُ النّاسُ مِن نَفسِهِ، ومَن لَم تَغُرَّهُ الدُّنيا بِتَشَوُّفِها.[5]

### ج ـ التَّعَصُّب

مانعٌ آخر في سلسلة الموانع التي تحول دون الوصول إلى الآراء الصائبة المطابقة

---

١. هو أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهَّر الحلّي (المتوفّى عام ٧٢٦هـ).

٢. راجع: موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٢ ص ١٦٥ «اتّباع الهوى».

٣. غرر الحكم: ح ٣٠٢٢، عيون الحكم والمواعظ: ص ١١٩ ح ٢٦٨٢.

٤. غرر الحكم: ح ٥٠١١، عيون الحكم والمواعظ: ص ٢٣٨ ح ٤٥٣٠.

٥. كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٨٣ ح ٥٨٣٣.

للواقع هو التعصّب،[1] وهو عبارة عن قمّة التبعية للميول النفسية فيما يخصّ نصرة الفرد أو الجماعة أو شيئاً آخر دون مراعاة الحقّ.

فالدفاع عن القريب والقوم والقبيلة، وموالاة الحزب والفئة والمنظّمة، والانتصار للثقافة والعادات والتقاليد، ونصرة الدين والمذهب، والتحيّز للعرق واللّغة... وما إلى ذلك، تغدوا تعصُّباً فيما لو بُنيت على أساس الميول والرغبات النفسية، دون مراعاة الحقّ والعدالة.

**إمام المتعصّبين**

إنّ الشيطان ـ على حدّ تعبير الإمام علي‌ عليه السلام ـ هو إمام المتعصّبين وأُسوتهم، فيصفه بأنّه:

إِمامُ المُتَعَصِّبينَ وسَلَفُ المُستَكبِرينَ، الَّذي وَضَعَ أساسَ العَصَبِيَّةِ.[2]

فأول المتعصّبين في العالم إذاً هو الشيطان، وتعصّبه من نوع التعصّب العرقي، فعندما أمره الله أن يسجد لآدم: «أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ» تعصّباً منه لعِرْقه، حيث كان يفضّل عِرْقه على عِرْق آدم، لأنه خُلق من نار وخُلق آدم من طين.

**نتائج التعصّب**

إنّ من أُولى نتائج هذه الصفة الشيطانية وأكثرها خطراً على الإنسان فيما لو ترسّخت في كيانه أنها تصبغ عقيدته بما يروق له من صِبْغ، بعبارة أُخرى: إنّ التعصّب بشكل عامّ نوع من الأمراض النفسية التي تحول دون وصول الإنسان في دراساته وتحليلاته وآرائه إلى ماهو حقٌّ وصائبٌ ومطابقٌ للواقع، وعليه، فإنّ الإنسان المتعصّب لن يصل في نهاية المطاف إلّا إلى ما تمليه عليه خصيصة التعصّب.

---

١. العصبيّة والتعصُّب: المحاماة والمدافعة. والعَصَبيّ: من يعين قومه على الظلم (النهاية: ج ٣ ص ٢٤٥).

٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢، بحار الأنوار: ج ١٤ ص ٤٦٥ ح ٣٧ وج ٦٣ ص ٢١٤ ح ٤٩.

فَداءُ التعصّب يدفع المتعصّب إلى الحكم على أساس «القائل» على أساس «القول»، كما لا يتيح له فرصة التفكير في «القول» أحقٌّ هو أم باطل، أصحيحٌ هو أم خطأ؟ بل إنّه يملي عليه أن ينظر إلى «القائل» فإن كان على غِرارِه فرأيهُ صائب، وإلّا فرأيهُ غيرصحيح.

ونصيحة الإسلام لتصحيح العقيدة هي التخلّي عن التعصّب[1]، ولحاظ قول القائل، والتمعّن في فكرة صاحب العقيدة، بغضّ النظر عنه شخصياً، أيًّا كان هو، وأيًّا كان رأي حزبه أو فرقته أو جماعته، وسَواء أكان متّحداً معنا في المرام أم لا، مسلما أم لا، وأخيراً سيّان كان لنا صديقاً أم عدوّاً.

وما أروع الآية الكريمة وأوفقها بالعقل حيث قال تعالى:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.[2]

حيث نفهم من هذه الآية أنّ أصحاب الفكر الذين نعموا بهُدى الله ووصايا القرآن والإسلام هم أُولئك الذين يستمعون القول، أيًّا كان قائله، وبعد تحليله والتحقيق فيه، يتّبعون أحسنه وأسَدّه وأفضله.

وبإلهامٍ من هذه الآية الكريمة جاء صراحةً فيما رواه في كنز العمّال عن النبي صلى الله عليه وآله وروي في غرر الحكم عن أميرالمؤمنين عليه السلام أن:

لا تَنظُر إلىٰ مَن قالَ وَانظُر إلىٰ ما قالَ.[3]

ويُروى عن نبيّ الله عيسىٰ عليه السلام أنّه قال:

خُذُوا الحَقَّ مِن أَهلِ الباطِلِ، ولا تَأخُذُوا الباطِلَ مِن أَهلِ الحَقِّ، كونوا نُقّادَ الكَلامِ.[4]

---

١. راجع: موسوعة العقائد الإسلامية: ج ١ ص ٣٠١ «آفات العقل / الهوى»، ج ٢ ص ١٨٦ «التعصّب».

٢. الزُمر: ١٧ و ١٨.

٣. كنز العمّال: ج ١٦ ص ٢٦٩ ح ٤٤٣٩٧؛ غرر الحكم: ح ١٠١٨٩، وراجع: ميزان الحكمة: ج ٨ ص ٥٧ ح ١٤٠٠١.

٤. المحاسن: ج ١ ص ٣٥٩ ح ٧٦٩.

وهذا إن دلَّ فإنّما يدلّ على أنّه لا يجوز للمسلم أن يدفعه التعصّب لرفض سماع القول الحقّ من الآخرين، وذلك لمجرّد كونهم ليسوا مسلمين، وأنّ عقائدهم باطلة فاسدة، أو لقبول الباطل ممّن يشاركونه في العقيدة، فواجب المسلم هو نقد القول الصادر عن أيّ قائل كان، بعد دراسته دراسة دقيقةً ضافية، بغضّ النظر عن موقفه العامّ بالنسبة للحقّ والباطل، فإن كان قوله حقًّا وجب عليه قبوله ولو كان قائله من أهل الباطل، وإن كان باطلاً وجب عليه رفضه وإن كان قائله من أهل الحقّ، ومهما يكن فإنّ المقياس هو الحقّ وليس القائل. وما الإسلام إلّا الاستسلام للحقّ، ولهذا قال رسول الله ﷺ:

مَن تَعَصَّبَ أَو تُعُصِّبَ لَهُ فَقَد خَلَعَ رَبَقَ الإيمانِ (رِبقَةَ الإسلامِ) مِن عُنُقِهِ.[1]

**د ـ التقليد**

التقليد في العقائد هو قبول رأي شخص أو أشخاص دون المطالبة بالدليل والبرهان، وهو من نتائج التعصّب والموانع التي تحول دون التحقيق والتوصّل إلى آراء ومعتقدات علميّة صحيحة مطابقة للواقع والحقيقة.

إنّ التقليد غلٌّ يقيّد فكر الإنسان، وما دام هذا الغلّ باقياً فتصحيح العقيدة أمرٌ محال.

إنّ التقليد لا يسمح للإنسان بالتفكير في آرائه وعقائده من حيث صحّتها وسقمها ومطابقتها للواقع والحقيقة وعدم مطابقتها، وما إذا كانت علماً حقيقياً أم علماً خيالياً، ومعرفةً أم توهّم معرفة واعتبار الإنسان نفسه عالماً.

إنّ التقليد يحول دون الفكر ونقد أفعال الآخرين وأفكارهم ومعتقداتهم وتحليلها بشكل حرّ.

إنّ التقليد يحصر الإنسان في زنزانة أفكار المقلَّد ومعتقداته جبراً.

---

١. الكافي: ج ٢ ص ٣٠٨ ح ٢.

التقليد يرغم الفكر على النظر إلى «القائل» دون «القول».

وتوصية الإسلام لتصحيح العقيدة تتمثّل في تحطيم غلٍّ التقليد، والعجيب أنّه لم ينج منه إلّا ما ندر من الناس، والأعجب منه أنّ بعض الباحثين مغلولون في أصفاد التقليد ويتصوّرون أنهم أحرار في تفكيرهم.

**هـ-الاستبداد**

المانع الخامس من موانع تصحيح العقيدة هو الاستبداد[1] بالرأي؛ وما هو إلّا أثر الانصياع إلى الميول والرغبات النفسية نتيجةً لحدّة داء اعتبار الانسان نفسه عالماً.

وداء الاستبداد بالرأي يضيّق فكر مُصابه حتّى يتجمّد ويتحجّر، فيصير حجر عثرة في طريق الحقيقة، وبالتالي يحمل المصاب على الاعتقاد بحقّانية أقواله وعقيدته ودينه ورأيه، وببطلان كلّ ما يقوله مناوئوه، فمتى ما ابتلي الإنسان بجمود الفكر تأبّى التأمّل في آراء غيره فيما يعتبرُه حقًّا، وأعرض عن التفكير فيما يقولون، وبهذا لا يستطيع التوصّل إلى الحقيقة.

وقد نُعِتَ الاستبداد في الروايات الإسلامية بأنّه من مواطن الزلل الخطيرة، إذا أُصيب الإنسان به دُحِضَ وهلك.

قال الإمام علي عليه السلام عن جمود الفكر والاستبداد الفكري:

المُستَبِدُّ مُتَهَوِّرٌ فِي الخَطَأَ وَالغَلَطِ.[2]

وقال عليه السلام:

الاِستِبدادُ بِرَأيِكَ يُزِلُّكَ ويُهَوِّرُكَ فِي المَهاوي.[3]

---

١. استبدّ بالأمر يستبدّ به استبداداً: إذا تفرّد به دون غيره (النهاية: ج ١ ص ١٠٥).

٢. غرر الحكم: ح ١٢٠٨.

٣. غرر الحكم: ح ١٥١٠.

وقال الإمام الصادق عليه السلام :

**المُستَبِدُّ بِرَأيِهِ مَوقوفٌ عَلىٰ مَداحِضِ الزَّلَلِ .[1]**

**و ـ اللجاجَة**

اللجاجة هي الأُخرى مانعٌ من موانع تصحيح العقيدة، وتعتبر بالنسبة للبحوث والمسائل النظرية موطناً من مواطن الزلل الخطيرة التي تُسلُّ الفكر وتُضِلُّ الرأي دون أن يشعر صاحبه بانحرافه.

وقد عبّر الإمام علي عليه السلام بعبارة لطيفة عن هذا الموطن الخفي من مواطن الزلل فقال:

**اللَّجاجَةُ تُسِلُّ[2] الرَّأيَ.[3]**

أي: كما يتسلّل السارق إلىٰ الدار خلسةً فيسرق ما يشاء دون أن يشعر صاحبها، يتسلّل اللجاج إلىٰ الذهن، ويستحوذ علىٰ الفكر، فيصرفه عن الصواب دون أن يشعر صاحبه، ومن ثمّ يسلبه الرأي السديد.

وهكذا فالحقيقة ـ كما ورد في كلام أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام ـ هي أنّ أُولي التعصّب واللجاجة لايتأتّىٰ لهم أن يكونوا من أصحاب الرأي. قال عليه السلام :

**اللَّجوجُ لا رَأيَ لَهُ.[4]**

ولو أبدىٰ اللجوج رأياً في قضيّة مّا أو قضايا معيّنة وكان صائباً، فإن تعصّبه ولجاجته في إبداء رأيه يُفقدانه شأنه و وثاقته، كما قال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام :

**اللَّجاجُ يُفسِدُ الرَّأيَ .[5]**

---

١. نزهة الناظر: ص ١٧٦ ح ٤٦.

٢. الإسْلالُ: السَّرِقَة الخفيّة، وهي السَّلّة (النهاية: ج ٢ ص ٣٩٢). والاستعمال هنا على المجاز.

٣. نهج البلاغة: الحكمة ١٧٩.

٤. غرر الحكم: ح ٨٨٧.

٥. غرر الحكم: ح ١٠٧٨.

وأخيراً، فاللجاجة كما قال رسول الله ﷺ:

إيّاكَ وَاللَّجاجَةَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَها جَهلٌ و آخِرَها نَدامَةٌ.[١]

ومن الحريّ بالذكر أنّ ما جاء تحت عنوان «موانع تصحيح العقيدة» ـ كما أُشير ـ هي أهمّ الموانع، وسوف يأتي ذكر كلّ الموانع تحت عنوان «موانع المعرفة».

## شروط تصحيح العقيدة

هذه الشروط هي التي تُعوزُ المحقّق حتّىٰ يدرك الحقيقة، وبغيرها لايتسنّىٰ له الاطمئنان إلىٰ نتائج تحقيقاته. وهي عبارة عن:

١. التأنّي

٢. التجربة

٣. تمركز الفكر

٤. حركة الفكر

٥. تبادل وجهات النظر

٦. الإمدادات الغيبية.

### ١. التأنّي

وهو عدم التسرّع في إبداء الرأي الذي توصّل إليه، والانتظار حتّى يتبلور. فحينما يفكّر الباحث في مسألةٍ مّا يتوصّل مبدئياً إلى فكرة ساذجة لا يصحّ له الاعتماد عليها، والتأنّي يتيح للباحث الفرصة بالتدريج عن طريق المطالعة الدقيقة وأخذ الأبعاد المختلفة للمسألة المعنيّة في دائرة النظر ومراعاتها من جميع الجوانب، حتّى يعرض فكرته ناضجةً قابلةً للاعتماد عليها، وقد قال الإمام عليّ ؑ :

---

١. تحف العقول: ص ١٤.

الرَّأيُ مَعَ الأناةِ، وبِئسَ الظَّهيرُ الرَّأيُ الفَطيرُ[١]. [٢]

والنقطة المقابلة للتأنّي هي العجلة، ونظراً لأنّها تحرم الباحث من فرصة الدراسة الضافية والتحقيق الكامل والاستقصاء المستوفى فهي تستدعي زلل الفكر والخطأ في التحليل، ولهذا يقول أميرالمؤمنين عليه السلام:

العَجَلُ يوجِبُ العِثارَ.[٣]

وروي عن نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله أنّه قال:

مَن تَأَنّىٰ أصَابَ أو كادَ، ومَن عَجِلَ أخطَأَ أو كَادَ.[٤]

فالتأنّي يقرّب الباحث من الرأي الصائب. فإذا ما توفّرت له الشروط اللازمة لتصحيح العقيدة أيضاً أصاب الواقع، وإلّا فعلى الأقل سيصير قريباً منه. وبالعكس، فإنّ العجلة تُدني الباحث من الخطأ، وحتّى لو أنّ العجول قد أصاب في تحليلاته فذلك من قبيل الصدفة، ولهذا أوصى الإمام علي عليه السلام ابنه الحسن المجتبى عليه السلام قائلاً:

أَنهاكَ عَنِ التَّسَرُّعِ بِالقَولِ وَالفِعلِ.[٥]

### ٢. التجربة

إنّ الذين لا يتمتّعون بالتجربة والخبرة اللازمة من الطبيعي أن تكون آراؤهم وعقائدهم وتحليلاتهم غير واقعية وغير صائبة.

ويصوّر الإمام عليّ عليه السلام دور التجربة وتأثيرها في المعرفة بقوله:

كُلُّ مَعرِفَةٍ تَحتاجُ إلَى التَّجارِبِ.[٦]

---

١. الفَطير: كلّ ما أُعجل عن إدراكه (تاج العروس: ج ٧ ص ٣٥١).

٢. كشف الغمة: ج ٣ ص ١٣٩.

٣. غرر الحكم: ح ٤٣٢.

٤. المعجم الكبير: ج ١٧ ص ٣١٠ ح ٨٥٨.

٥. الأمالي للمفيد: ص ٢٢١ ح ١.

٦. مطالب السؤول: ج ١ ص ٢١٢.

وفي حديث آخر يقسّم الإمام عليه السلام المعارف العقليّة إلى قسمين حيث يقول:

العَقلُ عَقلانِ: عَقلُ الطَّبعِ وعَقلُ التَّجرِبَةِ وكِلاهُما يُؤَدّي المَنفَعَة.[١]

وفي حديث آخر عنه عليه السلام:

فِي التَّجارِبِ عِلمٌ مُستَأنَفٌ.[٢]

وما أوجز وأبلغ ما قاله الإمام علي عليه السلام في هذا الشأن:

رَأيُ الرَّجُلِ عَلىٰ قَدرِ تَجرِبتِهِ.[٣]

أي: كلّما ازدادت تجارب الإنسان فيما يبدي فيه الرأي من المسائل كان أقرب إلى الواقع. بعبارة أُخرى: من كان أكثر خبرةً وتجربةً كان رأيه أكثر سداداً، وفي رواية أُخرى عنه عليه السلام:

أملَكُ النّاسِ لِسَدادِ الرَّأيِ كُلُّ مُجَرَّبٍ.[٤]

وعليه، فإنّ الإمام عليه السلام يعتبر العلم الذي يحصل عن طريق التجربة أدقَّ من العلم الذي يُحصَّل في قاعة الدراسة، وفي رأيه عليه السلام أن الطبَّ التجربي أقرب إلى الحِكمة وعلم الطبِّ من الطبِّ النظري والدراسة النظرية. ولذلك قال عليه السلام:

المُجَرَّبُ أحكَمُ مِنَ الطَّبيبِ.[٥]

ففي رأي الإمام بشكل عام أنّه لو توفّرت التجربة الكافية في أيّ عمل لكان ذلك العمل صحيحاً وقد انجز على الوجه الذي ينبغي له، إذ يقول عليه السلام:

مَن حَفِظَ التَّجارِبَ أصابَت أفعالُهُ.[٦]

---

١. مطالب السؤول: ج١ ص ٢١١.

٢. الكافي: ج ٨ ص ٢٢ ح ٤.

٣. غرر الحكم: ح ٥٤٢٦، عيون الحكم والمواعظ: ص٢٦٦ ح ٤٩٤٣.

٤. غرر الحكم: ح ٣٠٤٨، عيون الحكم والمواعظ: ص ١١٩ ح ٢٧٠٤.

٥. غرر الحكم: ح ١٢٠٣.

٦. غرر الحكم: ح ٩١٨٠.

### ٣. تمركز الفكر

إنّ تمركز الفكر يحدّد للباحث أبعاد المسألة المطروحة لديه ويضعها في ضمن إطار مشخّص، ومن ثَمَّ يظهر للمحقّق رأيه بناءً على الإلمام بكلّ ما تلزم ملاحظته بالنسبة لها، وعليه، فكلّما بادر الإنسان إلى البحث والتحقيق بأفكار أكثر تركيزاً كان أقرب إلى الحقيقة، وكلّما قلَّ تركيزه كان أبعد عن الصواب، ولذلك لو أراد الباحث أن يكون رأيه صائباً تعيّن عليه توفير العوامل التي تساعد على تمركز الفكر وتجنّب الموانع التي تحول دون ذلك.

### عوامل تمركز الفكر

لقد وردت أهمّ العوامل التي تؤدّي إلى تمركز الفكر في روايةٍ عن الإمام الصادق عليه السلام هذا نصّها:

> **خَمسُ خِصالٍ مَن فَقَدَ واحِدَةً مِنهُنَّ لَم يَزَل ناقِصَ العَيشِ زائِلَ العَقلِ مَشغولَ القَلبِ: فَأَوَّلُها صِحَّةُ البَدَنِ، وَالثّانِيَةُ الأَمنُ، وَالثّالِثَةُ السَّعَةُ فِي الرِّزقِ، وَالرّابِعَةُ الأَنيسُ المُوافِقُ... وَالخامِسَةُ ــ وهِيَ تَجمَعُ هٰذِهِ الخِصالَ ــ الدَّعَةُ.**[١]

فنلاحظ أنّ الإمام عليه السلام يبدأ أولاً بالحديث عن خصالٍ لكلٍّ منها دور أساسي في كمال العيش وسلامة الفكر وفراغ البال والتفكير الصائب، فهذه الخصال هي التي يحقّق وجودها تركيز الفكر، على حين أنّ عدمها يسلب التركيز منه، ثمّ يوضّح الإمام بعد ذلك هذه الخصال الواحدة تلو الأُخرى.

### ٤. حيوية الفكر

إنّ الفكر والحيلولة دون جموده شرط آخر من الشروط اللازمة للتوصّل إلى العقيدة الصحيحة والرأي السديد، وتوصية الإمام علي عليه السلام بهذا الخصوص هي:

---

١. الخصال: ص ٢٨٤ ح ٣٤، مكارم الأخلاق: ج ١ ص ٤٣٧ ح ١٤٩٤، بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٨٦ ح ٥.

أمخِضُوا الرأيَ مَخضَ السّقَاءِ يُنتِج سَديدَ الآراءِ.[١]

فلو أنّ الفكر تصلّب على رأي لأصابه الجمود والتحجّر، وبالتالي يُشلُّ نشاطه ويتخلَّفُ عن النموّ والحيوية والنشاط ويفقد القدرة على معرفة رأيه أو تمييزه من حيث الصحّة والبطلان أو الضعف والقوّة تمييزاً دقيقاً ومعرفةً واقعية.

ولهذا أكّد الإمامعليه السلام على الباحث ـ من أجل الوصول إلى العقائد الصحيحة والآراء السديدة ـ وجوب التحرّر من جمود الفكر وتقليب الآراء العلمية على وجهات النظر المختلفة في ذهنه بشدّة مع حركة الفكر، والتدقيق والتحقيق في الأبعاد المختلفة للموضوع محلّ النظر.

### ٥. تبادل وجهات النظر

من الشرائط الأُخرى اللازمة لتصحيح العقيدة تبادل وجهات النظر، فمن توصيةٍ لأميرالمؤمنينعليه السلام:

اِضرِبوا بَعضَ الرَّأيِ بِبَعضٍ يَتَوَلَّدُ مِنهُ الصَّوابُ.[٢]

ونستنتج من هذا أنّ تبادل وجهات النظر بعيداً عن التعصّب يؤدّي بطبيعة الحال إلى بروز مواقع الضعف والقوّة والخطأ والصواب في الآراء المختلفة، وعلى هذا الأساس، فمن يجيز لنفسه الدراسة والبحث والتحقيق في آراء الآخرين يمكنه ـ لو كان من أهل التحقيق والبحث ـ أن يميّز النظر الصحيح من الخطأ، فقد قال الإمام عليعليه السلام:

مَنِ استَقبَلَ وُجوهَ الآراءِ عَرَفَ مَواقِعَ الخَطَأِ.[٣]

---

١. غرر الحكم: ح ٢٥٦٩، عيون الحكم والمواعظ: ص ٩١ ح ٢١٥٠.

٢. غرر الحكم: ح ٢٥٦٧، عيون الحكم والمواعظ: ص ٩١ ح ٢١٥٤.

٣. الكافي: ج ٨ ص ٢٢ ح ٤، كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٨٨، نهج البلاغة: الحكمة ١٧٣، تحف العقول: ص ٩٠.

وبالعكس، فإنّ من لا يسمح لنفسه برؤية آراء الآخرين والاطّلاع عليها ويتعجّل إبداء الرّأي في كلّ ما يرد عليه معتدّاً بدليل فكره معتمداً على رأيهِ العقلي لا يتأتّىٰ له من آرائه الفجّة المتهافتة ـ على حدّ قول الإمام ـ إلّا الابتلاء بالأخطاء المضنية:

مَن جَهِلَ وُجوهَ الآراءِ أعيَتهُ الحِيَلُ.[١]

**٦. الإمدادات الغيبية**

تعدّ الإمدادات الغيبية صاحبة السهم الأكبر في التوصّل إلى المعتقدات العلمية ومعرفة الحقيقة وتصحيح العقيدة. فمهما كان الإنسان حاذقاً وعالماً فبسبب محدودية معلوماته، لا يقدر على الإحاطة بقضيةٍ من القضايا بكلّ حيثياتها، ولا يمكنه التوصّل إلى الحقيقة والواقع خاصّة في المسائل العلمية المعقّدة إلّا بالإمدادات الغيبية، أو بعبارة أُخرىٰ يحتاج إلىٰ نوعٍ من الإلهام والإشراق، ومن هذه الحيثية يعتقد الكسس كارل بأنّ الاكتشافات العلمية ليست نتاجاً لفكر الإنسان وحده، حيث يقول:

يقيناً إنّ الاكتشافات العلمية ليست نتاجاً وثمرةً لفكر الإنسان فقط. فالنوابغ مضافاً إلى قدراتهم على الدراسة ودرك القضايا يتمتّعون بخصائص إبداعية أُخرى كالإشراق والتصوّر، فهم يكشفون بالإشراق ما هو خافٍ على غيرهم، ويبصرون الروابط المجهولة بين القضايا التي تبدو وكأنها لا صلة بينها في الظاهر، فيدركون بفراستهم كنوزاً لم تكن معروفة.

إنّ الرجال العظام يتمتّعون بموهبة هذا الإشراق فتراهم يعلمون ويعرفون ما يجب تعلّمه والتعرّف عليه دون الحاجة إلى الدليل والتحليل. فالعالم الكبير يَنساقُ تلقائياً إلى طريق ينتهي إلى كشف جديد. وهذه الحالة كانت تسمّى قبلَ هذا

---

١. غرر الحكم: ح ٧٨٦٥، عيون الحكم والمواعظ: ص ٤٥٣ ح ٨١٢٨.

بالإلهام.

ويمكن تقسيم العلماء إلى فريقين: فريقٌ منطقي، وآخر إشراقي، وجميع العلوم والتقدّم العلمي رهين هذين الفريقين، حتّى العلوم الرياضية التي تستند على أُسس وقواعد منطقية تماماً، إلّا أنّها أخذت قسطها من الإشراق أيضاً... وكما أنّ القضايا العلمية لها دور في المعرفة كذلك الحياة العادية، وأمّا الإشراق فإنّه عاملٌ قويٌّ في المعرفة لكنّه خطيرٌ في نفس الوقت، إذ يصعب التمييز في بعض الأحيان بينه وبين التوهّم...

وليس إلّا العظماء من الرجال والأطهار أصحاب القلوب الصافية الذين يبلغون به إلى الكمال وقمّة الحياة المعنوية، إنّ هذه الموهبة مدهشة حقًّا، ويبدو لنا أنّ إدراك الواقعية بدون دليل أو تعقّل أمرٌ لا يقبل التفسير.[1]

ويؤيّد هذا الرأي العالم الرياضي الفرنسي جاك هادا مارا، حيث يقول:

حينما نتأمّل ظروف الاكتشافات والاختراعات يستحيل علينا أن نتجاهل الإدراكات الباطنية المفاجئة، فكلّ عالم محقّق يشعر إلى حدٍّ ما بأنّ حياته ومسائله العلمية قد تكوّنت من خلال سلسلة من النشاطات المتناوبة، كان لإرادته وشعوره ضِلْعٌ في البعض منها؛ وأمّا البقية فقد كانت حصيلة لسلسلة إلهامات باطنية.[2]

وعليه، يمكن القول بأنّه كلّما ازدادت الإمدادات الغيبية والإلهامات الباطنية لدى العالِم كانت آراؤه وعقائده أكثر صواباً، واستطاع كشف الكثير من الحقائق العلميّة، وإذا اكتملت الإمدادات الغيبيّة عند الإنسان غدت آراؤهُ وعقائدهُ مصونةً من الخطأ.

لكن ما مصدر الإشراق والإلهامات الباطنيّة؟

---

١. انسان موجود ناشناخته (بالفارسية): ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

٢. امدادهاى غيبى در زندگى بشر (بالفارسية): ص ٨٠.

هذا سؤال يعجز الماديّون عن الإجابة عليه، وأمّا الربّانيّون فيعرفون أنّ مصدرها هو الله ﷻ فالله تعالىٰ هو الذي يمنّ بهذه الموهبة علىٰ من يشاء كُلّ علىٰ قدر مايليق به، وكما تقضيه حكمة الله البالغة، كما أنّ الدعاء وسيلة من الوسائل لنيل هذه الكفاءة. ولهذا كان الإمام السجّاد ؈ يدعو الله تعالىٰ ويعلّمنا أن ندعوه ليعيننا علىٰ سداد آرائنا:

وأعوذُ بِكَ مِن دُعاءٍ مَحجوبٍ، ورَجاءٍ مَكذوبٍ، وحَياءٍ مَسلوبٍ، وَاحتِجاجٍ مَغلوبٍ، و رَأيٍ غَيرِ مُصيبٍ.[1]

بَيْدَ أنّا يجب أن نلتفت إلىٰ أنّ الدعاء أحد مبادئ الإلهام والإشراق، ويجذب الإنسان نحو مبادئهما الأُخرىٰ.[2]

١. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٥٦ ح ٢٢.

٢. راجع: موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٢ ص ١٤٣ «الفصل الرابع: مبادئ الإلهام».

## الخلاصة

▣ للإنسان أربع حالات بالنسبة إلى معرفة حقائق الوجود: فهو إمّا عالمٌ، أو غافلٌ، أو جاهلٌ بسيط، أو جاهل مركّب.

▣ العالم: من يعلم ويعلم أنّه يعلم. والغافل: من يعلم ولا يعلم أنّه يعلم. والجاهل البسيط: من لا يعلم ويعلم أنّه لايعلم. والجاهل المركّب: من لايعلم ولا يعلم أنّه لايعلم وإنّما يتصوّر أنّه يعلم.

▣ الجاهل المركّب مصاب بمرض وهو عدّه نفسه عالماً ومرض الجهل المركّب من أخطر الأمراض التي تهدّد المجتمع البشري، ويصعب تشخيصه وعلاجه. والمصابون به كثيرون، وإذا ما صار مزمناً صار علاجه صعباً، بل قد يمتنع.

▣ داء اعتبار الانسان نفسه عالماً داء متفشٍّ على وجه التقريب في ثلاثة مجالات: المعتقدات الدينية، والمعتقدات السياسية، والإدارة.

▣ لأجل الوقاية من داء اعتبار الإنسان نفسه عالماً وتصحيح العقيدة يتعيّن الامتناع عن الاعتماد على الظنّ والميول والرغبات النفسية، والتعصّب والتقليد والاستبداد واللجاجة في إبداء الرأي. ولأجل التوصّل إلى العقائد الصحيحة يجب الامتناع عن: التسرّع في الإدلاء بالرأي وإصدار الحكم في شيءٍ مّا، وادّخار التجارب والخبرة الكافية، وتركيز الفكر، وتنشيط الفكر والاحتفاظ بحيويّته، وتبادل الأنظار.

الفصل الخامس

# عَلامَاتُ صِحَّةِ العَقِيدَةِ

هل هناك مِعيارٌ أو ميزانٌ يمكن للإنسان أن يختبر به عقيدته ورأيه ويقف على صحّتها؟ وكيف يتسنّى للمحقّق أن يعلم أنّ ما يصفه هو أو يصفه غيره بأنّه علمٌ وعقيدةٌ ونظريةٌ علميّة هو في الحقيقة علم وليس خيال علم واعتبار الإنسان نفسه عالما؟ وهل في النصوص الإسلامية تعليمات ووصايا بخصوص اختبار العقائد أو لا؟

والجواب على هذا السؤال هو: إنّ العقائد العلمية وكذلك العقائد غير العلمية ومرض اعتبار الإنسان نفسه عالماً لها علامات وآثار يمكن للمحقّق بواسطتها اختبار آرائه واكتشاف صحّة عقائده وعقائد غيره وسقمها.

وللإمام عليّ عليه السلام بخصوص علامات العقائد العلمية وغير العلمية بيانٌ جامعٌ مبسوط إلى حدٍّ مّا، جديرٌ بدقّة النظر لما هو عليه من قيمة.

### علامات العقائد العلمية

نستهلّ بذكر كلام الإمام فيما يتعلّق ببيان آثار العقائد العلمية وعلاماتها، وخصائص العلماء الحقيقيين، ثمّ نتناول ما ورد في كلامه عليه السلام من العلامات واحدةً واحدة بالدرس والبيان. قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

إنَّ العالِمَ مَن عَرَفَ أنَّ ما يَعلَمُ فيما لا يَعلَمُ قَليلٌ، فَعَدَّ نَفسَهُ بِذٰلِكَ جاهِلاً فَازدادَ بِما

عَرَفَ مِن ذٰلِكَ في طَلَبِ العِلمِ اجتِهاداً، فَما يَزالُ لِلعِلمِ طالِباً، وفيهِ راغِباً، ولَهُ مُستَفيداً، ولِأَهلِهِ خاشِعاً، ولِرَأيِهِ مُتَّهِماً، ولِلصَّمتِ لازِماً، ولِلخَطَأ حاذِراً، ومِنهُ مُستَحيِياً، وإن وَرَدَ عَلَيهِ ما لا يَعرِفُ لَم يُنكِر ذٰلِكَ لِما قَرَّرَ بِهِ نَفسَهُ مِنَ الجَهالَةِ.[1]

نستنتج من بيان الإمام سبع علامات للعلماء الحقيقيين والعقائد العلمية، هي: ١. الالتفات للمجهولات. ٢. التعطّش المتنامي لاكتساب العِلم. ٣. التواضع إزاء أهل العلم. ٤. اتّهام آرائهم. ٥. اختيار الصمت. ٦. التحفّظ من الخطأ. ٧. عدم إنكار المجهول.

وإليك فيما يلي بيان هذه العلامات:

### ١.الالتفات للمجهولات

إنّ العلماء الحقيقيّين وأصحاب الآراء والعقائد العلمية على العكس من العلماء الخياليّين والمبتلين بداء اعتبار النفس عالماً ممّن لا تشغل دائرة أنظارهم إلّا معلوماتهم فحسب وهم غافلون عمّا جهلوا، يرون ما يجهلون، ولا يعتبرون معلوماتهم شيئاً أمام ما يشاهدونه من مجهولاتهم العظيمة غير المتناهية، وهذا القبيل من العلماء في نظر الإمام عليّ عليه السلام هم من يكلّلون بلقب العالِم؛ وآراؤهم في المسائل العقلية معتبرة موثوقة:

إنَّ العالِمَ مَن عَرَفَ أنَّ ما يَعلَمُ فيما لا يَعلَمُ قَليلٌ، فَعَدَّ نَفسَهُ بِذٰلِكَ جاهِلاً.

فالعالِم الحقيقي كلّما تزداد معلوماته تزداد مجهولاته، وكلّما يزداد عِلمه يزداد وعياً بأنّ معلوماته المحدودة لايمكن أن تقاس بمجهولاته غير المحدودة. ومن هذه الحيثية كان كلّ من يسلك طريق معرفة الحقائق والعقائد العلمية، يصل إلى أنّ معلوماته من الضآلة بحيث لا تعدّ شيئاً بالنسبة لما يجهله، فيرى أنّه لايستحقّ أن ينعت عالماً بسبب هذا العلم اليسير، بل إنّه ـ بمحاسبة دقيقة علميّة على أساس

---

١. بحار الأنوار: ج ٧٧ ص ٢٢١ ح ٢ وراجع: تحف العقول: ص ٧٣.

الواقع ـ لا يرى لنفسه مكاناً في مصافّ العلماء.

وهنا يشعر الإنسان أنّه كلّما ازداد علماً اتّسعت الهوة بين ما علم وما جهل، وبتعبير آخر: إنّ معدّل ارتفاع المستوى العلمي للإنسان متكافئ مع معدّل الزيادة في مجهولاته.

فمن ليست لديه أيّ معرفة عن الإنسان ليس لديه أيّ مجهول في مجال علم الإنسان، فلو أنك سألت جاهلاً: ما الإنسان؟ لأجابك: هذا واضحٌ جدّاً، الإنسان هو الموجود الذي يمشي على رجليه هنا وهناك، والإنسان يعني الإنسان، وهذا السؤال لا معنى له أصلاً!! ولو أنك سألته: أتجهل شيئاً مّا عن الإنسان؟ لأجابك: كلّا، وفي رأيي أنّ الإنسان قد عُرِفَ حتّى لم يعُد في حاجة إلى تفسير أو بيان!

أمّا إذا بادر هذا الشخص بالتحقيق في علم الإنسان فإنّه كلّما اتّسع نطاق تحقيقه وتخصّصه في هذا العِلم ازدادت مجهولاته في مجال معرفة هذا الموجود العجيب المعقّد المعجون بالأسرار، وكلّما تعمّق في وجود الإنسان اعترضته علامات استفهام أكثر فأكثر!

أجل، الإنسان بالنسبة للجهلاء موجودٌ معروف تماماً. أمّا لدى عالم محقّق مثل البروفسور كارل الذي قضى عمراً يحقّق في فرع علم الإنسان فإنّ حاصل هذا العمر من التحقيق ونتيجته هو كتاب «الإنسان ذلك المجهول الذي لم يُعرف».

وليس الإنسان هو الموجود الوحيد الذي لم يُعرف بعدُ لدى العلماء الواقعيّين، بل إنّ جميع الموجودات في العالم موجوداتٌ معقّدةٌ مشبّعةٌ بالأسرار ولم تُعرف أيضاً، ويقال: إنّ عالماً فرنسياً يُدْعَى فيلسْتي دِي لامِنِهْ قال:

لو أنّ أحداً استطاع أن يعرِّف حَبَّةَ الرمل وضعت الله في اختياره.[1]

اللّهمّ لا حبّة الرمل الواحدة بل الذرَّة من ذرّاتها أيضاً لا تزال تُعجِز الإنسان عن

---

١. سير حكمت در اروپا (بالفارسية): ج ١ ص ١٣٦.

وضع تعريف دقيق لها، أليس هذا، ما نراه من أنّ العلم يكتشف كلّ يوم أسراراً جديدة داخل قلعة الذرّة وأسرارها المكنونة؟! أليس هذا إشارة إلى عجز العِلم حتّى الآن عن معرفة ذرَّة من ذرّات الوجود معرفةً كاملة؟!

ومن ثَمّ فإنّ الوجود قاطبةً ـ في نظر العالم الواقعي على خلافه في نظر العالم الخيالي ـ مليءٌ بالأسرار معقّد غير معروف، وما ازداد العالم عِلماً على علم إلّا ازداد معرفةً بأسرار الوجود وتعقيده، ممّا يؤدّي إلى ظهور مزيد من العلامات المحتاجة للتحقيق، كما يتّضح له مزيد من المجهول.

وبناءً عليه، فكلّما ازدادت معلومات الإنسان ازدادت مجهولاته، حتّى يرى العدد قاصراً عن بيان المسافة بين معلوماته ومجهولاته؛ وذلك لأنّ معلوماته محدودة ومجهولاته لا تتناهى، والعدد عاجز عن إحصاء ما لا يتناهى، وثمّة كان قول الإمام علي عليه السلام:

إنَّ العالِمَ مَن عَرَف أنّ ما يَعلَمُ فيما لا يَعلَمُ قَليلٌ، فَعَدَّ نَفسَهُ بِذٰلِكَ جاهِلاً.

وهذا بعينه معنى القول المنسوب إلى سقراط:

بَلَغتُ مِنَ العِلمِ حَتّىٰ عَلِمتُ أنّي جاهِلٌ.[1]

وروي عن ابن سينا أيضاً:

القلب وإن بذل غاية جهده في هذا الوادي لايعرف قيد شعرة رغم أنّه يشقّ الشعرة.

فاعتبار العالم الواقعي نفسه جاهلاً نسبياً لا يقتصر على سقراط وابن سينا وأمثالهما، وإنّما ـ كما قال الإمام علي عليه السلام ـ هو من المميّزات الخاصّة بالعلماء الحقيقيين على الإطلاق بدون استثناء، وما العالم إلّا هذا.

فلنرى ماذا يقول الإمام علي عليه السلام عن علمه، وكيف يقارن بين ما يعلم وما يجهل:

---

١. هذه ترجمة لما نسب إلى سقراط شعراً، وفيمايلي نصّه (بالفارسية):

تا به آنجا رسيد دانش من  كه بدانم همى كه نادانم

هذا الإمام الفذّ الّذي يقول:

سَلوني قَبلَ أن تَفقِدوني.[١]

هذا الإمام العبقريّ الّذي يقول:

عِندي عِلمُ الأَوَّلينَ وَالآخِرينَ.[٢]

هذا العالم الّذي تنقصفُ الأقلام وتكِلّ الألسن عن وصفه ولن تبلغ غايتها يقول:

لَقَد اِندَمَجتُ عَلىٰ مَكنونِ عِلمٍ لو بُحتُ بِهِ لَاضطَرَبتُمُ اضطِرابَ الأَرشيةِ فِي الطَّوِيِّ البَعيدَةِ.[٣]

فهذا العالم العظيم، مع علمه الغزير الّذي تعجز الأسماع دون وفاء الاستماع له، يعتبر ما يعلمه بالنّسبة لِما يجهله لا يُعدّ شيئاً، وعندما يتضرّع بالدّعاء إلى ربّه، يقارن علمه بالعلم الّذي لا حصر له، علمِ الله سبحانه، فيُقرّ أمامه ويعترف بجهله.

ففي دعاء «يستشير» الذي ذكرﷺ بأنّ النبيّﷺ علّمه إيّاهُ وأوصاه أن يعلّمه للخليفة من بعده وأن يدعو به في العشيّ والإبكار، نشاهده يخاطب اللهﷻ متضرّعاً:

أنتَ العالِمُ وأَنَا الجاهِلُ.[٤]

وأنها لحقيقة واقعية علميّة دقيقة!! إنّ الإمامﷺ لم يكن ليجامل أو ليبالغ أوليحيد عن إطار الحقيقة قيد شعرة، وكلّ ما يصدر عنه فهو عين الحقيقة لا يزيد عليها ذرّة ولا ينقص عنها ذرّة.

وفي رواية أُخرى عن الإمام عليﷺ ـ أيضاً ـ يبين فيها علائم العالم الحقيقي والتمييز بينه وبين أشباه العلماء يقول فيها:

---

١. ميزان الحكمة: باب ١٧٠٥.

٢. الإرشاد: ج ١ ص ٣٥.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ٥.

٤. مهج الدعوات: ص ١٥٩.

العالِمُ مَن عَرَفَ قَدرَهُ، وكَفىٰ بِالمَرءِ جَهلاً أن لا يَعرِفَ قَدرَهُ.[١]

ولا يَخفى أنّ المراد من «قدْره» هو مقدار علمه، أي: أنّ العالم الحقّ هو من عرَف مقدار علمه وسلم من الغرور العلمي وداء رؤية النفس عالماً، ومن لم يبلغ هذه المعرفه ولم يعرف قدْر ما يعلم بالنسبة لما يجهل ليس جديراً بأن يسمّى عالماً، كائناً مّا كان مقدار ما لديه من العلوم المختلفة فإنّ جهله هذا كافٍ للتضليل وسقوط آرائه وعقائده عن حدّ الاعتبار.

### ٢. التّعطُّش المتنامي لاكتساب العِلم

بعد أن يزن العالم معلوماته بالنسبة لمجهولاته بميزان الدقّة ويفهم أنّ ما يعلمه لا يعدّ شيئاً بالنسبة لما لا يعلمه، يشتدُّ ظمأ الاطّلاع والوعي في روحه، ويزيد العشقُ والولعُ بالعلم قدْرتَه وسعيَه لمعرفة حقائق الوجود كما قال الإمام عليه السلام:

العالِمُ مَن لا يَشبَعُ مِنَ العِلمِ وَلا يَتَشَبَّعُ بِهِ.[٢]

وكما قال عليه السلام أيضاً:

العالِمُ الَّذي لا يَمِلُّ مِن تَعَلُّمِ العِلمِ.[٣]

وعلى النقيض من ذلك أشباه العلماء الذين يصدّهم داء اعتبار النفس عالماً عن مداومة الدّراسة، ولا يُتيح هذا الداء الفرصة للمصاب حتّى يحقّق فيما لا يعلم، بل يوهمه بأنه عالم بكلّ شيء، فيعدّ طلب العلم نقصاً له.

### ٣. التواضع إزاء أهل العلم

العلامة الثالثة التي أشار إليها الإمام عليه السلام ضمن ما أشار به إلى العالم الحقيقي هي

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٠٣.

٢. غرر الحكم: ح ١٧٤٠.

٣. المصدر السابق: ح ١٣٠٣.

الخضوع والتواضع لأهل العلم.

فمهما بلغ الإنسان من العلم إذا قارن ما علم بما جهل، لم يتسلّط عليه الغرور، فيحبس نظره فيما علم، وإنّما يأخذ تحقيقات الآخرين وعلومهم بعين الاعتبار ويقدّرها، فلا يسعه أمام العلماء نظراً لعلمهم إلّا أن يخضع لهم ويتواضع، وعلى خلاف ذلك الذين يرون أنفسهم علماء ويعتبرون أنفسهم أعلم العلماء، فإنّهم لا يفتؤون يرفعون من قدرهم على حساب الآخرين وتحقيرهم.

هؤلاء المرضىٰ يتصوّرون أنّهم لو تواضعوا للعالم لكان ذلك منقصةً من قدرهم العلمي، ويتوهّمون أنّ الناس سيعزون احترامهم للعلماء الآخرين إلى قلّة علمهم، ولهذا يتظاهرون بأنّه لا يوجد من هو أعلم منهم، ويتعاملون باستنقاص مع آراء جميع العلماء ويعرِّضون بها، دون مطالعة متأنّية وتدقيق.

**٤. اتّهام الشخص رأيه**

رابعة علامات العالم الحقيقي فيما أورده الإمامعليه السلام من خصائص هي اتّهام الشخص رأيه ونظره.

فالعالم الواقعي الواعي ـ لأنّ مجهولاته لا تتناهى ـ لا يبرّئ رأيه أو نظره من الخطأ مطلقاً، بل إنّه لينظر إليه بعين الاتّهام، ولا يعتبر أيَّ فرضيةٍ نظريةً علميةً منطقيةً منطبقةً على الواقع ما لم تثبت لديه بصورة قطعية.

فما أكثر الآراء والعقائد التي مرّت القرون المتمادية على اعتبارها نظريات علميّة قطعية، لا يتبادر الشكّ في صحّتها لأيّ إنسان، ولا يسمح إنسان لنفسه بالارتياب في صحّتها، حتّى أثبت التطوّر العلمي بطلانها؟! ودونك نظرية بطليموس في علم الهيئة.[١]

---

١. راجع: ص ١٤٥ «القسم الثاني: نظرية المعرفة».

### ٥. اختيار الصمت

خامسة ميزات العالم الحقيقي في كلام الإمام عليه السلام هي ملازمة الصمت.

إنّ العالم الواقعي المدرك ـ بأنّ معلوماته نزر يسير أمام مجهولاته التي لا تعدّ ولا تحدّ ـ لا يسمح له عقله إبداء رأيهِ في كلّ مسألة.

روى الشهيد الثاني ـ رحمه الله ـ عن القاسم بن محمّد بن أبي بكر ـ أحد فقهاء المدينة المتّفق على علمه وفقهه ـ أنّه سئل عن شيءٍ، فقال: لا أدري، فقال السائل: إنّي جئت إليك ولا أعرف غيرك؟ فقال القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتي وكثرة الناس حولي، والله لا أدري. فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه: يابن أخي الزمه؛ فقال: والله ما رأيتك في مجلس أعلم منك مثل اليوم، فقال القاسم:

وَاللهِ لَأَن يُقطَعَ لِساني أَحَبُّ إِلَيَّ أَن أَتَكَلَّمَ بِما لا عِلمَ لي بِهِ.[١]

وهكذا، كلّ معاف من الغرور العلمي سالم من داء اعتبار النفس عالماً، ليس على استعداد مطلقاً وبأيّ قيمة أن يُبديَ رأياً فيما لايعرف، ومن ثَمَّ يلتزم السكوت والصمت ويمسك عن جواب الكثير من المسائل، وهذا ما يتضمّنه البيان الرائع من الإمام علي عليه السلام حينما يقول:

قولُ «لا أعلَمُ» نِصفُ العِلمِ.[٢]

وهذا على خلاف المبتلين بالغرور العلمي واعتبار النفس عالماً، الذين لا يتريّثون، بل يتعجّلون الإجابة عمّا يُسأَلون دون تأمّل، أُولئك الذين لا يقتصر على وصفهم بأنّهم ليسوا علماء، وإنّما هم مرضىٰ، أو كما نعتَهم الإمام الصادق عليه السلام بأنّهم مجانين:

إنَّ مَن أجابَ في كُلِّ ما يُسأَلُ عَنهُ لَمَجنونٌ.[٣]

---

١. منية المريد: ص ٢٨٦.

٢. غرر الحكم: ح ٦٧٥٨.

٣. معاني الأخبار: ص ٢٣٨ ح ٢.

### ٦. التحفّظ من الخطأ

وهو الميزة السادسة فيما أورد الإمامعليه السلام من علامات العالم الحقيقي. فمن برئ من الغرور العلمي وعرف مقدار ما يجهله، إذا أراد أن يبدي رأياً في مسألةٍ مّا استجمع فكره وسيطر على حواسّه حذر الوقوع في الخطأ، ثمّ يُظهر رأيه بكلّ دقّة آخذاً كلّ أبعاد المسألة المعنية وجوانبها المختلفة بعين الاعتبار.

ولهذا فإن لسان العاقل وراءَ عقله[١] دائماً، فلا ينطق بكلام غير موزون مطلقاً، تحاشياً لارتكاب الخطأ فيما يقول، على خلاف المبتلىٰ بالغرور المؤوف باعتبار النفس عالماً الذي يبدي رأيه ارتجالاً دون تأمّل في كلّ مايُعرض عليه.

### ٧. عدم إنكار المجهول

آخر العلامات التي حدّد بها الإمامعليه السلام شخصية العالم الحقيقي ـ والذي يستحقّ من وجهة نظر الإمامعليه السلام أن يقال عنه عالم ـ هي عدم إنكاره ما جهل.

فإذا عرض عليه ما لا يعلمه لم ينكره لجهله به، فإن المعافى السالم من الغرور العلمي العارف ضآلة معلوماته وعدم تناهي مجهولاته لا يجيز له عقله علىٰ أيّ حال أن ينكر ما لا يعرفه وما هو مجهول بالنسبة له.

يقول ابن سينا في هذا المجال:

> **كلّ ما قرع سمعك من الغرائب فذره في بقعة الإمكان ما لم يَذُدك عنه قائم البرهان.[٢]**

وإنّها لحقيقة عقلية علميّة: أنّ «عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود» فما

---

١. نهج البلاغة: الحكمة ٤٠، غرر الحكم: ح ٧٦١٠.

٢. اشتهرت هذه العبارة ونقلها الكثيرون عن الشيخ الرئيس، والذي عثرنا عليه بهذا المضمون في الإشارات والتنبيهات: ج ٣ ص ٤١٨ في ذكر الحوادث الغريبة حيث قال: «فالصواب أن تسرح أمثال ذلك إلى بقعة الإمكان ما لم يذدك عنه قائم البرهان».

أكثر الأشياء التي لا علم للإنسان بها، ولكنّها موجودة.

وهل كان البشر قبل ألف سنة على علم بحركة الدم وحركة الذرّة ومئات الحقائق العلمية الأُخرى التي تكشّفت وثبتت اليوم؟ فهل عدم العلم بهذه الأُمور فيما سبق يمكن أن يكون دليلاً على عدم وجودها كحقيقة واقعية؟ فلو أنّ الإنسان كان من أهل العلم بالمعنى الواقعي لعلم أنّ أكثر حقائق الوجود أُمور مجهولة بالنسبة للبشر.

يقول أميرالمؤمنين عليه السلام ضمن كلام آخر له في بيان خصائص العالم الواقعي وأشباه العلماء:

لا تَقولوا بِما لا تَعرِفونَ، فَإِنَّ أَكثَرَ الحَقِّ فيما تُنكِرونَ.[1]

ولكنّ المسألة التي بلغت من الوضوح والبيان إلى هذا الحدّ وفهم كل ذي شعور أنّه لا حقّ له في إنكار ما لا يعرف وما هو مجهول لديه قد عمي عنها من علقوا بشباك الغرور العلمي فريسة لاعتبار النفس عالماً، ولا يرون إلّا خلافها.

وهناك مزيدٌ من الإيضاح في هذا الصدد عندما نتحدّث عن العقائد غير العلمية.

### علائم المعتقدات غير العلميّة

يمكن اختبار العقائد غير العلمية والتعرّف عليها ـ أُسوةً بما فعلنا بالنسبة للعقائد العلمية ـ عن طريق خصائص صاحب العقيدة، وبتعبير آخر: إنّ علائم العقائد غير العلمية هي عين علائم العلماء الخياليّين وخصائص الجهلاء أشباه العلماء، التي وردت في كلام الإمام عليه السلام بعد أن بيّن علائم العالم الحقيقي.

وفي هذا القسم نستهلّ أيضاً بذكر نصّ الرواية، ثمّ نطرح العلائم كلّا على حدة على بساط البحث:

إِنَّ الجاهِلَ مَن عَدَّ نَفسَهُ بِما جَهِلَ مِن مَعرِفَةِ العِلمِ عالِماً، وبِرَأيِهِ مُكتَفِياً، فَما يَزالُ

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ٨٧.

للعُلَماءِ مُباعِداً ، وعَلَيهِم زارِياً ، ولِمَن خالَفَهُ مُخَطِّئاً ، ولِما لَم يَعرِف مِنَ الأُمورِ مُضَلِّلاً ؛ فَإِذا وَرَدَ عَلَيهِ مِنَ الأُمورِ ما لَم يَعرِفْهُ أَنكَرَهُ وكَذَّبَ بِهِ، وقالَ بِجَهالَتِهِ: ما أَعرِفُ هٰذا ، وما أَراهُ كانَ ، وما أَظُنُّ أَن يَكونَ، وأَنّىٰ كانَ ، وذٰلِكَ؛ لِثِقَتِهِ بِرَأيِهِ، وقِلَّةِ مَعرِفَتِهِ بِجَهالَتِهِ. فَما يَنفَكُّ بِما يَرىٰ مِمّا يَلتَبِسُ عَلَيهِ رَأيُهُ مِمّا لا يَعرِفُ لِلجَهلِ مُستَفيداً، ولِلحَقِّ مُنكِراً، وفِي الجَهالَةِ مُتَحَيِّراً ، وعَن طَلَبِ العِلمِ مُستَكبِراً.[1]

فبناءً على ما جاء في هذه الرواية يتّضح أنّ علامات العقائد غير العلمية ومشخّصات أشباه العلماء سبعٌ مقابل السبع المذكورة للعقائد العلمية. وهي:

١. عدم الاهتمام بالمجهولات. ٢. عدم الاكتراث بآراء الآخرين. ٣.الابتعاد عن العلماء. ٤. تخطئة المخالفين. ٥. إنكار ما يجهلون. ٦. التحير في الجهالة. ٧.الأنفة عن تحصيل العلم.

وإليك بيان هذه العلامات:

### ١. عدم الاهتمام بالمجهولات

إنّ أوّل ما يميّز أصحاب الآراء غير العلمية ـ مَن صوّر لهم مرض اعتبار النفس عالماً في أنفسهم علماء ـ أنّهم لايرون مجهولاتهم، فتعاظمت معلوماتهم القليلة التافهة وبدت كبيرة في أنظارهم، حتّىٰ يتصوّرون أنفسهم علماء علىٰ الإطلاق، حتّى وكأنّه لم يعد هناك مجهول بالنسبة لهم، ولهذا نراهم يرون أنفسهم خبراء في كلّ موضوع، ويجيزون لأنفسهم عن طريق الظنّ والحدس، أو كما يقال اليوم عن طريق «التحليل» في إبداء الرأي في أيّ شيء كان، على أنّه رأي علميّ قطعي.

هؤلاء الأفراد مهما كان مقدار علمهم بالعلوم المختلفة هم في نظر الإمام علي عليه السلام ليسوا غير أكفّاء لصفة العالم أو لقبه فحسب، بل ما أحقّهم بنعت الجهلاء الواقعيين:

---

١. تحف العقول: ص ٧٣ ـ ٧٤.

إنَّ الجاهِلَ مَن عَدَّ نَفسَهُ بِما جَهِلَ مِن مَعرِفَةِ العِلمِ عالِماً.

لأنّ الجهل بمقدار علمه أوقعه في أعماق بئر الجهل الظّلماء حيث لا نور يصل إليها فيفيده.

وعليه، فإنّ إحدى الطرق التي تُختبر بها العقيدة ويُميَّز بين العقائد العلمية وغير العلمية هي أن يُختبر صاحب العقيدة فيما إذا كان مصاباً بالغرور العلمي معتلاً باعتبار النفس عالماً أم أنّه معاف منهما؟ وما إذا كان يجيز لنفسه الإدلاء برأيه فيما لايعرف أم لا؟ وأخيراً، إلى أيّ حدّ يعتبر نفسه عالماً.

لقد روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال:

مَن قالَ «أنا عالِمٌ» فَهُوَ جاهِلٌ.[1]

فأُولى خصائص العلماء وأهل الفهم سلامتهم من الغرور العلمي، والعلماء الحقّ يدركون ـ وهم على أول درجة من سلالم العلم ـ أنّ معارفهم لا يُعتدّ بها أصلاً إزاء ما يجهلون، وعلى هذا يتّضح أنّ المبتلين بالغرور العلمي والذين يحسبون أنهم يحتازون علماً لم يضعوا أقدامهم على أُولى درجات المعرفة بعدُ، وهذا مصداق قول أميرالمؤمنين عليه السلام:

مَنِ ادَّعىٰ مِنَ العِلمِ غايَتَهُ فَقَد أَظهَرَ مِن جَهلِهِ نِهايَتَهُ.[2]

إنّ قصار النظر وأصحاب الصّدور الضيّقة والسطحيّين إذا وصلوا ولو إلى نزر من العلم استبدَّ بهم الغرور العلمي ويقيسون مجهولاتهم على الإطلاق بمقياس هذا النزر من معلوماتهم، وبالتالي يعتبرون أنفسهم علماء بصورة مطلقة.

فأُستاذ الآداب المتخصّص فيها يتصوّر أنّ كلّ من كان على شاكلته في فهم الآداب قد أحاط بكلّ شيء علماً، وأنّ في إمكانه أن يحكم في أيّ مسألة ويُظهر

---

١. المعجم الأوسط: ج ٧ ص ٥٩ ح ٦٨٤٦.

٢. غرر الحكم: ح ٩١٩٣.

الرأي القاطع فيها.

وعالم الرياضيات يرى أنّ قبيله من الرياضيين هم العلماء بالإطلاق، وأنّ لهم الحقّ في إبداء آرائهم في كلّ أمر من الأُمور المختلفة حتّى العقائدية والاجتماعية.

وهكذا الحال بالنسبة للفقيه والأصولي والفيلسوف والمفسّر وهلمّ جرا، فكلّ من تخصّص في فرعٍ من فروع العلم والمعرفة إذا ابتلى بالغرور العلمي ولم يعرف النسبة بين معلوماته ومجهولاته ولم يضع معلوماته في مكانها إزاء مجهولاته يزعم أنّه ما دام فكره في دائرة تخصّصه صائباً، فلا يمكن إلَّا أن يكون صائباً حتّى فيما يخرج عن دائرة اختصاصه، ومن ثمَّ يعطي لنفسه الحقّ في إبداء الرأي في أيّ مسألة كانت.

يُحكى أنّ نحويًّا ركب سفينةً، وأثناء الحديث بينه وبين الربّان شاقَه أن يتظاهر بعلمه ليبرز قدر هذا العلم حتّى يشوّق الربّان على تعلّمه، سأله قائلاً: هل تعلّمت النحو؟! فأجاب الربّان: كلّا. فقال النحوي: لقد أضعتَ نصف عمرك! إنّ من لم يتعلّم النحو أضاع عمره في الجهل وعدم المعرفة، فإن أردت أن تفوز بالنصف الثاني من عمرك وجب عليك أن تحصل هذا العلم!

ففكّر الربّان مَليًّا، إلّا أنّ الجواب المناسب للردّ على هذا الأديب المغرور أعيا عليه، وما هي إلّا وعصفت الرياح وهاج البحر وغشيهم موجٌ كالظلل، وغلب البحر تعادل السفينة وأخذ يتقاذفها كلّ لحظة من صوب إلى صوب حتّى أشرفت على الغرق، التفت الربّان إلى النحوي فوجده قد فقَد نفسه هلعاً ولم يعُد يدري يده من رجله، فرأى الفرصة مناسبة للإجابة على سؤاله، فقال: يا أُستاذ، هل تعلّمت السباحة؟ فأجاب النحوي: كلّا، أنا لا أُجيدُ السباحة، فقال الربّان: لقد أضعت كلّ عمرك؛ فلا سبيل للنجاة الآن إلّا بالسباحة!

وما أقلّ العلماء ـ على خلاف هذا النحوي ـ ممّن ليسوا فريسة الغرور العلمي، وخاصّةً في المسائل العقائدية. أمّا المغرورون؛ سواء من لم يلج منهم وادي البحث

والتنقيب، أو ولجه ولكن اكتفى من البحر بالقطرة، هؤلاء جميعاً سواء في أنّهم يعلّقون نوط الاجتهاد على صدورهم، ويعطون لأنفسهم الحقّ في إبداء الرأي، حتّى فيما ليس من اختصاصهم.

**أساس الاختلافات العقائدية**

وهنا بالتحديد يكمن أحد الجذور الأصلية للاختلافات العقائدية والتضادّ بين النظريات المختلفة السّائدة في العالم، وهو إبداء من ليسوا من أهل الاختصاص آراءَهم وتطفّلهم على الرأي. فحينما يُبدي الجاهل ـ الذي يعتبر نفسه عالماً ـ رأيَه، فسوف ينجرّ الجهلاء الآخرون وراءه ويتّبعونه دون أن يعرفوا مقدار علمه أو يلتفتوا إلى نوع تخصّصه! وبهذه الصورة تظهر وتتبلور العقائد والنظريات المختلفة والمتضادّة.

لقد روي عن الإمام عليّ عليه السلام كلام بهذا الخصوص، لو أننا اعتبرناه من معجزاته لما كنا مبالغين في ذلك، قال عليه السلام:

لَو سَكَتَ الجاهِلُ مَا اختَلَفَ النّاسُ.[1]

فالحقّ ـ والحقّ يُقال ـ لو أمسك الجاهل عن إبداء رأيه فيما لا يعرف ولم يُقْحِمْ عالم رأيهُ فيما لا يختصّ به لارتفعت الخلافات الفكرية والعقائدية من البين، ولالتقت الأفكار في رأي مشترك.

فلو التزم الجاهل في السوق والحوزة والجامعة وما إلى ذلك بالصمت والسكوت، ولو كفَّ الجاهل عن التطفّل برأيه على الرأي السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي وما إلى ذلك، وأخيراً، لو أنّ غير أهل الاختصاص لم يظهروا آراءهم وعقائدهم بالنسبة للمسائل العقائدية، لاقتلعت اختلافات المجتمع البشري من جذورها.

---

١. كشف الغمة: ج ٣ ص ١٣٩.

وإنّا لنشاهد في عصرنا الحاضر ـ وعلى امتداد التاريخ ـ العشرات من المدارس والمئات من العقائد والآلاف من الأفكار المختلفة والآراء المتباينة، وأنّ كلَّ مَنْ جمعَ حوله لفيفاً يَنصِبُ نفسه عليهم مُنظّراً وزعيم منظّمة ويفرض نظريته وعقيدته الخاصّة عليهم ثُمّ بحثنا عن سبب هذه الاختلافات بحثاً جذريًّا لوصلنا إلى جذرها هذا الذي أشار إليه الإمام سلام الله عليه، وأنّه إظهار الجهلاء وغير المتخصّصين وجهات أنظارهم الفجّة وإقحامهم آراءهم الفقاعية على الواقع والحقيقة.

ولو أنّ أصحاب الأفكار المختلفة صمّموا على أن لا يظهروا آراءهم بالنسبة لشيءٍ ما لم يثبت لهم بصورة قطعية، وألّا يعرضوا فرضياتهم التي لم تثبت بعدُ على أنها نظريات علميّة، فإنّ الخلاف بين وجهات النّظر سيقتلع جذرياً من بين المجتمع، وستلتقي جميع الأفكار في مجال الحقائق الكونية في وجهة نظر مشتركة، وذلك لأنّ الحقّ واحد لا غير، ولا يمكن إلّا أن يكون واحداً بالضرورة. من جهة أُخرى فإن في هذه النظريات المتناقضة والأفكار المختلفة والعقائد المتضادّة لا محالة من عقيدة صحيحة علميّة مطابقة للواقع، وما سواها غير صحيحة وغير علميّة وغير منطبقة على الواقع، فكيف يتأتّى أن يكون قولي حقًّا وقولك حقًّا وقول الآخر كذلك وآراؤنا متناقضة تماماً فيما بينها؟! ولكلٍّ منّا رأيهُ الخاصّ المغاير للآخرين؟!

**٢. عدم الاكتراث بآراء الآخرين**

ثانية علامات أصحاب الآراء والعقائد غير العلمية هي أنّهم لا يعترفون بآراء الآخرين بأيّ قيمة، فلا يأبهون لعقائدهم ولا يعتنون بها، بل على حدّ قول الإمام عليه السلام:

بِرَأيِهِ مُكتَفِياً.

وعليه، فإنَّ مِن طرق اختبار العقيدة أن يُختبر صاحبها في أنه هل يسمح لنفسه

أن يخوض في آراء الآخرين وعقائدهم فيدرسها ويتأمّلها، أو أنّه يعتقد أنّ كلّ ما يقوله هو الصواب والصحيح، وما يقوله غيره خطأ باطلٌ؟

فمن ابتُلِي بداء اعتبار النفس عالماً ـ فهو يلازم عدّ نفسه عالماً على الإطلاق ـ فهو من هذا الحيث لا يشعر بحاجة إلى مطالعة آراء الآخرين أو دراستها. أمّا الصحيح السالم من هذا الداء العارف قدر معلوماته المحدودة إزاء مجهولاته غير المتناهية فإنّه يحتمل صحّة الفهم لدى الآخرين، فلا يكتفي برأيه بل يتّخذ رأي الآخرين موضوعاً للبحث والدراسة أيضاً. و لهذا يقول الإمام علي؈ في رواية أُخرى:

ما أُعجِبَ بِرَأيِهِ إلّا جاهِلٌ.[١]

**٣. الابتعاد عن العلماء**

ثالثة علامات أصحاب الآراء والعقائد غير العلمية هي أنّهم يتجنّبون الاقتراب من العلماء الحقّ، وكأنّهم خفافيش الليل تفرّ من ضوء الشمس، وتقضي يومها المشرق بين دياجير القباب والكهوف. وهم يَفزعون أيضاً من نور العلم ومن العلماء الحقّ، فلا يجيزون لأنفسهم الخروج من مخابئهم والدنوّ من العلماء الواقعيين والتنعّم بقبس من نور العلم، مصداقاً لقول الإمام؈:

فَما يَزالُ لِلعُلَماءِ مُباعِداً، وعَلَيهِم زارِياً.

والمتظاهرون بالعلم والمعرفة يهاجمون دائماً آراء العلماء وعقائدهم من بعيد، فدأبُهم إبداء العلل لا النَّقد!

فالمبتلى بداء اعتبار النفس عالماً ليس على استعداد ليجالس عالماً ليباحثه ويناظره ويحتكم إليه في عقائده.

إنّه يلقي بالرأي على عواهنه فيما يختصّ بالمبدأ أو المعاد أو ما يختصّ

---

١. غرر الحكم: ح ٩٤٧١.

بالاقتصاد أو السياسية أو العدالة الاجتماعية أو إدارة شؤون الدولة وما إلى ذلك، على أنّ رأيهُ هوالرأي الأوحد ولا غير، ولا صحّة إلّا لما يقوله هو أو الحزب أو المجموعة أو المؤسّسة التي ينتمي إليها، أمّا ما يقوله الآخَر فلا تصيب له من الصواب، حتّى إذا ما رفض أحد رأيه أو رأي الحزب أو الجمعية أو المؤسّسة، التي ينتمي اليها عدّه شاقّاً للعصا ومتخلّفاً عن الجماعة ليطلق لسانه بنقده.

**٤. تخطئة المخالفين**

رابعة علامات داء اعتبار النفس عالماً وآثاره هي أنّ المصاب لا يفتأ يخطّئ آراء الآخرين وعقائدهم.

أو بعبارة أُخرى: إنّ المبتلى بداء المعرفة الخيالية أو العلم الخيالي يعتقد أنّ مفتاح الوعي والتنوّر الفكري مُلكٌ لقبضته، ويتصوّر أنّ على الآخرين فيما لو أرادوا ألّا يخطئوا في فهم الآراء والعقائد أن يلتزموا طريقة تفكيره ويقتفوا أثره حتّى يصلوا إلى ما وصل إليه، فإذا لم يصلوا إلى ما وصل إليه فآراءهم وعقائدهم خطأ وضلالة، كما قال عليه السلام:

**ولِمَن خالَفَهُ مُخَطِّئاً.**

**٥. إنكار ما يجهلون**

خامسة علامات ذوي الآراء غير العلمية هي إنكارهم لما يجهلونه من الحقائق، وبقول أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

**إنَّ الجاهِلَ... إذا وَرَدَ عَلَيهِ مِنَ الأُمورِ ما لَم يَعرِفهُ أنكَرَهُ وكَذَّبَ بِهِ، وقالَ بِجَهالَتِهِ: ما أَعرِفُ هٰذا، وما أَراهُ كانَ، وما أَظُنُّ أن يَكونَ، وأَنّىٰ كانَ؟! وذٰلِكَ لِثِقَتِهِ بِرَأيِهِ وقِلَّةِ مَعرِفَتِهِ بِجَهالَتِهِ.**

كما قال عليه السلام أيضاً:

لا تَرُدَّ عَلَى النّاسِ كُلَّ ما حَدَّثوكَ بِهِ، فَكَفىٰ بِذٰلِكَ جَهلاً.[١]

فمثلاً: لو قيل قبل ألف عام لمصاب بداء اعتبار النفس عالماً: إنّ هناك كائنات حيّةً ـ من الصغر بحيث لاتراها العين المجرّدة ـ هي سبب الأمراض الجسمية. أو قيل له: إنّ الدم يدور في الجسم، فإن توقّف عن الدوران مات الإنسان؛ أو قيل له: إنّ المادّة تتكوّن من جزيئات صغيرة، وكلّ جزيئة تتكوّن من ذرّات، وفي كلّ ذرَّةٍ الكترونات تدور حول بروتونات أو نواة بسرعة مذهلة، وإنّ الإنسان يصنع من هذه الذرّة أنواع الأسلحة المدمّرة التي تنسف الحياة في الكرة الأرضية نسفاً في بضعة لحظات، لنفاها دون أدنىٰ شكّ، واعتبرها أوهاماً وخرافات، ولَزعم أنها لو كانت حقائق موجودة لكان قد عرفها بالضرورة!! وما دام لم يعرفها فهي ليست حقائق واقعية، وكذّب من يدّعي وجودها، ويرى أن ما يقوله لايقوم على أساس علمي وغير مطابق للواقع!!

إنّ الإمام عليّ‌ﷺ ولأجل استئصال مثل هذا التعامل مع الحقائق العلميّة من قِبَل الذين يدّعون المعرفة، يقول:

وذٰلِكَ لِثِقَتِهِ بِرَأيِهِ وقِلَّةِ مَعرِفَتِهِ بِجَهالَتِهِ.

وبعبارة أُخرى: لو عرف أُولئك المنكرون ـ لما جهلوا من الحقائق تحت تأثير داء اعتبار النفس عالماً ـ مدى جهلهم وأنّ ما علموا لا يُعدّ شيئاً مطلقاً في مقابل ما جهلوا، لما اعتمدوا عقائدهم كلّ هذا الاعتماد، ولما أنكروا ما لا علم لهم به.

إنّ الإمام عليﷺ يوضّح الآثار الوخيمة لهذا المرض الخطير عند استرساله في الكلام:

فَما يَنفَكُّ بِما يَرىٰ مِمّا يَلتَبِسُ عَلَيهِ رَأيُهُ مِمّا لايَعرِفُ لِلجَهلِ مُستَفيداً، ولِلحَقِّ مُنكِراً.

---

١. نهج البلاغة: الكتاب ٦٩.

وهذا، أخطر أثر سيئ لاعتبار النفس عالماً، إذ أنّه لا يقتصر على التقييد الدائم للمريض في أغلال الجهل وعدم المعرفة ودوام الزيادة على جهله المركّب، بل إنه ليشتدّ ويتفاقم بالتدريج فتظهر للمريض جهالات مستحدثة في صورة العلم، من شأنها أن توصد باب العلاج في وجهه أكثر فأكثر.

### ٦. حَيرَةُ الجَهالَة

العلامة السادسة من علامات أصحاب الآراء والعقائد الباطلة والّتي لا تنتمي إلى العلم بوجهٍ من الوجوه، هو أنّك تجدهم منهمكين وهائمين في جهلهم. فالشخص المبتَلىٰ بهذا المرض ـ أي الذي لا يعلم ويرى أنّه يعلم لا يستطيع قبول آراء الطرف الآخر، ولذلك فهو دائماً لا يبغي طلب الحقيقة، بل تراه يتخبّط في ذلك العلم الضئيل الذي يحمله ولا يتقدّم مقدار أنملة وإنّما يدور في دوّامة. ومن هنا فهو يسعى لأن يكون كلامه هو المقدّم دائماً، ولأن يفرض رأيه على الطرف الآخر؛ وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام في الحديث المتقدّم:

وفِي الجَهالَةِ مُتَحَيِّراً.

### ٧. الأَنَفُ من تحصيل العلم

العلامة السابعة والأخيرة التي تميّز أصحاب الآراء والعقائد غير العلميّة وتشخّصهم:

وعَن طَلَبِ العِلمِ مُستَكبِراً.

إنّ من أعماه ما يعلم عن معرفة ما لا يعلم لا يكترث أو يأبه بآراء غيره ويجانب العلماء ويخطّئُ آراء المخالفين وعقائدهم ويسعى لتثبيت عقيدته بلجاجة، وليس للتعلّم والتحقيق في نظره معنى، فإنّ هذه الصفات تولّد في نفسه كِبراً وغروراً يحرمانه أبداً من معرفة حقائق الوجود.

## الخلاصة

▣ العقائد العلمية وغير العلمية يمكن اختبارها والتعرّف عليها عن طريق صاحب العقيدة وخصائصه.

▣ علامات العلماء الحقيقيّين وأصحاب العقائد العلمية عبارة عن:

١ ـ الاهتمام بالمجهول: فالعالم الواقعي كلّما ازدادت معلوماته ازدادت مجهولاته، فإذا قارن معلوماته المحدودة بمجهولاته التي لا تحدّ لا يرى في نفسه أهلية الاتصاف بالعالمية.

٢ ـ التعطّش المتنامي لاكتساب العلم: فالعالم الحقيقي كلّما تدرّجت مجهولاته نحو الزيادة ازدادت روحه تعطّشاً للاطّلاع يوماً بعد يوم.

٣ ـ التواضع للعلماء: فالعالم الحقّ ـ نظراً لما يراه من مجهولاته اللامحدودة ـ لا يقع فريسةً للغرور العلمي، ولذا يقدّر علم الآخرين، ويتواضع لأهل العلم.

٤ ـ اتّهام الرأي الذاتي: العالم الواقعي عندما يرىٰ أنّ مجهولاته لاتتناهى لا يرقى إلى تبرئة رأيه من الخطأ مطلقاً، وما لم تثبت الحقيقة لديه بصورة واضحة وقطعية لايعرضها بصورة نظرية علميّة.

٥ ـ اختيار الصمت: العالم الحقيقي لا يخرج عن حكم العقل في جواب الكثير من المسائل، فيلتزم السكوت لأنّه يرىٰ معلوماته قليلة ومجهولاته تفوق الحصر.

٦ ـ التحفّظ من الخطأ: لمّا كان العالم الحقيقي سالماً مبرّأً من الغرور العلمي وفي نظره أنّ رأيه متّهم فإنّه دائم الحذر في إظهار نظره حتّى لا يخطئ.

٧ ـ عدم إنكار المجهول: العالم الواقعي ـ نظراً لأنّه يعرف أنّ مجهولاته لا تحدّد ولا تعدّ ـ لا يجيز له عقلُه أن ينكر ما لا يعلم.

▣ علائم أشباه العلماء وأصحاب العقائد غير العلمية ـ التي تنشأ نتيجةً لداء

اعتبار النفس عالماً فيتصوّرون أنفسهم علماء ـ تقع على النقطة المقابلة تماماً لعلائم العلماء الحقيقيّين. وهذه العلائم هي:

١ ـ عدم الاهتمام بالمجهولات والإغماض عنها.

٢ ـ عدم الاكتراث بآراء الآخرين.

٣ ـ الابتعاد عن العلماء.

٤ ـ تخطئة المخالفين.

٥ ـ إنكار الحقائق المجهولة.

٦ ـ اللجاجة في البحث العلمي.

٧ ـ الأنف من تحصيل العلم.

الفصل السّادس

# حُرّيّةُ العَقيدة

إنّ حرّية العقيدة إحدى المسائل المهمّة للغاية التي تحظى بالاهتمام الخاصّ هذا الزمان، وخاصّةً بعد صدور البيان الدولي بإعلان حقوق الإنسان.

لقد نصَّت المادّة الثامنة عشرة من ميثاق الأمم المتّحدة بخصوص الحقوق المدنية والسياسية على ما يأتي:

١. يحقّ لكلّ إنسان أن يتمتّع بحرّية الفكر والوجدان والمذهب، فمن ذلك حقّه في اعتناق المذهب والعقيدة التي يرغبها، كما أنّ له الحقّ في التظاهر بمذهبه أو عقيدته انفرادياً أو جماعياً، سرّاً أو علناً عن طريق العبادات وممارسته الفرائض والطقوس الدينيّة.

٢. لا يجوز أن يتعرّض أحد لإكراه يخلّ بحرّيته في التمتّع بدينه أو معتقده، أو في اعتناق ما يودّه من مذهب أو عقيدة.

٣. لا تخضع حرّية التظاهر بالمذهب أو العقيدة لأيّ نوع من التحديد، إلّا فيما قرّره القانون لحماية الأمن والنُّظم وسلامة الأوضاع أو الحفاظ على العفّة العامّة أو حفظ حقوق الآخرين وحرّياتهم الأساسية.

٤. تتعهّد الدول المتبنّية لهذا الميثاق باحترام حرّية الوالدين وأولياء الأُمور

القانونيين (في الموارد الخاصّة) في تأمين التعليم المذهبي والأخلاقي لأطفالهم وفقاً لمعتقداتهم الخاصّة.

ونصّت المادّة التاسعة عشرة من نفس الميثاق على ما يأتي:

١. يحقّ لكلّ أحد أن تكون له عقائد مصونا من تدخل الآخرين.

٢. لكلّ إنسان حقّه في حرّية التعبير عن رأيه، بما يشمل حرّية البحث عن المعلومات والأفكار وتحصيلها ونشرها أيًّا كان نوعها، بغضّ النظر عن كيفية انتقال المعلومات من كونها بصورة شفهية أو مكتوبة أو بشكل غير مباشر (نظير التعبير من خلال الفنون) أو بأيّ وسيلة أُخرى يرغبها.

٣. تنفيذ الحقوق المذكورة في الفقرة الثانية من هذه المادّة يستوجب حقوقاً ومسؤوليات خاصّة، ولذا فإنها بالإمكان أن تخضع لتحديدات معيّنة يقرّرها القانون وهي ضرورية فيما يخصّ النقاط التالية:

أ ـ احترام حقوق الآخرين وحيثياتهم.

ب ـ حفظ الأمن الوطني أو النظام العامّ و سلامة المجتمع و عفافه.[1]

ونريد في هذا الفصل أن نناقش مسألة حرّية العقيدة من وجهة نظر العقل وفي رأي الإسلام، ثمّ نبيّن الهدف من عرض هذه المسألة في عالم اليوم، وهذا يستلزم عرض ثلاث مسائل مبدئية مقدّمةً لبحثنا في هذا الفصل، وهي: معنى العقيدة، ومنشأ العقيدة، ومعنى حرّية العقيدة.

## معنى العقيدة

تناولنا هذا الموضوع بالشرح بصورة مفصّلة في الفصل الأول من هذا الكتاب، وقلنا: إنّ كلمة «العقيدة» هي الاسم من مادّة «عَقَدَ» وتعني الشّدَّ والربط، فحينما ينجذب الرأي إلى الذهن ويرتبط به يُسمَّى عقيدة، ولا فرق فيها بين الرأي الصائب

---

١. راهنماى سازمان ملل (بالفارسية): ص ١٠٢٦ ـ ١٠٢٧.

أو الباطل، وعليه، فإنّ العقيدة تُطلق على كلّ ما يؤمن به الإنسان سواء أكان حقًّا أم باطلاً، صحيحاً أم خطأً، مطابقاً للواقع أم غير مطابق، مفيداً له ولمجتمعه أم مضرّا.

## منشأ العقيدة

من أين تنشأ عقائد الإنسان وتصديقاته؟ هذه العقائد التي تشكّل الأساس في تصرّفاته ومواقفه في الحياة كيف يؤمن الإنسان بشيء ويعتقده ويقتنع به؟!

وإنّه لسؤال مهمّ للغاية، يقتضي الإجابة عليه قبل البحث في مسألة حرّية العقيدة، فالجواب عليه يساعد على إبداء الرأي في مسألة حرّية العقيدة بسهولة.

فلو أننا أمْعَنّا النظر قليلاً لعرفنا أنّ عقائد الإنسان وتصديقاته راجعة إلى أحد هذين المصدرين أو المنشأين: التحقيق والتقليد.

### ١. التحقيق

فالإنسان عندما يفكّر بملءِ حرّيته ويطالع ويحقّق في مسألةٍ مّا قد يتوصّل في هذا الصدد إلى عقيدةٍ مّا، مثلاً، لو أنّه حقّق فيما إذا كانت الأرض تدور حول الشمس أم أنّ الشمس تدور حول الأرض أو فيما إذا كان هناك شيء آخر وراء المادّة أم لا... وما شاكل ذلك لكان حينئذٍ قد اتّخذ التحقيق أساساً ومنشأً تصدر عنه عقيدته، سيّان أكان رأيه واعتقاده سديداً مطابقاً للواقع أم لا.

### ٢. التقليد

قد لا تكون عقيدة الإنسان حصيلة دراسةٍ وفحصٍ يبنيان على تفكير حرّ، إمّا أنّه قد قبل العقيدة بلا دراسةٍ وإمّا قبلها بعد الدراسة ولكنّه بتأثيرٍ من التفكير المكبَّل بالتقليد، وفي كلتا الحالتين يقوم اعتقاده على أساس التقليد.

بناءً على ما تقدّم فالمنشأ الأساسي للعقيدة ومصدرها إمّا التحقيق وإمّا التقليد، نعم هناك منشأً ثالثاً وهو الإلهام والإشراق، ونظراً لكونه ليس مصدراً عامًّا بل هو

خاصّ بمن يستثنون من الأفراد بما يخرجه عن نطاق بحثنا الآن فلنستمهله إلى حينه.[1]

أمّا ما يسترعي الانتباه هنا فهو أنّه بمجرّد دراسة معمّقة يتّضح لنا أنّ أغلب عقائد الناس وتصديقاتهم فاقدة للأساس الفكري ولا أصل لها من البحث والاستدلال، وإنّما هي ثمرة التقليد!!

فالأب والأمّ، والقوم والقبيلة والبيئة، والحزب والمنظّمة والجمعية، والشخصيات المحترمة، كلٌّ يلقّن الإنسان رأياً ووجهة نظرٍ، يتقبّله تلقائياً فيقلّده دون أن يطالب بدليل أو برهان عليه، فيألفه ثمّ يتعوّد عليه رويداً رويداً حتّى ينعقد في ذهنه وروحه ويصير عقيدةً له.

ولهذا كانت العائلة والبيئة عاملَين أساسيّين لهما دور كبير في بلورة عقائد الغالبية الساحقة من الناس، وعلى وجه العموم فإنّ الآراء والمعتقدات تنتقل إلى الفرد عن طريق عائلته أو عن طريق من يعيش في بيئتهم، وقليلٌ جدّاً أُولاء الذين يختارون عقائدهم على أساس البحث والتثبّت فقط، ومن ثَمّ حذّر القرآن الكريم الإنسان من تقليد أكثر الناس، قال تعالى:

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.[2]

## حرّية العقيدة

لابدّ لنا قبل البحث في حرّية العقيدة توضيح معنى هذه الحرّية، فما لم يتّضح معناها لا يتسنّى لنا الحكم بصحّتها أو عدم صحّتها.

ويمكن تفسير حرّية العقيدة بأحد معاني ثلاثة:

---

١. راجع: موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٢ ص ١١٦ «القلب» و ص ١٤٣ «الفصل الرابع: مبادئ الإلهام».

٢. الأنعام: ١١٦.

الأول: الحرّية في اختيار العقيدة، وتعني أنّ الإنسان حرٌّ في الاعتقاد بما يريد.

الثاني: الحرّية في التظاهر بالعقيدة، وتعني أنّ الإنسان حرٌّ في الإفصاح عمّا اعتقده.

الثالث: الحرّية في نشر العقيدة، وتعني أنّ الإنسان حرٌّ في نشر عقيدته والترويج لها.

وعليه، فقد يتوجّه الحديث عن حرّية العقيدة إلى أحد هذه المعاني الثلاثة، أو أنّه يتوجّه إليها جميعاً.

والآن ـ بعد أن عرفنا معنى العقيدة ومنشأها وما ذكر في تفسير حرّية العقيدة ـ فقد حانت الفرصة لنطالع رأي العقل فيها.

### حرّية العقيدة في رؤية العقل

إنّ للعقل رؤيةً ورأياً لكلّ واحدة من هذه المعاني فلا يسعه أن يحكم على كلّها حكماً واحداً بصورة مطلقة لذا ينبغي أن يُدرس كلّ من هذه المعاني على حدة.

#### أ ـ حرّية اختيار العقيدة

أول معاني حرّية العقيدة هو أن يكون الإنسان حرّاً في اختيار ما يشاء من العقائد فيؤمن بما يميل إليه قلبه ويعتقد ما يرغب فيه فؤاده.

فلو أمعنّا النظر قليلاً لتبيّن لنا أنّ هذا النوع من حرّية العقيدة غير ممكن عقلاً، فلا عقائد الإنسان وتصديقاته خاضعة لاختياره، ولا هي خاضعة لاختيار غيره، ولا في وسع الإنسان أن يعتقد بما يشاء على الإطلاق، ولا في وسع أحد أن يرغمه على عقيدةٍ مّا، وذلك لأنّ العقيدة ليست كالأزياء يختار الإنسان ويرفض منها ما يشاء، او يوجد من يجبره على ارتداء هذا أو ذاك.

الاعتقاد لدى الإنسان شيء كالحُبّ، والعشق والتعلّق والمحبّة أُمور خارجة عن إرادة العاشق، فلا هو يستطيع أن يعشق هذا أو لا يعشق ذاك، ولا هو في اختيار

أحد ليحمله على عشق هذا دون ذاك، فإذا كان الوقت نهاراً فلا يتأتّى له أن يؤمن بأنّه ليل، وهل في إمكان أحد أن يجبره على تغيير عقيدته، نعم، قد يضطرّ أحد إلى قول بخلاف عقيدته، أمّا أن يغيّر اعتقاده وما آمن به فهذا محال.

في عام ١٦٣٢ ميلادي وضع جاليلو كتاباً عن عقائد بطليموس وكوبرنيك. وبعد عام من ذلك دعاه البابا إلى روما وأبلغه أنّ اعتقاده بدوران الأرض حول الشمس كفر، وأجبره على الجلوس على ركبتيه وطلب المغفرة، وقيل: إنّ جاليلو نفّذ ما طلب منه البابا، ولكنّه عندما خرج من عنده شوهد وهو يكتب على الأرض بإصبعه: «رغم كلّ هذا... الأرض تدور حول الشمس».[1]

وإنّها لحالة واحدة يمكن فيها للعقيدة أن تقبل التغيير، وهي عندما يتغيّر منشؤها والمحيط الذي نشأت فيه، فلو أنّ منشأها كان التحقيق فقد يواجه المحقّق على مدى تحقيقه دلائل تثبت بطلان عقيدته السابقة، ولو أنّ منشأها كان التقليد فإنّ صِفادَ[2] التقليد عرضة للتّحطّم.[3]

### ب ـ حرّية الإفصاح عن العقيدة

المعنى الثاني من معاني حرّية العقيدة هو حرّية الإنسان في الإعلان عن عقيدته والتظاهر بها، وهي في نظر العقل من أُوليات حقوق الإنسان المسلّم بها؛ وأنّ لكلّ إنسان حقّ في أن يقول هذه عقيدتي، وليس لأحدٍ مّا حقّ في مضايقته، كما أنّ لكلّ إنسان أن يتصرّف في حياته الشخصية حسبما يريد، طالما كان تصرّفه لا يتعارض مع حقوق غيره.

وحرّية التظاهر بالعقيدة ـ مضافاً لكونها حقًّا طبيعيًّا لكلّ إنسان ـ تستوجب

---

١. فرهنگ فارسي (قاموسٌ بالفارسية) للدكتور محمّد معين: ج ٦ ص ١٦٦٠ «گاليله».

٢. الصِفاد: ما يوثَق به الأسير من قِدٍّ و قيدٍ و غلٍّ (الصحاح: ج ٢ ص ٤٩٨).

٣. سنأتي إلى الحديث عن هذا الموضوع عند التطرّق إلى المعاني الأُخرى لحرّية العقيدة.

تصادم الآراء ونضج المعتقدات العلمية وتصحيح العقائد أيضاً، وليس لدى العقل أدنى شكّ في صحّة هذه الحرّية وضرورتها، إلّا أن هناك مسألتين ينبغي بحثهما في هذا الصدد:

المسألة الأُولى: أيحقُّ للإنسان أن يبدي رأياً خلافاً لما يعلم وعلى خلاف عقيدته وإيمانه الواقعي؟

والمسألة الأُخرى: هل يجب على الانسان عقلاً تصحيح العقائد الموهومة التي لا تبتني على أساس البحث والتتبّع أو العقائد الفاسدة والتصديقات الشعواء أم لا؟

وما ينبغي أن يُجاب به على السؤال الأول هو: إنّنا إذا احتكمنا إلى العقل فإنّه وإن كان يستهجن إظهار الرأي خلافاً للاعتقاد الواقعي ويندّد به إلّا أنّه لا يرى مجوّزاً لسلب حرّية البيان ما دام لايمسّ الآخرين بالضرر.

أمّا جواب السؤال الآخر فهو: إنّ العقل في الوقت الذي يعلن حرّية التظاهر بالعقيدة فإنّه يرى وجوب الإقدام على تصحيح العقائد ويستلزم ذلك أيضاً، بدليلين، أوّلهما: إنّ العقيدة أساس العمل وركيزته، والمعتقدات الموهومة الفاسدة مفسدة مضيعة للمجتمع، والآخر: إنّ مكافحة المعتقدات الموهومة جهدٌ يهدف إلى تحرير الفكر، ولا يمكن للعقل ألّا يوجب مقتضيات تحرّره.

وبيان ذلك: إنّ حرّية العقيدة تتناقض أصلاً مع حرّية الفكر، فلا تتحقّق حرّية العقيدة حيثما كانت حرّية الفكر، فكما سبق أن وضّحنا أنّ العقيدة شيء يرتبط بالذهن وينعقد معه ويندمج بروح الإنسان، فإذا لم تكن عقائد الإنسان قائمة على أساس فكري محقّق فهي أصفاد تشلُّ حركة الفكر وتحبس الروح في حصار الأوهام، ولا تدع الإنسان حتّى يفكّر بحرّية أو يصل إلى المعتقدات العلمية المطابقة للواقع. وعليه، فلا مندوحة أمامه إلّا أن يختار حرّية الفكر أو حرّية العقائد الموهومة، فإذا ما اختار حرّية الفكر أصبح تحطيم أغلال العقائد الموهومة أمراً جدّيًا مهمًّا، وكذلك عندما يكون مكبّلاً بالأغلال لا يستطيع أن يحطّمها بنفسه،

ولابدّ له من شخص طليق ليحرّره، ولا يستطيع الفكر المكبّل بسلاسل المعتقدات الموهومة المرتهنة للعقائد الفاسدة أن يتحرّر منها وينجو بنفسه ما لم يتداركه شخص طليق يقدم على تحطيم أغلاله وينقذه.

وعليه، فإنّ العقل يرى أنّ الإقدام على تصحيح عقائد الآخرين أمر ضروري واجب، ونظراً لأنّ تصحيح العقائد ليس بالقوّة والإجبار كان الطريق إلى ذلك هو تنوير الأفكار وهدايتها إلى نضج العقائد الصحيحة وكمالها، وتعريف الحقائق إلى الناس بالدليل والبرهان، واستبدال التقليد بالتحقيق.

ولو أنّ فرداً أو أفراداً أصبحوا حَجر عثرة في سبيل حرّية الفكر وتصحيح العقائد لما بقي هناك مجال للدليل والبرهان، حيث يحكم العقل بضرورة إزالة هذا العائق بالقوّة حتّى يتهيّأ المجال لازدهار العقائد الصحيحة وزوال العقائد الفاسدة.

### ج ـ حرّية نشر العقيدة

المعنى الثالث لحرّية العقيدة هو حرّية نشرها والترويج لها وتبليغها للآخرين، سواء كانت مبنية على التحقيق أو التقليد، وسواء كانت مطابقة للواقع أو لم تكن، وسواء كانت مفيدة للمجتمع أو مضرّة له.

وعندما يحكم العقل ـ بناءً على ما ذكر من الأدلّة ـ بوجوب كفاح العقائد الموهومة فقد انتفى الشكّ في عدم جواز تبليغها بصورة مطلقة، وإلّا فكيف يسيغ العقل أو يسمح بالترويج لعقائد وهمية عارية عن كلّ تحقيق، تكبّل الفكر وتشلّ نبوغ المجتمع وتتخلّف به عن سيرة التقدّم وتصيبه بالضرر؟! أنّ العقائد الباطلة الضارّة نوع من الأمراض النفسية، والأمراض العقائدية أشدّ خَطراً وتفاقماً من الأمراض الجسمية، فإذا كان العقل لا يسمح لمريض أن يتنقّل بمرضه الجسماني بين المجتمع حذر تفشّي العدوى فكيف يسمح بحرّية تنقّل الأمراض النفسية؟!

## الاعتقاد بالرقّ

«الرّق أمر ذاتي في المستضعفين من الناس» عقيدة تُنسب إلى أرسطو حيث قال في كتابه «السياسة»:

> إنّ الطبيعة هي التي خَلقت العبد، وإنّ البرابرة والشّعوب غير المتحضّرة خُلقت مبدئيًّا لأجل الانقياد والخدمة، وقد خُلق اليونان للزعامة والحرية.[١]

ويقول ويل ديورانت:

> أصبحت الرّقية بعد مضي عدّة قرون عادة اجتماعية، وكان الناس ينظرون إليها بصفتها أمراً ضرورياً وفطرياً، وكان أرسطو يعتبرها أمراً طبيعياً لا مفرّ منه، كما كان الحواري بولس يقدّس نظام الرّقية ويعتبره مماشياً للمشيئة الإلهية.[٢]

ويؤيّد هذه العقيدة أرنست رونان، فباعتقاده أنّ الغربيّين هم من عنصر أرباب العمل، وأنّ الشرقيّين من عنصر العمّال، ولهذا تكثر الطبيعة من سلالة العمّال.

## الاعتقاد بوأد البنات

يقول ويل ديورانت:

> كان الناس في بعض أنحاء العالم ـ كغينيا الجديدة وجزر سليمان وفيجي والهند وغيرها ـ يخنقون المرأة ويدفنونها مع زوجها المتوفّى، أو كانوا يطلبون منها أن تقتل نفسها بعد موت زوجها كي تقوم بخدمته في الآخرة.[٣]

كما كان المشركون في زمن الرسولﷺ يعتقدون بأنّ البنت وصمة عار لأهلها،

---

١. تاريخ بردگى (بالفارسية): ص ٣٥.

٢. تاريخ تمدّن (بالفارسية) لويل دورانت: ج ١ ص ٣٢.

٣. تاريخ تمدّن (بالفارسية): ج ١ ص ٥٣.

فكانوا يئدونها وهي حيّة.

### الاعتقاد بالتغذية على الدم

يشير ويل ديورانت في حديثه عن عامل الحضارة بشكل عام إلى أنواع الأطعمة التي كان يتناولها الإنسان البدائي، ابتداءً من حساء القمّل وانتهاءً بلحم الإنسان، أمّا عن التغذية على الدم، فكتب يقول:

> إنّ دم الإنسان يُعدّ في الوقت الحاضر طعاماً لذيذاً جدّاً بالنسبة للكثير من القبائل... والكثير من هؤلاء أُناس بُسطاء ذوو خصال حسنة، ولكنّهم رغم ذلك يقومون في بعض الأحيان بشرب دم الإنسان بصفته دواء، وفي أحيان أُخرى يشربونه وفاءً للنذر أو تنفيذاً لفريضة دينية، والاعتقاد السائد بينهم هو أنّه حينما يشرب شخص من دم شخص آخر تنتقل قدرته إليه.[١]

وما ذكرناه ليس إلّا نموذجاً للآلاف المؤلّفة من العقائد الوهمية الفاسدة السائدة في مختلف المجتمعات في العالم، بحيث لو أُريد تأليف كتاب عن العقائد الخرافية الباطلة لبلغت مجلّداته العشرات.

فهل يرى العقل لزوم منح الأفراد حرّياتهم في نشر هذه العقائد الخطرة أو غيرها ممّا هو أخطر منها، والذي يروّج له الاستكبار العالمي اليوم من أجل امتصاص دماء الشعوب ونهب ثرواتها واستعباد الإنسان عن طريق الرقّ والنخاسة الحديثة؟

### الإسلام وحرّية العقيدة

كنّا نتحدّث حتّى الآن عن حرّية العقيدة في نظر العقل، وقد وصلنا بالإجمال إلى أنَّ حرّية العقيدة بمعنى حرّية الإنسان في اختيار العقيدة لا يتّفق مع العقل، وأنّها بمعنى حرّيته في التظاهر بعقيدته ونشرها، فذلك حقّ طبيعي، وأمّا بمعنى حرّية

---

١. تاريخ تمدّن (بالفارسية): ج ١ ص ١٨ ـ ١٩.

الإنسان في الترويج للمعتقدات الوهمية الضارّة وتبليغها في المجتمع فهذا ما يؤكّد العقل منعه بتاتاً.

والآن، فما رأي الإسلام في حرّية العقيدة؟

وجوابه الاجمالي هو: إنّ رأي الإسلام إلى حرّية العقيدة هو نظر العقل إليها عينه، وأمّا تفصيل هذا الإجمال فيقتضي دراسة رأي الإسلام بالنسبة لكلّ معنىً من معاني حرّية العقيدة على حدة.

## حرّية اختيار العقيدة في رأي الإسلام

سبق أن قلنا لدى بيان رأي العقل في حرّية اختيار العقيدة: إنَّ معتقدات الإنسان ليست خاضعةً لإرادته حتّى يعتقد بشيء أو لايعتقد به، وقلنا أيضاً: إنَّ العقيدة ليست كاللباس للإنسان خياره في انتقائه، ومتى ماشاء بدّله، أو يُضطَرّ على غير هوى منه إلى تبديله، وإنّما العقيدة كالحبّ، لا تتغيّر إلّا إذا تغيّر منشأها.

فالعقيدة إذاً ليست أمراً اختيارياً حتّى يتمّ البحث عن حرّية الاختيار في الإسلام، ومن ثَمَّ حينما جاءت طائفة من بني أسد إلى النبيّ ﷺ عندما أصابهم الجفاف وأعلنت إسلامها غير مؤمنين بالعقيدة الإسلامية بل لدوافع مادّية ألجأتها إلى هذا الاختيار[1] نزلت الآية الكريمة وهي قوله تعالى:

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾.[2]

والإسلام هو الإفصاح عن الإيمان بالمعتقدات الإسلامية، والإيمان هو اعتقاد القلب بتلك العقائد وأمّا الإفصاح عن الرأي فيخضع لإرادة الإنسان، ولكن اعتقاد القلب ليس كذلك. وعليه، يمكن للإنسان أن يتظاهر بعقيدةٍ مّا لدوافع مختلفة، وأمّا

---

١. راجع: مجمع البيان: ج ٩ ص ٢٠٧.

٢. الحجرات: ١٤.

الاعتقاد فهو من شأن القلب، وهناك فقط عندما تَخْتَمِرُ الروح بالعقائد الإسلامية يمكن للإنسان أن يدّعي الإيمان.

## حرّية التظاهر بالعقيدة في رأي الإسلام

إنّ التروّي في القرآن والأحاديث الإسلامية وكذلك التاريخ الإسلامي يدلّ بأنّ الإسلام يعترف بحرّية التعبير عن العقيدة والتظاهر بها اعترافاً رسمياً، ولا دين يولي هذه الحرّية ما يوليها الإسلام من الاحترام.

فإنّ الإسلام لا يكتفي بالاعتراف بالحرّية في إظهار العقيدة فحسب، وإنّما يرشد القرآن الكريم الناس إلى ضرورة استماع الأقوال المختلفة والآراء والعقائد المتباينة، ونقدها ودراستها بفكر حرّ، حتّى إذا ما استقرَّ التحقيق بهم على أفضل الكلام وأحكمه اختاروه واتّخذوه مقياساً للعمل، وبعبارة أُخرى: إنَّ من تعاليم القرآن هو أن يتخذ الإنسان من حرية الرأي طريقاً لتكامل العقائد الصحيحة واختيار أفضلها، قال عزّ من قائل:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾.[1]

إنّ الحرّية في الإسلام لا تقتصر على إظهار العقيدة، فالإنسان حرٌّ في إبداء الرأي حتّى وإن كان مخالفاً لما يعتقده ويؤمن به، وعلى الرغم من أنّ الإسلام يستهجن هذا العمل ويستوجب له العقوبة الأُخروية، إلّا أنّه لا يجبره بالقوّة مطلقاً على الاعتراف بما يراه حقاً.

وفي القرآن آيات عديدة تنصُّ صراحةً على أنّه لا إكراه في الإيمان، وأنّ النبيّ ﷺ ليس مكلّفاً بإرغام الناس على الإيمان عنوةً.

---

١. الزمر: ١٧ و ١٨.

**ما الإيمان؟**

الإيمان هو التصديق الذي يصطحبه الإقرار والعمل بمقتضاه، فالإقرار بالعقائد الإسلامية دون الاعتقاد القلبي بها ليس إيماناً[١]، كما أنّ الاعتقاد القلبي دون الإقرار العملي ليس إيماناً أيضاً، ومن ثَمّ، لم يكن فرعون مؤمناً لأنّه وإن كان على يقين من حقّانية موسى عليه السلام فيما يقوله مؤمناً برسالة موسى إيماناً قلبياً ولكنّه لم يقرّ بوحدانية الله تعالى ونبوّة موسى عليه السلام بدافع اللجاجة والاستكبار[٢]، حتّى إذا ما أشرف على الغرق اضطرّ إلى الاعتراف بالتوحيد والرسالة، فقال:

﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.[٣]

فكان فرعون مؤمناً بقلبه لكنه لم يقرّ بلسانه إلّا تحت رهبة الغرق والموت، وحينذاك أقرّ فصار مؤمناً، إلّا أنّه إيمانٌ اضطراريّ تمّ بالإجبار.

وعليه، فللإيمان ركنان: الاعتقاد القلبي، والإقرار العملي.

فالركن الأول ليس في اختيار الإنسان، فلا يستطيع أن يؤمن أو لايؤمن على هواه.

أمّا الركن الآخر فله الخيار فيه، ويمكنه أن يعترف بما آمن به وأن يعمل بمقتضاه، أو لايعترف به عملياً.

ومادام الاعتقاد القلبي ـ وهو الركن الأول للإيمان ـ لا يخضع لإرادة الإنسان واختياره فلا يصح الإجبار عليه، أي أنّه لايمكن تغيير عقيدة بممارسة القوّة على المعتقد، أمّا الركن الثاني للإيمان ـ وهو الإقرار العملي الخاضع لإرادة الإنسان واختياره ـ فيصح الإجبار عليه، فيمكن أن يُجبر شخص على الاعتراف بعقائده اعترافاً عملياً، أو على العمل بما يخالفها.

---

١. راجع: ميزان الحكمة، باب ٢٥٥.

٢. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا﴾ (النمل: ١٤).

٣. يونس: ٩٠.

وبعد أن تحدّد معنى الإيمان ينبغي ألّا تفوتنا الإشارة إلى أنّ المراد من الإجبار في قولنا: لا إجبار في الإيمان هو الإجبار في الركن الثاني من ركني الإيمان؛ لأنّ الإجبار كما أسلفنا لا يسري إلى الركن الأوّل.

فلو قال أحدٌ بأنّه يعتقد أنّ الله تعالى خالق الكون ولا إلهَ إلّا هو وجب عليه أن يعلم الدليل على ذلك، ولو قال إنّه يعتقد أنَّ محمداًﷺ رسول لله وجب عليه أن يعلم لماذا كان محمدٌ رسول الله، ولو قال إنّه يعتقد أنّ الإنسان يحيا بعد موته يوم القيامة للحساب على أعماله وجب عليه أن يعرف الدليل على ذلك، فإذا جهل الدليل ولم يعرفه أو ألقى اللوم على الوالدين أو المعلّم لأنّهم هكذا قالوا! لن يقبل الإسلام عذره، ويقطع الإسلام بأنّ العقائد يجب أن تكون تحقيقية لا تقليدية، وأنّ على كلّ إنسان أن يحكم في مسائله العقائدية الأساسية بنفسه دون غيره، فأحكام غيره وآراؤه لاتجديه نفعاً.

بل إنّ الإسلام لايرغم الإنسان حتّى على الاعتراف بمعتقداته، وعلى هذا فالمراد من قولنا: لا إجبار في الإيمان، هو أنّ الإسلام لايرغم أحداً على الاعتراف بالعقائد الإسلامية دون إيمان بها، كما لا يقبل اعترافاً تقليدياً غفلاً من التحقيق والتفكير والعلم، بل إنّه ليعتبر ـ حتّى أُولئك الذين يؤمنون بعقائده ولدوافع مختلفة لا يعترفون بها عملياً ـ أنّهم أحرار، ولا يحقّ للمسلمين إرغامهم على الاعتراف العملي بها عنوة، يقول سبحانه في محكم كتابه:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾.[1]

وهذه الآية مضافاً إلى رفضها الصريح للإكراه على العقائد الدينية فقد قدّمت الدليل صراحةً على حرّية الإنسان في الاعتراف العملي بما يعتقده حقًّا، حيث قالت في البداية: إنّ قبول العقائد الإسلامية والاعتراف العملي بها ليس إجبارياً، وللناس

---

١. البقرة: ٢٥٦.

الحرّية في اعتناق الإسلام: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ ثُمَّ أردفت مباشرةً بتقديم الدليل الكافل لهذه الحرّية بأنّ الطريق واضح، فإمّا الهدى وإمّا الضلال: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾.

إنّ الدين، برنامج وطريق لتكامل الإنسان، وحتّى ينفذ الإنسان هذا البرنامج ويطوي هذا الطريق ينبغي له إمّا أن يكون عالماً بالطريق فيمكنه أن يطويه بإرادة وحرّية، وإمّا أن يُساقَ في هذا الطريق إجباراً.

وفي نظر القرآن الكريم أنّه إذا ما توضّحت معالم الطريق لتكامل الإنسان فغير منطقي أن يكون الدين إجبارياً، فمجرّد الدليل في حدّ ذاته يقتضي حرّية الإنسان في اختيار طريق تكامله. فالتكامل أمر اختياري، والإنسان إذا ما أدرك الحكمة في خلقه اختار الطريق الصحيح بملء حرّيته واختياره ليس إلّا، فإذا ما وضح الطريق الصحيح وأساء الإنسان الاستفادة من حرّيته وانحرف عن الطريق الذي يتيقّن صحّته، إلى طريق يتيقّن خطأه فقد انتفى هنا معنى الإجبار، فليترك ليتردّى وينال جزاء اختياره.

والنقطة التي تسترعي النظر هنا ولم يسبق من نوّهَ إليها ـ فيما اطّلع عليه الراقم ـ أنّ الدليل الذي تقدّمه هذه الآية الكريمة: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ على حرّية الناس في اعتناق الإسلام، بل وجميع الآيات التي تتعرّض لمسألة الإكراه والإجبار تفيدنا بأنّ الكلام عن أُولئك الذين تبيّن لهم الرشد من الغيّ فميّزوا بينهما وفهموا حقّانية الإسلام حقّ فهمها وأدركوا عقائد الإسلام كما ينبغي لها، إلّا أنّهم ـ لمختلف الدواعي ـ ليسوا على استعداد للاعتراف بما صدّقوا! ومع ذلك فإنّ القرآن يصرّح بأنّه لايحقّ لأحد أن يجبرهم على الاعتراف بالقوّة!

ومن الآيات الأُخرى التي ترفض الإكراه على الإيمان بالعقائد الإسلامية قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ

يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾.[١]

وقد روى الإمام الرضاعليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أميرالمؤمنين عليه السلام في شأن نزول هذه الآية:

**إنّ المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: لو أكرهت يارسول الله من قدرت عليه من الناس على الإسلام لكثر عددنا وقوينا على عدوّنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَاكُنتُ لِأَلقَى اللهَ عزّوجلّ بِبِدعَةٍ لَم يُحدِث إلَيَّ فيها شَيئاً ومَا أنَا مِنَ المُتَكَلِّفينَ. فأنزل الله تبارك وتعالى: يا مُحَمَّدُ ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾. على سبيل الإلجاء والاضطرار في الدنيا، كما يؤمنون عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقوا مني ثواباً ولا مدحاً، لكنّي أُريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرين؛ ليستحقّوا منّي الزلفى والكرامة ودوام الخلود في جنّة الخلد.[٢]**

وخلاصة القول في مفاد هذه الآية الكريمة وعلى ضوء شأن نزولها هو أنّ الإنسان قد خُلِقَ في نظام الخَلْقِ حُرّاً كي يكون تكامله وانحطاطه حسب اختياره شخصياً، ويكون للثواب والعقاب الأُخروي معناه. وعليه، لا يجوز فرض الإيمان على الإنسان؛ لأنّ ذلك يتنافى مع الحكمة من خلقه، وليس للأنبياء أن يعملوا خلافاً لسنّة الخلق والمشيئة الإلهية وإن كان ذلك سبباً لقوّة الحكومة الإسلامية وضعف أعدائها.

وثالثةٌ من الآيات التي تنفي صراحة إجبار الإنسان على الإيمان أو فرضه عليه قوله سبحانه، حيث يوجّه الخطاب فيها إلى نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله:

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾.[٣]

---

١. يونس: ٩٩.

٢. التوحيد: ص ٣٤١ ح ١١.

٣. الغاشية: ٢١ و ٢٢.

يعني أنّ مهمَّة الرسول هو التذكير والتوعية وتبليغ الرسالة السماوية والهداية إلى سواء السبيل، وأنّ الناس هم الذين يجب عليهم التصميم واختيار الطريق القويم، فالنبيّ لم يسلَّط من جانب الله على الخلق حتّى يفرض عليهم الإيمان عنوةً، فمهمّة الأنبياء بيان العقيدة، لا فرضها.

والآية الرابعة في هذا المجال قول اللهﷻ حيث يخاطب نبيّهﷺ:

﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.[١]

وتوضّحُ هذه الآية عن أنّ النبيّﷺ كان كلَّما شاهد الناس مُقْمَحَةً أعناقهم إلى الأذقان في أغلال العقائد الباطلة الضارّة نال منه الأسى وعضَّه الألم، ولم يدّخر وسعاً لتحريرهم بأيٍّ وسيلة، حتّى إذا ما رأى أنّ مساعيه الدائبة لا تُجدي نفعاً لعتق عدد منهم؛ برَّح به الألم حتّى أعيا جسمه عن تحمّل الآلام، فكان لابدّ من تدارك الله فيلطّف حدّة الآلام التي نفّست عن شدّة رأفة النبيّﷺ بالناس ورحمته بهم.

وهكذا كانت الآيات الآنفة الذكر نوعاً من الترويح لخاطر النبيّﷺ على أنّ أساس مسؤوليته منحصرة في إبلاغ رسالات ربّه والتذكير بها، وهي لاتتعدّى إلى الإجبار وفرض الإيمان على الناس، وأنّه قد أدّى مهمّته دونما تقصير، ولو أنّ الله أراد أن يجبر الناس على الإيمان لتصرّف بشكل آخر.

وهذا الذي استنبطناه من الآيات المذكورة يطالعنا بصورة أكثر وضوحاً في آياتٍ اُخرى، من جملتها قوله تعالى:

﴿لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ * إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾.[٢]

وكذلك قوله سبحانه:

---

١. ق: ٤٥.

٢. الشعراء: ٣ و ٤.

﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفاً ۞ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.[١]

فهذه الآيات تدلّ بوضوح على أن النبيّ ﷺ كان يعاني غُصَصاً من تردّي الناس في أصفاد العقائد الوهمية وكراهتهم للحرّية وتقبّل العقائد الصحيحة، كادت لشدّة حزنه أن تودي بحياته، وما يستلفت النظر في الآيات الأخيرة التي نزلت تسلية لخاطر النبيّ وسلواناً لمواساته ﷺ أنّ الإشارة في الآية الثالثة من سورة الشعراء إلى عدم الإكراه في الإيمان، كما أشارت الآية السادسة من سورة الكهف إلى الحكمة في الحرّية، وأنها اختبار للإنسان وتكامله.

### مكافحة العقائد الموهومة في الإسلام

ربّما يستنتج ممّا سلف عن حرّية العقيدة وحرّية التعبير عنها أنّ الإسلام لا يسمح باتّخاذ أيّ إجراء من أجل مكافحة العقائد الواهية وتصحيح المعتقدات المجانِفة للصواب، وما دامت عقائد الإنسان تابعة لمبادئه الخاصّة وخارجة عن اختياره وأنّ الكلّ أحرار في الإفصاح عن معتقداتهم، وأنّه لا يجوز فرض الإيمان حتّى على أُولئك الذين أيقنوا صوابَه؛ فلا معنى إذاً لمكافحة العقائد الموهومة!

لكن لو تأمّلنا قليلاً اتّضح أنّ هذا الاستنتاج ما هو إلّا وهمٌ وتصوّر، لأن عدم الخيار في العقيدة لا يتنافى وتصحيح العقائد الخاطئة، كما أنّ حرّية الإعلان والتظاهر بالعقيدة لا تنفي مكافحة الأوهام والخرافات العقائدية مكافحة أساسية، بل إنّها لتهيِّئُ المجال لهذه المكافحة.

فبينما نرى الإسلام يؤيّد حرّية التظاهر بالعقيدة من حيث كونها مجالاً لتكامل الإنسان، نراه يؤكّد ضرورة مكافحة العقائد الموهومة، من حيث كونها باعثاً على تحرير الفكر من قيود المعتقدات الخرافية الباطلة، ويتنبّأُ بالنصر النهائي في هذا

---

١. الكهف: ٦ و ٧.

الكفاح، ويؤمن بمجيء يوم مع مستقبل التاريخ، يتحرّر فيه المجتمع البشري قاطبةً من قيود المعتقدات الباطلة، وذلك يوم يهيمن الإسلام على العالم أجمع.[١]

وأمّا دليل الإسلام على ضرورة مكافحة المعتقدات الباطلة فهو نفس الدليل الذي يقيمه العقل لنفس الضرورة، والطريق الذي يعيّنه الإسلام لتصحيح العقائد الفاسدة هو عين الطريق الذي يحدّده العقل.

فالإسلام لايسمح مطلقاً للعقائد الباطلة غير الواقعية بأن تؤثّر على شاكلة الإنسان وهيئته الباطنية الواقعية والتي هي مصدر أعماله ومنشأ تصرّفاته، فتبتني على أُسس مغلوطة غير علمية، أو أنّها تبقى على ما هي عليه من غلط إن كانت هذه الأُسس قد بنيت من قبل.

والإسلام لا يسمح مطلقاً للعقائد المناقضة للعقل التي من شأنها أن تكبّل فكر الإنسان بأن تطعّم روحه ببراعمها، فإن كانت قد طُعِّمت فلا يسمح لها أن تبقى أسيرة في أغلال العقائد الموهومة.

### طريقة الإسلام في مكافحة العقائد الباطلة

إنّ الطريق الذي عيّنه الإسلام لمكافحة المعتقدات الباطلة ـ كما سبق أن أشرنا إليه ـ هو نفس الطريق الذي حدّده العقل لذلك، ولبيان ذلك يمكننا أن نقسم طريقة هذا الكفاح إلى قسمين:

القسم الأول: طريقة الإسلام في إزالة العقائد الباطلة وتبرئة أذهان عامّة الناس منها.

القسم الآخر: طريقته في مواجهة العراقيل التي تقف حَجر عثرة في طريق حرّية التعبير عن العقيدة وازدهار المعتقدات الصحيحة بين المجتمع.

فأمّا الطريقة الأُولى فتتمّ بالكفاح الإعلامي والتبليغ، وأمّا الطريقة الأُخرى، فتتمّ

---

١. قال عزّ من قائل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ﴾ (الفتح: ٢٨).

بالكفاح المسلّح.

### الكفاح الإعلامي ضدّ المعتقدات الباطلة

طريقة الإسلام ومنهجه في مكافحة العقائد الباطلة والقضاء على المعتقدات الفاسدة في أذهان الناس ودعوتهم كافّةً لاعتناق العقائد الصحيحة المطابقة للحقيقة هي الاعتماد أولاً وقبل كلّ شيء على الدليل والبرهان والنصيحة والموعظة والمناظرة والنقاش الحرّ، وبتعبير آخر: الكفاح الإعلامي، أو التبليغ.

والآية الآتية توضّح هذه الطريقة أو الأُسلوب بصورة واضحة، حيث يوجّه الله سبحانه وتعالى تعليماته في هذا الصدد إلى النبيّ ﷺ بقوله:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.[1]

فالقرآن الكريم ينصّ في هذه الآية على الأساليب المنطقية لتطهير أذهان الناس من العقائد الباطلة، ويأمر النبيّ ﷺ أن يوظّف هذه الأساليب في دعوة الناس إلى الإسلام وعقائده، وهذه الأساليب هي:

#### ١. الحكمة

إنّ أول الأساليب العملية لمكافحة المعتقدات الباطلة في الإسلام هو إقامة الدليل والبرهان والاستدلالات العقلية، أو كما عبّر القرآن «الحكمة».

ومعنى «الحكمة» ـ كما جاء في مفردات ألفاظ القرآن ـ هو إصابة الحقّ بالعِلْمِ والعقل،[2] وبعبارة أُخرى: الحكمة عبارة عن كشف الحقائق بواسطة الاستدلال العلمي والعقلي،[3] والإسلام يقدّم دائماً الدليل والبرهان لإثبات دعاويه، ويطالب

---

١. النحل: ١٢٥.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ص ٢٤٩.

٣. راجع: موسوعة العقائد الإسلامية: ج ٢ ص ٧٣ «تحقيق في معنى الحكمة وأقسامها».

المخالفين بأدلّتهم وبراهينهم.[١]

**٢. الموعظة**

وهي الأُسلوب العمليّ الثاني الّذي يستخدمه الإسلام في مكافحة العقائد الباطلة إلى جوار الدليل والبرهان. وهي عبارة عن أقوال تعليمية تثير عواطف السامع وتحفزها على قبول الحقّ. وعليه، فالحكمة عن طريق العقل، والموعظة عن طريق العاطفة والمشاعر الباطنية تدعوان الإنسان إلى تحطيم قيود المعتقدات الباطلة.

وممّا يلفت النظر في الآية الكريمة أنّ «الموعظة» قد قيّدت بوصفها «حسنة»، وهذا إشارة إلى أنّ الموعظة أو النصيحة لها أثرها في تحريك العواطف والمشاعر الباطنية لقبول الحقّ إذا كانت خالية من أيّ نوع من الكراهة ـ كالفظاظة والتعالي والإهانة ـ وكانت موائمة لليسر والجمال، وجميع أنواع الجمال من لطافة الكلام وحسن اللقاء ونزاهة الدافع وملاحة القائل وما إلى ذلك لها أثرها الفعّال في نفاذ الموعظة إلى مكامن النفس، على أنّ الأهمّ من هذا كلّه أن يكون الواعظ متّعظاً بما يقول عاملاً به، فأقبح العظات عظة الواعظ غير المتّعظ.

وعليه، فكلّما ازدادت الموعظة حُسناً ازداد أثرها في نفس السامع، وما أكثر ما كانت العظات الحسنة أبلغ أثراً ـ في نفوس عامّة الناس وجذبهم إلى العقائد الصحيحة والأعمال الصالحة ـ من الدليل والبرهان.

أمّا المواعظ غير الحسنة فإنها لا تقتصر على كونها عديمة التأثير بل لها ردّ فعلٍ عكسي يؤدّي بالإنسان إلى إنكار ما آمن به بالدليل والبرهان.

**٣. المناظرة**

وهي ثالثة الأساليب العملية في منهاج الإسلام لمكافحة العقائد غير العلمية جنباً

---

١. قال تعالى: ﴿هَاتُوا بُرْهَـٰنَكُمْ﴾، البقرة: ١١١، الأنبياء: ٢٤، النمل: ٦٤، القصص: ٧٥.

إلى جنب مع ما سبق، وهي ما عبّر عنها القرآن بألفاظٍ كالجدال والمراء.

والجدال والمراء أو المناظرة عبارة عن البحث والحوار حول الفكرة على سبيل المنازعة والمغالبة، أو بعبارة أُخرى: مصارعة الأفكار على مسرح البحث والحوار.

وللقرآن في مخض الفكر بالمناظرة ـ الأمر الذي يستوجب بيان الحقائق وتجلّي المعتقدات الصحيحة ـ تعبيران:

الأول: ما ورد فيالآية المعنيّة: الجدال بالتي هي أحسن.[١] والآخر: المراء الظاهر.[٢]

فـ«الجدال بالتي هي أحسن» يعني ممارسة أسلم الطرق وأليق الأساليب في المناظرة، حتّى يتجلّى الحقّ، و«المراء الظاهر» هو الإفادة من الأدلّة التي ثبت حجّيتها وظهرت قاطعيتها وأيقن بها الجميع، والتي من شأنها أن تُفحم الطرف المقابل وتلقمه حجراً.

والإسلام ـ وهو رسالة أنبياء الله جميعاً ـ هو الواضع الأول لمنهاج النقاش الحرّ والمناظرة، والنبيّ ﷺ ـ وهو أعظم رسول إلهي ـ هو الذي أعلن لأول مرّة منهاج النقاش الحرّ والمناظرة وتلاقي الأفكار السليمة في عصر كانت الغلبة فيه للقوّة والمال، وعلى هذا الغرار كان هو وعلماء أهل بيته هم الطليعة البارزة في هذا المجال، ومن ثَمّ اختصّ قسم ملحوظ من كتب الحديث بمناظرات النبيّ ﷺ والأئمّة من أهل بيته عليهم السلام.[٣]

والجدير بالملاحظة هنا هو أنّ أُسلوب الإسلام للقضاء على المعتقدات غير

---

١. كما في قوله سبحانه: ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥) وقوله تعالى: ﴿وَلَاتُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

٢. وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَاتُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا﴾ (الكهف: ٢٢).

٣. راجع: كتاب الحوار بين الحضارات في الكتاب والسنّة.

العلميّة أُسلوبٌ علميٌّ منطقيٌّ تماماً، فلم يلجأ ولا يلجأ إلى السيف لهذا الغرض بتاتاً، فكان أُسلوب الرسولﷺ في الدعوة ـ بناءً على تعليمات القرآن ـ مبتنياً على إقامة الأدلّة والبراهين وبذل المواعظ والنصائح والمناظرة بالتي هي أحسن، وكانﷺ يُعلن صراحةً بأنّ أُسلوبه وأُسلوب من اتّبعه لدعوة الناس إلى الإيمان بالله واعتناق الإسلام يستند إلى العلم والبصيرة:

﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾.[1]

وعليه، فإنّ من عدم الإنصاف أن يقال: إنّ الإسلام قد فُرِضَ على الناس بالقوّة، ولا سيّما إذا كان هذا الافتراء قد صدر من جانب أُناسٍ قد سوّدت جرائمهم وجه التاريخ في محاكم التفتيش.

أجل، إنّ الإسلام لايلجأ إلى قوّة السلاح لفرض عقائده وإنّما يلجأ إلى تحطيم الموانع والعقبات التي تحول دون انتشار العقائد الصحيحة وازدهارها.

### الكفاح من أجل حرّية الفكر

عندما لا يجدي الدليل والبرهان والمناظرة والموعظة نفعاً لايرى الإسلام مندوحةً إلّا مقابلة الموانع والسدود الّتي تقف أمام طريق حرّية الفكر، بالكفاح المسلّح والحرب.[2]

وهذه الموانع تتمثّل في النُّظُم الفاسدة والتقاليد الخرافية التي تسلب الناس قدرتهم على التفكير والتشخيص، وبالتالي على اختيار العقائد الصحيحة.

إنّ النُّظُم الفاسدة المتهرّئة والقدرات الطاغية الجائرة التي تتغذّىٰ وتنمو على جهل الناس وترى في وعيهم صورة واقعية لسقوطهم من أريكة الاقتدار لايمكنها أن تسمح بإعلان الحقائق للناس كما هي، ومن هنا كانت هذه النُّظُم في حقيقتها

---

١. يوسف: ١٠٨.

٢. راجع: موسوعة العقائد الإسلامية: ج ١ ص ٢٦ «عظة بالغة قيّمة».

سدّاً في طريق المعتقدات الصحيحة، أو كما وصفها القرآن بأنّها تصدّ عن سبيل الله.

فالإسلام بعد أن يُتمّ الحجّة على هذه النُظُم يواجهها بالقوّة، حتّى يزيل العقبات المانعة لحرّية الفكر، ويفسح الطريق للوعي ونماء العقائد الصحيحة.

ونحن نشاهد أنّ النبيّ ﷺ في مواجهته للقُدرات المناوئة كان يتوسّل بالدليل والبرهان كخطوة أُولى في مناظرته، ثمّ المباهلة كخطوة ثانية وهي تحكيم الله والاحتكام إليه، فإذا لم تفلح المناظرة أو المباهلة فالحرب والقتال في ميادين الوغىٰ هي الخطوة الأخيرة لإزالة السدود عن طريق الوعي وحرّية الفكر، وما المناظرة والمباهلة إلّا إتمام الحجّة على المعاندين.

مضافاً إلى النُظُم المتعفّنة قد تقوم السُنن والتقاليد المهيمنة على مجتمع من المجتمعات أحياناً بمثابة السدّ في طريق حرّية الفكر، مثل: عبادة الأوثان، وعبادة البقر، وعبادة النار، والعشرات بل المئات من العقائد الأُخرى المنافية للعقل، التي لو تأمّلها الإنسان بفكر حرّ لم يلبث حتّى يُدرك أنّها عقائد وهمية دونما أدنىٰ شكّ، إلّا أنّ السُنن والعادات الموروثة العمياء التي تطوّق أرواح المعتقدين وكأنّها الأغلال استبدّت بالفكر، لا تتيح للإنسان فرصة التفكّر والتعقّل، وعلى حدّ قول الأُستاذ الشهيد العلّامة المطهّري:

في البداية يظهر أصحاب المصالح الاستغلاليون، ويحاولون تأسيس نظام، وهذا النظام يحتاج بدون شكّ إلى مرتكز عقائدي، فالمؤسّس يعلم ذاتياً ما هو صانع، يعلم أنّه يخون ويعرف خيانته، فهو يروّج بين الناس لفكرة أو صنم أو بقرة أو ثعبان، فينخدع به جمعٌ منهم دون أن تتعلّق قلوبهم به، وتمضي عدّة أعوام، فيولد لهذه الجماعة أطفال يتربّون في أحضانهم يشاهدون أعمالهم ثمّ يبدؤون بالسير على خُطى الآباء وهكذا يمضي نسل بعد نسل وتصير لهذه العقيدة خلفية تاريخية وتصير من المآثر الوطنية، ولا يمكن عزلها عن أفراد المجتمع.

ومثلها كمثل الجِصّ الليّن يمكن تشكيله في أيّ شكل من الأشكال حتّى يستقر

على شكل وقالب معيّن، فيجف تدريجياً ويتصلّب أكثر فأكثر كلّما ازداد جفافاً حتّى يصل من الصلابة إلى حدّ يعجز المعوَل عن هدمه. والسؤال: أيجب أن يكافح هؤلاء أم لا؟ أتشمل حرّية الفكر التي ندعو إليها هذه الفكرة والعقيدة؟ هذه المغالطة تعمُّ العالم اليوم، حيث يقولون من جهة بضرورة حرّية عقل الإنسان وفكره، ومن جهة اُخرى يدعون إلى ضرورة حرّية العقيدة أيضا. فهل يجوز أن يكون عبَدة الأصنام والبقر والثعابين و... أحراراً في عقائدهم، في حين أنّ هذه العقائد مضادّة لحرّية الفكر مقيّدة لها؟![1]

هذه المعتقدات الخرافية الباطلة التي ترسّبت في الأذهان طوال القرون المتمادية لايمكن إزالتها بالأساليب المبدئية، ولذا فإنّ الإسلام يوصي باستخدام القوّة لإبادة كلّ ما من شأنه عرقلة حرّية الفكر ويحول دون تحرّر المجتمع من العادات والتقاليد البائدة ورواسب الثقافات المتردّية. بيدَ أنّه ـ وكما ذكرنا سابقاً ـ لايمكن استخدام القوّة العسكرية في مواجهة تلك المعتقدات مباشرةً، فلهذا يوصي الإسلام باديءَ ذي بَدء بضرب المعالم والآثار الاجتماعية لتلك المعتقدات والتقاليد المذمومة. فلأجل مكافحة عبادة الأصنام مثلاً لابدّ من هدم معابد الوثنيّين مثلما فعل النبيّ إبراهيم، ولمكافحة عبادة البقر يجب رمي عجل السامري في النار كما فعل النبيّ موسى.

لقد كان النبيّ إبراهيم أول من كشف سرّ الخلق في زمانه وأصاب الرؤية الكونية الحقيقية بفكر طليق،[2] وكان يتصدّى لقومٍ يعيشون في الأوهام، قد قيّدت المعتقدات الباطلة أذهانهم، فهم محرومون من أيسر تفكير وتعقّل؛ وقد حاول إنقاذهم عن طريق الاستدلال والنصح فلم يفلح، الأمر الذي حداه إلى البرهنة العملية على أنّ الآلهة التي كانوا يعبدونها والتي هي من صنع أيديهم لا يمكن أن

---

١. من كلمة ألقاها الشهيد المطهّري في حسينية الإرشاد في خريف عام ١٣٤٨ هـ ش تحت عنوان «حرّية العقيدة» (راجع: سلسلة مقالات پيرامون جمهورى اسلامى (بالفارسية): ص ٩٨ ـ ٩٩.

٢. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام: ٧٥).

تكون الإله الحقيقي.

حتّى كان أحد الأيّام وخرج الناس من المدينة لأداء مراسم عيد خاصّ بهم، فاستغلّ إبراهيمﷺ الفرصة ودخل معبد الأوثان وحمل عليها بالفأس وهشّمها إلّا واحداً، هو كبيرها، وعلّق الفأس على رقبته وخرج من المعبد. وكانﷺ يهدف من وراء ذلك إلقاء التهمة على عاتق هذا الوثن الأكبر بأنّه هو الذي هشّم الأوثان الأُخرى، وبذلك يخلّص أذهان الناس من المعتقدات الخرافية ويحرّر أفكارهم.

فلمّا عاد الناس بعد احتفال العيد إلى المدينة شاع الخبر بأنّ المعبد قد خُرّب، والأصنام قد اقتتلت وقتل بعضها بعضاً، فدخلوا المعبد وشاهدوا الأصنام جميعاً جذاذاً، ولم يبق إلّا الصنم الكبير والفأس على رقبته.

إنّ هذا المشهد لا يدلّ إلّا على أنّ الصنم الكبير هو المتّهم لاغيره، إلّا أنّهم كانوا يدركون بشعورهم الفطري أنّه لا يمكن لمجموعة من الكائنات غير الحية العديمة الشعور أن تدخل في نزاع معاً، فسارعوا في البحث عن الشخص الذي يمكن صدور مثل هذا الحادث عنه، وهو النبيّ إبراهيمﷺ، فلطالما انتقد عبادة الأوثان وسبق أن هدّد بتحطيمها، فألقوا القبض عليه بتهمة قتل آلهتهم! وشرعوا في محاكمته على مرأىً من الملأ.

وقد كان أوّل سؤال وجّه إليه، هو:

﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰإِبْرَٰهِيمُ﴾.[١]

فأجابﷺ بما يستهدف إحياء ضمائرهم الميّتة قائلاً:

﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾.[٢]

ولقد مهّد هذا الجواب السبيل للتعقّل والتفكير رويداً رويداً، وبات القوم يعلمون خطأ ما كانوا يعتقدون به، وأصبحوا يلومون أنفسهم في ضمائرهم على هذا الظلم

---

١ و ٢. الأنبياء: ٦٢ و٦٣.

العقائدي، وبالتالي اعترفوا بخجل بأن آلهتهم غير قادرة على التكلّم.

وبهذا ـ أي بعدما انحلَّت عقدة المعتقدات الباطلة وتحطّمت سلاسل التقاليد الضالّة ـ تأكّد لإبراهيمعليه السلام أنّ الفرصة سانحة للقيام بالكفاح الإعلامي (التبليغ) فقال:

﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.[١]

إنّ ما يلفت النظر هنا هو أنّ الإسلام بعدما يحطّم الموانع ويحلّ عُقَد الأفكار المخطئة ويحرّر الذهن يقول للإنسان: الآن فكّر، لترى ماذا يحكم به العقل، فإن قال: إنّ الإسلام صائب، فاقبله واعتنقه، وإن قال: إنّ المدرسة الفلانية صحيحة، فاقبلها واتبعها، بعبارة أُخرى: إنّ الإسلام لايفكُّ غلًّا بالقوّة ليستبدله بآخر يحلّ محلّه، أو يفرض على الإنسان عقيدة أُخرى حتّى وإن كانت على أساس من العقل والفكر، بل إنّه يدعو إلى اختيار العقيدة على أساس التفكير والتحقيق حتّى ولو كانت تلك العقيدة عقيدةً إسلامية. ولو اختار الإسلام من دون أساس علمي ومن دون تحقيق و بحث فإنّه غير مرضي عنده.

بعد أن فُتحت مكّة وانصرف الناس عن عبادة الأصنام وأُعلن العفو العامّ دخل أهل الحجاز في دين الله أفواجاً، إلّا زعماء المشركين الذين كانوا يخلقون المشاكل للمسلمين، فقد باتوا يشعرون بالخطر، ممّا حداهم إلى الهرب من مكّة المكرّمة. وكان صفوان بن أُميّة أحد الهاربين إلى جدّة. فإنّه ـ فضلاً عن جرائمه الفادحة ـ كان قد قتل مسلماً انتقاماً لأبيه أُمية بن خلف الذي قُتِل على أيدي المسلمين في بدر، وذلك عندما صلَبَهُ أمامَ الناس في وضح النهار، ولهذا أهدر رسول الله صلى الله عليه وآله دمَه، فعزم علىٰ أن يخرج من الحجاز عن طريق البحر فراراً من القتل، وبخاصّة عندما علم بأنّه من جملة العشرة الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتلهم وإهدار دمِهم.

---

١. الأنبياء: ٦٦ و ٦٧.

فطَلَبَ عُمير بن وهب من رسول الله ﷺ أن يعفو عنه، فقبِلَ رسول الله ﷺ شفاعته، وأعطاه عمامته ليدخلَ بها مكّة كعلامة أمان من رسول الله ﷺ، فدخل عُمير مرتدياً عمامة رسول الله إلى جدّة واصطحب صفوان معه الى مكّة، فلمّا وقعت عينا رسول الله على كبير المجرمين، بل أكبرهم يومئذٍ، قال في جوابه لمّا سأله قائلاً «إنّ هذا عُمير بن وهب يزعم أنّك أمنتني»: لقد صدق، انزل أبا وهب.

ثمّ دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال: اجعلني بالخيار شهرين، فقال رسول الله ﷺ: أنت بالخيار مدّة أربعة أشهر. وبهذا أمهله رسول الله ﷺ أربعة أشهر كفرصة يفكّر فيها في الإسلام ودعوة النبيّ، ولم تمض الأشهر الأربعة حتّى أعلن إسلامه.[1]

ولعلّ الألطف من هذه القصّة قصّة دخول سهيل بن عمر الإسلام، قال:

لمّا دخلَ رسول الله ﷺ مكّة وظَهَرَ، دخلتُ بيتي وأغلقتُ عليَّ الباب، وأرسلتُ إلى ابني عبدالله بن سهيل أن أُطلب لي أماناً من محمّد، وإنّي لا أدخل الإسلام من أجل الأمان من القتل، وجعلت أتذكّر أثري عند محمّد وأصحابه؛ فليس أحدٌ أسوأ أثراً منّي... فذهب عبدالله بن سهيل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسوْل الله، تُؤَمِّنُهُ؟ فقال: نعم، هو آمن بأمان الله، فليخرج من داره، ثمّ قال رسول الله ﷺ لمن حوله: من لقيَ سُهيلَ بنَ عمروٍ فلا يحدُّ النظر إليه، ليخرج من بيته؛ فلعمري إنَّ سهيلاً له عقل وشرف، وما مثلُ سهيل جهِلَ الإسلام، وهو يعلم أنّ ما هو عليه غير نافع له! فخرج عبدالله إلى أبيه فأخبره بمقالة رسول الله ﷺ، فقال سهيل: كان والله بَرّاً، صغيراً وكبيراً. ولما أخذ سهيل الأمان من رسول الله أخذ يدخل ويخرج بين المسلمين بحرمة تامّة مع أنّه مشرك، وخرج إلى حنين مع النبيّ ﷺ وهو على شركه، حتّى أسْلَمَ بالجِعِرّانة.[2]

---

١. راجع: كنز العمّال: ج ١٠ ص ٥٠٤ ح ٣٠١٧٠.

٢. كنز العمّال: ج ١٠ ص ٥٠٣ ح ٣٠١٦٨ نقلاً عن الواقدي وابن عساكر و ابن سعد.

هاتان القصّتان نموذجان واضحان للسيرة العمليّة لنبيّ الإسلامﷺ في معاملة المناوئين للعقيدة الإسلامية، وهما تبرهنان عكس المزاعم التي يبثّها بعض المستشرقين للنيل من الإسلام والنبيّ الأكرمﷺ، وعليه، فإنّ المعارك والغزوات الإسلامية بناءً على تعاليم القرآن لم تكن إلّا إقداماً على تحطيم الموانع التي تحول دون حرّية الفكر ونماء المعتقدات الصحيحة.[1]

## حرّية تبليغ العقيدة في الإسلام

علمنا حتّى الآن بأنّ الإسلام لا يؤيّد حرّية الإعلان عن العقيدة فحسب، بل ويدافع عنها أيضاً، وعليه؛ أيسمحُ الإسلام لكلّ صاحب عقيدة أيًّا كانت أن يبلّغها لغيرهِ؟ هذا ما يجب أن نعرفه، وقد سبق أن أجبنا عن هذا السؤال لدى بياننا عن رأي العقل في هذا الموضوع، وقلنا: إنّ العقل لايسمح لتبليغ العقيدة بحرّية مطلقةٍ، وإنّ رأي الإسلام في هذا الصدد مطابق لرأي العقل، ولمزيد من الإيضاح، نقول:

إنّ تبليغ العقيدة تارة يعتمد طريق الاستدلال والبرهنة، والمبلِّغ يعتمد على العقل والمنطق، وتارة يعتمد أُسلوب التهريج والتحايل والتضليل.

والإعلان عن العقائد ذات الأساس العقلي في حدّ ذاته يعتبر ترويجاً وتبليغاً لها بمقدار ما تتمتّع به من العقل والمنطق والاستدلال، ومن ثَمَّ فالتبليغ بهذا المعنى منطوٍ تحت حرّية التظاهر والإعلان، وقد بَيَّنّا رأي الإسلام في هذا الخصوص بشكل وافٍ.

وأمّا التبليغ عن طريق التهريج أو خلق الأجواء وتكييفها والتحايل لنشر المعتقدات التي لا أساس لها من العقل أو المنطق، فإنّه يترك آثاراً سيّئة على المجتمع، فلا العقل يسمح به ـ كما سبق وأسلفنا ـ ولا الإسلام، يؤيّد ما لا يجيزه

---

١. لمزيد من المعلومات بهذا الخصوص راجع: مقالة «ملفّ الإسلام» من كتاب محمد خاتم پيامبران (بالفارسية): ج ٢ ص ٥٩ ـ ٧١.

العقل.

وعليه، نقطع بغاية من الإيجاز فنقول: إنّ الإعلان عن الرأي والعقيدة مسموح به في الإسلام، أمّا التهريج والشعوذة والتضليل لتفشّي المعتقدات الباطلة فهذا ما يحرّمه الإسلام.

## حرّية العقيدة في العصر الحاضر

بقي علينا في هذا الفصل أن نتناول بالحديث موضوع حرّية العقيدة في العصر الحاضر، والهدف من طرح هذا الموضوع في الأوساط الدولية عامّة، وفي أُوربّا بشكل خاصّ، وكذلك الأهداف التي يرمي إليها الاستكبار العالمي وراء تأييده ومساندته لهذه الحرّية.

يمكن القول بأنّ طرح هذا الموضوع في عصرنا الحاضر قد جاء نتيجةً لردود فعل المجتمعات إزاء محاكم التفتيش العقائدي التي كانت تخضع لسلطة أرباب الكنائس في القرون الوسطى، ممّن كانوا لايسمحون لأحد بأن يبدي رأيه خلافاً لما تقول الكنيسة، حتّى ولو لم يكن رأيه ذا صلة بالمسائل الدينية، فعلى سبيل المثال: إذا قالت الكنيسة بأنّ الشمس تدور حول الأرض ما كان لأحد الحقّ في القول بأنّ الحقيقة عكس ذلك ولو أثبت قوله بالأدلّة والبراهين، وهذا ما حصل لجاليلو، فقد حكمت عليه محكمة التفتيش العقائدي بالإعدام، الأمر الذي اضطرّه إلى إعلان التوبة.

كما حكمت المحكمة نفسها على الآلاف من العلماء بإلقائهم في النار أحياءً، وكان القسّ الإيطالي برونو من جملة أُولئك العلماء الذين حكمت عليهم المحكمة المذكورة بالحرق في النار عام ١٦٠٠ م بتهمة اعتقاده بأنّ الإنسان عندما يبلغ سِنّ الرشد تتبلور لديه عقيدة مطابقة لعقله واستنباطه حول العالم، ففي رأي المحكمة أنّ اعتقاد برونو كان دليلاً على معارضته للدين المسيحي؛ ذلك لأنّ المحكمة الآنفة الذكر كانت تعتقد بأنّه يجب على كلّ مسيحي يبلغ سنّ الرشد أن يعلن عن رأيه في

الحياة الدنيا وفق ما جاء في الكتاب المقدّس، لا حسبما يراه عقله واستنباطه، وعليه، كان برونو ـ كما ادّعت المحكمة ـ مرتدّاً عن دينه بسبب حلول الشيطان في جسمه، ومن ثَمّ استوجب الحرق لطرد الشيطان من جسمه.

أضف إلى ذلك أنّ الدين والمذهب في نظر المخطّطين للسياسات الدولية والفلاسفة الذين يستلهمون من سياساتهم ليسا إلّا أداة لهو، شأنهما شأن قصيدة أو فِيلمٍ سينمائي، لايهمّهم فيهما الصدق والكذب أو الحقّ والباطل، وعلى حدّ تعبير الشهيد المطهّري:

> إنّ الدين والمذهب في رأي بعض الفلاسفة الأُوروبيّين ـ سواء كان يتمثّل بعبادة الأوثان أو عبادة البقر أو عبادة الله ـ أمرٌ يختصّ ضمير الفرد.
>
> وفيما يختصّ المسائل الدينية والمذهبية فإنّهم لا يرغبون في الاعتراف بحقيقة الدين والنبوة، ويتجاهلون أن يكون الأنبياء قد بعثوا حقًّا من قِبَلِ الله تعالى، وإنّهم رسموا للناس طريق حقّ يضمن سعادتهم لو أنهم اتّبعوه، ولذلك تراهم لايعترفون للدين بحقيقة أو منشأ، ويقولون: نحن لا نعلم حقيقة الدين والمذهب ولكن نعلم أنّ الإنسان لايستطيع العيش بدون دين، فأحد شروط العيش هي انشغال الإنسان وتسلّيه بشيء وينظرون للمذهب باعتباره أداة لهو سواء كان المعبود هو الله تعالى أو إنساناً باسم المسيح أو بقراً أو فلزّاً أو خشباً. وعليه، لاتجوز مضايقة الناس، دعهم يختارون ما يتناسب وأذواقهم، فكلّ ما يختارونه حَسَنٌ.[1]

هذا الاستنتاج من الدين والمذهب ـ كما ذكرنا فيما مضى ـ ليس مستوحىً من فكر يستند إلى قاعدة علميّة ولا فلسفية، وإنّما هو مستوحى من أذهان تستغلّ العلم والفلسفة لأغراض سياسية، فمخطّطو السياسات الاستكبارية الذين يدعون إلى حرّية العقيدة هم لايرغبون في الحقيقة أن يكون الكلُّ أحراراً في إظهار آرائهم،

---

١. پیرامون جمهوری اسلامی (بالفارسية): ص ١٠٥ ـ ١٠٧.

وعقائدهم من أجل رشد العقائد السديدة ونمائها، وتحرّر الناس من قيود العقائد الباطلة؛ لأنّ هذه الحريّة تضع نهايةً لتلك القدرات السياسية، وعليه وإنّما يريدون بذلك تلهية الناس، أملاً في التوصّل إلى مآربهم السياسية المعادية للشعوب، وطالما كان الدين بمعزل عن السياسة وكانت المعتقدات الباطلة ـ من دون فرق بين مختلف الأديان الباطلة ـ أكبر دواعي التخدير واللهو أثراً، تراهم يعلنون حرّيتها بما تقتضيه مصالحهم السياسية.

ولو أراد الدين أن يأخذ مكانه في عالم السياسة لتنمو في ظلّه العقائد الصائبة وتتحطّم قيود المعتقدات الباطلة وينعتق الناس من نير القوى الاستكبارية وسلطانها، لما توقّف الأمر على أن يحرِّمه أُولئك الداعون الرسميون لحرّية العقيدة فقط، بل ولأُبيد أتباعه ومناصروه على أيدي هؤلاء المدّعين لحريّة العقيدة، أنفسهم، بحجّة الدفاع عن حرّية العقيدة.

## الخلاصة

◘ العقيدة عبارة عن نظرية تنعقد في الذهن، ولا فرق فيها بين الصائبة وغير الصائبة.

◘ منشأ العقائد إمّا التحقيق وإمّا التقليد، فإذا بحث الإنسان مسألةً وحقّق فيها بفكر طليق وتوصّل من وراء ذلك إلى عقيدة، فاساس عقيدته التحقيق، أمّا إذا اختار عقيدةً دونما تحقيق أو قلّد دون تفكّر فعقيدته مبنية على التقليد.

◘ معتقدات الغالبية من الناس في العالم لاتقوم على أُسس فكرية ولم تنشأ عن تحقيق، والعائلة والبيئة والشخصيات البارزة لها الدور الأساسي في بناء العقائد. وقلّما يختار الناس عقائدهم بصورة واقعية عن طريق التحقيق.

◘ يمكن تفسير حرّية العقيدة بثلاثة معانٍ: ١ ـ حرّية اختيار العقيدة. ٢ ـ حرّية الإعلان عن العقيدة. ٣ ـ حرّية تبليغ العقيدة.

◘ العقل لا يؤيّد صحّة حرية العقيدة بمعناها الأوّل، ويراها بمعناها الثاني حقّاً طبيعياً للإنسان، ويحرّم حرّية الإنسان في تبليغ المعتقدات الباطلة ذات الأثر السيّئ في المجتمع. ورأي الإسلام في حرّية العقيدة ليس شيئاً آخر غير هذا.

◘ الإعلان عن العقيدة في رأي الإسلام، ليس حرّاً فحسب بل ضروري، فيجب الاستماع إلى الآراء المختلفة ونقدها ودراستها بفكر طليق.

◘ الإسلام لايقتصر على أنّه لايرغم أحداً على الاعتراف بشيء دون الإيمان به، ولا يقبل الاعتراف التقليدي دون التحقيق، بل إنّه حتّى أُولئك الذين يؤمنون بالعقائد الإسلامية ولا يعترفون بها عملياً لدواعٍ وأسباب خاصّة هم أحرار. وباختصار: لا إجبار على الإيمان في رأي الإسلام.

◘ إنّ الإسلام ـ رغم تأييده لحرّية الإعلان عن العقيدة باعتبارها ممهّدة لتكامل الإنسان ـ يؤكّد أيضاً على مكافحة العقائد الباطلة لتحرير الذهن من قيودها.

◘ إنّ أُسلوب الإسلام لإزالة العقائد الخاطئة وغير العلمية من أذهان الناس هو

الكفاح الإعلامي، وهذا يعني الاستناد على الأدلّه والبراهين وتقديم الموعظة والنصيحة والمناظرة، ثمّ اللجوء إلى الكفاح المسلّح لإزالة الموانع التي تحول دون حرّية الفكر.

▣ بعدما يحرّر الإسلام الإنسان من قيود المعتقدات الباطلة يقول له: الآن فكّر، واختر عقيدتك بالتفكير والتحقيق. فهو لا يقبل منه عقيدةً بدون تحقيق حتّى ولو كانت العقيدة الإسلامية.

▣ الإعلان عن العقيدة مسموح به في الإسلام، وأمّا التهريج والشعوذة والدجل لنشر العقائد الباطلة فهو ممنوع.

▣ إنّ طرح مسألة حرّية العقيدة في العصر الحاضر جاء نتيجةً لردود الفعل الاجتماعية إزاء محاكم التفتيش العقائدي التي أوجدها أرباب الكنائس في القرون الوسطى.

▣ المعتقدات الدينية في رأي مخطّطي السياسات الاستكبارية والفلاسفة الذين يستلهمون أفكارهم ليست إلّا لهواً وتسليةً. ولا فرق فيها بين الحقّ والباطل، وهدف هؤلاء المخطّطين والفلاسفة ليس لمصلحة العقائد وازدهارها، بل من أجل تلهية الناس عن تنفيذ مشاريعهم وتوفير الفرص الكافية للحصول على مطامعهم السياسية.

الفصل السّابع

# تعليم العقيدة

إنّ أوّل سؤال يثار هو أنّنا إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ عقائد الإنسان خارجة عن اختياره، فكيف يتسنّىٰ تعليم الناس العقائد الصحيحة المطابقة للواقع؟

والجواب هو أنّ عقائد الإنسان ليست كثيابه له تغييرها أنّىٰ شاء، بيد أنّ العقائد غير العلميّة قابلة للتغيير بعد اجتثاث جذور العقائد الوهميّة السقيمة.

وتعليم العقائد علىٰ أساس الرؤية الإسلاميّة يعمد إلىٰ تحقيق هذا الهدف وهو أنّه بعد تحرير الفكر من قُيود التقليد، واستبدال البحث الوافي بالبحث الناقص، تترك العقائد الوهميّة مكانها للعقائد العلميّة الصحيحة. ومن البديهيّ أنّ هذا الأمر يتيسّر ولا يتعذّر.

## ضرورة تعليم العقائد الصحيحة

بيّنا سابقاً أنّ عقائد الإنسان هي آصرة روحه ونفسه؛ أي: إنّ العقائد الخاطئة تشوّه شكل الإنسان وباطنه الحقيقيّ وتُمرضه، فتُخرج بذلك حياته الفرديّة والاجتماعيّة عن مسارها الطبيعيّ.

وما يمكن أن يقي الإنسانَ هذا الخطرَ هو علم المعرفة وتعليم العقائد العلميّة، من هنا يُعدُّ هذا العلم أهمّ العلوم وأثمنها وأكثرها ضرورةً، لذا قال الإمام الباقر عليه السلام في سياق إرشاداته لجابر بن يزيد الجعفيّ:

اِعلَم أنَّهُ لاعِلمَ كَطَلَبِ السَّلامَةِ، ولاسَلامَةَ كَسَلامَةِ القَلبِ.[١]

أجل، لاعلم كالعلم الذي يتوخّىٰ منه ضمان سلامة قلب الإنسان وروحه، لأنّ معيار القيمة في كلّ علم يتمثّل في الخدمة التي يقدّمها للإنسان والمجتمع، ولمّا كان علم العقيدة وتنقيحها يؤدّي أهمّ دور في ضمان سلامة الفكر والروح، فإنّه من أثمن العلوم وأكثرها قيمةً وضرورة للإنسان.

### التعليم الإلزامي

جاء في المادّة الثالثة عشرة من ميثاق المنظّمة الدولية لحقوق الإنسان مايلي:

يجب أن تكون التربية والتعليم في المراحل الابتدائية إلزامياً ومجّاناً للجميع.[٢]

ولو أنّنا سألنا الذين وقّعوا على هذا الميثاق: لماذا تسلبون بهذا الميثاق العوامّ الأُمّيين حريّتهم؟ ولماذا لا تدَعونهم أحراراً في اختيارهم الجهل؟ وما الدليل على ضرورة كون التعليم إلزامياً؟! لأجابوا دون شكّ بأنّ التعليم في أدنى مستوياته من الضروريات المتطلّبة في حياة الإنسان.

نحن أيضاً نؤيّد هذا الرأي، من حيث إنّ نبيّناﷺ قد فرض العلم على كلّ مسلم ومسلمة[٣] قبل ثلاثة عشر قرناً من ميلاد الموقّعين على الميثاق المذكور.

إلّا أنّ الذي نأخذه على هؤلاء السادة هو: لماذا قصروا الضرورة الحيويّة على محو الأُمّيّة فأوجبوا محوها إجباراً دونما أدنى كلمة عن تعليم العقائد الصحيحة أصلاً؟!

هل الحدّ الأدنى من التعليم من ضروريات الحياة ولكن العقائد الصحيحة التي

---

١. تحف العقول: ص ٢٨٦.

٢. راهنماى سازمان ملل متحد (بالفارسية): ص ١٠١٢، المادّة ١٣ من الميثاق الدولي لحقوق الإنسان الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

٣. راجع: مشكاة الأنوار: ص ٢٣٦ ح ٦٧٥.

تهدي الحياة إلى وجهتها الصحيحة ليست من جملة ضروريات الحياة؟! وأيّهما أكثر ضرراً للإنسان، العقائد الفاسدة أم الأُمّية؟ وهل كان الأُمّيون بجهلهم أكثر خَلْقاً للمشكلات أم المثقّفون أصحاب العقائد الزائفة والاعوجاج الفكري والانحراف النفساني؟

والحقيقة، أنّنا لو حكمنا في متطلّبات المعيشة حكماً عادلاً مبرّأ من المصالح السياسية لقلنا بأنّه ليس هناك ما هو أكثر ضرورة من سلامة النفس؛ ذلك لأنّه لولا تمتّع الإنسان بسلامة نفسه لما استطاع أن يتمتّع بالجسم السالم أو بالعلم أو بأيّ شيء آخر، كما جاء في كلام الإمام الباقر، وهذه هي الضرورة التي تستدعي تمهيد ما يلزم لتعليم الناس كافّة المعتقدات الصحيحة، بل وجعل تعليمها إلزامياً كالتعليم الابتدائي.

## أساليب تعليم العقيدة

يمكن القول بأنّه توجد ثلاثة أساليب لتعليم العقائد العلميّة الصحيحة، وهي كما يأتي:

١. أُسلوب الفلاسفة.

٢. أُسلوب المتكلّمين.

٣. أُسلوب الأنبياء.

لقد بحث كلّ من الفلاسفة والمتكلّمين والأنبياء في أُصول العقائد، إلّا أنّ لكلّ منهم أُسلوبه ومنهاجه الخاصّ في بيان المسائل العقائدية.[1]

---

١. للتعرّف على أُسلوب الفلاسفة والمتكلّمين، راجع مجموعة «آشنايى با علوم اسلامى» (بالفارسية) للشهيد الأُستاذ المطهّري: الدرس الرابع في الفلسفة، موضوع «الأساليب الفكرية الإسلامية» وكذلك الدرس الأوّل في «علم الكلام».

## ميزات أُسلوب الأنبياء

يتمتّع أُسلوب الأنبياءﷺ في تعليم أُصول العقائد بميزتين مهمّتين أساسيّتين، يفتقر إليهما أُسلوب كلّ من الفلاسفة والمتكلّمين، وهاتان الميزتان هما:

### ١. العمومية

أوّل ميزة لأُسلوب الأنبياء في تعليم العقائد هي أنّ أُسلوبهم عمومي فيشمل كافّة طبقات المجتمع، على العكس من الفلاسفة والمتكلّمين، فهم يعلّمون فئة خاصّة من المجتمع، وهي الفئة التي تفهم لغتهم وأُسلوبهم. بعبارة أُخرى: إنّ الفلاسفة حينما يتكلّمون عن المسائل العقائدية أو يؤلّفون كتباً فيها لا يخاطبون الناس كافّةً، بل يخاطبون أُولئك الذين يتمتّعون بأذواق ومعلومات فلسفية أو كلامية، أو مَن درسوا الفلسفة أو الكلام، أو يبغون دراستها، وعليه، فلا يستفيد عامّة الناس من أقوالهم ومؤلّفاتهم.

أمّا الأنبياء فيخاطبون الناس بكافّة طبقاتهم، فهم معلّمون ومربُّون للناس جميعاً، يرشدونهم إلى الاستناد إلى العقل والأدلّة والبراهين في المسائل العقائدية.

فالذين يخاطبهم الأنبياء لا يقتصرون على دارسي الفلسفة أو الذين يريدون دراستها، كما لا يقتصر على ذوي الأذواق الكلامية والمؤهّلات في علم الكلام، أو على العلماء وطلّاب العلم، أو على شريحة اجتماعية خاصّة، بل مخاطبهم قاطبة الناس بمختلف طبقاتهم وشرائحهم الاجتماعية، ولهذا كان على الأنبياء أن يتكلموا في المسائل العقائدية بنحو يسهل فهمه للجميع، وأن يستدلّوا فيها بما يمكن للجميع أن يستوعبوه، سواء في ذلك الجاهل الأُمّي والعالم النِحرير.

### ٢. الشموليّة

الميزة الأُخرى لأُسلوب الأنبياء الإلهيّين في تعليم المسائل العقائدية هي الجامعية أو الشمولية.

فالعقيدة في منهاج الفلاسفة والكلاميّين تبحث بمعزل عن التطبيق العملي. فالبحوث العقائدية على الطريقة الفلسفية والكلامية عبارة عن سلسلة من البحوث العلمية الجافّة الخارجة عن نطاق النشاطات الاجتماعية والسياسية والأخلاقية، في حين أنّ البحوث العقائدية على طريقة الأنبياء عليهم السلام بحوث شاملة جامعة بين العقيدة والعمل في نفس الوقت.

إنّ تعليم العقيدة بهذا المنهاج الجامع يعرّف الإنسان حقائق المبدأ والمعاد من خلال الدلائل العلميّة والفلسفيّة الدقيقة تزامناً مع تعليمه أسمىٰ القضايا العرفانيّة وأدقّ الموضوعات الاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة.

## الخلاصة

▣ تعليم العقيدة عبارة عن عرض معلومات من شأنها أن تطرد المعتقدات الزائفة الضالّة غير العلمية من أذهان الناس، وإحلال المعتقدات السديدة العلمية محلّها، وإتاحة المجال لنموّها وازدهارها. ولا شكّ في إمكان تحقيق ذلك.

▣ لمّا كان علم معرفة العقيدة يحول دون تلاقح المعتقدات غير العلمية الباطلة في روح الإنسان ونفسه فهو لذلك ضمان لسلامة الروح والنفس، وعليه كان من أجدى العلوم وأنفعها، الأمر الذي يستدعي ضرورة تعلّمه قبل أيّ علم آخر.

▣ إنّ ضرورة علم المعرفة ودوره الهامّ يستوجب تهيئة المجال اللازم لتعميم تعليمه الناس كافّة، بحيث يصبح تعليمه عامّاً وإلزامياً للجميع.

▣ تعليم العقيدة لا يعني نقل عقائد الأُستاذ إلى الطالب عن طريق التقليد، بل المقصود منه هو تحليل العقيدة ودراستها، حتّى يستطيع الإنسان اختيار الصائب منها.

▣ هناك ثلاثة أساليب لتعليم أُصول العقيدة: أُسلوب الفلاسفة، أُسلوب المتكلّمين، وأُسلوب الأنبياء. وقد اخترنا أُسلوب الأنبياء لعموميّته وجامعيّته وشموله.

# القسم الثاني

# مصادر المعرفة


الفصل الأول مصادر المعرفة في كيان الإنسان

الفصل الثاني طرق المعرفة من منظار القرآن

الفصل الثالث نطاق مصادر المعرفة

الفصل الرابع المعارف الفطرية

الفصل الخامس نقد نظرية الماديين

## الفصل الأوّل

# مَصادِرُ المَعرِفَةِ في كِيانِ الإِنسانِ

لو أنّنا دقّقنا فيما لدينا من معارف ومعلومات لوجدناها حاصلة إمّا عن طريق الحواسّ أو العقل أو القلب. وعليه، يمكن القول بأنّ الحواسّ والعقل والقلب هي الطرق المؤدّية إلى المعرفة، إذ أنّ الإنسان يتعرّف على الوجود عن هذه الطرق. كما يمكن القول أيضاً بأنّها وسائل المعرفة إذ الإنسان يكتشف الوجود بها. وكما يمكن أن يقال بأنّ الثلاثة المذكورة تمثّل مصادر المعرفة في كيان الإنسان. ذلك لأنّ المصدر يعني المركز ومحلّ الفيضان، والحواسّ والعقل والقلب ـ كما سنوضّح بعد ـ مراكز فيضان معارف الإنسان وإدراكاته.

بعبارة أبسط: توجد في كيان الإنسان ثلاثة نوافذ للمعرفة. يحصل الإنسان بانفتاح كلّ منها على معارف ومعلومات خاصّة؛ يسمّى الأول الحسّ، والثاني العقل، والثالث القلب.

مثال: افترض أنّك داخل غرفة كائنة في صحراء واسعة، وللغرفة خمسة نوافذ صغيرة وبابان أحدهما كبير والآخر صغير. فلو أنّك فتحتَ النوافذ لرأيتَ قسماً صغيراً من الصحراء، ولو فتحتَ الباب الصغير لرأيتَ مساحة أكبر منها، أمّا لوفتحتَ الباب الكبير لاتّسع أُفق بصرك. فالحواسّ الخمس هي النوافذ الصغيرة، والعقل هو الباب الصغير، والقلب هو الباب الكبير في الغرفة.

فمن أراد أن يلقي النظر على عالم الوجود من خلال الحواسّ الخمس فشأنه

شأن الذي يريد أن يرى الصحراء الواسعة من خلال النوافذ الصغيرة، فهو لا يرىٰ إلّا جانباً صغيراً من الوجود اللامتناهي، فهو يرى ويعرف خصوص ما تسمح له هذه النوافذ الصغيرة رؤيته ومعرفته، وأمّا ما وراء نوافذ الحواسّ فلا يمكنه معرفته.

أمّا من ينظر إلى الوجود اللامتناهي من خلال العقل فشأنه شأن الذي ينظر إلى الصحراء من الباب الصغير للغرفة، فهو رغم اتّساع أُفق بصره وقدرته على معرفة ماوراء المحسوس إلّا أنّه لايستطيع أن يعرف من الوجود إلّا بمقدار ما هو ماثل أمام منفذ عقله، وأمّا ماوراء ذلك فيبقى غير معروف لديه.

وأمّا من ينظر إلى الوجود اللامتناهي من خلال القلب فمثله كمثل الذي يقف أمام باب الغرفة ويطلّ على أوسع جانب من الصحراء، فهو وإن لم يكن قادراً على رؤية الوجود اللامتناهي بأكمله إلّا أنّه يحظَى بأكبر قدر من المعرفة بشأنه، ولا يمكن أن يقاس أُفق بصره بأُفق البصر في الحالتين السابقتين.

إنّ نوافذ الغرفة لا هي ذات صلة ببعضها ولا ذات صلة بالذي ينظر من خلالها إلى الفضاء الخارجي، وأمّا منافذ المعرفة فكما ترتبط ببعضها ترتبط بالإنسان أيضاً، بل هي في الحقيقة جزء لايتجزّأ من واقع الإنسان.

وعلى هذا فإنّنا نحاول أن نبرهن على أنّ الإنسان له ثلاثة مراكز للمعرفة، لاتهمّ تسميتها، سواء سمّيت بمصادر المعرفة أو بمنافذ المعرفة أو بوسائل المعرفة أو بطرق المعرفة. وهنا نبدأ الحديث عن المصدر الأوّل وهو النوافذ الحسّية.

## النوافذ الحسّية

الحواسّ الخمس[1] عبارة عن نوافذ تصل إلى الإنسان من خلالها أبسط المعارف

١. يُروىٰ عن علماء النفس أنّهم قالوا: لوفكّرنا بشكل صحيح لأثبت العقل لنا أنّ الشعور بالحرارة يختلف تماماً عن الشعور بالضغط واللمس، في حين كنّا فيما سبق نعتبر الشعور بهما ناجماً عن حاسّة اللمس. هذا وقد ⇔

البدائية عن الوجود، فإذا أُغلق أحدها فقد الإنسان المعرفة الخاصّة التي يحصلها عن طريقه، وكما يقال: «من فقد حِسّاً فَقَدَ عِلماً»[1]، فمثلاً من فقد حاسّة البصر وكان أعمى من حين ولادته، فإنّه لا يمكنه الحصول على العلم والإدراك والمعرفة الخاصّة بحاسّة البصر، فهو لا يدرك معنى اللّون، وماذا يعني القبح والجمال، والأصمّ منذ الولادة لايدرك الألحان، ولا يفرّق بين الأصوات الجميلة والقبيحة، والفاقد لحاسّة الشمّ لايدرك الروائح، وكذلك الفاقد لحاسّة الذوق، لامعنى للطعم عنده، وأخيراً الفاقد لحاسّة اللمس لايستطيع أن يميّز بين الخشن والناعم.

### مصدر العقل

العقل ثاني مصدر للمعرفة في كيان الإنسان، وهو نافذة يتعرّف الإنسان عن طريقها على آفاق أوسع من الآفاق الحسّية وأعمق منها. وثمّة سؤالان يتطلّبان الإجابة عنهما عند بحثنا في هذا المصدر:

السؤال الأوّل: ما هو العقل؟ وكيف يمكن تعريفه؟

السؤال الثاني: ما هي المعارف العقلية؟ وأيّ المعارف تحصل للإنسان عن طريق العقل؟

#### ما هو العقل؟

يمكن الإجابة على هذا السؤال بجوابين:

---

⇔ كشفت في الإنسان حتّى الآن عشر حواسّ، ويمكن أن يكتشف العلماء حواسّ أُخرى في المستقبل، والحواسّ المكتشفة حتّى الآن عبارة عن: حاسّة البصر، حاسّة السمع، حاسّة اللمس، حاسّة الذوق، حاسّة الشمّ، حاسة الحرّ والبرد، حاسة التوازن وتحديد الجهة، الحاسّة الوضعية والعضلية (حاسّة الحركة)، حاسّة الألم (الألم الجسمي)، الحاسّة الداخلية.

١. نسبه ابن العربي في تفسيره (تفسير القرآن الكريم: ج ١ ص ٥٦) الى رسول الله ﷺ.

الجواب الأول هو: أنّ العاقل يفهم ما هو العقل حتّى وإن لم يستطع تعريفه تعريفاً علمياً.

فكثيراً مّا يعرف الإنسان شيئاً ولكنّه لايقدر على تعريفه علميّاً.

فلو سألت شخصاً ما: أتعرف ما هو النور؟ لأجابك قائلاً: نعم، وهل هناك من لايعرف النور والضياء؟! لكن إذا طلبتَ منه أن يعرّف النور تعريفاً علمياً فإنّه يعجز عن ذلك، إلّا القليل. ولو سألت شخصاً ما: ما هو الماء؟ لأجاب: أوَ يمكن أن يكون هناك من لايعرف مفهوم الماء؟! بيدَ أنّك لو سألته أن يعرّف الماء تخاذل، ولا يعرفه وعناصرَه إلّا أفرادٌ خاصّون. فهكذا الأمر بالنسبة لتعريف العقل. فالعاقل يعرف ما هو العقل حتّى ولو لم يقدر على تعريفه تعريفاً علمياً. وأمّا غير العاقل فلا يعرف للعقل مفهوماً ولا تعريفاً.

يُحكى أنّ مجنوناً انبطح على حافّة جدول ليشرب، فقال له شخص: لا تشرب الماء هكذا، لأنّه يسبّب نقصاناً في عقلك! فنهض المجنون وقال: قل لي أولاً ما هو العقل؟!

## تعريف العقل

وأمّا تعريف العقل بلغة علميّة فيستدعي مزيداً من التأنّي والتأمّل والتدقيق. فالعقل عبارة عن مركز الفكر، ومن خصائصه تركيب المفاهيم الذهنية وتجزئتها وتجريدها وانتزاعها وتعميمها.

هذا التعريف المركّز ثقيل على الذهن إلى حدٍّ مّا، الأمر الذي يتطلّب بسطه لكي يتيسّر فهمه.

## مركز الفكر

ما من إنسان إلّا ويشعر بأنّ في وجوده مركزاً تتولّد فيه كلّ أفكاره وتصوّراته؛

ويسمّى هذا المركز بالذهن أو العقل، وأنت حرٌّ في تسميته بما شئت. وعليه، فإنّ ما نقصده من مصطلح «العقل» الذي نستعمله كراراً في بحث المعرفة هو مركز الشعور والمعارف. نعم نحن لا نقصد مطلق المعارف، وإنّما هي تلك المعارف التي يحصّلها الإنسان عن طريق التفكير.

## ما هو التفكير؟

التفكير عبارة عن الوظيفة والمسؤولية التي تسند إلى العقل في نظام الخلق. وسنستعرض هذه الوظيفة والمسؤولية تحت عنوان «وظائف العقل». وببيان وظائف العقل نكون قد أجبنا عن السؤال الثاني الذي طرحناه في بداية الحديث؛ أي السؤال عن ماهية المعارف العقلية.

## وظائف العقل

هذه الوظائف هي: تركيب المفاهيم الذهنية، وتجزئتها، وتجريدها، وانتزاعها، وتعميمها وتعميقها، وإليك بيان كلّ منها على حدة:

## تركيب المفاهيم الحسّية

من وظائف العقل تركيب المفاهيم الحسّية، أي المفاهيم التي تصل إلى الذهن عن طريق الحواسّ. فالعقل يركّب هذه المفاهيم ويربطها ببعضها ليكوّن منها مفهوماً جديداً لم يصل إلى الذهن عن طريق الحسّ. بعبارة أُخرى: إنّ إحدى فعّاليات العقل هي توليد المعارف الذهنية والعقلية عن طريق ربط المفاهيم الحسّية وتركيبها مع بعضها.

فلنفترض أنّك شاهدت جبلاً، وشاهدت قطعةً من الذهب، فإنّ حاسّة البصر تنقل مفهومي الجبل والذهب إلى ذهنك. وهنا يزاول الذهن فعاليته ونشاطه ليولّد مفهوماً ثالثاً بصورة «جبل من الذهب». فهذا المفهوم لم يرد إلى الذهن عن طريق

حاسّة البصر، وإنّما هو نتاج الذهن ومركز الشعور والإدراك.

فتوليد المفهوم الثالث هو وظيفة العقل وليس من عمل الحواسّ، إذ إنّ وظيفة الحواسّ هي نقل المفاهيم من خارج الذهن إلى داخله فقط. فالعين مثلاً تنقل صور الأجسام إلى الذهن، والأُذن توصل الأصوات إليه، وهكذا الحواسّ الأُخرى، حيث تؤدّي كلٌّ منها مهمّتها الخاصّة بها.

وعليه، فإنّ عمل حاسّة البصر كعمل الكاميرا التي تلتقط صوَر الأجسام الموجودة في الخارج وتنقلها إلى الداخل وتعكسها على الفلم لا غير. وأمّا ربط الصوَر مع بعضها وتكوين صورة جديدة فليس من شأن حاسّة البصر، بل هو من شأن الذهن والعقل المؤهّل بالقدرة على التركيب ودمج التصاوير وصنع تصوير ومفهوم جديد.

### تجزئة المفاهيم الحسّية

تجزئة المفاهيم الحسّية هي مهمّة أُخرى من مهامّ العقل ووظائفه. وتعني أنّ الذهن قادر على تجزئة المفاهيم المركّبة الواصلة إليه عن طريق الحواسّ، وتفكيكها إلى أجزائها، وتوليد معارف جديدة لم تصل إلى الذهن بواسطة الحواسّ.

فجهاز التلفزيون الذي في منزلك هو عبارة عن مجموعة أجزاء مركّبة مع بعضها، فحينما تنظر إليه ينتقل مفهوم هذه المجموعة المركّبة إلى ذهنك عن طريق حاسّة البصر، و ما أن يصل هذا المفهوم إلى الذهن إلّا ويبدأ الذهن نشاطه وفعاليته، وحينئذٍ بإمكانك أن تقول له بأن يفصل شاشة التلفزيون الكائن في ذهنك ويضعها جانباً، فترى أنّه فعل ذلك وأنّك تشاهد الشاشة منفصلة عن التلفزيون الذهني، ثمّ تأمره أن يفصل ما في الجهاز من أسلاك وصمّامات ويعزلها عن بعضها فتراه يفعل ذلك وأنت تتصوّر الأجزاء منفصلة عن بعضها. فعمل الذهن هو هذا، أي فصل المفاهيم الحسّية عن بعضها، وهذا ما يسمّى في علم المعرفة بـ«التجزئة».

وتجزئة المفاهيم الحسّية كتركيبها لاتحصل بفضل الحواسّ، إذ أنّ حاسّة البصر قادرة على نقل مفهوم جهاز التلفزيون إلى الذهن ليس إلّا، ولا تقدر على تجزئته بعد نقله إليه.

نعم، باستطاعتك أن تجزّئ جهاز التلفزيون الخارجي بنفسك وتفصل أجزاءه المختلفة عن بعضها عملياً، وحينذاك يمكن لحاسّة البصر أن تنقل صوَر الأجزاء المفصول بعضها عن البعض الآخر إلى الذهن. وفي هذه الحالة أيضاً تكون أنت الذي فصلت الأجزاء بعضها عن البعض وليس لحاسّة البصر دور في تجزئة مفهوم التلفزيون الواقعي.

### تجريد المفاهيم الحسّية

وهو فعّالية أُخرى من فعّاليات العقل ووظائفه، والتجريد يعني التعرية. فإحدى الوظائف التي يؤدّيها الذهن هي تجريد المفاهيم الحسّية وتعريتها، ولكن تجريدها عن ماذا؟ وكيف يكون ذلك؟

إنّ الذهن قادر على تعرية المفاهيم الحسّية من خواصّها، أي تجريدها ممّا من شأنه أن يشخّصها ويميّزها. وبهذا التجريد أو الفصل يولّد الذهن من هذه المفاهيم الجزئية الحسّية مفاهيم كلّية عقلية.

ولكي تتّضح عملية تجريد المفاهيم الحسّية وتعريتها من خواصّها اطلب من ذهنك أن يفعل ما يلي على هذا النحو:

في البداية جسِّد في ذهنك شخصاً افترض أنّ اسمه «حَسن»، فحَسن هذا مفهوم حسّي في ذهنك، أي أنّه معرفة وردت إلى الذهن عن طريق الحسّ. والآن جرّد حَسناً من خواصّه؛ يعني اطلب من ذهنك أن يعرّيه من ملابسه ويسلبه كلّ ما يكسوه، ثمّ يجرّده من ملامحه ولون بشرته، ثمّ جرّده من اسمه ومن خصوصياته الفردية نظير كونه ابنُ فلان، وأبا فلان وولد في التاريخ الفلاني، ويعيش في المكان

الفلاني وأخيراً يجرّده من كلّ خواصّه ومميّزاته، فبعد أن تنتهي عملية التجريد ويتعرّى حَسن عن كلّ خصوصيّاته ومشخّصاته بصورة كاملة، ترى أنّ هناك مفهوماً واحداً كليّاً يبقىٰ في الذهن وهو «الإنسان».

فمفهوم الإنسان هذا مفهومٌ عامّ ينطبق على حَسن وحسين وكلّ إنسان في الماضي والحاضر والمستقبل.

هذه المهمّة ـ مهمّة تجريد المفاهيم الحسّية وتعريتها من خواصّها ـ هي من خصائص الذهن ووظائف العقل فقط، وأمّا الحاسّة فلا تقدر إلّا على نقل حَسن بكامل خواصّه إلى الذهن، وهذا يعني أنّ تجريد المفاهيم الحسّية عن خواصّها وتوليد مفاهيم عامّة منها ليس من مهامّ الحواسّ، وإنّما هو مهمّة الذهن.

وإلى هنا نكون قد بيّنّا ثلاث فعّاليات وظائف من وظائف العقل: الأُولى: التركيب، أي ربط المفاهيم الحسّية بعضها ببعض. الثانية: التجزئة، أي فصل المفاهيم الحسّية عن بعضها البعض. والثالثة: التجريد، أي تعرية المفاهيم الحسّية من خواصّها.

وبقيت هناك للعقل وظيفتان على غاية من الأهمّية، إحداهما: التعميم، أي بسط المفاهيم الحسّية. والأُخرى: منحها عمقاً وجعلها عميقة. وهذه الأخيرة أهمّ أعمال العقل ووظائفه. وبما أنّنا سنتناول الحديث عن هاتين الوظيفتين في الفصول القادمة فلنمسك عن التعرّض لهما في هذا الفصل حذراً من التكرار.

وفي ختام هذا البحث من موضوع مصادر المعرفة نلفت الانتباه إلى رواية دقيقة طريفة حول وظائف العقل:

يروي هشام بن الحكم ـ وكان من تلاميذ الإمام الصادقعليه السلام ومن المتخصّصين في أُصول العقيدة ـ بأنّ أحد المادّيين المعاصرين للإمامعليه السلام ويُدعى أبا شاكر الديصاني، جاء لمناظرة الإمام الصادقعليه السلام وتطرّق خلال المناظرة إلى مسألة مصادر المعرفة، فقال: علمتَ أنّا لا نقبل إلّا ما أدركناه بأبصارنا، أو سمعناه بآذاننا، أو شممناه

بمناخِرنا، أو ذقناه بأفواهنا، أو لمسناه بأكفّنا، أو تصوّرَ في القلوب بياناً، أو استنبطه الرّويّات إيقاناً.

فمثله تماماً كمثل ذلك الشخص الذي ذكرناه فيما سلف (الشخص المحبوس في غرفة لها خمسة نوافذ صغيرة وبابان أحدهما كبير والآخر صغير) فهو يقول بأنّه لا يمكن رؤية شيء من الصحراء من خلال البابين، والسبيل الوحيد لرؤيتها هو النوافذ الخمسة الصغيرة.

فأبو شاكر أيضاً يقول مثل هذا القول في صدد معرفة صحراء الوجود اللامتناهية ويكذّب قول العلماء الإلهيّين بأنّ العقل أحد مصادر المعرفة إلى جانب مصدر الحسّ، وأنّ الإنسان يستطيع بواسطته أن يتعرّف على سلسلة من حقائق الوجود التي لايدركها بالحواسّ، مستدلاً في ذلك بأنّه لاطريق إلى رؤية صحراء الوجود اللامتناهية ومعرفتها إلّا الطريق الأوحد. طريق الحسّ، ولا وجود أصلاً لطريق باسم العقل أو باسم القلب لمشاهدة هذه الصحراء ومعرفتها في وجود الإنسان.

وأجاب الإمام الصادقعليه السلام أبا شاكر بكلامٍ دقيق قائلاً:

**ذَكَرتَ الحَواسَّ الخَمسَ، وهِيَ لا تَنفَعُ شَيئاً بِغَيرِ دَليلٍ، كَما لايُقطَعُ الظُّلمةُ بِغَيرِ مِصباحٍ.**[1]

وهذا الجواب من الإمامعليه السلام لأبي شاكر الديصاني يدلّ على أنّ الادّعاء باختصاص سبيل معرفة الوجود بالحواس الخمس المحدودة الضيّقة ادّعاءٌ خطأٌ غير منطقي؛ وذلك لأنّه حتّى المعرفة الحاصلة عن طريق الحواسّ هي الأُخرى بحاجة إلى دلالة العقل، ولا يمكن حصولها بدون هذه الدلالة أبداً، وهذا هو نفس ما أشرنا إليه فيما سلف، حيث قلنا: إنّ مصادر المعرفة في الإنسان مرتبطة ببعضها ولايعمل أحدها بمعزل عن الآخر.

والمثال الذي قدّمه الإمام لاستحالة إدراك الحواسّ بدون عون العقل وحصول

---

١. التوحيد: ص ٢٩٣ ح ١.

المعارف العقلية دون المعارف الحسّية مثالٌ مناسب في موقعه تماماً، حيث يقول: «الحواسّ الخمس لاتنفع شيئاً بغير دليل كما لايُقطَع الظُلمة بغير مصباح». إذ أنّ الإنسان يعوزه شيئان للرؤية والمعرفة في الظلام: أحدهما البصر، والآخر النور. فلا العين تبصر بدون النور، ولا النور ينفع دون البصر.

فالامام في هذا الحديث يقول: كما أنّ العين لا تؤدّي دورها مع فقد النور كذلك فإن الحسّ لا يؤدي دوره من دون عقل. فنور العقل يجب أن يُعينَ عَيْنَ الحسّ حتّى تدرك.

هذا، وسنأتي إلى توضيح كيفية إعانة العقل للحواسّ في البحوث الآتية، لدى الردّ على النظرية المادّية.

## مصدر القلب

القلب هو المصدر الثالث للمعرفة في الإنسان، وهو بمثابة بوّابة يتعرّف الإنسان من خلالها على عالم الوجود بشكل أوسع وأعمق من الآفاق الحسّية والعقلية. وحتّى نحيط بهذا المصدر ونتعرّف عليه يجب أن نتناوله من خلال تعريف القلب، وبيان ماهية المعارف القلبية، والاختلاف بينها وبين المعارف العقلية.

## تعريف القلب

للقلب ثلاثة معانٍ، وعلى ضوئها يمكن تعريفه بثلاثة تعاريف:

المعنى الأول للقلب هو: «مضخَّة الدم». وتعريفه على أساس هذا المعنى هو أنّه عضو صنوبريّ الشكل يقع في الجانب الأيسر من القفص الصدري، ووظيفته ضخّ الدم إلى كافة أجزاء الجسم.

المعنى الثاني: هو «العقل» أي: مركز الفكر. وقد سبق أن وضّحنا هذا المعنى بصفته ثاني مصدر من مصادر المعرفة.

قال الإمام الكاظمعليه السلام في وصيّته لأحد تلاميذه وهو هشام بن الحكم:

يا هِشامُ، إنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقولُ في كِتابِهِ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[1] يَعني عَقلٌ.[2]

يعني: إنّ من كان له عقل واستطاع أن يفكّر فيما يقول الله سبحانه فإنّه سيتنبّه هزماً وينتهي عن المضيّ فيما سلك من الضلالة.

المعنى الثالث: هو مركز المعارف والإدراكات التي لا هي حسّية ولا هي عقلية، وإنّما تتولّد وتنبع من أعماق الإنسان بصورة لا إرادية.

فالإنسان ـ إضافةً إلى المعارف الحسّية التي يكتسبها عن طريق الحواسّ الخمس والمعارف العقلية التي يكتسبها عن طريق العقل[3] ـ يجد في باطنه سلسلة معارف أُخرى، لا هي حسّية ولا هي عقلية، بمعنى أنّ مصدر الحسّ ومصدر العقل لا ينتج عنهما هذه الادراكات كحبّ الأولاد والعطف والشفقة والشقاوة والقساوة... وما إلى ذلك.

فكلّ إنسان بالغ سليم يشعر بالحبّ للأبناء. والسؤال هنا: هل أنّ هذا الشعور حدثَ له عن طريق حاسّة البصر أو السمع أو الشمّ أو الذوق؟ أم حدثَ له عن طريق العقل والتفكير؟

الجواب هو: أنّه حدَث له لا عن طريق الحواسّ ولا عن طريق العقل والتفكير، فالحبّ لا يمكن بلوغه بالحواسّ أو بالعقل والفكر، إنّه نوع من التجربة الباطنية، ولا يعرف أحدٌ حقيقة الحبّ والعشق إلّا الشخص العاشق.

إنّ الإنسان عندما يرى منظراً مؤلماً لاتتحرّق عيناه ولا سائر حواسّه، كما لا يحسّ بالحرقة في عقله وتفكيره، ولكنّه يشعر بالحرقة في قلبه.

---

١. قٓ: ٣٧.

٢. الكافي: ج ١ ص ١٦ ح ١٢.

٣. سنأتي إلى توضيح أنّ المعارف العقلية نوعان: معارف فطرية، ومعارف غيرفطرية.

وحينما يتذمّر من أحد لا تتذمّر منه حواسّه أو عقله، وإنّما الذي يتذمّر هو قلبه. فالقلب هو مركز الحبّ والحنان، والبغضاء والتذمّر، والعطف والرحمة والشفقة، وبشكل عامّ هو مركز كافّة المعارف غير الحسّية والعواطف والمشاعر الباطنية.

## معنى القلب في بحث المعرفة

وهكذا يكون للقلب ثلاثة معانٍ: المعنى الأوّل: «مضخّة الدم»، والمعنى الثاني: «مركز الفكر»، والمعنى الثالث: «مركز المعارف غير الحسّية وغير العقلية». أمّا ما نقصده منه في بحث المعرفة باعتباره مصدراً من مصادر المعرفة إلى جانب العقل والحواسّ فهو معناه الثالث، أي اعتباره مركزاً للمعارف غير الحسّية وغير العقلية.

والنقطة التي نودّ التذكير بها هي أنّ القرآن الكريم يستعمل كلمة «القلب» في الأغلب للدلالة على القلب كمصدر بالمعنى الثاني، أي كونه مصدراً للمعارف العقلية. وسنأتي إلى توضيح ذلك بإسهاب مستقبلاً إن شاء الله تعالى.

## الفرق بين المعارف العقلية والمعارف القلبية

إلى هنا بيّنّا معنى القلب والمراد من المعارف القلبية. وعلينا الآن تبيين الفرق بين المعارف العقلية والمعارف القلبية.

فلو أمعنّا النظر قليلاً لَتبيّن لنا أنّ هنالك فارقَين بين المعارف العقلية والمعارف القلبية: أوّلهما في مركز الارتباط، والآخر في نوعية المعرفة.

### أ ـ اختلافهما في مركز الارتباط

أوّل فارق بين المعارف العقلية والمعارف القلبية هو الفارق في مركز الارتباط، بمعنى أنّ للمعارف العقلية نوعاً من الارتباط بالدماغ، وللمعارف القلبية نوعاً من الارتباط بالقلب (بمعناه الأوّل، أي مضخّة الدم).

وفي هذا المجال يروى عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال:

مَوضِعُ العَقلِ الدِّماغُ، وَالقَسوَةُ وَالرِّقَّةُ فِي القَلبِ.[١]

فهناك ـ كما يلاحظ من الرواية ـ رابطة خاصّة بين المعارف العقلية والدماغ، وكذلك بين المعارف القلبية والقلب (مضخّة الدم) يشعر بها كلّ إنسان في كيانه.

وبديهي أنّنا لانريد أن نقول بأنّ الدماغ مصدر المعارف العقلية، ومضخّة الدم مصدر المعارف القلبية، بل الذي نقصده من الفرق بين هذين النوعين من المعارف هو أنّ المعارف العقلية لها نوع ارتباط بالدماغ، والمعارف القلبية لها نوع ارتباط بالقلب، وبإمكان كلّ شخص أن يختبر بنفسه ماندّعيه.

إنّك عندما تشاهد منظراً جميلاً أو يبلغك خبرٌ سارٌّ لا تقول سُرَّت عيني أو سُرَّت أُذني، ولا تقول سُرَّ دماغي أو سُرَّ عقلي. وهذا أمرٌ واقع؛ إذ أنّك لا تشعر بالسرور بعينك ولا بأُذنك ولا بدماغك، إنّما تقول: سُرَّ قلبي. فالقلب ـ في واقع الحال ـ يتمتّع بحالة خاصّة و هي السرور. أمّا قولك: قرَّت العين، أو: تنوّرت العين، فهذا تعبير عن سرور القلب، وإلّا فالعين لاتحسّ بزيادة في النور.

وبالعكس، عندما تشاهد منظراً قبيحاً أو حادثاً مؤلماً أو يبلغك خبرٌ مزعج، فإنّك لا تقول: احترقت عيني، أو: التهبت أُذني، أو: اشتعل دماغي، وفي الواقِع إنّك لا تشعر بحرقة في عينك أو أُذنك أو دماغك، بل تقول: احترق قلبي، وأنت تشعر حقّاً بالحرقة في قلبك. وعلامة ذلك هو ازدياد دقّات القلب وارتفاع ضغطه.

والعاشق يشعر بالتعلّق والعشق لمعشوقه في قلبه، لا في عينه أو أُذنه أو دماغه. والذي يُكِنّ حقداً أو تذمّراً لآخر يشعر بذلك في قلبه لا في حواسّه الخمس أو في عقله.

من جهةٍ أُخرى، إنّك عندما تريد أن تتذكّر شيئاً أو تحلَّ مسألةً فإنّك تقول:

---

١. تحف العقول: ص ٣٧١.

اضغطْ على فكري عساي أحلّ المسألة. وربما تضرب على جبهتك بأصابعك تلقائياً بصورة لا إرادية استدراراً لما نسيت. فإذا ما تذكّرت أو انتهيت إلى حلّ المسألة فإنّك لا تقول: ضربت على قلبي حتّى تذكّرتُ المسألة أو وفّقتُ على حلّها. ولهذا قد تحسّ بالصداع والإعياء بعد التفكير.

فلا شكّ إذن في وجود نوع من الارتباط بين الدماغ والمعارف العقلية، وبين القلب والمعارف القلبية. ولكن كما قلنا؛ فإنّ هذه الرابطة ليست دليلاً على أنّ الدماغ أو مضخّة الدم هما المصدران المولّدان للمعارف العقلية أو القلبية. وكلّ ما يمكن أن يقال عن هذه الرابطة هو أنّ الدماغ والقلب موضعان للمعارف العقلية والقلبية. أي مثلما قال الإمام الصادقعليه السلام: «موضع العقل الدماغ، والقسوة والرقّة في القلب».

فالتعبير عن الدماغ والقلب بموضع المعرفة تعبيرٌ دقيقٌ صائب، إلّا أنّه يجب الانتباه إلى أنّ موضع الشيء ومولده ليسا متّحدين دوماً، فقد يكون للشيء موضع دون أن يكون هذا الموضع مولّداً له. والمثال على ذلك هو محطّة البنزين؛ فالمحطّة موضع البنزين ومستودعه لا مستخرجه ومولده. وهكذا الدماغ والقلب، فهما موضعان للمعارف العقلية والقلبية، لا مولّدان لها. ونحن على أمل أن نتحدّث بالتفصيل عن المولّد الرئيسي للمعارف العقلية والقلبية؛ أي «الروح»، لدى التطرّق إلى موضوع «المعاد».

#### ب ـ اختلافهما في نوع المعرفة

الفرق الثاني بين المعارف العقلية والقلبية هو الفارق في نوع المعرفة. فالمعارف العقلية تساوي العلم والمعرفة، والمعارف القلبية تساوي الوجدانيات. وعليه، فإنّ نوعية المعرفة في المعارف العقلية تختلف عمّا هي عليه في المعارف القلبية. فتارة يعرف الإنسان شيئاً مّا، وتارة يحسّ بالشيء في وجدانه ويحسّ بوجوده في نفسه.

وفي إمكانك الآن أن تجري اختباراً فيما يختصّ بنوعية المعرفة في المعارف

العقلية والقلبية.

فقرّر أن تنهض من مكانك وتصعد إلى سطح الدار. فإذا ما قرّرت وصمّمت فإنّ العقل يقول لك: عليك أن تصعد عن طريق سلّم الدار، أو عن طريق سلّم آخر خارجها. فهذه المعرفة هي معرفة عقلية.

والآن، انتبه إلى قلبك هل تجد فيه حبّاً لابنك أم لا؟ ممّا لاشكّ فيه ـ سيّان كان لك ابن أم لا ـ أنّك تجد في قلبك رغبةً وحبّاً للأبناء وبقاء النسل. فمعرفتك هذه هي معرفة قلبية.

ففي الحالة الأُولى تعلم أنّك بحاجة إلى سلّم للصعود على السطح، وأمّا في الحالة الثانية فإنّك تدرك بوجدانك وفي نفسك أنّك بحاجة إلى ابن. وبذلك فإنّ الإدراك الأوّل هو العلم والمعرفة، والإدراك الثاني هو الوجدان والضمير.

إلى هنا أوضحنا مصادر المعرفة في كيان الإنسان وبرهنّا على أنّ في الإنسان ثلاثة مصادر ومراكز للمعرفة، تعود كافّة علومه ومعارفه إلى واحدٍ منها. وأمّا رأي الإسلام في هذا الصدد فسنتناوله في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

## الخلاصة

◙ توجد في الإنسان ثلاثة مصادر للمعرفة تعود علومه ومعارفه إلى واحدٍ منها. وهذه المصادر هي: الحسّ، والعقل، والقلب.

◙ أوّل مصادر المعرفة في الإنسان هو الحواسّ الخمس. وكلّ حاسّة توفّر للإنسان معرفةً خاصّة، وبدونها لايستطيع الإنسان الحصول على تلك المعرفة.

◙ ثاني مصادر المعرفة هو العقل، وهو عبارة عن مركز الشعور والإدراك، ووظيفته: تركيب المفاهيم التي تصل إليه عن طريق الحواسّ، وتجريدها، والانتزاع منها، وتعميمها وتعميقها.

◙ الحسّ والعقل لايقدران على إنجاز شيء إلّا بالترابط معاً، ولا يستطيع أحدهما القيام بدوره في حصول المعرفة في غياب الآخر.

◙ المصدر الثالث للمعرفة هو القلب، وللقلب ثلاثة معانٍ: مضغة الدم، مركز الفكر، مركز المعارف غير الحسّية وغير العقلية. والمراد منه عند استعماله إلى جانب العقل في بحوث علم المعرفة هو معناه الثالث.

◙ المعارف العقلية والمعارف القلبية تختلفان في شيئين، الأوّل: في مركز الارتباط. والثاني: في نوعية المعرفة. مركز المعارف العقلية هو الدماغ، ومركز المعارف القلبية هو القلب (بمعناه الأوّل).

◙ المعرفة العقلية هي العلم والمعرفة، والمعرفة القلبية هي الوجدان والضمير.

الفصل الثّاني

# طرق المعرفة من منظار القرآن

إنّ القرآن الكريم والأحاديث والروايات الإسلامية وإن لم تتناول موضوعاً بعنوان طرق المعرفة أو مصادرها أو وسائلها بصورة مباشرة إلّا أنّ المسائل المطروحة في القرآن والأحاديث فيما يتعلّق بمعارف الإنسان وإدراكاته تبيّن بجلاء رأي القرآن في هذا الخصوص.

**المعارف الحسّية والعقلية في القرآن**

ذكرت الآية الكريمة التالية ـ بوضوح ـ المصادر الحسّية والعقلية ودورها في إدراكات الإنسان ومعارفه، وهي:

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[1]

وهكذا يتبيّن من صريح الكتاب أنّ الإنسان يولد مجرّداً من كلّ علم ومعرفة يحصل عليهما فيما بعد في هذا العالم، وأنّ الله تعالى قد منَّ عليه بوسائل باستخدامها يكتسب العلم والمعرفة تدريجياً. هذه الوسائل هي الأُذن والعين والفؤاد. فالسمع والبصر وسيلتان لتحصيل المعرفة الحسّية، والفؤاد وسيلة لتحصيل المعرفة القلبية. وعليه، فإنّ الحسّ والعقل من وجهة نظر القرآن الكريم يؤدّيان معاً

---

١. النحل: ٧٨.

دوراً أساسياً في معرفة حقائق الوجود.

لقد طرحت الآية الشريفة موضوعين أساسيّين في خصوص علم المعرفة، أوّلهما: إنّ الإنسان قبل أن يولد لايملك أيَّ معرفة، وإنّما يكتسب المعرفة بعد الولادة.

وثانيهما: وسائل المعرفة والتي وردت الإشارة إليها بقوله «السمع» و«الأبصار» و«الأفئدة». فالسمع يعني الأُذن، والأبصار جمع بصر بمعنى العين، والأفئدة جمع فؤاد بمعنى مركز الفكر.

وعلى ذلك فإنّ للحسّ والعقل في رأي القرآن دوراً أساسياً في تحصيل المعارف والمعلومات من قِبَل الإنسان.

وهنا نرى من الضروري التنبيه على بعض النقاط:

أوّلاً: فيما يختصّ بمعنى كلمة «الفؤاد» فقد جاء في كتاب المنجد:

الفؤاد جمعه أفئدة: القلب، وربّما أُطلق على العقل.[١]

وعليه فكلمة الفؤاد تستعمل بمعنى القلب وبمعنى العقل، وممّا يلفت النظر أنّ كلمة الفؤاد في الآية مورد البحث استعملت بمعنى مركز التعقّل والتعلّم بقرينة صدر الآية «لا تعلمون شيئاً».

ثانياً: لقد ذكر القرآن الكريم في هذه الآية حاسّتين من الحواسّ الخمس دون الإشارة إلى دَور الحواسّ الأُخرى، وربّما كان السبب في ذلك عائداً إلى سعة المعارف والمعلومات التي تُكتسب عن طريق السمع والبصر. وأمّا المعارف التي تنتقل إلى الذهن بواسطة الحواسّ الأُخرى فهي محدودة ولا تتجاوز بضع معارف. وللاطمئنان من ذلك يمكنك أن تراجع سِجِلَّ الذهن، وتقارن بين المعلومات التي تُكتسب عن طريق السمع والبصر، وبين تلك التي حصلت عن طريق الحواسّ الأُخرى، لترى أنّ المعلومات السمعية والبصرية لا تُعدّ ولا تُحصىٰ، في حين أنّ

---

١. المنجد في اللغة: ص ٥٦٦.

المعلومات الحاصلة من سائر الحواسّ محدودة ولا تتجاوز المعرفة ببضعة أذواق وروائح وبرودة وحرارة ونعومة وخشونة.

ثالثاً: يلاحظ في الآية الكريمة أنّ حاسّة السمع قد تقدّمت على حاسّة البصر. والسؤال هو: لماذا قال سبحانه تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ ولم يقل جعل لكم الأبصار والسمع؟

ربّما يعود السبب في ذلك إلى أنّ حاسّة السمع تلعب دوراً أكبر من حاسّة البصر في المعرفة، وبذلك يمكن للأعمى أن يبلغ أعلى المستويات العلمية، كما هي الحال بالنسبة لكثير من العلماء والفلاسفة في العالم، على حين لايمكن العثور على عالم كان أصمَّ منذ ولادته.

وبالإضافة إلى الآية سالفة الذكر التي تعتبر العقل مصدراً من مصادر المعرفة هناك طائفتان أُخريان من الآيات والأحاديث الإسلامية التي تؤيّد اعتبار العقل مصدراً للمعرفة.

فالطائفة الأُولى تضمّ آياتٍ وأحاديثَ تدعو الناس إلى التعقّل والتدبّر والتفكير والتفقّه، وهذه الآيات والأحاديث تدلّ على أنّ في الإنسان موضعاً للتفكير ومعرفة الحقائق، وأنّه مصدر معتبر في نظر الإسلام.

والطائفة الأُخرى تشتمل على آياتٍ وأحاديثَ تتناول أُصول الدين وفروعه بشكلٍ استدلالي مبرهن، وهي بدورها تؤيّد اعتبار العقل مصدراً معتبراً للمعرفة. ولمّا كانت هذه الآيات والأحاديث كثيرة، فإنّنا لانرى ضرورة لاستعراضها وتفسيرها في هذا المجال، ونكتفي بالاقتراح على من يرغب في مزيد الاطّلاع بالرجوع الى الجزءين التاسع والعاشر من بحار الأنوار.

### المعارف القلبية في القرآن

إلى هنا وضّحنا بالإجمال دور الحواسّ والعقل في مجال المعرفة استناداً إلى

القرآن الكريم. والآن نريد أن نبحث دور القلب في حصول المعارف القلبية وفقاً لماجاء في هذا الكتاب السماوي والأحاديث الإسلامية. ولهذا، ينبغي أن نرى في أيّ المعاني استعملت كلمة «القلب» في القرآن.

سبق أن قلنا إنّ كلمة «القلب» لها ثلاثة معانٍ، وهي: مضغّة الدم، ومركز الفكر والتعقّل، ومركز المعارف غير العقلية وغير الحسّية. وقلنا أيضاً إنّ المراد من استعماله إلى جانب العقل في بحوث علم المعرفة هو معناه الثالث، أي كونه مركز المعارف غير العقلية وغير الحسّية.

**معاني القلب في القرآن**

لو استقصينا المعاني التي عبّر عنها القرآن الكريم بكلمة «القلب» لتمثّل أمامنا أنّه لم يستعمله بمعنى مضغّة الدم مطلقاً، وإنّما استعمله أحياناً بمعناه الثاني وأحياناً أُخرى بمعناه الثالث، وثالثة بالمعنى الشامل للمعنيين معاً.

فأوّل معنى للقلب في القرآن هو «العقل» أي مركز التعقّل والتفكير، وذلك في قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾.[1]

وفسّر الإمام الكاظمؑ القلب في هذه الآية بـ«العقل».[2] وقد مرّ ذلك سابقاً.[3]

والمعنى الثاني للقلب في القرآن هو نفس المعنى الذي يُراد به في مبحث علم المعرفة، أي مركز المعارف غير الحسّية وغير العقلية، وذلك في قوله تعالى:

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾.[4]

---

١. ق: ٣٧.

٢. الكافي: ج ١ ص ١٦ ح ١٢.

٣. راجع: ص ١٦٥.

٤. الشعراء: ١٩٣ و ١٩٤.

فالقرآن الكريم لم ينزل على مركز فكر النبيّ ﷺ أي: أنّه لم يحصل على القرآن بالعقل والتفكير، ولم يحصّل الحقائق القرآنية بقوّة العقل؛ بل إنّ مركز معارفه غير الحسّية وغير العقلية هو الذي تلقّى هذه الحقائق من الوحي.

يقول الشهيد الأستاذ المطهّري في هذا الخصوص:

عندما يتحدّث القرآن عن الوحي لايذكر شيئاً عن العقل، إنّما الذي يقصده ويخاطبه هو قلب النبيّ ﷺ، وذلك يعني أنّ النبيّ لم يحصل على القرآن بقوّة العقل والاستدلال العقلي، بل إنّ قلبه ﷺ بلغ حالة تفوق تصوّرنا، أعدّته لدرك تلك الحقائق السامية ومشاهدتها. وآيات سورتي النجم والتكوير توضّح كيفية هذا الارتباط وهذه الحالة إلى حدٍّ مّا.[١]

والمعنى الثالث للقلب في القرآن هو أنّه عبارة عن حقيقة الإنسان وهي روحه ونفسه. وهذا المعنى مطابق لما أورده ابن الأثير في معنى القلب في كتابه «النهاية» حيث يقول:

قلب كلّ شيء لبُّه وخالصه.[٢]

وبما أنّ حقيقة الإنسان ولبّه وخالصه هي نفسه وروحه لذا أطلقت كلمة «القلب» على نفس الإنسان وروحه.

وقد عبّر القرآن الكريم عن الروح بالقلب في طائفة من الآيات، مثل:

﴿... وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.[٣]

﴿... وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾.[٤]

﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾.[٥]

---

١. آشنايى با قرآن (بالفارسية): ص ٦٠.

٢. النهاية: ج ٤ ص ٧٦.

٣. البقرة: ٢٢٥.

٤. البقرة: ٢٨٣.

٥. قٓ: ٣٣.

﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.[1]

فكلمة «القلب» قد استعملت في هذه الآيات ونظائرها للدلالة على حقيقة الإنسان ونفسه وروحه؛ ذلك لأنّ الإتيان بالأعمال الحسنة والقبيحة، كما جاء في الآية الأُولى، وارتكاب الذنوب كما جاء في الآية الثانية، والتوبة والإنابة كما جاء في الآية الثالثة، والسلامة كما جاء في الآية الرابعة، كلّها ذاتُ صلةٍ بحقيقة الإنسان ونفسه وروحه.

## المصدر الأساسي لكافّة المعارف

هناك نقطة مهمّة دقيقة للغاية فيما يخصّ المعنى الثالث للقلب، والتي يمكن استجلاؤها من خلال المرويات الإسلامية، وهي: أنّ القلب ـ بمعنى الروح ـ هو المصدر الأساسي لكافّة المشاعر والمعارف والإدراكات والإحساسات الإنسانية، وأنّ مصادر المعرفة الثلاثة ليست إلّا منافذ، عن طريقها ترتبط الروح بعالم الوجود.

والواقع أنّه عندما تُستعمل كلمة «القلب» بمعناها الأوّل (مركز المعارف العقلية والفكر والتعقّل) أو بمعناه الثاني (أي مركز المعارف غير الحسّية وغير العقلية) تكون قد استعملت في بُعدٍ من أبعاده أو منفذٍ من منافذه أو وسيلةٍ من وسائله أو مرتبةٍ من مراتبه.

يقول الشهيد الأُستاذ المطهّري بهذه المناسبة:

> إنّ الإنسان موجود واحد، ولكنّه في الوقت ذاته له المئات، بل الآلاف من الأبعاد الوجودية. فقول «أنا» عبارة عن مجموعة كبيرة من الأفكار والآمال والمخاوف والآمال و...؛ وهي كلّها بمثابة أنهار وجداول تتّصل ببعضها في ملتقى واحد، هذا الملتقى بحر عميق لم يدَّع بشر حتّى الآن أنّه اطّلع على أعماقه. ولكن ممّا لا يخفى

---

١. الشعراء: ٨٩.

أنّ العلماء والعرفاء وعلماء النفس قد ساهموا كلٌّ قدر وسعه في سبر غَـور هـذا البحر، وأفلحوا إلى حدٍّ مّا في كشف بعض أسراره، ولعلّ العـرفاء هـم أصـحاب النصيب الأكبر في هذا المجال. وما يسمّيه القرآن بالقلب فهو عبارة عن الحقيقة الواقعية لهذا البحر بالذات، وما يسمّيه بالروح الظاهرة عبارة عن تلك الأنـهار والجداول التي تتّصل بهذا البحر، حتّى العقل فإنّه هو الآخر أحد هذه الأنهار التي تتّصل بهذا البحر.[1]

وقد ربط أميرالمؤمنين علي عليه السلام بين هذا النهر بالبحر بأدقّ وأفصح تعبير قائلاً:

القَلبُ مُصحَفُ الفِكرِ.[2]

وفي حكمة أُخرى من حِكَمه عليه السلام يبيّن الصلة بين منافذ المعرفة الحسّية والمصدر الرئيسي للمعرفة بقوله:

القَلبُ يَنبوعُ الحِكمَةِ، والأُذُن مَغيضُها.[3]

فالينبوع يعني العين، والمغيض: هو مجتمع الماء الذي منه يدخل في الأرض. وعليه، فإنّ معنى الحديث هو أنّ القلب عين فيّاضة بالحكمة، والأُذن محلّ ومدخل تتغذّى أو تستمدّ منه عين القلب.

وروي في حديثٍ آخر عن الإمام عليه السلام:

العُيونُ طَلائعُ القُلوبِ.[4]

ويعني: أنّ حسَّ البصر وسيلة يكتسب القلب بها المعلومات اللازمة.

---

١. آشنايى با قرآن (بالفارسيّة): ص ٦٠.

٢. غرر الحكم: ح ١٠٨٧.

٣. غرر الحكم: ح ٢٠٤٦.

٤. غرر الحكم: ح ٤٠٥.

## المعارف القلبية من منظار الأحاديث الإسلامية

كنّا نتحدّث حتّى الآن عن معاني القلب في القرآن الكريم. وبيّنّا أن ثاني معاني القلب في القرآن هو بالذات ما يعبّر عنه بالمعارف القلبية في علم المعرفة. كما أنّ القرآن قد أكّد على وجود مصدر ومركز في الإنسان يساعده على التوصّل إلى معارف يتعذّر عليه التوصّل إليها عن طريق الحواسّ والعقل.

ولقد فسّرت الأحاديث الإسلامية بجلاء وصراحة تامّة كلّ ما تناوله القرآن في صدد المعارف القلبية. فقلب الإنسان في نظر الأحاديث الإسلامية ـ كجسمه ـ له حواسّ يدرك بها ما لا يستطيع إدراكه بالحواسّ الظاهرة والعقل. غير أنّه لا يمكنه الاستفادة من حواسّه القلبية إلّا إذا حقّق شرائط الاستفادة وأزال الموانع التي تحول دونها.

وقد خُصّص لمصطلح القلب في كتاب ميزان الحكمة بابان مستقلّان فيما يخصّ حواسّ القلب، أحدهما: الباب (٣٣٩٠) تحت عنوان «عين القلب». والآخر: الباب (٣٣٩١) تحت عنوان «أُذن القلب». وهما يشتملان على ستّة عشر حديثاً حول الحواسّ الباطنية للقلب، رواها الشيعة والسنّة مضافاً لأحاديث أُخرى وردت في سائر أبواب الكتاب المذكور دالّةً على هذا المعنى، مشار إليها في ذيل الباب (٣٣٩٠).

ونحن نقتصر هنا على ذكر نموذجين من هذه الأحاديث. ومن رغب في مزيد الاطّلاع فليراجع الأبواب المذكورة أعلاه.

### عيون القلب

النموذج الأوّل: هو الحديث المروي عن النبيّ الأكرمﷺ والذي نقل مضمونه عن الإمامين زين العابدين والصادقعليهما السلام أيضاً، ورواه المحدّثون الشيعة والسنّة باختلاف يسير في الألفاظ، وإليك نصّه:

ما مِنْ عَبْدٍ إلّا وفي وَجهِهِ عَيْنانِ يُبصِرُ بِهِما أَمْرَ الدُّنيا ، وعَيْنانِ في قلبِهِ يُبصِرُ بِهِما أمْرَ الآخِرَةِ . فَإذا أرادَ اللهُ بِعَبدٍ خَيراً فَتَحَ عَيْنَيْهِ اللَّتَينِ في قَلْبِهِ ، فَأَبْصَرَ بِهِمَا ما وَعَدَهُ بِالغَيبِ ، فَآمَنَ بِالغَيبِ عَلَى الغَيبِ .[١]

## نموذج للرؤى القلبية

روى أبوبصير ـ وهو أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ـ قال:

حججتُ مع أبي عبدالله عليه السلام ، فلمّا كنّا في الطواف قلت له : جُعلت فداك يابن رسول الله ، يغفر الله لهذا الخلق؟ فقال :

يا أبابَصيرٍ ، إنَّ أكثَرَ مَنْ تَرَىٰ قِرَدَةٌ وخَنازيرُ .

قال : قلت له : أرنيهم ، قال : فتكلّم بكلماتٍ ثمّ أَمَرَّ يدَه على بصَري فرأيتهم قردةً وخنازير؛ فهالني ذلك . ثمّ أَمَرَّ يده على بصري فرأيتهم كما كانوا في المرّة الأُولى .[٢]

يتبيّن لنا من هذه الرواية أنّ الإمام أزال الحُجب عن عين قلب أبي بصير بتصرّفه الولائي وبإمرار يده على بصره ، فتكشّفت له الوجوه الحقيقية والباطنية لأُناسٍ أوصافهم وسيرتهم كأوصاف وسيرة القردة والخنازير .

أمّا أولياء الله العظام ـ ممّن أزالوا حُجبهم الباطنية بتزكية أنفسهم ـ فبإمكانهم أن يشاهدوا ببصائر قلوبهم حقائق عالم الوجود كما هي عليه في حقيقتها .

## آذان القلب

النموذج الثاني للأحاديث التي تخصّ الحواسّ الباطنية للقلب حديث عن الإمام الصادق عليه السلام حول حاسّة السمع القلبية ، وهذا نصّه :

---

١ . كنز العمّال : ج ٢ ص ٤٢ ح ٣٠٤٣ نقلاً عن الفردوس .

٢ . راجع : بصائر الدرجات : ص ٢٧٠ ح ٤ .

إنَّ لِلقَلْبِ أُذُنَيْنِ، فَإذا هَمَّ العَبْدُ بِذَنْبٍ قالَ لَهُ رُوحُ الإيمانِ[١]: لا تَفعَلْ. وقالَ لَهُ الشَّيطانُ: اِفْعَلْ.[٢]

## الإيمان بالغيب بالبصر الغيبي

إنّ مَن كانت لقلبه عين باصرة وأُذن سامعة وكانت حواسّه الباطنية سالمةً لايحتاج إلى البراهين والأدلّة العقلية لمعرفة ماوراء الطبيعة والإيمان والاعتقاد «بالغيب». فهو ـ كما جاء في الحديث الأوّل ـ يرى الغيب ويدرك ماوراء المادّة بباصرته الغيبية وحواسّه الباطنية. أمّا الأدلّة العقلية فهي لأُولئك الذين لايستطيعون الاستفادة من حواسّهم الباطنية أو مَن ليست لقلوبهم عيون باصرة.

فإثبات النهار في وضح النهار يلزم لمن كانت عيناه لاتبصران، أو كان في مكان لايستطيع فيه التمييز بين الليل والنهار. وأما إثبات النهار لمن يرى الشمس الوضّاءة بعينها فلا معنى له. يقول الشاعر:

متى غبتَ عن قلبي حتى يتمنّاك ومتى خفيت حتّى تشتاق العين مرآك

لا أنت غائب فأستدعيك الحضور ولا أنت خافٍ فأُناشدك الظهور[٣]

ولهذا يقول الإمام علي عليه السلام حول رؤاه ومشاهداته القلبية والغيبية في بداية بعثة الرسول صلى الله عليه وآله:

أرىٰ نورَ الوَحيِ وَالرِّسالَةِ، وأشَمُّ ريحَ النُّبُوَّةِ.

---

١. يستفاد من رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ المراد من «روح الايمان» هو الملَك. ونصّ الرواية هو: ما من قلب إلّا وله أُذنان على إحداهما ملَك مرشد وعلى الأُخرى شيطان مفتّن، هذا يأمره وهذا يزجره (الكافي: ج ٢ ص ٢٦٦ ح ١).

٢. الكافي: ج ٢ ص ٢٦٧ ح ٢.

٣. هذه ترجمة لبيتين من الشعر الفارسي، وفيما يلي نصّهما:

کی رفته‌ای ز دل که تمنّا کنم تو را کی بوده‌ای نهفته که پیدا کنم تو را

غایب نبوده‌ای که شوم طالب حضور پنهان نبوده‌ای که هویدا کنم تو را

فالإمام عليعليه السلام لم يكن بحاجة إلى الدليل والبرهان لمعرفة الوحي والنبوّة، فهوعليه السلام قد آمَنَ بالغيب بعين غيبه، وشاهد نور الوحي، وأدرك الرسالة النبوية، وشمّ ريح النبوّة العبق.

وهذا الكلام من الإمام يفيدنا بأنّ قلب الإنسان يمتلك حاسّة الشمّ أيضاً إضافةً إلى العين والأُذن الباطنيّتين.

ثمّ أضافعليه السلام:

**ولَقَدْ سَمِعتُ رَنَّةَ الشَّيطانِ حينَ نَزَلَ الوَحْيُ عَلَيْهِصلى الله عليه وآله.**

ولا يمكن سماع أنين الشيطان بالأُذن المادّية الموجودة في الرأس، وإنما أُذن القلب هي التي تستطيع سماع الصوت غير المحسوس الصادر عن الشيطان:

**فَقُلْتُ: يارَسولَ اللهِ، ما هٰذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقالَ: هٰذَا الشَّيطانُ قَد أَيِسَ مِنْ عِبادَتِهِ.**

وهنا خاطب النبيصلى الله عليه وآله أمير المؤمنينعليه السلام قائلاً:

**إنَّكَ تَسمَعُ ما أسمَعُ، وتَرىٰ ما أرىٰ، إلّا أنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، ولٰكِنَّكَ لَوَزيرٌ.**[1]

وعلى ذلك، فالإسلام يعتبر القلب مصدراً من مصادر المعرفة إلى جانب الحسّ والعقل. وهو قائل للقلب بحواسّ باطنة كالحواسّ الخمس الظاهرة، إلّا أنّ الاستفادة من هذا المصدر تستلزم شروطها الخاصّة التي سنتعرّض لها في الأقسام التالية من دراستنا.

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

## الخلاصة

▣ الآية (٧٨) من سورة النحل تدلّنا على أنّ الإنسان لايعرف شيئاً قبل ولادته، وأنّ دور الحواسّ والعقل في المعارف المكتسبة دور أساسي.

▣ كافّة الآيات والروايات التي تدعو الناس بصورة مطلقة إلى التعقّل والتدبّر أو تستعرض أُصول الدين وفروعه بشكل استدلالي تدلّ على أنّ العقل مصدر للمعرفة، وهو مصدر معتبر في منظار الإسلام.

▣ استعمل القلب في القرآن الكريم في ثلاثة معاني، هي: مركز الفكر ومركز المعارف غير الحسّية وغير العقلية، وحقيقة الإنسان، أي نفسه وروحه.

▣ الروح هي المصدر الرئيسي لكافّة المعارف، ومصادر المعرفة الثلاثة وسائلها.

▣ قلب الإنسان ـ كجسمه ـ له حواسّ يستطيع بواسطتها إدراك حقائق يتعذّر عليه إدراكها عن طريق العقل والحواسّ الظاهرة.

الفصل الثّالث

# نطاق مصادر المعرفة

بيّنّا في الفصل الأوّل أنّ كافة معارف الإنسان ومعلوماته لها صلة بحواسّ الإنسان وعقله وقلبه. ونريد في هذا الفصل أن نعلم: أنّ نطاق كلّ من هذه المصادر محدود أم لا؟ بعبارة أُخرى: هل يمكن معرفة كلّ شيء بالحواسّ؟ وهل يمكن إدراك كلّ شيء بالعقل؟ وهل يمكن التوصّل إلى جميع حقائق الوجود عن طريق القلب؟ أم أنّ لكلّ من الحواسّ والعقل والقلب نطاق خاصّ؟

والجواب هو: أنّ نطاق مصادر المعرفة محدود، أي أنّ كلَّ مصدر من المصادر الآنفة الذكر يعمل في دائرة خاصّة معيّنة. فالحواسّ قادرة على كسب أو تحصيل المعارف الحسّية فقط، والعقل يعمل ضمن دائرة المعارف العقلية فحسب، والقلب قادر على القيام بدوره ضمن دائرة المعارف القلبية ليس إلّا.

## دليل تحديد نطاق مصادر المعرفة

الدليل على واقعية التحديد هو ضرورة التناسب بين وسائل المعرفة وما يُراد معرفته. وتوضيحاً لذلك نقول: إنّ أحد القوانين العقلية المدرَكة لدى الجميع بوضوح ينصّ على أنّ وسيلة إنتاج كلّ شيء تتناسب مع ذلك الشيء، فمثلاً لا يتوقّع من معمل الألبانِ أن ينتج طائرة، أو أن يتمّ إنتاج الأقمشة أو المنسوجات في معمل خاص بصناعة الطائرات، فضرورة التناسب بين وسائل الإنتاج وما تنتجه

هذه هي ما يسمّى في الفلسفة بضرورة السنخية بين العلّة والمعلول. وعليه، فإنّ كلّ حاسّة من الحواسّ الخمس هي وسيلة لتحصيل معرفة معيّنة. فالعين وسيلة لمعرفة الأشكال والألوان، والأُذن وسيلة لمعرفة الأصوات... وهكذا دواليك. فحدود معارف كلّ حاسّة من الحواسّ الخمس تحدّد بما يناسب هذه الحاسّة ويتسانخ معها. فإذا توقّعنا سماع الصوت من العين أو التذوّق من الأُذن فقد توقّعنا إنتاج الطائرة من معمل الألبان!

وكذلك فإنّ الحواسّ الخمس جميعاً لها بالنسبة للمعرفة دائرتها الخاصّة، التي تحدّد بالمحسوسات المتسانخة معها، فلا يمكنها أن تتجاوز حدودها إلى دائرة المعارف العقلية، كأن تقوم بتجريد المفاهيم أو تركيبها أو تجزئتها وما إلى ذلك ممّا يقع في نطاق النشاطات العقلية. فكما أنّ العين لا تستطيع سماع الصوت، كذلك لا تستطيع الحاسّة أن تجزّئ أو تركّب أو تجرّد المفاهيم الحسّية.[١]

وللقلب أيضاً نطاق خاصّ للمعرفة، فيستطيع الإنسان عن طريق تهذيب النفس وتنشيط حواسّ القلب أن يصيب معارفه التي مرَّ ذكرها. وكما أنّ الحاسّة لا تستطيع أن تتجاوز حدودها إلى حدود العقل فإنّ العقل أيضاً لايتأتّى له أن يتجاوز حدوده ويتعدّى على حدود القلب، والعكس صحيح. ومن ثمّ لايصحّ لأحد أن يصير طبيباً أو عالماً رياضياً أو... عن طريق تزكية الروح وتهذيب النفس، فهذا ممّا يكتسب عن طريق الوسائل الحسّية والعقلية التي يدخل تحصيل العلوم في دائرتها.

إنّ تزكية النفس تؤدّي إلى تنشيط حواسّ القلب وتفتّح عينه وأُذنه، الأمر الذي يبلغ بالإنسان درجة الإلهام والمشاهدة الغيبية، ومن ثمّ يصبح عارفاً، لا طبيباً ولا عالماً رياضياً ولا مجتهداً.

---

١. سنأتي أثناء الحديث عن معرفة الله إلى توضيح: أنّ من ينكر الله والروح والملَك بدليل عدم إدراكهم بالحواسّ هو كالأصمّ ينكر وجود أيّ صوت أو نغمة في العالم؛ لأنّه لايسمعها بعينه.

يقال: إنّ شابّاً سافر إلى النجف الأشرف للدراسة في الحوزة العلمية، وبعد مدّة شعر بأنّ طلب العلم صعب عليه وأنّ الدراسة تتطلّب جهداً شاقّاً، وكان قد سمع بأنّ الدعاء يُستجاب في مشهد أبي الفضل العبّاس عليه السلام، ففكّر قليلاً ثُمَّ قال في نفسه: لماذا أُرهق نفسي بتحمّل المتاعب من أجل تحصيل العلم وبلوغ درجة الاجتهاد؟! الرأي الأفضل أن أذهب إلى مشهد أبي الفضل العبّاس عليه السلام وأسأله أن يمنحني شهادة الاجتهاد دون عناء! فسافر إلى كربلاء بضعة أسابيع على أمل أن تتحقّق أوهامه. وهناك بات لياليه يبكي ويتضرّع طالباً من العبّاس عليه السلام أن يصادق على اجتهاده. وفي إحدى اللّيالي رأى في عالم الرؤيا العبّاسَ عليه السلام ومعه عدد من خدم الروضة العبّاسية، فظنّ أنّه سيصادق على اجتهاده، إلّا أنّه عندما اقترب منه شاهد عكس ما كان يتوقّع، حيث أمر عليه السلام بإحضار الفلقة وشدّ رجليه إلى الأعلى ومعاقبته بالضرب على أخمصيه!

فلمّا شاهد الطالب الكسول هذا المنظر انتابه هلع شديد، وقال: يا مولاي، طلبتُ منك بكلّ ذاك البكاء والتضرّع أن تمنحني شهادة الاجتهاد، وأراك تأمر بمعاقبتي؟!

فقال عليه السلام: لا يصبح الإنسان مجتهداً بالكسل والبكاء والدعاء، إن كنت ترغب في الاجتهاد فقم وادرس واجهد كما يفعل الآخرون.

**نطاق مصادر المعرفة في الرؤية القرآنية**

السؤال هنا: هل أنّ القرآن الكريم والأحاديث الإسلامية يؤيّدان ما ذكرناه حول نطاق مصادر المعرفة أم لا؟! وبعبارة أُخرى: هل من المقبول في نظر الإسلام أن يكون لكلّ مصدر من مصادر المعرفة دائرة محدودة لايتأتّى له إنجاز عمل خارج عنها؟

للإجابة على هذا السؤال يجب الالتفات إلى أنّ القرآن والأحاديث لم يذكرا

نطاق مصادر المعرفة بشكل خاصّ، بل إنّهما يطرحان مسائل مختلفة بشكل يتحدّد من خلاله رأي الإسلام في هذا الصدد.

### دائرة نطاق الحسّ في القرآن

فمثلاً القرآن الكريم يوصي النبيّ ﷺ بالإعراض عن أُولئك الذين لايفكّرون إلّا في المادّيات، ومن انحصرت رؤيتهم الكونية في الحياة المادّية في هذه الدنيا، بقوله تعالى:

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾.[1]

فقوله تعالى «مَبلغ» تعبير عن مدى الحدّ، و «العلم» تعبير عن المعرفة. فحدود معرفة المادّيين لا تتعدّى دائرة ما يبصرون وما يسمعون أو ما يحسّونه بشكل عامّ. فهم لايدركون ماوراء المحسوسات، لأنّهم افتقدوا وسائل معرفة الأُمور غير المادّية، ولا يستفيدون من عقولهم وقلوبهم. وعليه، فهم لايفهمون سوىٰ المال والشهوة والمنصب وكلّ محسوس يتعلّق بالحياة المادّية، وأمّا المفاهيم العقلية والقلبية فهي غير مألوفة لديهم.

وعلى هذا الأساس، نفهم من الآية الآنفة الذكر أنّ نطاق معرفة الحواسّ الخمس لا تكتنف إلّا الحياة المادّيّة فقط. فإذا ما أراد الإنسان أن يدرك الحياة المعنوية ويتنعّم بالحياة العقلية والمعنوية وجب عليه أن يستفيد من وسائل أُخرى، ويستثمر سائر ما في وجوده من مصادر المعرفة.

ولأميرالمؤمنين علي عليه السلام كلام دقيق بليغ في هذا الشأن، يمكن اعتباره تفسيراً للآية سالفة الذكر، حيث يقول:

إِنَّما الدُّنيا مُنتَهَى بَصَرِ الأعمىٰ، لا يُبصِرُ مِمّا وَراءَها شَيئاً. والبَصِيرُ يَنفُذُها بَصَرُهُ،

---

١. النجم: ٢٩ و ٣٠.

وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَها.[١]

لقد ميّزﷺ بكلامه هذا بين الرؤية الكونية الحسّية والرؤية الكونية العقلية. وهذه الرواية تشبّه أُولئك الذين يفتقرون إلى الرؤية الكونية العقلية وينظرون إلى الوجود من خلال نافذة الحواسّ فقط بعُمْيٍ، تصوّراً منهم أنّ الطريق أو الجدران الخارجية التي حول الدار هي دارهم، فشرعوا في تزيينها. وتشبّه الذين ينظرون إلى الوجود من خلال نافذة العقل ـ أُولئك الذين يتمتّعون بالرؤية الكونية العقلية ـ بذوي البصائر الذين لايقف بصرهم عند الجدران المحيطة، بل ينفذ منها إلى ماوراء الدار والجدران أيضاً، ويعلمون أنّ الدار حقّاً هي ما وراء الجدران. وعليه فهم يبذلون وسعهم لتزيينها من الداخل، ولهذا قال الإمامﷺ في سياق كلامه:

فَالبَصيرُ مِنها شاخِصٌ، والأعمىٰ إلَيها شاخِصٌ. والبَصِيرُ مِنها مُتَزَوِّدٌ، والأعمىٰ لَها مُتَزَوِّدٌ.

أي أنّ الدنيا بمثابة الجسر لمن تفتّحت عين بصيرة عقله ونظر إليها بعين العقل واستفاد منها لبلوغ هدفه. أمّا عُمْي القلوب الذين انحصرت رؤيتهم الكونية في المشاهد الحسّية، فإنّ هذه الدنيا ذاتها بالنسبة لهم هي هدفهم الغائي. ولذا، فالبصير يعبر على الجسر وصولاً إلى غايته الأساسية، بينما أعمى القلب يتصوّر أنّ الجسر غايته. فالأوّل يعدّ الزاد لمستقرّه الخالد وهي الدار الآخرة، في حين يتزوّد الآخر بالدنيا التي يعتبرها دار الخلود.

والإمام عليﷺ كان النموذج للبصير الكامل، فكان يرى ما وراء الدنيا جليّاً بعين العقل. فقد روى سويد بن غفلة، قال: دخلتُ على أمير المؤمنينﷺ بعدما بويع بالخلافة وهو جالس على حصير صغير ليس فيالبيت غيره، فقلت: يا أميرالمؤمنين، بيدِك بيت المال، ولستُ أرى في بيتك شيئاً ممّا يحتاج إليه البيت؟!

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٣٣.

فقال عليه السلام :

يَابنَ غَفَلَةَ، إنَّ اللَّبيبَ لايَتَأَثَّثُ في دارِ النُّقْلَةِ، ولَنا دار أَمْنٍ قَد نَقَلنا إلَيها خَيرَ مَتاعِنا، وإنّا عَن قَليلٍ إلَيها صائِرونَ.[1]

## المعرفة الحسّية معرفة ظاهرية

الآية الأُخرى التي يمكن استنباط حدود المعرفة الحسّية منها هي الآية السابعة من سورة الروم، حيث تَعُدُّ المعرفة الحسّية معرفة ظاهرية غير عميقة، وهي قوله تعالى:

﴿يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ﴾.[2]

فالذين يفتقرون إلى الرؤية الكونية العقلية وينظرون إلى الوجود من خلال نافذة الحواسّ فقط، فإنّ معرفتهم بالحياة معرفة ظاهرية سطحية غير عميقة. فهم لايعرفون شيئاً عن الحياة الآخرة التي هي في أعماق الحياة الدنيا وأغوارها فيما وراء المادّة، ولايفهمون من العيش في هذه الدنيا إلّا الأكل والنوم والشهوة والثروة والمنصب، فتراهم في غفلة عمّا وراء هذه الحياة المحسوسة، وذلك لأنّ إدراك ماوراء الأكل والنوم والقيام والقعود والمناصب المادّية وما إلى ذلك من الأُمور خارج عن دائرة الحواسّ.

## نطاق العقل في القرآن

بعدما ذكر القرآن الكريم الرؤية الكونية الحسّية التي يتّصف بها الغافلون دعاهم إلى الرؤية الكونية العقلية، واتّباع السبيل المؤدّي إليها، المتمثّل بالتفكير. وبذلك يحدّد نطاق معرفة العقل، بقوله تعالى:

---

١. عدّة الدّاعي: ص ١٠٩.

٢. الروم: ٧.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾.[١]

أي: ألا يريد أُولئك القانعون بالرؤية الكونية الحسّية والذين لا يفهمون شيئاً إلّا الحياة المادّية يفكّروا فيستفيدوا من نافذة العقل ويحكّموا ضمائرهم؟!

فلو أنّهم فعلوا ذلك، لحَكَمَ العقلُ في محكمة الضمير صراحةً بأنّ خلْق السماوات والأرض وما بينهما لايمكن أن يكون باطلاً أو عبثاً بلا هدف. ولو لم يكن وراء المادّة شيءٌ فليست الحياة المحسوسة والمادّية وحدها هي التي تصبح باطلاً وعبثاً بدون هدف، وإنّما تكون الحياة كلّها هكذا باطلاً وعبثاً. والعقل يحكم أنّه لا يمكن أن تكون المادّة والسماوات والأرض وما بينهما باطلاً، بل إنّ العقل إذا ما لا حظ عالم المادّة أدرك أنّه ذا هدف ولاحظ ذلك في أعماقه بوضوح.

والآية الأُخرى التي يمكن الاستناد إليها في معرفة نطاق العقل في نظر القرآن الكريم، هي قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.[٢]

أي لو طالع الإنسان عالم المادّة وحقّق في أمره من خلال نافذة العقل، لتوصّل قطعاً إلى معرفة ما وراء المادّة وأدرك أعماق الوجود.

وعليه، فإنّ المعرفة بالوجود على حقيقته تتأتّى بالاستدلال والبرهنة والتوصّل من الأثر إلى المؤثّر ومن التدبير إلى المدبّر، وهذا كلّه بالنظر من خلال نافذة العقل.

---

١. الروم: ٨.

٢. آل عمران: ١٩٠.

## نطاق القلب في القرآن

يستعرض القرآن الكريم والأحاديث الإسلامية معارف لا تدخل في نطاق الحسّ أو العقل، بل إنّها تتعلّق بنطاق الوحي، ودائرة الوحي في أبحاث المعرفة هي دائرة القلب بالذات. إلّا أنّ كلمة «الوحي» لا تطلق في البحوث العقائدية على كافّة المعارف التي تدخل ضمن نطاق القلب. فهذه المعارف تنقسم إلى ثلاثة أنواع، هي: الوسوسة، الإلهام، الوحي.

ففيما يخصّ النوع الأول نقرأ الآية الكريمة التالية حيث يقول تعالى:

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ...﴾.[١]

فنلاحظ أنّ القرآن الكريم قد عبّر بالوحي عن الإلقاءات والإدراكات الشيطانية التي تحصل لبعض الناس، وعبّر عن ذلك أيضاً بـ«الوسوسة» في سورة الناس.[٢]

وهكذا أيضاً يعبّر في المباحث العقائدية عن هذا النوع من الإدراكات بالوسوسة.

وفيما يخصّ المعارف من النوع الثاني ـ أي الإلهام ـ فقوله تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.[٣]

فنلاحظ أيضاً أنّ القرآن الكريم أطلق كلمة «الوحي» على الإلقاءات والإدراكات التي وجّهت من الله تعالى إلى أُمّ موسىٰ بشأن المحافظة على حياة موسىٰ عليه السلام. أمّا في البحوث العقائدية فإنّ كلمة «الإلهام» تطلق بدلاً من كلمة «الوحي» على هذا القبيل من المعارف والتي تحصل لغير الأنبياء عليهم السلام. هذه المعارف

---

١. الأنعام: ١٢١.

٢. وذلك في قوله تعالى: ﴿من شرِّ الوَسوَاسِ الخنّاسِ ۞ الذي يُوسوِسُ في صُدور الناس﴾ (الناس: ٤ و ٥).

٣. القصص: ٧.

التي ـ كما ورد في القرآن والأحاديث الإسلامية ـ يمكن لأيّ شخص الحصول عليها عن طريق تهذيب النفس وتزكية الروح.

وفيما يتعلّق بالمعارف من النوع الثالث ـ أي التي يُطلق عليها في البحوث العقائدية اسم «الوحي» ـ فهناك آيات وأحاديث كثيرة لا حاجة لذكرها هنا.

## الخلاصة

▣ لكلّ مصدر من مصادر المعرفة نطاق خاص لايمكنه توليد أيّة معرفة خارجاً عنه.

▣ الدليل على تحديد مصادر المعرفة بنطاق خاص هو ضرورة التناسب بين وسائل المعرفة وما يُراد معرفته بواسطتها، فكما أنّ السماع لا يكون بالعين والرؤية لا تتمّ بالأُذن فلا يمكن أن نتوقّع من الحواسّ أن تؤدّي وظيفة العقل، أو أن يولد العقل المعارف القلبية.

▣ القرآن الكريم والأحاديث الإسلامية تستعرض كلّ مصدر من مصادر المعرفة الثلاثة بشكلٍ يمكن من خلاله استنباط رأي الإسلام فيما يختصّ بحدود نطاق تلك المصادر. فنطاق الحواسّ يستنبط من الآية (٣٠) من سورة النجم والآية (٧) من سورة الروم، ونطاق العقل يستنبط من الآية (٨) من سورة الروم والآية (١٩٠) من سورة آل عمران، وكذلك يمكن استنباط نطاق القلب من الآية (١٢١) من نفس السورة، ومن الآية (٧) من سورة القصص.

▣ تقسّم المعارف القلبية في البحوث العقائدية إلى ثلاثة أنواع:

يسمّى النوع الأوّل: بالوسوسة، والنوع الثاني: بالإلهام، والنوع الثالث: بالوحي. فالوسوسة عبارة: عمّا تدركه قلوب البعض من خلال إلقاءات الشياطين. والإلهام عبارة عن تلك المعارف التي يلقيها الله تعالى في قلوب أشخاص ليسوا أنبياء ولا رسلاً. وأمّا الوحي فهو عبارة عن المعارف التي ينزلها الله على قلوب أنبيائه ﷺ.

الفصل الرّابع

# المَعارِفُ الفِطريّةُ

إنّ الفطرة والمعارف الفطرية من المسائل البالغة الأهمّية والأساسية في التوحيد والأخلاق وفلسفة التاريخ في النظرة الإسلامية للكون.

ولبيان معنى الفطرة والمعارف الفطرية وارتباط تلك المعارف بمصادر المعرفة ينبغي بحث المسائل الأربع الآتية:

أ ـ معنى الفطرة والمعارف الفطرية.

ب ـ إمكان المعارف الفطرية.

ج ـ أنواع المعارف الفطرية.

د ـ تشخيص المعارف الفطرية.

## أ ـ معنى الفطرة والمعارف الفطرية

الفطرة لغةً هي الطبيعة والسجية، قال في القاموس المحيط ـ الذي يعتبر من الكتب اللغوية القيّمة ـ:

الفِطرةُ: الخِلْقَةُ التي خُلِقَ عليها المولودُ في رَحِمِ أُمِّهِ.[1]

وجاء في معناها في «أقرب الموارد»:

---

١. القاموس المحيط: ج ٢ ص ١١٠.

الفطرة ، هي الصفة التي يتّصف بها كلُّ موجود في أوّل زمان خلقته .[١]

وعليه، فكلّ صفة وخصيصة تمتدّ جذورها في حقيقة الإنسان وتمتزج بذاته وترافقه منذ ولادته هي صفة فطرية.

بتعبير آخر، تنقسم صفات الإنسان إلى مجموعتين: المجموعة الأُولى: صفات فطرية، والمجموعة الأُخرى: صفات اكتسابية.

### الصفات الفطرية

هي عبارة عن الخصائص الملازمة للإنسان منذ ولادته، هذا أبيض وهذا أسود وذاك أحمر، هذا جميل وهذا قبيح، هذا عصبيّ وذاك هادئ، شخص ذكيّ وآخر بليد الذهن عديم الاستعداد... إلى غير ذلك، فهذه الصفات ممزوجة مع ذات الإنسان منذ خلقته، ولهذا سمّيت خصائص فطرية ؛ لأنّها ملازمة لخلقة الإنسان وفطرته وطبيعته.

### الصفات الاكتسابية

هناك في مقابل الصفات الفطرية صفات وخصائص لا تلازم الإنسان منذ بدء خلقته وإنّما يكتسبها بالتدريج، مثل: القراءة والكتابة واستيعاب العلوم والفنون المختلفة، ممّا لم يكن يعرفه في بداية خلقته، وإنّما اكتسبها شيئاً فشيئاً. هذه الصفات تسمّى بالصفات الاكتسابية أو الخصائص غير الفطرية.

### المعارف الفطرية

بناءً على ما تقدّم في بيان معنى الصفات الفطرية يكون معنى المعارف الفطرية هو أنّها عبارة عن المعارف التي يمتلكها المولود في أوّل زمان خلقته، فكما أنّ السواد والبياض والقبح والجمال ملازمة للإنسان منذ خلقته، فهناك معارف ملازمة له منذ

---

١. أقرب الموارد: ج ٢ ص ٩٣٣.

بداية تكوينه مستقرّة في طبيعته وجبلّته.

وهنا تواجهنا مسألة أُخرى، وهي: «إمكان المعارف الفطرية» بمعنى أنّه: هل يمكن للإنسان أن يمتلك معارف فطرية أم لا؟

**ب ـ إمكان المعارف الفطرية**

المسألة هي: هل يمكن للإنسان في أوّل زمان خلقته وهو جنين في بطن أُمّه أن تكون له معرفة أو معارف فطرية؟

والجواب المختصر لهذا السؤال هو: إذا كان المقصود بالمعرفة هو المعرفة بالقوّة فاللّهمّ نعم، وإذا كان المقصود هو المعرفة بالفعل فاللّهمّ لا. والمراد بالمعارف الفطرية هو المعارف بالقوّة.

وتوضيحاً لذلك نقول: إنّ المعارف تصنّف إلى صنفين: الصنف الأوّل: هو المعارف بالفعل، والصنف الآخر: هو المعارف بالقوّة. فالمعارف بالفعل عبارة عن المعارف الموجودة فعلاً وحالياً. والمعارف بالقوّة هي المعارف التي لا توجد بالفعل، بل يمتلك الإنسان ما يمهّد لإيجادها.

وعليه، فالمعارف بالقوّة عبارة عن توفّر الأرضية والقابلية والاستعداد اللازم لتحقيق المعرفة، لا تحقيقها بالفعل، فمثلاً: شجرة التفّاح لاتحمل التفّاح بالفعل في فصل الشتاء، ولكنّها تحمله بالقوّة. أي إنّ لها الاستعداد لتوفير الفاكهة دون الأشجار الأُخرى.

إنّ هذا الاستعداد الذي تمتاز به شجرة الفاكهة على أشجار أُخرى يدعى الفاكهة بالقوّة. ولهذا يطلق على هذه الشجرة اسم شجرة التفّاح في فصل الشتاء ولو لم تحمل التفّاح بالفعل، وسبب ذلك هو أنّ في هذه الشجرة استعدادها وخاصّيتها التي تمكّنها من إثمار التفّاح بالفعل فيما لو توفّرت الشروط اللازمة لذلك، ولم يكن هناك ما يعيق دونه.

وعليه، عندما نقول: «إنّ شجرة التفّاح تحمل هذه الفاكهة بالقوّة» إنّما نعني أنّ طبيعة هذه الشجرة وفطرتها هي بنحو يمكّنها من إنتاج ثمرة باسم التفّاح في شرائط خاصة.

فالمقصود إذاً من قولنا: «إنّ المعارف الفطرية تلازم الإنسان من أوّل خلقته» ليس هو أنّه يعلم شيئاً بالفعل وهو في رحم أُمّه؛ فهذا ما لا يؤيّده العقل ولا القرآن. وإنّما نريد بهذا القول إنّ الإنسان في أوّل زمان خلقته يمتلك معارف خاصّة على شكل قوّة واستعداد، وإنّ هذا الاستعداد يظهر ويعلن عن ذاته إذا توفّرت شروطه الخاصّة ويتحوّل إلى معرفة بالفعل.

### ج ـ أنواع المعارف الفطرية

يمكن تصنيف المعارف الفطرية تبعاً لمصادر المعرفة الثلاثة إلى ثلاث طوائف:

١ ـ المعارف الفطرية الحسّية.

٢ ـ المعارف الفطرية العقلية.

٣ ـ المعارف الفطرية القلبية.

#### ١. المعارف الفطرية الحسّية

وهي عبارة عن الميول والرغبات التي تقتضي حاجات الجسم وجودها فيه بشكل طبيعي، وتُعرف هذه الميول والرغبات بالغرائز أيضاً، كغريزة الجوع وغريزة العطش وغريزة الجنس.

وهذه الإدراكات والإحساسات تَضرب جذورها في كيان الإنسان وخلقته وفطرته، كما أنّ لها صلة بجسمه وحواسّه الظاهرية، وهذه الغرائز مشتركة بين الإنسان والحيوان.

فالميول والرغبات الجنسية نوع من المعارف الفطرية الحسّية، بمعنى أنّها

إحساس وإدراك ومعرفة تلازم الإنسان منذ أوّل زمان خلقته بصورة استعداد وإن لم تخرج إلى الفعل بعدُ. حتّى إذا ما بلغ الإنسان حدَّ البلوغ وكان معافاً من المرض الجنسي فإنّ هذا الاستعداد يتفتّح؛ وبتفتّحه تكتسب المعارف الفطرية فعليتها.

### ٢. المعارف الفطرية العقلية

لإيضاح معنى المعارف الفطرية العقلية يجب أوّلاً أن نحدّد أنواع المعارف العقلية، ومن ثمّ نبيّن أنّ المعارف الفطرية العقلية تتطابق مع أيّ من المعارف العقلية.

### أنواع المعارف العقلية

تقسّم المعارف العقلية إلى طائفتين:

١ ـ المعارف البديهية.

٢ ـ المعارف النظرية.

فالمعارف البديهية: عبارة عن المعارف الحاصلة تلقائياً، فلا تتطلّب معرفتها فكراً أو دليلاً وبرهاناً، فالعقل يجدها معلومةً لديه حاصلةً عنده دون احتياجٍ لدليل أو برهان، كما أنّ الشمس دليل على وجودها.

ودونك بعض الأمثلة للمعارف البديهية:

#### المثال الأوّل:

«بطلان التناقض»: إنّ العقل بعد أن يتصوّر الوجود وكذلك يتصوّر العدم، يعلم بصورة قاطعة لايشوبها أيّ شكّ أو تردّد أنّ الجمع بين الوجود والعدم غير ممكن؛ بمعنى أنّه لا يمكن للشيء الواحد أن يكون موجوداً وغير موجود في الآن الواحد. والعقل في هذه المعرفة لايطالِبُ بأيّ دليل، فمن يتمتّع بأقلّ نسبة من العقل والشعور يدرك بطلان التناقض ولو لم يعِ معنى كلمة بطلان أو كلمة تناقض. فلو

أنّك سألته: لماذا لا يمكن الجمع بين الوجدان والفقدان؟ لقال: هذا واضح ولا حاجة للدليل.

**المثال الثاني:**

«قانون العلّية»: ويعني أنّ لكلّ ظاهرةٍ مُظْهِراً. ومعرفة هذا القانون أيضاً هي من المعارف العقلية البديهية، أي أنّ العقل يعلم تلقائياً أنّ المعدوم عندما يصير موجوداً لابدّ له من موجد، ولا يمكن أن يتحقّق بذاته من دون علّة.

فعلى سبيل المثال: لو أنّك دخلت قاعة المحاضرات وشاهدت كتابةً على السبُّورة لم تكن مكتوبة عليها من قبل، لأيقنت بوضوح بأنّ هذه الكتابة أثرٌ لكاتبها. ولو زعم زاعم بأنّ الكتابة تحقّقت بذاتها من ذاتها لم تصدّقه، بل تعتبره غير عاقل إن لم تحمل زعمه على المزاح.

إنّ قانون العلّية مدرك حتّى لدى الحيوان، فمثلاً: لو أنّك لاحظت سرباً من العصافير مشغولاً بالتقاط الحبّ في باحة المدرسة لوجدته يتبادر إلى الفرار لمجرّد سماع صوت مفاجئ، فهذا هو الدليل على أنّ العصافير تفهم معنى العلّية، أي أنّها تدرك أنّ الصوت لا يحدث بدون علّة لحدوثه، وبما أن هذا الموجد للصوت قد يتسبّب في أذاها فتراها ترجّح الفرار على القرار لمجرّد ذلك.

**المثال الثالث:**

«قانون الأمثال» أو «المماثلة»: وهذا يعني أنّ الأمثال لها أحكام مماثلة، فكلّ مجموعة متّفقة في حقيقتها تلزم أفرادها أحكام وقوانين متّفقة من جميع الجهات قطعاً، وهذا القانون أيضاً من المعارف الجلية البديهية بالنسبة للعقل، فعقل الإنسان يدركه حتّى ولو لم يعرف مصطلح «قانون الأمثال».

فالكلّ يدرك أنّ الماء في وعاءين أو أكثر وفي شرائط مماثلة خاضع لأحكام وقوانين مماثلة، فمثلاً: لوغَلَى الماء في أحد الأوعية في مئة درجة مئوية لحَكَم

العقل بأنّ الماء في الأوعية الأُخرى التي هي بشرائط مماثلة لهذا الماء يغلي في نفس الدرجة أيضاً ويستحيل الاختلاف في أحكام المتماثلات.

وأمّا **المعارف النظرية**: فهي المعارف التي يتوقّف تصديقها وتجلّيها للعقل على كسب ونظر، ولا يصدّقها العقل بدون دليل وبرهان. كمعرفة «أنّ الأرض كرويّة» أو «أنّ الحركة علّةالحرارة» ممّا لا يقبله العقل إلّا على ضوء الفكر و على أساس الدليل والبرهان.

وبعد أن عرفنا أنواع المعارف العقلية وجب أن نشاهد مع أيّ المعارف العقلية الفطرية تتطابق هذه المعارف.

**المعارف الفطرية العقلية هي المعارف البديهية ذاتها**: بمعنى أنّ المعارف البديهية موجودة في فطرة العقل وطبيعته وسجيّته وملازمة للإنسان منذ أوّل زمان خلقته، على شكل استعداد ذاتي يزدهر ويتحوّل مع توفير الشرائط المناسبة له إلى معرفة عملية فعلية.

وببيان أكثر وضوحاً: إنّ طبيعة الإنسان مخلوقة بحيث لو أنّه فَهم معنى الوجود ومعنى العدم وأدرك اجتماعهما حَكَم فوراً باستحالة اجتماع الوجود والعدم، مستغنياً عن الدليل ومشقّة الفكر في ذلك.

### ٣ـ المعارف الفطرية القلبية

هي المعارف الكائنة في فطرة «القلب» وطبيعته، أي مركز المعارف غير الحسّية وغير العقلية، كحبّ الأولاد والشعور بحبّ السلطة وشوق البحث عن الحقيقة.

فما من أحدٍ إلّا ويدرك أنّ في أعماق روحه حبّاً للأبناء ورغبةً في بقاء النسل، هذا الإدراك لم يحصل له عن طريق الحواسّ الخمس ولا عن طريق العقل، وإنّما هو أمر يتعلّق بقلب الإنسان وروحه. وهكذا الحال بالنسبة للشعور بحبّ السلطة وشوق التعرّف على الحقيقة.[١]

---

١. لمزيد من الاطّلاع راجع: كتاب «الفطرة» للشهيد الأُستاذ المطهّري: ص ٤٢ ـ ٧١.

### الفرق بين المعارف الفطرية العقلية والقلبية

الفرق بينهما هو بعينه الفرق بين المعارف العقلية والقلبية، والذي تقدّم الحديث عنه بإسهاب في الفصل الثالث من فصول مصادر المعرفة.[1] ونذكّر بالإجمال بأنّ هنالك فارقين بين المعارف العقلية والقلبية: أوّلهما في مركز الارتباط، والآخر في نوعية المعرفة. وهذان الفارقان بعينهما يسريان إلى المعارف الفطرية العقلية والقلبية أيضاً.

### المعارف غير الفطرية

أمّا المعارف غير الفطرية فهي معارف لم تواكب الإنسان منذ بدء خلقته وإنّما اكتسبها الإنسان بالتدريج.

وتنقسم المعارف غير الفطرية أيضاً كالمعارف الفطرية إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ المعارف غير الفطرية الحسّية، مثل إحساس المعتادين بالحاجة إلى المواد المخدّرة، فهذا الإحساس نوع من الشعور والإدراك والمعرفة يظهر في المعتاد، ولكنّه ليس طبيعياً أو فطرياً، وإنّما يوجد نتيجة استعمال الموادّ الأفيونية.

٢ ـ المعارف غير الفطرية العقلية: مثل جميع المعارف المتوفّرة لدى الإنسان عن طريق التحصيل وإعمال الفكر.

٣ ـ المعارف غير الفطرية القلبية: مثل المعارف التي تحصل لدى الأنبياء عن طريق الوحي.

### د ـ تشخيص المعارف الفطرية

آخر مسألة نبحثها في هذا الفصل هي مسألة تشخيص المعارف الفطرية، وهذه المسألة قد حظيت بعناية فائقة في المباحث العقيدية والأخلاقية، خاصّةً في باب التوحيد الفطري.

---

١. راجع: ص ١٦٦ من هذا الكتاب.

والمسألة هي: بأيّ معيار يمكن لنا أن نعرف المعارف الفطرية المتأصّلة في طبيعة الإنسان ونفكّك المعارف الفطرية من غير الفطرية؟

## علامات المعارف غير الفطرية

للمعارف غير الفطرية علامتان، لو أُخذتا بعين الاعتبار لسهل علينا تمييز الإدراكات الفطرية من غير الفطرية:

### ١. الاحتياج إلى آلات أو أدوات

المعارف الفطرية ـ سواء الحسّية والعقلية والقلبية ـ لمّا كانت متأصّلةً ولها جذرها في طبيعة الإنسان فهي لاتحتاج في تحقّقها إلى أدوات، فالإحساسات الجنسية من المعارف الفطرية الحسّية، وإدراك عدم اجتماع المتناقضين من المعارف الفطرية العقلية[1]، والإحساس بالحبّ للولد والتعلّق به من المعارف الفطرية القلبية، وهذه الإدراكات جميعاً تحصل لدى الإنسان بدون تعليم أو تعلّم وبدون أيّ واسطة أو وسيلة.

أمّا معارف الإنسان غير الفطرية ـ حسّيّةً كانت أم عقليةً أم قلبية ـ فإنّها لمّا لم يكن لها تأصّل وجذرية في فطرة الإنسان وطبيعته، فهي محتاجة إلى وسائل وأدوات لإيجادها، ولذا لا يمكن حصول الاعتياد تلقائياً وبدون استعمال المواد الأفيونية، كما لايمكن أن يصبح فردٌ مّا عالماً كبيراً أو رياضياً ماهراً بدون تحصيل.[2]

بناء عليه، فإنّ أوّل معيار يمكنه الفصل بين المعارف الفطرية وغير الفطرية هو وساطة الأدوات في تحقيق المعرفة، فلو أنّ إحساساً أو علماً تحقّق للإنسان بدون تعليم وتلقين وتكرار عمل أو الاستفادة من أيّ نوع من الأدوات

---

١. بمعنى أنّ الإنسان لا يحتاج إلى تعلّم كي يُدرك بطلان التناقض، بل إنّه بمجرّد إدراكه لمفهوم الوجود ومفهوم العدم ومفهوم الجمع بين الوجود والعدم يمكنه أن يفهم بوضوح أنّ التناقض غير ممكن.

٢. مسألة الإعجاز بابٌ آخر، وله علله وأدواته الخاصّة التي نجد البحث عنها في مباحث النبوّة العامّة.

فهذا الإحساس والعلم فطري. وإن توقّف تحقّقه على الأدوات والوسائل فهو غير فطري.

### ٢. عدم العمومية

لمّا لم يكن للمعارف غير الفطرية تأصّل أو جذرية في طبيعة الإنسان، وكانت محتاجة إلى الأدوات، وأدواتها لاتتيسّر للناس جميعاً في كلّ زمان ومكان، كانت تابعة للشروط التي تهيّئ المجال لحصولها، فكلّما تحقّقت الشروط اللازمة لحصولها في أيّ زمان أو مكان أو أيّ شخص حصلت له تلك المعرفة، ولذا فالمعارف غير الفطرية ليست عمومية.

بناءً عليه، لو أنّنا شاهدنا أنّ إحساساً ومعرفةً موجودة لدى جميع الناس على مدى التاريخ، لعلمنا أنّ لهذا الإحساس والمعرفة تأصّلاً وجذريةً في ذات الإنسان؛ مثل الميول الجنسية، أو الحبّ للولد والتعلّق به، أو إدراك عدم إمكان التناقض.

وإنّه لمن الضروري ـ كما أشرنا ـ الالتفات إلى أنّ المعارف الفطرية تصير فعلية فيما إذا تحقّقت شرائط تفتّح الفطرة وارتفعت الموانع من البين، فإذا شوهد فرد أو أفراد يفقدون الميول الجنسية، أو لايرغبون في الأبناء، أو يكافحون هذا الميل الطبيعي في أنفسهم، أو يرون أنّ التناقض ممكن، فهذا لايتنافى مع كون المعارف المذكورة فطرية، ولا يجرح كون هذه الإحساسات والمعارف عمومية؛ لأنّ وجود هذه المعارف في الفطرة شيء وتفتّحها شيء آخر. وعليه، ففي مثل هذه الموارد ينبغي البحث عن العلل والعوامل التي أدّت إلى عدم تفتّح الفطرة.

## الخلاصة

- الفطرة: تعني الجِبِلّة والطبيعة والسجيّة وصفة الإنسان الطبيعية.
- الصفات الفطرية للإنسان: هي الصفات التي يتّصف بها الإنسان بصورة طبيعية من أوّل زمان خلقته؛ كلون البشرة والجمال وما إلى ذلك.
- الصفات غير الفطرية: هي خصائص يحصل عليها الإنسان بالتدريج، كالقراءة والكتابة وما إلى ذلك.
- المعارف بالفعل: هي تلك المعارف الموجودة فعلاً. والمعارف بالقوّة: هي تلك المعارف التي ليست موجودة فعلاً، ولكنّها موجودة في الإنسان كقوّة واستعداد.
- المعارف الفطرية: هي تلك المعارف التي توجد في الإنسان على شكل قوّة واستعداد منذ أوّل زمان خلقته، والتي تتحوّل إلى فعل بازدهار الفطرة.
- تُقسّم المعارف الفطرية إلى ثلاث طوائف: المعارف الفطرية الحسّية، والمعارف الفطرية العقلية، و المعارف الفطرية القلبية.
- المعارف الفطرية الحسّية: هي الميول والرغبات التي ترتبط بالحاجات البدنية، وتسمّى بالغرائز أيضاً، كغريزة الجوع والعطش والجنس.
- المعارف الفطرية العقلية: عبارة عن المعارف البديهية، أي التي تتحقّق بذاتها ولاتحتاج إلى سَوق الدليل عليها، كبطلان التناقض وقانون العلّية وقانون المماثلة أو الأمثال.
- المعارف الفطرية القلبية: عبارة عن تلك المعارف التي تثبت جذورها في فطرة القلب، أي مركز المعارف غير الحسّية وغير العقلية، كحبّ الأولاد، والشعور بالحاجة إلى كشف الحقائق، والشعور بحبّ السيطرة والاستعلاء.
- المعارف الفطرية العقلية تختلف عن المعارف القلبية من ناحيتين: إحداهما في مركز المعرفة، والأُخرى في كيفية المعرفة.

◘ المعارف غير الفطرية معارف ليس لها تأصّل وجذور في طبيعة الإنسان، وتتحقّق بوسائل التحصيل.

◘ المعارف غير الفطرية كالمعارف الفطرية تنقسم إلى ثلاثة أقسام: ١. معارف غير فطرية حسّية مثل الإحساس بالحاجة إلى الموادّ الأفيونية، ٢. معارف غير فطرية عقلية مثل كلّ المعلومات التي يكتسبها الإنسان عن طريق التفكير والتعلّم، ٣. معارف غير فطرية قلبية مثل الوحي.

◘ يمكن تشخيص المعارف غير الفطرية من المعارف الفطرية بعلامتين:

١ـ الحاجة إلى الأدوات: لمّا كانت المعارف غير الفطرية لا أصل لها في طبيعة الإنسان فهي بحاجة إلى أدوات للتحصيل، على خلاف المعارف الفطرية فإنّها لاتحتاج إلى أدوات وإن كانت فعليتها تتوقّف على شروط.

٢ـ عدم العمومية: لمّا كانت المعارف غير الفطرية في حاجة للأدوات وكانت أدواتها لا تتيسّر للناس كافّة في كلّ زمان ومكان لم تتوفّر لها صفة العمومية، على خلاف المعارف الفطرية فإنّها نظراً لعدم احتياجها إلى أدوات فهي عمومية.

◘ عدم تحقّق الفعلية للإحساسات الفطرية لدى الأشخاص الفاقدين لشرائط تفتّح الفطرة أو المبتلين بموانع ازدهارها لايجرح كون هذه الإحساسات عمومية.

الفصل الخامس

# نقد نظريّة الماديّين

في هذا الفصل نطرح نظرية الماديين بخصوص مصادر المعرفة على بساط البحث والنقد. فالماديون يعتقدون بوجود مصدر واحد للمعرفة، هو مصدر الحسّ، فجميع معارف الإنسان تحصل عن طريق هذا المصدر، ولا طريق هناك باسم العقل أو القلب.

وعليه، فالماديون والإلهيون يختلفون فيما بينهم في قضية أساسية عميقة، هي الطريق أو الطرق المؤدّية إلى المعرفة.

الماديون ينكرون وجود مصدر مستقلّ لحصول المعرفة باسم العقل، ويزعمون أنّ كافّة إدراكات الإنسان ومعارفه إنّما ترتبط بحواسّه ليس إلّا. وحينذاك يكون على الإلهي أنّ يثبت لهم أنّ للإنسان عقلاً، مضافاً إلى حواسّه الخمس. فمناقشة أيّة مسألة عقائدية دونما إثبات لوجود العقل وحلّ هذا الخلاف هي مناقشة عقيمة.

وعليه، فإنّ أوّل ما ينبغي هو أن نرى دليل الماديين في تحديد مصادر المعرفة وحصرها في مجرّد الحواسّ لاغير.

### دليل الماديين

يستدلّ الماديون على تحديد طرق المعرفة بالحواسّ الخمس بأنّ الإنسان لو تعطّلت حواسّه الخمس لم تتسنَّ له أيّة معرفة عن الوجود. هذه الواقعية تثبت أنّ

الحواسّ الخمس لا غير هي مركز المعرفة ومصدرها المستقلّ.

بيان ذلك أنّ الإنسان عند ولادته لايعرف شيئاً، ومعارفه ومعلوماته تنشأ مع البدء بطريق حياته التجريبية. أي أنّه يسمع ويرى ويتذوّق ويشمّ ويلمس حينما تبدأ حياته التجريبية وتعامله مع عالم المادّة. وبتماسّ حواسّه بالأشياء وبدء حياته الحسّية تبدأ معارفه، ولذلك نراه كلّما ازدادت تجاربه اتّسع نطاق معارفه، وكلّما تعدّدت أنواع تجاربه تعدّدت أنواع معارفه.

أمّا مَن فقد حاسّةً من حواسّه الخمس فقد حُرِمَ من المعرفة التي يحصلها عن طريق تلك الحاسّة. فمثلاً: من كان أعمىٰ منذ ولادته لايدرك مفهوم اللون، والأصمّ منذ ولادته لايدرك مفهوم الصوت. وعلى هذا، فكلاهما لايقدر على تحصيل المعارف التي يتمّ حصولها عن طريق هاتين الحاسّتين. ثمّ لو أنّنا افترضنا إنساناً حُرِمَ الحواسّ كلّها ـ أي أنّه لايرى ولا يسمع ولا يتذوّق ولا يشمّ ولا يلمس ـ فهو إذ ذاك لايمكنه نيل أيّ معرفة مطلقاً. وبذلك يُعلَمُ أنّ كافّة معارف الإنسان منوطة بحواسّه، وأنّ الحواسّ هي المصدر الأساسي لمعارفه.

هكذا انتهينا من توضيح نظرية المادّيين عن مصادر المعرفة ودليلهم على إثبات نظريتهم. ونريد الآن أن نعلم: هل أنّ هذه النظرية صحيحة أم لا؟ وإذا كانت باطلة فما هو الدليل على بطلانها؟

**نقد النظرية المادّية**

تتلخّص النظرية المادّية بخصوص مصادر المعرفة في النقاط الأربع التالية:

١ ـ إنّ الإنسان لايعرف شيئاً في أوّل زمان خلقته.

٢ ـ تبدأ معارف الإنسان مع بداية حياته التجريبية.

٣ ـ لو فقدَ الإنسان الحواسّ كلّها فقدَ المعارف كلّها.

٤ ـ الحواسّ هي السبيل الوحيد لتحصيل المعرفة.

باعتقادنا أنّ النقاط الثلاث الأُولى صحيحة، أمّا الرابعة فباطلة. أي أنّنا نؤيّد أنّ الإنسان لايعرف شيئاً في أوّل خلقه؛ بل إنّ معارفه تبدأ بموازاة حياته التجريبية. فإن سُدَّتْ طرق حواسّه تعذّر عليه تحصيل أيّ معرفة. لكن هذا لا يدلّ على أنّ الحواسّ هي الطريق الوحيد لتحصيل المعرفة، وأنّه لايوجد في الإنسان مركز للتعقّل والتفكير، وأنّه لايمكنه أن يتوصّل بالتفكير إلى ما يتعذّر الوصول إليه بالحواسّ.

وعليه، فنحن لانختلف مع المادّيين في أنّ الإنسان خال من المعارف في أوّل زمان خلقته، وأنّ فقدَ الحواسّ مساوٍ لفقدِ المعارف كلّها، وإنّما نختلف معهم هنا حيث نقول: إنّ الإنسان ـ بالإضافة إلى الحسّ ـ يمتلك مصدراً آخر للمعرفة، ألا وهو العقل، الذي يتزوّد بما توفّره الحواسّ، ليولّد منها معارف جديدة، تُعدُّ أساساً وقاعدةً يرسي عليها الإنسان كلَّ معارفه ومعلوماته العلمية والفلسفية.

**العقل يتغذّى على الحسّ**

إنّ عمل العقل في توليد المعارف العقلية أشبه بعمل الشجر في إنتاج الثمر. فالشجر يستمدّ غذاءه من التربة والماء والهواء والضوء، ومنه ينتج الثمر. هكذا العقل أيضاً، فكما أنّ الشجر يتغذّى على التربة فإنّ العقل يتغذّى على الحسّ، وكما أنّ ثمر الشجر يضمن غذاء الجسم والحياة المادّية للإنسان فإنّ ثمر العقل يضمن غذاء روحه وحياته العلمية والعقلية والمعنوية.

**ثمار العقل**

ثمّة سؤال يفرض نفسه في هذا المجال، هو: كيف تؤتي شجرة العقل ثمارها العقلية؟ وما هي هذه الثمار؟ وكيف ترتبط حياة الإنسان العلمية والفلسفية بالتغذية على هذه الثمار؟

إنّ شجرة العقل بعدما تتزوّد عن طريق الحواسّ بالمواد الأوّلية اللازمة للمعارف

العقلية تباشر عملها لإنتاج ثمار عقلية، وبتجزئة الموادّ الأوّلية وتركيبها وتجريدها والانتزاع منها وتعميمها وتعميقها تخلق منها معارف جديدة، أو ما نصطلح عليها بثمار العقل، التي هي أساس لكافّة القوانين العلمية والعلوم والمعارف الإنسانية، التي تبنى عليها حياة الإنسان العلمية والفلسفية.

ولقد سبق بيان معاني التجزئة والتركيب والتجريد للمفاهيم الحسّية في الفصل الأوّل وتحت عنوان «وظائف العقل»، وأحلنا توضيح معاني الانتزاع والتعميم والتعميق لهذه المفاهيم إلى هذا الفصل. وها هي هذه المصطلحات والوظائف العقلية على النحو التالي:

### انتزاع المفاهيم العقلية

الانتزاع يعني الاستخراج، ونزع الشيء من مكان معين. إنّ إحدى وظائف العقل هي انتزاع المفاهيم العقلية واستخراجها من المفاهيم الحسّية. بمعنى أنّ العقل يضع مفهومين أو عدّة مفاهيم حسّية إلى جانب بعضها، ثمّ يستخرج منها مفهوماً عقلياً، وهذا المفهوم هو ثمرة من ثمار شجرة العقل.

فعلى سبيل المثال: حينما يدرك الإنسان غليان الماء والحرارة التي تتسبّب في غليانه وينتقل هذان المفهومان الحسّيان من الحواسّ إلى الذهن يصنع الذهن من المفهومين الحسّيين مفهوماً عقلياً، هو مفهوم العِلّية، بمعنى كون الحرارة علّة للغليان. فمفهوم العلّية ليس من عمل الحسّ، فالحسّ قادر على فهم الحرارة والغليان ليس إلّا. أمّا كون الحرارة سبباً لغليان الماء وعلّته فغير قابل للإدراك بالحواسّ، ولا يستطيع إدراك ذلك إلّا العقل وحده.

وهذا العمل العقلي يقال له «انتزاع». يعني أنّ العقل ينتزع من حاق مفهوم الحرارة ومفهوم الغليان مفهوماً ثالثاً باسم «العلّية» وهذا العمل تعجز عنه الحواسّ.

### تعميم المفاهيم الحسّية

تعميم المفاهيم الحسّية يعني بسط المعارف التي يحصلها الإنسان عن طريق

الحواسّ، وهو وظيفة أُخرى من الوظائف الحسّاسة الهامّة للعقل. وذلك أنّ الذهن يتلقّى الموادّ الأوّلية من الحسّ، وبمعاونة معارفه البديهية يعمّم هذه المعارف الجزئية الموضعية ويبدّلها بمعارف كلّية. وهذه المعارف الكلّية هي أوّل مجموعة من أنفع الثمار العقلية اللازمة لحياة الإنسان العلمية.

فمثلاً: صُبَّ مقداراً من الماء في وعاء ثمّ سخِّنه إلى درجة المئة المئويّة تلاحظ أنّ الماء يغلي في هذه الدرجة. ولو كرّرت هذه التجربة على مياه مختلفة في آنيةٍ متشابهة للاحظت أنّها جميعاً تغلي في نفس الدرجة المئويّة. فتستنتج من ذلك نتيجةً عامّةً وقانوناً علمياً، هو أنّ الماء يغلي إذا بلغت حرارته درجة المئة المئويّة.

والسؤال هنا: من أين عرفنا هذا القانون العلمي؟ أهو ناتج عن الحسّ والتجربة، أم ناتج عن الذهن والعقل؟

بديهيٌّ أنّ للحسّ والتجربة دوراً في الوصول إلى هذا القانون العلمي، إلّا أنّ ما يسترعي الانتباه هو أنّ الدور بتمامه ليس للحسّ والتجربة. وهذا لايقتصر على هذا القانون، وإنّما الدور الأساسي في جميع القوانين العلمية راجع إلى الذهن والعقل، فالعقل أساساً يصل إلى القوانين العلمية بالاستعانة بالحواسّ.

وإلّا، فلماذا لايستطيع الحسّ أو التجربة وضع قانون علمي بمفردهما؟! ذلك لأنّ نطاق الحسّ والتجربة محدود، ودائرة القانون العلمي لاحدود لها، والمحدود لاينتج غير المحدود.

فلو أنّك أجريت تجربةً تجربةً على ملايين الأوعية من المياه المختلفة واستنتجت غليانها في درجة المئة المئويّة فمع هذا فإنّ نطاق تجربتك محدّد بتجاربك ولا يمكنك وضع قانون مفاده أنّ الماء يغلي إذا ارتفعت حرارته إلى مئة درجة مئويّة. بل الذي يمكنك قوله هو أنّ الماء الذي جرّبته قد غلى في درجة المئة المئويّة. وهذا لايعتبر قانوناً، ذلك لأنّ دائرة القانون لايمكن أن تحدّد بما تمّ اختباره.

من الممكن أن يقال بأنّه طالما ثبت أنّ القانون العلمي لا يمكن أن يكون ناتجاً عن الحسّ والتجربة، فهو إذن ناتج عن الذهن والعقل ليس إلّا.

وهنا ينبغي القول: كلّا، فلا الحسّ والتجربة وحدهما يستطيعان وضع قانون علمي بمعزلٍ عن الذهن والفكر، ولا الذهن والفكر وحدهما يستطيعان وضع قانون علمي بمعزل عن الحسّ والتجربة.

وبعبارة أُخرى: إنّ القانون العلمي يتأتّى نتيجةً لاشتراك التجربة والعقل معاً، أو حصيلةً لازدواج المعارف الحسّية والعقلية.[١]

وهكذا يتوصّل الإنسان إلى معرفة كلّية عامّة غير محدودة نتيجةً لمزج المعارف الجزئية المتحصّلة عن التجربة بالمعارف البديهية العقلية. وهذه المعرفة الكلّية الواسعة هي ما يُصطلح عليها بالقانون العلمي. فمثلاً: عندما يستنتج من التجارب المتعدّدة أنّ غليان الماء في درجة المئة المئويّة ليس له علاقة بشرائط الزمان أو النهر الذي أخذ منه الماء بل إنّه يعود إلى ذات الماء التي من طبيعتها أن تجعل الماء يغلي في درجة المئة المئوية، فهذه المعرفة الحاصلة والتي هي معرفة حسّية تجربية تنضمّ إلى معرفة بديهية عقلية مفادها أنّ «الأُمور المتماثلة لها أحكام متماثلة» ينتج منهما أنّه إذا كان هذا الماء يغلي في مئة درجة مئوية فقد وجب أن يغلي كلّ ماءٍ في نفس الدرجة، ولا خلاف في ذلك.

وخلاصة القول: إنّ الذهن يضمّ معرفة حسّية تجربية جزئية إلى معرفة عقلية بديهية عامّة، وينتج منهما معرفة ثالثة هي القانون.

### تعميق المفاهيم الحسّية

إنّ من أعمال العقل تعميق المفاهيم الحسّية، ويعني أنّ ذهن الإنسان يعمّق المفاهيم التي ترده عن طريق الحسّ ويستخرج من أعماق هذه المفاهيم الحسّية مفاهيم

---

١. يقول الشيخ الرئيس ابن سينا: إنّ التجربة تعمَّم بمساعدة قياسٍ خفي.

عقلية.

هذا العمل هو أهمّ وظائف الذهن. والذهن بأداء هذا العمل يقدّم أكثر الثمار العقلية فائدةً لحياة الإنسان العلمية والمعنوية.

ولإيضاح تعميق المفاهيم الحسّية بشكل أكثر إليك هذين المثالين:

المثال الأوّل: إنّ الحاسّة مثل آلة التصوير العادية، تلتقط صورة وجه الإنسان مثلاً وتعكسها على الفِلم كما هي من دون أن تبرز شيئاً ممّا خلف هذا الوجه الظاهر. وكذلك الحاسّة تنقل الصورة الظاهرية للأشياء إلى الذهن من دون أن تعكس شيئاً ممّا وراء هذه الصورة الظاهرية المادّية.

والمثال الثاني: إنّ الحاسّة كالمرآة، تعكس صورة وجه الإنسان كما هي من دون أن تبيّن ما في داخله كالعِلم والحبّ والبغضاء... إلخ.

إذن فالمعرفة الحسّية سطحية ولكنّ العقل يعمّقها بعد تلقّيها، فيولد في غمراتها معارف لا يتأتّى للحاسّة توليدها. والعقل أشبه ما يكون بآلة تصوير معزّزة بأشعّة خاصّة تمكّنها من التقاط صورٍ لأعماق المادّة. وهكذا بصيرة العقل، فهي معزّزة بأنوار تخترق المحسوسات وتكشف ماوراءها. ولهذا فإنّ الحاسّة تدرك صورة الإنسان وظاهره، بينما يدرك العقل عِلمه وحبّه وبغضه... إلخ.

فعندما تقول: فلان عالم رياضي أو فقيه أو فيلسوف، وغيره عاشق أو حزين، من أين حصلت لك هذه المعرفة؟ هل أنّ العِلم والعشق والحزن مما يُدرَك بالحواسّ بطبيعة الحال؟ كلّا، لأنّ حواسّك لا تُدرِك من العالِم أو العاشق أو الحزين إلّا جسمه ومظهر الألم؛ أمّا العلم والعشق والألم فليس للحواسّ سبيل إلى إدراكها.

فمن أين إذن تأتي هذه المعارف؟ وبأيّ بصيرة يدرك الإنسان هذه الأُمور؟ والجواب هو أنّه يدركها ببصر العقل. فهذا البصر هو الذي يكشف هذه الحقائق في وجود العالم والعاشق والحزين من خلال ملاحظة علائمها وآثارها. وهكذا يعمل العقل على تعميق المفاهيم الحسّية وتعميق معارف الإنسان الظاهرية السطحية

والغور في باطنه. فهو يكشف حرقة العشق الباطنية من خلال علائم العشق الظاهرية. كما أنّ علائم الفقه والرياضيات والكيمياء علائم ظاهرية، بينما العلوم نفسها باطنية خفيّة، إلّا أنّ العقل من خلال إدراكه لهذه العلائم يَعْبُر الظواهر التي تقع في دائرة الحواسّ، ويصل إلى ما ليس للحواسّ دخل فيه، وهناك يُدرِك ما هو خافٍ على الحواسّ؛ أي أنّه يُدرِك العِلم والعشق والبغضاء و....، وهذا هو معنى تعميق المفاهيم الحسّية الذي يتمّ بواسطة العقل.

**المعارف: سطحيّها وعميقها، في الروايات**

لقد وردت المعارف السطحية العابرة والعميقة الغائرة في الروايات الإسلامية بشكل شيّقٍ مشحونٍ بالعبر، نكتفي منها بذكر روايتين:

١ ـ ما روي عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في خطبة يبيّن فيها خصائص النبيّ صلى الله عليه وآله حيث يقول:

طَبيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ، قَد أحكَمَ مَراهِمَهُ، وأَحمىٰ مَواسِمَهُ، يَضَعُ ذلكَ حيثُ الحاجَةُ إلَيهِ، مِن قُلوبٍ عُميٍ، وآذانٍ صُمٍّ، وأَلسِنَةٍ بُكمٍ، مُتَتَبِّعٌ بِدَوائِهِ مَواضِعَ الغَفلَةِ ومَواطِنَ الحَيرَةِ، لم يَسْتَضيئوا بِأضواءِ الحِكمَةِ، ولَم يَقْدَحوا بِزِنادِ العُلومِ الثّاقِبَةِ؛ فَهُم في ذٰلِكَ كَالأَنْعامِ السّائِمَةِ وَالصُّخُورِ القاسِيَةِ.[1]

في هذه الرواية يصف أميرُ المؤمنين أصحابَ المعارف السطحية المحرومين من المعارف العميقة، المنحصرة معارفهم عن الكون في المحسوسات، بأنّهم مرضى مبتلَون بالحيرة وعدم الوعي؛ والرسولَ صلى الله عليه وآله بأنّه الطبيب الخبير المتخصّص[2] الذي يتتبّع المرضىٰ ويعالجهم بكلّ مهارة وينقذهم من الحيرة والجهل. ويبدأ الإمام في بيان الخصائص المعنوية لهذا الطبب على هذا النحو:

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٠٨.

٢. يظهر من عبارة نهج البلاغة أن الطبيب هو شخص النبي صلى الله عليه وآله.

«طبيب دوَّارٌ بطبّه»: أي أنّهﷺ لم يكن طبيباً له عيادة خاصّة، يتقاضى الأُجور من المرضى؛ فلا يراجعه وينعم بمعالجته إلّا من هو ذو استطاعة مالية، بل هوﷺ يعود المرضىٰ بنفسه ويعالجهم ويداويهم دون طلب الأُجور منهم، وبإمكان كلّ إنسان التنعّم بدوائه متى رغب.

«قد أحكم مَراهِمَه وأَحْمىٰ مواسِمه»: وهذا يعني أنّهﷺ يعود المرضىٰ ومعه أدويته وأجهزته الطبّية. فأدويته مجرّبة نافعة، وأجهزته الطبّية جاهزة للعمل.

«يضع ذلك حيث الحاجة إليه»: أي أنّهﷺ يستخدم أدويته وأجهزته الطّبية أينما تنفع وحيثما يستدعي استخدامها. وهكذا الأنبياء كلّهم والسائرون على نهجهم، حيث إنّهم يزورون المصابين بالأمراض النفسية ومعهم أدويتهم وأجهزتهم، يعالجون بها كلّ مريض تتوفّر لديه الرغبة في المعالجة.

ولكن أيّ مريض وأيّ أمراض تلك التي يعالجها هؤلاء الأطبّاء المعنويّون؟ الجواب هو:

«من قلوبٍ عُمْيٍ، وآذانٍ صُمٍّ، وألسِنَةٍ بُكْمٍ»: أي من انسدّت مصادر معرفتهم العقلية والقلبية، ومن جرّاء ذلك حُرِموا معرفة الكون معرفةً عميقة. ولذا يقولﷺ في وصفهم:

«لم يستضيئوا بأضواءِ الحكمةِ، ولم يَقْدَحوا بِزِنادِ العُلومِ الثاقِبَة، فَهُمْ في ذلك كالأنعامِ السّائِمَةِ والصخورِ القاسِيَة»: فهؤلاء المرضىٰ هم من لم ينالوا من أنوار الحكمة قبساً، ولم يضيئوا سراجَ عِلمٍ مشرقٍ في أرواحهم بكبريت المعارف العميقة، فهم في هذا المجال كالأنعام معرفتهم معرفة حيوانية. أي أنّ الذين لايستطيعون الاستفادة من عقولهم وقلوبهم، هم كالحيوانات التي تنحصر معارفها في دائرة المحسوسات فقط.

إنّ معرفة الحيوان تتحدّد بما يُرى وما يُسمع وما يُشمّ وما يُلمس. وهكذا الإنسان، إن سلبت منه معارفه العقلية والقلبية فلا فرق بينه وبين الحيوان.

ودواء هؤلاء المرضىٰ عند الأنبياء فقط، فهم الذين يقدرون على فتح بصر قلب الإنسان، ومنح قدرة السماع لآذان روحه، وقدرة التفوّه للسان قلبه، وإنقاذه من الغفلة والحيرة والضياع.

«متتبّع بدوائه مواضعَ الغفلةِ ومواطنَ الحيرة»: إنّ هذا الطبيب المعنوي يضع دواءَه بالضبط في المواضع التي تمكّن منها داء الغفلة وعدم الوعي وَوَكّرَ فيها مرض الحيرة والضياع فيشفيها، وبشفاء المريض تتاح الفرصة لمعارفه حتّى تتعمّق.

وهكذا، فإنّ الأنبياء يعملون على أن تتجاوز معارف الإنسان حدود المحسوسات لتدخل دائرة اللامحسوس. وبمنحه المعارف العميقة ينقذونه من التساوي مع الحيوان، ويوصلونه إلى الحياة الإنسانية.

٢ ـ الرواية الثانية التي تستعرض المعارف السطحية والعميقة هي ما روي عن أميرالمؤمنين علي عليه السلام أيضاً، وتتناول موقف الإنسان تجاه الحياة الدنيا، حيث قال:

إنَّما الدُّنيا مُنتَهىٰ بَصَرِ الأعمَىٰ، لايُبصِرُ مِمّا وَراءَها شَيئاً، وَالبَصِيرُ يُنفِذُها بَصَرَهُ، ويَعلَمُ أنَّ الدّارَ وَراءَها، فَالبَصِيرُ مِنها شاخِصٌ، والأعمَىٰ إلَيها شاخِصٌ. والبَصِيرُ مِنها مُتَزَوِّدٌ، والأعمَىٰ لَها مُتَزَوِّدٌ.[1]

فالإمام في هذه الرواية الحكيمة يشبّه من تكون معرفته عن الكون معرفة حسّية سطحية بالأعمى الذي تصوّر طريقَ الدارِ دارَه، فصرف جهده في تزيينه، و مَن له معرفة عقلية عميقة بالبصير الذي أبصر الدار كما أبصر طريقها.

وذكر خصائص الطائفة الأُولى كما يلي:

إنّ الدنيا ـ وهي عالم المحسوسات ـ منتهى بصر الأعمى ـ أي أعمى القلب ـ فمن عميت بصائرهم كانت الدنيا نهاية رؤيتهم، فلا تبصر عقولهم ماوراءَها، ولا تفهم شيئاً غير الحياة المحسوسة، فهم لا يعلمون ماوراء هذه الدنيا.

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٣٣.

﴿يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ﴾.[1]

ثُمَّ ذكر خصائص الطائفة الثانية كما يلي:

إنّهم أُناس ذوو بصيرة تنظر إلى الوجود بعين العقل، وينفذ نظرهم من العالم المحسوس ويصل إلى العالم اللامحسوس، وبالتالي فهم يرون الدار والطريق الذي ينتهي إليها، ويوقنون أنّ هذا العالم المحسوس ليس إلّا سبيل الوصول إلى العالم غير المحسوس حيث دار الخلود.

فكلٌّ منهما يتّخذ موقفه وفق ماتملي عليه رؤيته الكونية الخاصّة به، فالطائفة الثانية ـ التي تتمتّع ببصيرة العقل وترى الدنيا كما هي ـ تستخدمها طريقاً لبلوغ الآخرة. أمّا الطائفة الأُولى ـ مَن لايرون شيئاً سوى الحياة المحسوسة ـ فهم يتصوّرون الدنيا دارهم، فيتّخذونها هدفاً وغايةً لهم؛ وكما قال الإمامﷺ:

**البصيرُ منْها شاخِصٌ والأعمَى إِليها شاخصٌ، والبصيرُ منْها متزوّدٌ والأعمَىٰ لها متزوّد.**

وهذا الذي نشاهده اليوم من أنّ البعض يأتي إلى قائد الثورة الإسلامية ومؤسّسها سماحة الإمام الخميني ويطلبون منه بالأنين والبكاء أن يدعو لهم بالشهادة في سبيل الله هو الدليل على تفتّح بصائر عقولهم، وأنّهم يبصرون بها الدار الآخرة، ويعلمون أنّ الحياة الخالدة في تلك الدار، وما الدنيا سوىٰ منزل أو فندق في الطريق، لذلك نراهم في شوق شديد للوصول إلى موطنهم الأصلي. وقد وصف أميرالمؤمنينﷺ المتّقين بقوله:

**لولا الأَجَلُ الذي كتبَ اللهُ عليْهم لم تَسْتَقِرَّ أرواحُهم في أجسادهم طرْفَةَ عَيْن.**[2]

---

١. الروم: ٧.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

**ملخّص ما ورد في هذا الفصل**

يقول الماديون: إنّ الحواسّ هي السبيل الوحيد للمعرفة، ودليلهم على ذلك هو: أنّه لو انسدَّت سبل الحواسّ فلا يمكن للإنسان أن يحظى بأيّ معرفة عن الوجود.

ويقول الإلهيّون في المقابل: إنّ الحواسّ ليست السبيل الوحيد للمعرفة، وإنّما توجد في الإنسان سُبلٌ أُخرى لمعرفة الوجود، العقل أحدها.

والمادّيون يقولون: لو كان العقل مصدراً للمعرفة ـ بالإضافة إلى الحواسّ ـ ولو كان بإمكان الإنسان أن يعرف حقائق الوجود بواسطة العقل بمفرده فلماذا لو انسدّت منافذ حواسّه لاتحصل له أيّ معرفةٍ؟ ولو أنّ هناك ثلاثة منافذ مستقلّة للمعرفة (الحواسّ والعقل والقلب) إذن لاستطاع الإنسان دون شكّ أن يدرك الوجود عن طريق كلّ منفذ من هذه المنافذ بصورة مستقلّة. ولكن بما أنّ انسداد المنافذ الحسّية يؤدّي إلى توقّف تحصيل المعرفة عن طريق العقل والقلب، فيفهم من ذلك أنّ الحواسّ هي السبيل الوحيد للمعرفة، وأنّ ماتسمّى بالمعارف العقلية والقلبية عائدة إلى المعارف الحسّية.

وجواب الإلهيّين لهم هو: إنّ القول بأنّ الإنسان لايحصل على معرفةٍ فيما لو انسدّت منافذ حواسّه ليس بالشيء الجديد فنحن أيضاً نقول ذلك، وهذه عقيدة مشتركة بيننا وبين المادّيين. أمّا ماندّعيه ـ وقد أثبتناه فيما سبق ـ فهو: إنّ الإنسان يمتلك بالإضافة إلى الحواسّ مصدراً آخرَ مستقلاً للمعرفة، وأَنّ هذا المصدر رغم تزوّده من طريق الحواسّ فإنّه يولّد بذاته معارف جديدة يتعذّر على الحواسّ توليدها، شأنه في ذلك شأن الشجر الذي يتغذّى من التربة ويولّد الثمر. فالثمر إنتاج الشجر لا إنتاج الأرض، إلّا أنّ الشجر لا يقدر على إعطاء الثمر ما لم يتزوّد من التربة، ولا أحد يسمّي هذا الإنتاج بثمر التربة، بل يقول ثمر الشجر، فإنتاج الثمر عمل منوط بالشجر لا بالتربة، فلو لم تكن التربة زاداً للشجرة لما تمكّنت الشجرة من تكوين الثمرة. وهكذا المعارف العقلية، فهي ثمار العقل لا الحواسّ وإن كان

العقل لا يعطي ثماره بدون التزوّد من الحواسّ.

وممّا يسترعي الانتباه لأهمّيته وحسّاسيّته البالغتين في هذا المجال هو أنّ العقل ليس وحده الذي يتزوّد من الحواسّ ويحتاج إليها، فالحواسّ هي الأُخرى تتزوّد من العقل وتحتاج إليه، فإذا لم يكن العقل في عون الحسّ فلنْ تتحقّق المعارف الحسّية مطلقاً. وبعبارة أُخرى: إنّ العقلَ والحسّ كليهما محتاج إلى الآخر، ولا يمكن لأيٍّ منهما أن يؤدّي وظيفته بدون معونة الآخر.

فمثلاً: اِفترضوني الآن واقفاً عند السبّورة، فحين تشاهدونني بواسطة حاسّة البصر تتوصّلون إلى العلم بوقوفي عند السّبورة واشتغالي بالتدريس، فمن أين لك هذه المعرفة؟ أيقينك بوقوفي وتكلّمي قرب السبّورة قد حصل لك عن طريق الحاسّة فقط؟ أم عن طريق العقل فقط؟ أم عن طريق الاثنين معاً؟ بعبارة أُخرى: أهذه المعرفة معرفة حسّية أم معرفة عقلية أم هي معرفة حسّية عقلية معاً؟ والجواب هو: أنّ هذه المعرفة لا هي حسّية بحتة، ولا هي عقلية بحتة، وإنّما هي معرفة حصلت بتعاون الحسّ والعقل معاً، إذ لولا مساعدة العقل لما حصل اليقين بوقوفي للتدريس قرب السبّورة.

**ما العون الذي يقدّمه العقل للحاسّة؟**

إنّ الحاسّة ـ بدعمٍ من مبدأ عقلي هو استحالة التناقض ـ تثبت وقوفي عند السبّورة.

وبعبارة أبسط: إنّ عقلك يعرف بالبداهة استحالة الجمع بين النقيضين؛ أي أنّه لايجوز أن يكون الشيء موجوداً ولا موجوداً في نفس الوقت، كما يستحيل أن أكون ساكتاً حالماً أتكلّم، أو أن أكون غير موجود قرب السبّورة وأنا موجود بالفعل. فمعرفةُ استحالة التناقض معرفة عقلية، ذلك لأنّ العقل هو الذي يتفهّم استحالة الجمع بين الوجود والعدم لا الحاسّة.

إنّ عينك تبصرني وأنا واقف قرب السبّورة، وأُذنك تسمع صوتي وأنا أتكلّم

بالقرب منها، ويقول لك عقلك بأنّه لايمكن أن تصدّق بأنّ فلاناً ليس قرب السبّورة في حين أنّه موجود بالقرب منها، وبأنّه لا يتكلّم وهو في حالة تكلّم. وعليه، فإنّك تتيقّن بوقوفي وتكلّمي قرب السبّورة نتيجة لمزج المعرفة الحسّية بالمعرفة العقلية.

والآن، لو أنّنا جرّدنا الحاسّة عن المعرفة العقلية (استحالة التناقض) وقلنا بأنّ العقل يقول بإمكان التناقض، فيكون من الممكن في حال وقوفي قرب السبّورة ألّا أكون واقفاً قربها، ففي مثل هذا الاحتمال لا تتمكّن الحاسّة مطلقاً إثبات وجودي ووقوفي قرب السبّورة.

وهذا يسري إلى كافّة المعارف الحسّية، أي أنّ الإنسان يحتاج في معارفه الحسّية إلى معرفة عقلية واحدة على الأقلّ، وتلك المعرفة هي مبدأ استحالة التناقض، ولولا هذه المعرفة لما استطاع الإنسان أن يحصل على اليقين بوجود شيءٍ مّا. وعليه، فمثلما يتزوّد العقل من الحاسّة يمكن للحاسّة أيضاً أن تكون مصدراً وسبيلاً للمعرفة بمساعدة العقل.

والآن، ما أحوجنا إلى العودة إلى المناظرة التي ذكرناها آنفاً فيما جرى بين الإمام الصادقعليه السلام وأبي شاكر الديصاني، فما أليقها بهذه المناسبة.

كان أبو شاكر أحد المادّيين في زمان الإمام الصادقعليه السلام، وكان يفكّر كما يفكّر المادّيون في يومنا هذا. فلمّا شرع في مناظرة الإمامعليه السلام عرض موضوع المعرفة ومصادرها، بقوله:

> علمتَ أنّا لانقبل إلّا ما أدركناه بأبصارنا، أو سمعناه بآذاننا، أو شممناه بمناخِرنا، أو ذقناه بأفواهنا، أو لمسناه بأكفّنا، أو تُصوِّرَ في القلوب بياناً، أو استنبطته الروايات إيقاناً.

أي أنّك تستدلّ بما يُدرك بالعقل، وتستعرض العقل مصدراً من مصادر المعرفة، إلّا أنّ هذا غير صحيح، حيث إنّ العقل لايستطيع أن يُدرِك شيئاً، وما تعدُّه إدراكاً

عقلياً ما هو إلّا معرفة حسّية، ولوسُدَّ سبيل الحواسّ لن يكون للعقل وجودٌ خارجي.

فأجابه الإمام الصادق عليه السلام بجواب لطيف قائلاً:

**ذَكَرتَ الحَواسَّ الخَمسَ، وهِيَ لاتَنفَعُ شَيئاً بِغَيرِ دَلِيلٍ، كَما لا يُقطَعُ الظُّـلمَةُ بِـغَيرِ مِصباحٍ.**[1]

ولأجل إيضاح ذلك وأنّ الحواس عاجزة عن المعرفة لو لا دلالة العقل، يـذكر الإمام عليه السلام مثالاً فيقول: «كما لا يقطع الظلمة بغير مصباح كذلك لا تـنفع الحـواس الخمس من غير دلالة العقل أي إنّ حاجة الحسّ للعقل هي كحاجة العين للمصباح في رؤية الأشياء، والعين لا تبصِر الأشياء المحسوسة من دون نـور، كـذلك هـي حاجة الادراك الحسي للعقل، وعليه فالحس والعقل كلاهما ضروريان في تـحقّق المعرفة الحسية ولايمكن للحواسّ أن تُدرِك المحسوسات إلّا بمصباح العقل.

فَمَنْ يقول: إنّ الحاسّة تستطيع إدراك الأشياء بدون معونة العـقل، مَـثَلُه كـمن يقول: إنّ البصر قادر على رؤية الأشياء في الظلام دون مصباح مع أنّه لولا إضاءة مصباح العقل وهداية الحواسّ بنوره لما تمكّنت من إدراك المحسوسات، ولكانت عمياء عن إدراك المحسوسات رغم بصرها.

وكما أسلفنا فإنّ أقلّ ما يقدّمه العقل للحاسّة كي تدرك الأشياء هو دعمها بمبدأ استحالة التناقض الذي هو من المعارف العقلية البديهية.

## القرآن ونظرية المادّيين

قدّمنا فيما مضىٰ نقداً وتحليلاً لنظرية المادّيين عن المعرفة بشكل يـفي بـالغرض حسبما يقتضيه بحثنا، أمّا الآن فنودّ أن نُلِمَّ برأي القرآن في هذا الصدد، وما إذا كان القرآن قد تعرّض لهذه النظرية أو الردّ عليها. وما هو رأيه فيها؟

---

١. التوحيد: ص ٢٩٣ ح ١.

ممّا لا شكّ فيه أنّ القرآن الكريم لم يتناول ما يسمَّى بالنظرية المادّية في المعرفة أو الردّ عليها، إلّا أنّه من الممكن استقصاء رأيه في هذا الخصوص من خلال استعراضه لخصائص أصحاب الجحيم، لأنّ القرآن الكريم يتعرّض لهذه الخصائص بشكل يمكن أن تستوحى من خلاله نظرية المادّيين.

## خصائص أصحاب الجحيم

يبيّن القرآن الكريم خصائص أهل الجحيم، قائلاً:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَـٰئِكَ كَالْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾.[١]

أي أنَّ أصحاب الجحيم هم أُناسٌ لايمكنهم الاستفادة من أبصارهم وآذانهم وقدرتهم العقلية كالأُناس الحقيقيين، فلهم أبصار ولكن لايبصرون بها، ولهم آذان ولكن لايسمعون بها، ولهم ما يمكّنهم من التفكير وتفهّم الحقائق ولكنّهم جهلاء لايفهمون شيئاً! إنّهم كالأنعام؛ فمعارفهم حسّية ظاهرية، لايتنعّمون بالمعارف العميقة، إنّهم كالحيوانات حقّاً لايدركون غير ما هو محسوس، بل هم أضلُّ من الحيوانات؛ ذلك لأنّ ضلالة الحيوانات نسبية ولا تؤاخذ عليها، لأنّ نظام الطبيعة يتطلّب خلقها هكذا، وأمّا الإنسان الذي لايفكّر إلّا في المحسوسات فقط فقد باء بما قدّمته يداه من سوء الأعمال الذي قد أوصد عليه جميع الطرق المؤدّية إلى المعارف العقلية والقلبية. وعليه، فهو ضالّ عن طريق تكامله الإنساني والمعنوي، كما أنّه مصاب بالضلالة والضياع في بُعده المادّي الحيواني، وبالتالي فهو أضلّ من الحيوان.

ومع أنّ القرآن الكريم لم يَعمد رأساً إلى عرض نظرية المادّيين أو ردّها بصورة

---

١. الأعراف: ١٧٩.

صريحة إلّا أنّه من الممكن أن نستفيد منه ببساطة ردّاً دقيقاً لطيفاً، مؤدّاه أنّ نظرية المادّيين صحيحة ولكن بالنسبة لهم فقط، أي بمعنى أنّ قولهم بأنّ الحاسّة هي السبيل الوحيد للمعرفة ـ إنْ صَحَّ ـ فلا يصحّ إلّا عليهم، وكأنّك بأعمىٰ منذ ولادته يقول: ليس في العالم شيء اسمه الحمرة أو الصفرة أو البياض، أو بأصمّ منذ ولادته يقول: لا يوجد شيء اسمه الصوت الجميل أو الصوت المنكر. فلا تملك إلّا أن تقول: هذا صحيح ولكن بالنسبة لهما فقط، حيث لامعنى للّون بالنسبة للأعمىٰ، أو للصوت بالنسبة للأصمّ. وعليه، فلا يجوز لهما أن يقيسا على ذلك، إذ إنّ من له بصر سليم وأُذن سليمة يُدرك معنى اللون ومعنى الصوت أيضاً.

وجوابنا على الذين يدّعون قَصْرَ مصادر المعرفة على الإحساس فقط هو نفس جوابنا على العميان بالنسبة للألوان، والصمّ بالنسبة للأصوات تماماً بتمام.

فلايصحّ أن نتوقّع من عُمْي العقول وصمّ القلوب أن يُدركوا الحقائق العقلية والقلبية، فهم كالحيوانات حُرِمُوا من المعارف العقلية والقلبية. وإنّما يجب أن نردّ على ادّعائهم بقصر المعرفة على مصدر الحسّ بقولنا: صحيح ما تقولون، ولكن فيما يخصّكم أنتم فقط، أنتم الذين عميت بصائر عقولكم، وصُمّت آذان قلوبكم، فلا تُدركون مطلقاً تلك الحقائق العقلية والقلبية، فكلّ الوجودات التي تُعرف وتُدرَك بالعقل والقلب (كوجود الله تبارك وتعالى وكلّ ما هو غير محسوس) لامفهوم له لديكم، وعليه، لاتقيسوا الآخرين بأنفسكم، لأنّ عيون عقولهم ترى وآذان قلوبهم تسمع ويدركون هذه الحقائق، فلا تقولوا: ليس في العالم شيء إلّا المادّة، بل قولوا: نحن لانُدرِك في الوجود شيئاً إلّا المادّة.

هناك ثمّة سؤال هو: لماذا عُميت أبصار عقول المادّيين وصُمّت آذانهم؟ ولم لايمنّ الله عليهم بالقدرة على فهم المعارف العقلية والقلبية وإدراكها حتّى يقفوا على حقائق الوجود كما هي ويصدّقوها أُسوةً بالإلهيّين؟

والجواب على ذلك هو: إنّ الله سبحانه ساوَىٰ بين الآدميّين بدون استثناء في

منابع ثلاثة للمعرفة: الحواسّ والعقل والقلب. فلم يخلق ذا عقل أعمىٰ ولا قلب أصمّ، وإنّما الإنسان هو السبب في فقدان بصر عقله وآذان قلبه وأبصار عقول الآخرين وآذان قلوبهم، هذا بما يأتي من أفعال ويوجد من عراقيل تحول دونه والاستفادة من منبع عقله وقلبه، ممّا يؤدي إلى انحصار معارفه في المعارف الحسّية الحيوانية.

## الخلاصة

▣ يقول المادّيون: إنّ المصدر الوحيد للمعرفة في الإنسان هو الحاسّة، وأنّه ليس هناك مصدر آخر باسم العقل أو القلب.

▣ دليلهم على ذلك هو أنّ الإنسان لايعرف شيئاً في أوّل خلقته، بل يحصل على معارفه منذ أن تبدأ حياته التجربية، وكلّما زادت تجاربه وتنوّعت زادت معارفه وتعدّدت، وإذا ما انسدّ طريق الحسّ انسدّت سُبل معرفته وعندئذٍ لا يتمكن من معرفة شيء على الإطلاق.

▣ نحن نتّفق مع المادّيين في أنّ الإنسان لا يعرف شيئاً عند الولادة، وأنّ معارفه تبدأ مع بداية حياته التجربية، وأنّه لو فقد الحواس لم يتمكّن من معرفة شيء، ولكنّنا لا نعتبر هذه الأُمور دليلاً على إثبات أنّ الحواسّ هي السبيل الوحيد للمعرفة.

▣ نحن نقول: إنّ الإنسان يمتلك ـ مضافاً إلى الحواسّ ـ مصدراً آخر للمعرفة باسم العقل، يتزوّد من الحواسّ ويولد معارف جديدة.

▣ عمل العقل في توليد المعارف العقلية كعمل الشجرة في إنتاج الثمر مع فارق واحد، هو أنّ العقل يتزوّد من الحسّ، بينما تتزوّد الشجرة من التربة، وثمرة الشجرة زاد للجسم، في حين أنّ ثمرة العقل زاد للفكر والروح.

▣ العقل ينتج معارف جديدة من خلال تجزئة المفاهيم الحسّية وتركيبها وتجريدها والانتزاع منها وتعميمها وتعميقها، وهذه المعارف هي ثمار العقل وزاد حياة الإنسان العلمية والفلسفية.

▣ الانتزاع يعني الاستخراج، فإحدى وظائف العقل هي انتزاع المفاهيم العقلية من المفاهيم الحسّية. أي أنّ العقل يضع مفهومين حسّيّين أو أكثر إلى جانب بعضها، ثمّ يستخرج منها مفهوماً عقلياً.

▣ تعميم المفاهيم الحسّية يعني أنّ العقل من خلال تزويده بالموادّ الأوّلية من

الحواسّ واستعانته بمعارفه البديهيّة، يعمّم المعارف الجزئية ويصيّرها معارف عامّة.

◘ تعميق المفاهيم الحسّية يعني أنّ العقل يعمّق المفاهيم التي يتلقّاها من الحواسّ ويولد بهذا التعميق مفاهيم عقلية.

◘ الحاسّة كالمرآة التي تعكس الصورة الظاهرية فقط، بينما العقل ينفذ في المحسوسات ويبيّن المعنى إضافة إلى الصورة.

◘ إنّ من لم يحظوا بالمعارف العميقة هم في منظار الإمام علي عليه السلام عميٌ أُصيبوا بالغفلة والحيرة، وشفاؤهم يتمّ على يد الأنبياء عليهم السلام.

◘ إنّ العقل وإن كان يستمدّ من الحواسّ في توليد معارفه إلّا أنّ هذه المعارف الجديدة هي ثمار العقل لا ثمار الحواسّ. وشأن العقل في ذلك شأن الشجر الذي يستمدّ من التربة وينتج الثمر؛ فهذا الثمر هو ثمر الشجرة لا ثمر التربة.

◘ الحواسّ تحتاج إلى العقل في توليد المعارف الحسّية كاحتياج العقل إلى الحواسّ في توليد المعارف العقلية، ولا يمكن أن يصدّق الإنسان وجود المحسوسات من دون المعارف البديهية العقلية، ويمكن اختبار ذلك بتجريد الذهن من مبدأ استحالة التناقض.

◘ شبّه الإمام الصادق عليه السلام إعانة العقل للحاسّة بإعانة ضوء المصباح للبصر في الظلمة، أي أنّ الحواسّ لا تستطيع أن تُدرِك المحسوسات بدون مصباح العقل، كما لاتستطيع العين أن تبصر في الظلمة بدون المصباح.

◘ رغم أنّ القرآن الكريم لم يتعرّض للنظرية المادّية أو ردّها بصورة مباشرة فإنّ الآية (١٧٩) من سورة الأعراف تستعرض خصائص أصحاب الجحيم بصورة تتضمّن الردَّ الدقيق الصائب على المادّيين فيما يختصّ بمصادر المعرفة، وأنّ نظريّتهم صائبة إذا ما تمّ تطبيقها على من أغمضوا عيون عقولهم وقلوبهم، لاغير.

# القسم الثالث

# موانع المعرفة


المدخل

الفصل الأول — الموانع الحسية

الفصل الثاني — الموانع العقلية والقلبية

الفصل الثالث — إزالة موانع المعرفة

الفصل الرابع — الموانع غير القابلة للإزالة

الفصل الخامس — موانع المعرفة من منظار القرآن

الفصل السادس — مناشئ موانع المعرفة

الفصل السابع — أمراض الفكر

الفصل الثامن — علاج مرض الفكر

# المَدْخَلُ

## موانع المعرفة وشرائطها

تعدّ مسألة شرائط المعرفة من أهمّ المسائل في علم المعرفة، ولا سيّما مسألة موانع المعرفة، فإنّها تحظىٰ بأهمّية بالغة؛ وذلك لأنّ الخلاف الأساسيّ بين الإلهيّين المؤمنين بالمبدأ والمعاد والمادّيين غير المؤمنين بهما تكمن في موانع المعرفة.

إنّ أساسَ الخلاف بين الإلهيّين والمادّيين هو أنّ هناك موانع تحول دون استفادة المادّيّين من عقولهم وقلوبهم لإدراك المعارف العقلية والقلبية، فلو أنّ هذه الموانع قد أُزيلت من طريق المادّيين لاتّفقوا مع الإلهيّين في وجهة نظر مشتركة، ولانتفى المذهب المادّي من أساسه.

نحن نعتقد بأنّ الله تعالى قد وهب الناس جميعاً بما فيهم الإلهي والمادّي ثلاثة مصادر أو طرق لمعرفة حقائق الوجود، هي: الحواسّ، والعقل، والقلب؛ حتّى تكون لهم مشاعر وأحاسيس وأفكار وضمائر، فيدركوا المحسوس بحواسّهم، ويعقلوا المعقول بعقولهم، ويبصروا باطن العالم المادّي بأبصار قلوبهم، إلّا أنّ البعض يرتكبون أعمالاً تؤدّي إلى سدّ طرق معارفهم العقلية والقلبية وتعمي بصائرهم العقلية والقلبية، وإذا ما عميت عين العقل والقلب انحصرت معارفهم في المعارف الحسّية، وكما قال القرآن الكريم:

﴿يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ﴾.[1]

---

١. الروم: الآية ٧، بمعنى أنّ معرفتهم عن الحياة سطحية ظاهرية، وهم في غفلة عن الآخرة.

فتصبح حياتهم كحياة الحيوانات، ويحرمون الحياة الإنسانية:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ﴾.[١]

فالمادّيون هم من هذا الرعيل من الناس؛ أي إنّهم ممّن حُرموا المعارف العقلية والقلبية نتيجةً لاصطدامهم بموانع المعرفة.

وبناءً على ذلك فيعتبر موضوع موانع المعرفة من هذه الحيثية من أهمّ مواضيع علم المعرفة، بل يمكن القول بأنّه أهم المسائل العقائدية؛ وذلك لأنّ الحديث حول المبدأ والمعاد والله والقيامة وما إلى ذلك من الحقائق التي تُدرَك بالعقل والقلب عبثٌ لايجدي مع من لم يتخلّص من موانع المعرفة ولم يرفع الحجب عن بصيرة عقله.

فالحديث عن الله وعن يوم القيامة لمن حجب عقله وقلبه، كالحديث عن جمال وجهِ محبوبٍ يلقى على أكمه! فالمناظر الجميلة جميلة في عين البصير لا الأعمىٰ، إذ لا فرق لدى الأخير بين ما هو جميل وما هو غير جميل؛ فهو لا يُدرك جمالية الحديقة الزاهرة، كما لا يُدرِك العكس أيضاً فيما لو كان في صحراء قاحلة.

إنّ أول ما ينبغي في هذا المجال هو ان تكون هناك عين بصيرة، ثمّ يأتي النظر إلىٰ الوجه الجميل والمنظر الحسَن. فيجب أولاً إزاحة الحجب عن بصائر العقول والقلوب وإزالة موانع المعرفة، ثمّ يأتي بعد ذلك دور البحث في الحقائق العقلية ودراسة أُصول العقيدة الإسلامية.

وفي ضوء هذه المقدّمة المقتضية، نبدأ بحث موانع المعرفة.

---

١. محمّد: الآية ١٢، بمعنى أنّ الكفّار يأكلون كالحيوانات، وتلك متعتهم من الحياة.

الفصل الأوّل

# الموانع الحسّيّة

إنّ موانع المعارف الحسّية وإن كانت لا تحتاج إلى إيضاح، ولكن بما أنّ إيضاح المعارف العقلية والقلبية يمكن أن يتمّ بصورة أيسر إذا ما قيس بها، وأنّ هذه الموانع أُنموذج مجسّد للموانع العقلية والقلبية، رأينا أن نبدأ أوّلاً بعرض الموانع الحسّية تمهيداً للدخول إلى الحديث عن سائر الموانع.

بديهيّ أنّ الحواسّ الخمس تستطيع إدراك المحسوسات فيما اذا لم يكن هناك ما يعوق إدراكها، فالعين تقدر على الرؤية، والأُذن تقدر على السماع، ويكون بإمكان الحواسّ الأُخرى أن تحصل معارفها الخاصّة، فيما لو لم تعترض سبيلها موانع تحول دون قيامها بوظائفها.

## أنواع الموانع الحسّية

يمكن تقسيم الموانع الحسّية إلى طائفتين:

الطائفة الأُولى: موانع من المعرفة.

الطائفة الثانية: موانع من صحّة المعرفة.

وتنقسم كلّ طائفة بدورها إلى صنفين:

الصنف الأوّل: الموانع المؤقّتة.

الصنف الثاني: الموانع الدائميّة.

وعليه، فإنّ مجموع موانع المعارف الحسّية أربعة، وهي كالآتي:

١ ـ موانع مؤقّتة من المعرفة.

٢ ـ موانع دائميّة من المعرفة.

٣ ـ موانع مؤقّتة من صحّة المعرفة.

٤ ـ موانع دائميّة من صحّة المعرفة.

فالصنف الأوّل يشتمل على تلك الموانع التي لا تأتي على الحواسّ وتبطلها تماماً، بل تحول دون إدراكها بصورة مؤقّتة، كأن يحول شيء دون العين ورؤيتها ويحجبها لفترة قصيرة، أو أن يحقن موضع من الجسد بمادّة مخدّرة فيسلبه الحسّ بصورة مؤقّتة.

ويشتمل الصنف الثاني على مجموعة الموانع التي إن طرأت على الحاسّة عطّلتها تماماً، كالأمراض التي تؤدّي إلى العمىٰ أو الصمم أو إلى إيجاد خلل في الحواسّ الأُخرى.

والصنف الثالث يشتمل على الموانع التي تمنع الحواسّ بصورة مؤقّتة من المعرفة الصحيحة، كأن يجعل إنسان عينه في حالة بحيث يرى الشيء الواحد شيئين، فحاسّة البصر في هذه الحالة لا تتعطّل تماماً، ولكنّها لا تؤدّي وظيفتها على الوجه الصحيح. وعليه، فإنّ تغيير وضع العين أو حالتها تمنع من صحّة المعرفة، لا من المعرفة ذاتها. على أنّ هذه الممانعة لا تدوم، إذ إنّ العين تعاود رؤية الواقع إذا ما عادت إلى حالتها الطبيعية.

والصنف الرابع يشتمل على الموانع التي لا تسمح للإنسان مطلقاً بمعرفة الواقعيات كما هي، كالأحول الذي يرى الشيء شيئين ولا يستطيع تشخيص الحقائق بواسطة حاسّة بصره مطلقاً.

الفصل الثّاني

# الموانع العقليّة والقلبيّة

إنّ العقل شأنه شأن الحواسّ لايقدر على إدراك شيء في حالة وجود ما يمنع إدراكه، وموانع المعارف العقلية هي الأُخرى على أربعة أنواع، ولاتختلف عمّا ذكر بالنسبة للموانع الحسّية، أي إنّ موانع المعارف العقلية هي تارةً مانعة من المعرفة، وتارةً مانعة من صحّة المعرفة، وتارةً يكون المنع دائميّاً، وتارةً أُخرىٰ يكون المنع مؤقّتاً.

وعلى هذا الأساس، فإنّ بيان موانع المعارف العقلية يقتضي إجراء دراسة حول المسائل الأربعة الآتية:

١ ـ دراسة الموانع التي تؤدّي إلى تضعيف قوّة الإدراك العقلي.

٢ ـ دراسة تلك الموانع التي لو ظهرت لفقد العقل قدرته علىالإدراك.

٣ ـ دراسة الموانع التي تسلب الإنسان معارفه العقلية بصورة مؤقّتة.

٤ ـ دراسة الموانع التي تمحو من الإنسان معارفه العقلية بصورة دائميّة.

### صدأ مرآة العقل

إنّ العقل أو الذهن مرآة تعكس الحقائق العقلية، إلّا أنّ هذه المرآة لا تعكس صور ما يقع أمامها كما هو إلّا إذا كانت صافية من اللّون والصدأ، فإن تكدّرت بصدأ لم تكن لِتُظهر الواقع.

فكلّما ازدادت المرآة صفاءً وشفّافيةً كانت أكثر بياناً للواقع، وكلّما ازداد صدؤها كان تجلّي الواقع فيها أقلّ، إلى أن تفقد في النهاية قدرتها على بيان الصور بالكلّية.

وكما أنّ صدأ المرآة أو لونها قد يكون أحياناً قابلاً للإزالة، وأحياناً يكون بحيث لا يمكن إزالته، فكذلك تكون مرآة عقل الإنسان وذهنه.

فإذا كانت مرآة العقل سالمة من الصدأ واللّون فهي مبرّأة من موانع المعرفة، قادرة على بيان حقائق الوجود كما هي، وأمّا إذا أصابها الصدأ تصبح مبتلاة بما يمنع من المعرفة.

فإن كان الصدأ قليلاً فالعقل مبتلى بموانع تحول دون معرفة الإنسان بالحقائق معرفة صحيحة. أمّا إذا كان كثيراً فالعقل مصاب بموانع تحول دون معرفة الحقيقة أصلاً، فالصدأ القابل للإزالة يمثّل الموانع المؤقّتة للمعرفة، وأمّا الصدأ الغير قابل للإزالة فيمثّل الموانع الدائمية للمعرفة.

وثمّة سؤال يطرح نفسه هنا وهو: ما الذي يكدّر مرآة العقل ويستوجب صدأها؟

والجواب هو: غبار الهوىٰ والهَوس.

فالهَوس غبارٌ لو حطّ على مرآة العقل لأضعف قدرتها على بيان الواقع، بحيث إذا لم ينجلِ عنها ازدادت بالتدريج كدورةً حتّى يُسلَب الإنسانُ إدراكاتِه العقليةَ بالكلّية.

قد يتجلّى الهَوس في صورة حُبٍّ وعشق، وقد يتجلّى تارةً أُخرى في صورة حقدٍ ونفور، وأيّاً كان فهو مانع لمرآة العقل من أن تكون مظهراً للواقع.

فالعشق يقتضي التعصّب، والعاشق يتعصّب لمعشوقه، فلا يرىٰ عيوبه ومساوئه. والعشق يقلب القبيح جميلاً، حتّى أنّ عيوب المعشوق ومساوئه قد تبدو لعين العاشق حُسناً وجمالاً.

كما أنّ الحقد والنفور أيضاً يقتضي التعصّب، فإذا حقد قلب إنسان على آخر تعصّب ضدّه، وراح يبغض كلّ حُسنٍ وجمال فيه كأنّه لا يراه، وقد تصير محاسنه

أحياناً في نظره مساوئَ لاحُسن فيها.

وقد تصل إعاقة العشق والحقد في المعارف العقلية من الشدّة لدرجة أنّها تُفقد الإنسان معارفه الحسّية أيضاً، فلا تتمكّن العينُ حينها من الرؤية الصحيحة، أو الأُذنُ من السمع الصحيح؛ حتّى لَترى العينُ الجميلَ قبيحاً، أو على العكس ترى القبيح جميلاً.

جاء في قصّة ليلىٰ والمجنون أنّ شخصاً قال لليلى: ليس لكِ من الجمال الخارق للعادة ما يستحقّ أن يهلك المجنون نفسه من أجلكِ! فأجابته ليلىٰ: إنّك لست مجنوناً حتّى تُدرِك كم أنا جميلة، اذهب وصر مجنوناً كي تُدرِك جمالي.

قال الخليفة لليلى: أأنت التي   جُنّ بها المجنون وهام وغوى؟!

لا أراك تزيدين عن غيرك من الحسان شيئا!!   قالت: صَهْ، أنت لست مجنونا!![1]

وكان ردّ المجنون على هذا المعترض:

لوجلست بإنسان عيني   لم تر من ليلى إلّا كل زيْن[2]

إنّ غشاوة العشق لاتدع العاشق يرى المعشوق رؤية صحيحة، أو تدعه يرى أو يفكّر في سواه، فلو أُزيحت هذه الغشاوة عن عينه لرأى المعشوق كما هو، ولرأى سواه أيضاً، وحينذاك تكون مرآة عقله مظهراً للواقع ويكون واقعيّ النظر.

رُويت عن الإمام الباقر عليه السلام ـ فيما يخصّ زليخا ودعوتها نساء مصر لرؤية يوسف عليه السلام ـ رواية تشير إلى أنّ العشق مانع وحجاب يحول دون المعرفة، والقصّة

---

١. هذه ترجمة لبيتين من الشعر الفارسي وهذا نصّه:

گفت ليلى را خليفه كان تويى   كز تو مجنون شد پريشان و غوى؟

از دگر خوبان، تو افزون نيستى   گفت: خامش؛ چون تو مجنون نيستى

٢. هذه ترجمة لبيت من الشعر الفارسي وهذا نصّه:

اگر در مردمِ چشمم نشينى   به غير از خوبى ليلى نبينى

بالإجمال تتلخّص في أنّ عشق زليخا المفرط ليوسفعليه السلام ذاع في مصر، والذي جعل منها عرضةً لملامة نساء مصر، إذ كيف لامرأة العزيز أن تعشق غلامها بحيث تفقد نفسها في عشقه؟! والقرآن الكريم يعرض الواقعة على هذا النحو:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَـٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾.[1]

حيث قال الإمام الباقرعليه السلام في تفسير «شغفها حبّاً»:

قَد حَجَبَها حُبُّهُ عَنِ النّاسِ فلا تَعقِلُ غَيرَهُ. والحِجابُ هو الشِّغاف، والشِّغافُ هو حِجابُ القَلبِ.[2]

فالمقصود من «شغفها حبّاً» أنّ محبّتها وولعها بيوسف قد سيطرت على قلبها واحتوته وصارت حجاباً بين زليخا والآخرين، فلاترى إلّا يوسف.

إلى هنا تشير الآية إلى أنّ غبار الهوى عندما يستولي على مرآة العقل ويحوّلها إلى ظلمة قاتمة، ويقع حجاب العشق حائلاً أمام عين العقل، فحينها ينسى العاشق نفسه حتّى لا يعود يفكّر في شيء إلّا معشوقه، فتراه لا يفكّر في كرامته وسمعته، ولا يفكّر في دنياه وآخرته.

ثمّ تأتي الآيات التالية المتمّمة لهذه القصّة القرآنيّة لتذكر مسألة أدقّ وأكثر مدعاةً للانتباه فيما يختصّ بعلم المعرفة وموانع المعرفة؛ إذ يتبيّن أنّ العشق أحياناً يؤدّي ما يؤدّيه مفعول أقوى العقاقير المخدّرة، ويستحوذ على الحواسّ الظاهرة، حتّى أنّ الإنسان ليقطع بدنه إرباً إرباً بيده دون أيّ شعور بالألم!

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ ...﴾.[3]

فلمّا رأت زليخا أنّها أصبحت عرضةً للّوم الشديد من قِبل المصريات ـ وحتّى

---

١. يوسف: ٣٠.

٢. تفسير القمّي: ج ١ ص ٣٥٧.

٣. يوسف: ٣١.

تفضي إليهنّ بدليل عشقها ـ هيّأت مجلساً عظيماً، ودعت اللائمات إليه. وبينما كنّ والسكاكين في أيديهنّ مشغولات بتقشير الأُترُجّ، أمرت يوسف بالخروج عليهنّ:

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.[1]

وابتُليت المصريّات أيضاً بنفس البلاء الذي ابتُليت به زليخا! وقطّعن أيديهنّ، وتلطّخت ثيابُهنّ بالدماء، ومع هذا فإنّ جاذبية جمال يوسف كانت مانعة من أن يلاحظن السكاكين والأُترُجّ والأيدي المقطّعة والثياب الملطّخة، ومانعة حتّى من إحساسهنّ بالألم، وهذا ما عناه رسولِ الإسلامﷺ بقوله:

حبُّكَ للشّيء يُعمِي ويُصمّ.[2]

وما أجمل وأدقّ ما قاله أمير المؤمنينؑ في المقام:

مَنْ عَشِقَ شَيئاً أَعْشَىٰ بَصَرَهُ وأمرَضَ قَلبَهُ، فَهُوَ يَنظُرُ بِعَينٍ غَيرِ صَحِيحَةٍ، ويَسمَعُ بِأُذُنٍ غَيرِ سَمِيعَةٍ، قد خَرَقَتِ الشّهَواتُ عَقلَهُ، وأماتَتْ الدّنيا قَلبَهُ.[3]

وهذه الرواية تتعرّض للموانع الحسّية والعقلية والقلبية بدقّة وفي موطن واحد، يقول أوّلاً: «مَن عَشِقَ شَيئاً أعشىٰ بَصَرَهُ»، أي أنّ العشق يؤثّر في الحواسّ، فلا تبصر عين العاشق عيوب عشيقه ولا تسمع أُذنه سوءاً فيه.[4]

ثمّ يقولؑ: «وقد خَرَقت الشهوات عقله...» أي أنّ الشهوات والأهواء تعيب العاشق وتسلبه معارفه العقلية.

ثمّ يقولؑ أخيراً: «وأماتت الدنيا قلبَه» أي أنّ حبّ الدنيا يميت قلب العاشق،

---

١. يوسف: ٣١.

٢. كتاب من لايحضره الفقيه: ج ٤ ص ٣٨٠ ح ٥٨١٤.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ١٠٩.

٤. جاء في رواية أُخرى عن عليؑ: عين المحبّ عميّة عن معايب المحبوب، وأُذنه صمّاء عن قبح مساوئه (غرر الحكم: ح ٦٣١٤).

وبموت قلبه تموت أحاسيسه ومعارفه القلبية.

وجاء في رواية أُخرى لهعليه السلام قوله:

إنّكَ إن أطعتَ هَواكَ أصمَّكَ وأعماكَ، وأفسدَ مُنقلبَكَ وأرداك.[١]

وقالعليه السلام أيضاً:

الهَوىٰ شَريكُ العَمىٰ.[٢]

أي أنّ الهوىٰ يمنع الإدراك العقلي، وشأنه في ذلك شأن العمىٰ الذي يحول دون الإدراك الحسّي، فالاثنان شريكان في مانعيّة المعرفة.

## أنواع موانع المعارف العقلية

لقد قسّمنا موانع المعرفة الحسّية فيما سبق إلى أربعة أقسام: موانع المعرفة، موانع صحّة المعرفة، موانع مؤقّتة، موانع دائميّة. وقلنا إنّ هذا التقسيم عينه يسري على موانع المعارف العقلية؛ أي أنّ المانع قد يكون من الشدّة بحيث يمنع العقل من الإدراك أصلاً، وقد يكون بحيث يمنع العقل من الإدراك الصحيح، كما يمكن أن يكون مؤقّتاً وقابلاً للزوال، أو دائماً لايزول.

### عمىٰ عين العقل

النوع الأوّل من موانع المعارف العقلية هو ما يصيب عين العقل بالعمىٰ ويسلبها قدرة الإدراك. فلو أنّ غبار الهوىٰ والهَوس كان كثيراً لاربدّت مرآة العقل بالصدأ تماماً، ولاستبدّ دخان الهوَس الفاحم بسراج العقل ولم يعُد يسمح له بالإضاءة، الأمر الذي يُفقد عين العقل رؤيتَها، بل قد يصيب عين الحسّ أيضاً بالعمى (كما مرّ من قصّة ضيوف زليخا).

---

١. غرر الحكم: ح ٣٨٠٧.

٢. نهج البلاغة: الكتاب ٣١.

### ضعف عين العقل

النوع الثاني من موانع المعارف العقلية موانع تؤدّي إلى ضعف عين العقل. فلو أنّ غبار الهوىٰ والهوَس كان قليلاً لقلَّ صدأ مرآة العقل تبعاً لذلك، وفي هـذه الحـالة يمكن لسراج الفكر أن يومض بـين دخـان الهَـوس، ولعـين العـقل ـ وإن كـانت لاتستطيع رؤيةَ الحقيقة رؤية صحيحة ـ أن تتعرّف على الحقيقة بـصورةٍ ضـعيفةٍ وناقصة.

### الموانع التي يمكن إزالتها

النوع الثالث من موانع المعرفة العقلية موانع تعمي عين العقل بصورة مؤقّتة، فلو لم يبلغ غبار الهوَس حدّاً يستوجب فساد جوهر مرآة العقل، فإنّ هذه المرآة ستكون قابلة للجلاء والصقل، وفي هذه الحالة تكون موانع المعرفة قابلة للإزالة، ويصبح عجز عين العقل عن الرؤية مؤقّتاً.

### الموانع التي لا يمكن إزالتها

النوع الرابع من موانع المعرفة العقلية موانع تعمي عين العقل بصورة دائمة، فلو أنّ غبار الهوَس كان بحيث يستوجب فساد جوهر مرآة العقل، فإنّ هذه المرآة تكون غير قابلة للجلاء، وفي هذه الحالة تكون موانع المعرفة غير قابلة للإزالة، ويكون عمى عين العقل هنا دائمياً.

بعبارة أُخرى: مادام الهوىٰ والهوَس ـ سيّان كـان فـي صـورة العشـق والحبّ والشهوة، أو في صورة الغضب والحقد والنفور ـ في بداية أمره ولم يصبح بـمثابة العادة الثابتة والملَكة النفسانية الراسخة، ولم يفسد جوهر مرآة العقل بـعدُ، فـهذه المرآة قابلة للجلاء والصقل، وإعاقتها للمعرفة مؤقّتة، أمّا إذا كان الهَوس قد تكرّر حتّى صارت الشهوة والغضب عادةً ثابتةً وملكةً نفسانيةً راسخةً، فإنّ جوهر مرآة العقل قد فسد، وفقدت قابليتها للجلاء والصقل، فتصبح الإعاقة عن المعرفة دائميّة.

لقد ذكرنا فيما مضىٰ نماذج لسطوة العشق وممانعته للمعارف الحسّية والعقلية، ونورد الآن أمثلة لسطوة الحقد والنفور وإعاقتهما المؤقّتة والدائمة للمعرفة العقلية.

جاء في حديثٍ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

**الحِدَّةُ ضَربٌ مِنَ الجُنُونِ؛ لأنَّ صاحِبَها يَندَمُ، فَإن لَم يَندَم فَجُنُونُهُ مُستَحكَمٌ.**[1]

يقول الإمام عليه السلام بأنّ الغضب والعصبية نوعٌ من الجنون، والجنون فنون؛ وذلك لأنّ الإنسان يأتي في حال الغضب بأفعال غير معقولة، حتّى إذا ما سكتت عنه نار الغضب وعاد إلى عقله ندم عليها.

فالشخص في حالة الغضب يصيح ويضرب الأرض برجله ويتلفّظ بما لايليق، يضرب ويكسر، وباختصار يفعل كلّ ما في وسعه ممّا لايصحّ أو يُقبل. فإذا ما هدأ وزال عنه الغضب خجل من نفسه ومن أفعاله، وقال لنفسه: وكأنّني قد جننتُ، لماذا فعلتُ ذلك، ياليتني لم أفعل ما فعلتُ.

ولربما يقول البعض: إنّ الندم بعد الغضب لايسري على الناس كافّة، فهناك الكثيرون ممّن يغضبون ويرتكبون أعمالاً غير لائقة، ثمّ لايندمون بعدما يهدؤون، بل قد يعتقدون أحياناً أنّهم أحسنوا صنعاً فيما عملوا. وفي هذا يقول الإمام عليه السلام «فإن لم يندم فجنونه مستحكَم».

بعبارة أُخرى: إنّ الغضب نوعٌ من الجنون، وقد يكون دوريّاً، وقد يكون دائميّاً. فإنّ ندم الغاضب بعد خمود جذوة غضبه وعاد إلى وعيه فجنونه دوريّ، وإن لم يندم فجنونه ثابت ومستحكم.

كان هذا بياناً للرواية، أمّا ما هي علاقة الرواية بموضوع بحثنا؟ فلقد تضمّنت الرواية الغضب كمظهر من مظاهر الهوىٰ والهوَس بصفته مانعاً من موانع المعارف العقلية، قد يجرّ الإنسان إلى هاوية الجنون، فالإنسان عندما يغضب، تندلع في

---

١. نهج البلاغة: الحكمة ٢٥٥.

روحه شعلة كشآبيب النار، ويحتقن وجهه، ويحول الدخان المتصاعد من هذه النار دون ضوء سراج عقله. إنّ هذا الدخان في بداية الأمر يكون قليلاً، وتكون إعاقته لنور العقل ضعيفة، ولكنّ حجمه يزداد بالتدريج، ويتضاءل ضوء سراج العقل شيئاً فشيئاً حتّى ينطفئ.

كما أنّ انطفاء سراج العقل نتيجةً لدخان الغضب هو الآخر على نوعين: مؤقّت، ودائم، فما دام دخان الغضب لم يكدّر سراج العقل ويفسده فانطفاء هذا السراج مؤقّت، بمعنى أنّه يعود إلى الإضاءة فيما لوخمد الغضب ونظّف السراج وارتفع الحجاب، أمّا إذا ازداد دخان نار الغضب حتّى أظلم سراج العقل تماماً وفسد جوهر الإنسانية القيّم، فإنّ انطفاءه يكون دائميّاً، ويكون حرمان الإنسان من الاستضاءة بهذا السراج دائميّاً أيضاً.

في بداية الأمر، حينما يغضب الإنسان بلا مقتضٍ، ويقدم على أعمال غير لائقة، فإذا سكت عنه الغضب يندم على الفور لما بدر منه من أعمالٍ حالَ عصبيّته، فهذا الندم هو دليل على أنّ انطفاء سراج العقل كان مؤقّتاً، وفي الوقت نفسه فإنّ كون الغضب بلا مقتضٍ يُنبِئُ عن إصابة الغاضب بمرض أخلاقي.

فإذا لم يتدارك هذا المرض بالعلاج، فإنّ تتابُع الغضب وارتكاب ما لايليق ـ ممّا يقتضيه ذلك الحال عادةً ـ يفسد بالتدريج جوهرَ مرآة العقل، بحيث يتعذّر إصلاحها وعودتها إلى طبيعتها، وحينها يصبح الحقد والانتقام والغضب العفوي ملكة راسخة وطبيعة ثانوية للإنسان، ويستحوذ الهوىٰ والهوَس على الإنسان الذي يتمثّل بحالة النفور، حتّى يبدّله إلى وحش خطر سفّاكٍ للدماء لايخجل ولا يندم، بل يلتذّ ويسرّ ويتباهى بذلك.

فالمنافق ـ الذي يغتال الأبرياء في الطرقات والأسواق ويضرم النار في الحافلات وركّابها ويحرق الحامل والرضيع بنارٍ يدّعي أنّها غضبٌ ثوريّ، وكلّ ذلك يجري كسهولة شرب الماء، دونما خجل أو ألم ـ لم يكن في البداية مارداً أو

شيطاناً يتعطّش للدماء، بل كان قبل أن يتغلّب عليه مثل هذا الغضب والحقد المشؤوم يخجل من نفسه ويتألّم لمجرّد صفعة بلا سبب وجيه. أمّا الآن فإنّ حجاب الحقد قد استحوذ على عقله، وصدأت مرآة عقله حتّى سُلبت منه أبسط المعارف العقلية، فلم يعد يفهم أنّه إذا كان مخالفاً لنظام حكمٍ ما فما هو ذنبُ الرضيع والحامل والناس في الطرقات والأسواق! ويا ليت الأمر اقتصر على عدم فهمه، بل إنّه ليفهم العكس! ويا ليت الأمر أيضاً اقتصر على عدم الإحساس بالخجل والندم، بل إنّه ليتملّكه الغرور واللذّة لذلك!! ثمّ يدّعي أنّ هذه النذالة غضب ثوريّ وجهاد، ويعدّ نفسه مجاهداً.

إنّ هذه الحالة علامة على خمود سراج العقل وانطفائه على نحو دائمي.

## الخلاصة

▣ إنّ ذهن الإنسان أشبه ما يكون بمرآة تعكس الحقائق، ولكنّها تعكسها بصورة أوضح كلّما قلّ صدؤها، والعكس بالعكس.

▣ الهوىٰ والهَوس غبار يلبّد مرآة العقل، وهو يتجلّى في العشق تارةً وفي الغضب والحقد أُخرى.

▣ إنّ العشق يؤثّر على العقل في بعض الأحيان تأثيراً يسلبه الإدراك، بحيث إنّ العاشق يقطع جوارحه بيده دون أن يشعر بأيّ ألم.

▣ موانع المعارف العقلية والقلبية تنقسم إلى أربعة أقسام، كما هي الحال بالنسبة لموانع المعارف الحسّية:

١ ـ الموانع التي تعمي عين العقل، وهي أشبه بالصدأ الذي يتراكم على مرآة العقل من جرّاء الهوىٰ.

٢ ـ الموانع التي تضعف عين العقل وتمنعها من رؤية الحقائق كما هي، وهي أشبه بقليل الصدأ يغطّي مرآة العقل نتيجةً للهوىٰ.

٣ ـ الموانع التي تعمي عين العقل بصورة مؤقّتة، وهي عبارة عن حجب الهوى التي لم تفسد جوهر مرآة العقل.

٤ ـ الموانع التي تعمي عين العقل بصورة دائمة، وهي عبارة عن الموانع الناجمة عن الهوىٰ والتي تفسد مرآة العقل تماماً.

الفصل الثّالث

# إِزَالَةُ مَوَانِعِ المَعْرِفَةِ

والآن ينبغي أن نرى ـ فيما لو كانت مرآة العقل قابلةً للجلاء، وموانع المعارف العقلية قابلةً للإزالة ـ كيف يمكن إزالة الصدأ؟ وبأيّ شيء يمكن صقل مرآة العقل وجلاؤها؟

فمسألة رفع موانع المعرفة تُعدُّ من أهمّ المسائل في هذا القسم من مباحث علم المعرفة، ويمكن لهذا المبحث أن يكون مثمراً ومفيداً جدّاً لأُولئك الذين تورّطوا في العصبية وأصبحوا رهائن المنظّمات والفئات المتعصّبة.

فكيف يمكن إزالة الغبار عن مرآة العقل؟ وكيف يمكن رفع موانع المعرفة من أمام عين العقل؟ وكيف يمكن معالجة مرض الهوى والهوس؟

هناك سبيلان لإزالة الغبار عن مرآة العقل فيما لو كان جوهرها لم يفسد بعد، وأنّ داء الهوَس ـ الذي هو حجابٌ لعين العقل ومانعٌ من التعرّف على حقائق الكون ـ يمكن علاجه بطريقين:

الأوّل: الموعظة والنصيحة.

الثاني: البلايا والمصائب.

### إزالة الغبار عن مرآة العقل بالموعظة

لو كان غبار الهوى قليلاً فمن الممكن إزالته وجلاء مرآة العقل وصقلها عن طريق

الموعظة. وفي هذا المجال يروى عن الإمام عليّ عليه السلام قوله:

**المَواعِظُ صِقالُ النُّفوسِ، وجَلاءُ القُلُوبِ.**[١]

فكما أنّ المرآة تلمع عند إزالة صدئها وتعكس الصور مطابقة للواقع، فكـذلك مرآة العقل والقلب فهي تطهر وتشرق عند إزالة صدئها بالموعظة؛ فتعكس حقائق الوجود كما هي. وما أكثر من أزالوا موانع المعرفة عـن عـين عـقلهم بـالموعظة والنصيحة، حتّى إذا ما ارتفعت الموانع عثروا على الحقيقة، وعرفوا طريق تكاملهم. وهناك نماذج كثيرة على مدى التاريخ ممّا لا ضرورة لذكـرها فـي هـذا البـحث العقائدي.

إلّا أنّ الموعظة والنصيحة كما أشرنا لا تجدي ولا تثمر إلّا إذا كان غبار الهوىٰ قليلاً وموانع المعرفة محدودة. وبعبارة أُخرى: إنّ الموعظة والنصيحة تجدي فيما لو كان الإنسان مازال على مشارف الهوىٰ وقيد خطواته الأُولى في سبيل ارتكاب ما لايليق، أمّا إذا كثر غبار الهوىٰ وزاد الصدأ على مرآة العقل فلا جدوىٰ من العلاج بالوعظ والإرشاد، بل يلزم في هذه الحالة دواء أقوىٰ لتنظيف هذه المرآة وصفائها، وهذا الدواء هو البلاء والمحن.

## نار البلاء وحُجُب العقل

إنّ نار البلاء والمصائب والأحداث المريرة أدواء قوية ناجعة سـرعان مـا تـحرق حجب الموانع من المعرفة العقلية، وبرفع هذه الموانع تجعل مـرآة العـقل صـقيلة شفّافة تعالج مرض اتّباع الهوىٰ وتردّ عين العقل مبصرة.

إنّ هذا الدواء أقوىٰ وأشدّ أثراً، فجلاء صدأ العقل بـالموعظة كـتنظيف المـرآة بالماء، بينما جلاؤه بالبلية كصيقلة السيف بالنار. أجل، إنّ كثير الصدأ لايُـزال إلّا بالنار.

---

١. غرر الحكم: ح ١٣٥٤.

إنّ كثيراً من الناس لا تصلح الموعظة والنصيحة حالهم، حتّى إذا ما واجهوا في حياتهم حدثاً مريراً وتعرّضوا لتيّار البلايا وقرع حجر البلاء رؤوسهم، زالت الحجب عن عيون عقولهم فجأةً وأفاقوا من غفلتهم.

## فلسفة البلاء والرزايا

إنّ صقل مرآة العقل وإيقاظ من يتوفّر لديه استعداد اليقظة في نظر الإسلام يعتبر واحداً من أسرار الأحداث والمصائب المريرة التي يُبتلىٰ بها الإنسان في حياته، ففي سورة السجدة نقرأ الآية الكريمة التي تختصّ بالعذاب والآلام والمصائب التي يواجهها الإنسان في حياته:

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.[1]

فالمقصود من «العذاب الأدنى» هو البلايا والمصائب التي يُبتلى بها الإنسان في هذه الدنيا، وأمّا «العذاب الأكبر» فيُراد منه عذاب الآخرة وجزاء المجرمين في عالم ما بعد الموت.

ويقول سبحانه عزّوجلّ في هذه الآية بأنّنا قبل أن نبتلي أُناساً بعذاب الآخرة ونار جهنّم ـ أي العذاب الأكبر ـ نبتليهم بالعذاب الأدنى، أي مصائب الحياة الدنيوية وآلامها، ولكن لماذا؟!

إنّ الحكمة من ابتلاء هذه الفئة من الناس بمصائب الدنيا وآلامها هو إزالة الحجب عن عيون عقولهم وإيقاظهم وتذكيرهم. وعليه، فإنّ جلاء مرآة العقل وفتح عين القلب واليقظة والتذكير، تعتبر من الحكم والأسرار المهمّة الدخيلة في فلسفة البلاء من منظار القرآن والدين الحنيف.

---

١. السجدة: ٢١.

## صيحة اليقظة الإلٰهية

البلية ـ بالنسبة للأحياء النيام[١] وذوي العقول المحجوبة، وباختصار بالنسبة لمن لم يُفسد صدأُ الهوىٰ جوهرَ عقولهم بالكامل ـ هي صيحة اليقظة الإلٰهية وسوط التأديب الربوبي.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له:

**إِذَا رَأَيْت اللهَ سُبْحانه يُتَابع عَلَيْكَ البلاء فقد أيقظَكَ.[٢]**

يعني أنّ البلايا والآلام في الحياة هي صيحات إلٰهية لليقظة، وأسواط تتتابع على المجرمين لإيقاظهم وتذكيرهم.

ويُروىٰ عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً أنّه قال:

**إِذَا أرادَ الله بِعَبْدٍ خَيْراً فَأَذْنَبَ ذنباً تَبِعَهُ بِنِقْمَةٍ وَيُذَكِّرُه الإسْتِغْفار.[٣]**

وبديهيّ أنّ الله تعالى لايريد الخير لأحد دون مبرّر، بل يريده على أساس حكمته سبحانه وتعالى وفقاً لعمل الإنسان نفسه. فعمل الإنسان هو الذي يجعله جديراً بالعناية الإلٰهية، وبأن يأخذ الله تعالى بيده في حالة زَلَلِه ويذكّره بأنّه ارتكب خطيئة.

إنّ التاريخ يروي نماذج كثيرة ممّن أيقظتهم الصيحة الإلٰهية (البلية) من غفوتهم. فكثيرون أُولئك الذين لم تجديهم الموعظة والنصيحة نفعاً ولم يفتح عيون عقولهم ولم ينبّههم إلّا سوط البلية. ومِن هؤلاء أعضاء وأنصار الفئات المعارضة والمحاربة للنظام الإسلامي في إيران، الذين اعتقلوا بعد انتصار الثورة.

تُرى ما السببُ في ذلك؟! لماذا تَراجع مَن داوم الشهور الطوال بل السنين

---

١. قال سبحانه: ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كانَ حَيّاً...﴾ (يس: ٧٠).

٢. غرر الحكم: ح ٤٠٤٦.

٣. علل الشرائع: ج ٢ ص ٥٦١ ح ١.

المتمادية على معارضة الإسلام والثورة الإسلامية، وما انفكّ يعمل ضدّها، وتراه يدعم مواقفه بالأدلّة والبراهين عبر شاشة التلفزيون، ثُمّ فجأة تراه يعلن الندم بالعويل والبكاء بعد بضعة أيّام فقط من اعتقاله، فيما كان لايضيّع فرصة لضرب النظام في الجمهورية الإسلامية حتّى إلى ما قبل اعتقاله ببضعة أيّام! كيف يمكن تحليل هذا التغيير الذي طرأ فجأةً على موقفه، ولِمَ يقول بعد اعتقاله بأنّه بات يُدرِك ما لم يكن يدركه قبل اعتقاله ؟!

لماذا يصرّح «إحسان طبري» منظّر حزب تُودِه (الحزب الشيوعي المحظور) ـ الذي قضى عمره في البحث وشرح الأفكار الماركسية ونشرها ـ بأنّه أصبح بعد اعتقاله ينفي كلّ ما كان يحسبه صحيحاً، ويبرهن على بطلانه بالأدلّة ؟!

ولماذا أصبح «كِيانوري» زعيم الحزب المذكور يشعر بالذنب والخيانة بعد اعتقاله، في حين أنّه كان طوال حياته يعمل في التجسّس على إيران وشعبها المسلم لصالح زعماء قصر الكرملين ؟

وأعضاء المنافقين والفدائيين وأنصارهم ـ أُولئك المعادون للشعب، الذين عميَتْ قلوبهم ولم يتهاونوا في ارتكاب أبشع الجرائم بغية الحصول على الأموال من أسيادهم، ليتمكّنوا من الإبقاء على حياتهم التعيسة والمخزية، ولكي يظهروا أنفسهم بأنّهم ما زالوا نشطين وفعّالين ـ لماذا تنبّهوا بدورهم بعد إلقاء القبض عليهم إلى أنّهم كانوا مخدوعين ؟

هل جاءت هذه الاعترافات نتيجةً للخوف من التعذيب والسجن والإعدام ؟

هل تمّ تقطيع شريط التسجيل بشكلٍ يُظهر خلاف ما قالوه واعترفوا به أمام شاشة التلفاز؟!

أم هل أنّهم جُرِّعوا أدوية جعلتهم يعترفون بخيانتهم ويغيّرون مواقفهم فجأةً ؟!

إنّ هذه التساؤلات شائعات واهية بثّها أعداء الثورة الإسلامية، ولا حيلة لهم غير ذلك ؛ لأنّهم لو قالوا غير ذلك لما كان أمامهم إلّا الاعتراف بالحقيقة التي لا

يمتلكون الشهامة للاعتراف بها، ولا أنّ سياستهم تقتضي ذلك.

فلو أنّ نظاماً كان بإمكانه إرغام مناوئيه على تغيير مواقفهم السياسية عن طريق التعذيب والسجن والتهديد أو عن طريق تعاطي الأدوية لكان النظام الإيراني البائد وأمثاله من الأنظمة الحالية في العالم هم أوّل من استفاد من هذه الطرق.

إلّا أنّ الحقيقة هي شيء آخر، فالجمهوريّة الإسلامية الإيرانية تستفيد ـ لجلاء مرآة عقل المجرمين وفتح عين قلبهم وإيقاظهم وتذكيرهم ـ من دواء لم يكن في مقدور النظام الإيراني السابق أو الأنظمة الحالية في العالم الاستفادة منه. وأمّا هذا الدواء فليس مركّباً كيماوياً، إنّما هو خليط من مرارة السجن والموعظة والنصيحة.

وهنا، ربما يتساءل البعض: لماذا لاتستطيع الأنظمة الأُخرى الاستفادة من هذا الدواء؟

والجواب هو أنّ مرارة السجن توقظ المجرم عندما لايكون النظام الحاكم نفسه مجرماً. كما أنّ دواء الموعظة يكون مؤثّراً عندما يكون الواعظ نفسه متّعظاً، وبدون هذين الشرطين لا السجن يؤثّر، ولا الموعظة تكون ذات أثر ملحوظ في إصلاح المجرمين، بل إنّهما يتركان أثراً سلبياً على المجرمين عامّة، وعلى السجناء السياسيّين خاصّة. وعليه، فالسبب في عدم إمكان النظام الإيراني السابق والأنظمة الحالية الأُخرى من جعل السجن والنصح والموعظة دواءً لإصلاح الجناة هو افتقارهم لهذين الشرطين، وهذا أيضاً هو السبب في تزايد إحصائيات الجرائم في العالم.

هناك بالطبع من يواجهون موانع دائميّة تحول دونهم ومعرفة الحقيقة، ولايمكن إصلاحهم بأيّ حالٍ من الأحوال، وهذا ما سنتناول البحث عنه فيما بعدُ. أمّا مايهمّنا هنا فهو الحديث عن الموانع المؤقّتة للمعرفة، والحالات التي لاتفسد جوهر مرآة العقل بصورة تامّة.

نحن نعتقد أنّ الموعظة أو البلية أو تركيباً منهما معاً فعّال في مثل هذه الحالات،

وأنّ بإمكانهما صقل مرآة العقل وفتح عين القلب، ومن ثَمّ رأينا المخالفين لثورة الجمهورية الإسلامية وحتّى المحاربين ضدّها يغيّرون مواقفهم ويستنكرون أعمالهم السابقة، لهذا ولاغير.

**لماذا التحق إحسان طبري بركب الإسلام؟**

بعث إحسان طبري ـ الذي قضى عمراً في التحقيق حول الماركسية والترويج لها ـ رسالة أرسلها إلى صحف الدولة الرسمية، وفي ضمن الرسالة ردّ على سؤال وُجّه إليه: لماذا التحقت بعد الاعتقال بركب الإسلام؟ فيقول:

«قد أخطأ من ظنّ أنّ الخوف من عنف الزبانية وعذابهم المفتعل الموهم كان دافعاً لتغيير موقفي وفراري من الكفر عديم البركة والتجائي إلى إسلام الرحمة، إنّ مثل هذا التصوّر يحطّ من قيمة المسألة إلى حدٍّ بعيد.

إنّني أُعلن بصراحة أنّ الدافع الأساسي في انتقادي للماركسية نظرياً وعملياً وقطع صلتي بهذه الأيديولوجية واعتناقي الإسلام الحقيقي الذي يبيّنه إمام الأمّة قولاً وفعلاً هو تغيير عميق حقيقي طرأ على أفكاري بصفتي مثقّف إيراني.

لقد كان لعوامل عقائدية سياسية اجتماعية وثقافية عديدة أثرٌ كبيرٌ في حصول هذا التحوّل الأساسي في أفكاري، ليس للخوف من الضغط أو الموت وجود في عدادها.

وممّا لاشكّ فيه أنّ الشيخوخة والابتلاء بجلطة في القلب وأُخرى في المخّ إلى جانب العوامل الصحّية الأُخرى ـ سواء المزمنة منها والحادّة ـ لم تكن أُموراً هيّنة. كما أنّني لا أدّعي أنّني لم أُواجه ضغوطاً نفسية في المعتقل، بل على العكس، لقد أثّرت هذه الضغوط تأثيراً كبيراً في إيقاظ خلايا مخيلتي وأمواج عواطفي النفسية التي أَلِفَت حالة واحدة واتّجاهاً محدّداً بالنسبة للحكم في القضايا المختلفة، كما أنّها شجّعتني على أن أفتح عيني وأنظر إلى حقيقة كنت بعيداً عنها (ولو أنّي كنت

أُواجهها دائماً)، وأن أتعرّف على نقائص ومساوئ المنظّمة التي كنت أنتمي إليها والأفكار التي كانت تسودها من جهة، وعلى الإسلام الأصيل الحقيقي الثوري الذي عرضه الإمام بمثابة مجال عقائدي لوحدة كلمة المسلمين في العالم من جهة أُخرى...».

دقّق النظر إلى هذه العبارة مرّةً أُخرى: «...لقد أثّرت هذه الضغوط تأثيراً كبيراً في إيقاظ خلايا مخيلتي وأمواج عواطفي النفسية التي أَلِفَت حالة واحدة واتّجاهاً محدّداً بالنسبة للحكم في القضايا المختلفة. كما أنّها شجّعتني على أن أفتح عيني وأنظر إلى حقيقة كنت بعيداً عنها ولو أنّي كنت أُواجهها دائماً»، تلك هي صيحة اليقظة الإلٰهية التي تؤثّر بشدّة في خلايا مخيلة الأفراد الذين تتوفّر فيهم شرائط اليقظة، فتوقظ النفوس الغافلة، وتفتح العيون لتنظر إلى حقيقة لم تكن تراها رغم مواجهتها لها، وهذه هي الحقيقة التي وردت في الأحاديث الإسلامية بعنوان فلسفة البلية، والتي تختصّ بمن لم يفسُد جوهر مرآة عقولهم.

إنّ غبار التعصّب الحزبي والتنظيمي، كان قد عكّر مرآة عقله، حتّى إذا ما اعتُقل كان العمل الذي تأتّى من السجن أزال غبار العصبية الذي كان يحجب عقله ليس إلّا، وما أن زال هذا الحجاب حتّى صحّت رؤية عين عقله للحقائق التي مازال يواجهها ولا يرى حقيقتها مع ما أُوتي من فطنةٍ وذكاءٍ وتحصيل، الأمر الذي بعثه على تغيير عقيدته وموقفه.

وهكذا تخلقُ المرارةُ الحلاوة، وتؤدّي التعاسة إلى الهناء، ويحقّق السجن الحرّية، ومن أعماق البلاء تفيض النعمة، حتّى أنّها ـ على حدّ قول الإمام العسكري ـ لَتُحيط بالبلاء:

ما مِنْ بليّةٍ إلّا وللهِ فيها نعمةٌ تحيط بها.[1]

---

١. تحف العقول: ص ٤٨٩.

أي ما من بليةٍ إلّا وقد ضمّنها الله نعمةً خفيَّةً تحيطها بحلاوة تفوق مرارتها بما لايُقاس، فيما لو اتّخذ الإنسان إزاءها موقفاً صحيحاً.

إنّ البلية التي تؤدّي إلى اليقظة أشبه بعملية جراحية ودواء مرّ ينجي الإنسان من الموت. وبالغاً مّا بلغت مرارة الدواء وألم الجراحة فما دامت ترتبط بسلامة الإنسان وحياته فهي نعمة لانقمة. وهكذا الحوادث المريرة في الحياة ـ مادامت موجبةً ليقظة الإنسان وتنبّهه ومنجاةً له من الهلاك ـ فهي ليست بلاءً وإنّما هي لطفٌ وعنايةٌ ونعمةٌ إلٰهية.

## الخلاصة

▣ يمكن إزالة موانع المعارف العقلية بطريقتين شريطة ألّا تكون قد أفسدت جوهر مرآة العقل، وهما:

١ ـ الموعظة والنصيحة، وهي تنفع إن لم يتراكم غبار كثير على مرآة العقل.

٢ ـ البلايا والمصائب: فالبلايا والأحداث المريرة بمثابة الأدواء القوية المؤثّرة سرعان ما تنظّف مرآة العقل وتجعل عين العقل بصيرة.

▣ فلسفة البلية في نظر الإسلام هي أنّها توقظ من تتوفّر فيه شرائط اليقظة، كما أنّها بمثابة ناقوس الخطر وسوط التأديب وصيحة اليقظة الإلٰهية للغافلين.

▣ يروي لنا التاريخ نماذج كثيرة لمن أيقظهم سوط البلية، منهم أعضاء وأنصار الفئات المعادية للثورة ممّن تابوا واعترفوا بالحقيقة بعد اعتقالهم.

▣ الدواء الذي تستخدمه الجمهورية الإسلامية لإصلاح المجرمين هو خليط من مرارة السجن وحلاوة الموعظة والنصيحة.

▣ السبب في عدم استطاعة النظام الإيراني السابق والأنظمة الحالية في العالم استخدام الدواء المذكور هو عدم توفّر الشرطين التاليين فيهم:

أوّلهما: إنّ مرارة السجن تنفع لتأديب المجرم فيما لو لم يكن النظام نفسه مجرماً.

وثانيهما: إنّ دواء الموعظة يكون فاعلاً ومؤثّراً فيما لو كان الواعظ نفسه متّعظاً.

▣ إنّ البلية التي تؤدّي إلى اليقظة أشبه بعملية جراحية ودواء مرّ ينجي الإنسان من الموت، ومن ثمّ فهي ليست بليّة وإنّما هي نعمة.

الفصل الرّابع

# الموانع غير القابلة للإزالة

لو تفاقم الصدأ حتّى نفذ إلى أعماق العقل، فإنّ مرآة العقل المبيّنة للحقائق تظلمّ وتتكدّر، فيتعسّر صقلها حينئذٍ ولو بنار البلاء، عندها لاجدوى من دواء الموعظة الشافي ولا حتّى صيحة إنذار البلاء الخلّاقة للوعي، وهنا تكون الحجب وموانع المعارف العقلية غير قابلة للإزالة.

إنّ مَن يغطّ على هذا النحو في سباتٍ عميقٍ من الغفلة بحيث لا يوقظه ولا ينبّهه سوط البلاء، فلن توقظه أيّ نصيحة أو موعظة؛ ذلك لأنّ الإيقاظ عن طريق البلاء هو كالإيقاظ بالصياح، وأمّا الإيقاظ عن طريق الموعظة فهو إيقاظ بصوتٍ هادئ، وهيهات أن يتنبّه بصوت الموعظة والنصيحة الهادئ من لم توقظه صيحة إنذار البلاء الإلٰهي، وكما يقول أميرالمؤمنين عليه السلام:

كَيفَ يُراعي النَبْأةَ مَن أصَمَّتهُ الصَّيحَةُ.[1]

وينقل عنه عليه السلام في حديثٍ آخر أنّه قال:

مَن لَم يَنفَعهُ اللهُ بِالبَلاءِ والتَّجارِبِ لَم يَنتَفِعْ بِشَيءٍ مِنَ العِظَةِ.[2]

فإذا كان دواء البلاء ـ وهو أقوى من دواء الوعظ ـ لاينير عين العقل، فدواء الموعظة لايكون مجدياً أو شافياً قطعاً.

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ٤. والنَبْأة: الصوت الخفي.

٢. نفس المصدر: الخطبة ١٧٦. وراجع: ميزان الحكمة: باب ٤١٤٠ (من لا ينتفع بالموعظة).

إنّ هذه الرواية هي خلاصة لكلّ ما عرضناه من موانع المعرفة، سواءً التي يمكن إزالتها، أو التي يتعذّر إزالتها، مع توضيح على النحو الآتي:

فأحياناً تكون موانع المعرفة العقلية وكدورة مرآة العقل من القلّة، بحيث يمكن إزالتها بالموعظة، أو حتّى على حدّ قول الإمام «بشيءٍ من العظة».

وأحياناً تكون الكدورة أكثر، ولكن يمكن إزالة الغبار عن مرآة العقل بسوط البلاء وما يتمخّض عنه من تجارب، وفي هذه الحالة تكون الموعظة مع سوط البلاء، دواءً مؤثّراً في تنبيه الإنسان.

وقد ينجرف الإنسان أحياناً في مستنقع الشهوات، بحيث لايمكن إيقاظه حتّى بسوط البلاء، وإذ ذاك ـ كما قال الإمام ـ لايكون للموعظة أثراً ما.

إنّ من مشى في الطريق الخطأ فصدَمتْهُ البَوادِهُ، ثُمّ لم يتنبّه، وإن أخطأ فسُجن ولم تُجدِهِ مرارةُ السجن نفعاً، وإنّ من أتى أعمالاً غير لائقة ولم توقظه حوادث الحياة الأليمة وغُصصها، فإنّ شخصاً كهذا هو مريض لايُشفى مطلقاً، وإنّ نوماً كهذا النوم لاينتهي إلى صحوٍ مطلقاً، ومثل هذا المجرم لاينصلح أبداً، ومثل هذا الحيوان لن يصير إنساناً مطلقاً.

ويمكن العثور على نماذج بارزة للمرضى المبتلين بموانع المعارف العقلية غير القابلة للعلاج بين السجناء من أنصار المناوئين للثورة الإسلامية بنسبٍ متفاوتة.

فكثير من أعضاء هذه الفئات وأنصارها يتنبّهون وتستفيق عقولُهم على إثر اعتقالهم وخروجهم من حصار الخلايا الحزبية وتحرّرهم من القوالب التنظيمية. ولكنّ عدداً منهم قد يكون مبتلئً بالتعصّب واللجاج لدرجةٍ لايكون للسجن أدنى أثر في تحريرهم من قيد منظّماتهم وإزالة موانع المعارف العقلية وجلاء مرآة عقولهم.

هذه المجموعة من السجناء لايتسنّى لهم ـ سواءً في السجن أم خارجه ـ أن

يفهموا أنّ نشاطاتهم تخدم أعداء الشعب والإسلام. ذلك، لأنّهم يتصوّرون في عالم خيالهم أنّهم في خدمة الشعب. فهم مَن يصفهم القرآن الكريم بأنّهم الأخسرين أعمالاً ولهم أشدّ العقاب في الآخرة:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.[1]

ويقول الإمام علي عليه السلام بأنّ المحاضرات العقائدية والإرشادية، لا تجدي هؤلاء فتيلاً، أو كما يقول الشاعر ما معناه:

أيّ فائدة هناك من وعظٍ لذي قلب أسود؟! إنّ المسمار الحديدي لاينفذ في الصَفاة[2]

قد يشارك هؤلاء في المحاضرات الإرشادية، بيدَ أنّ مشاركتهم فيها تتمّ وفق برنامج وخطّة مدروسة، كما جاء في صريح الكتاب ـ في بيان خصائص المنافقين ـ قوله تعالى:

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾.[3]

إنّ التعصّب الناجم عن التكتّل والتحزّب قد جعل منهم حمقىٰ بحيث يَعْيىٰ إعجاز أيّ نبيٍّ عن إعادتهم إلى عقولهم. كما قال عيسى عليه السلام:

دَاوَيْتُ المَرْضَى فَشَفَيْتُهُمْ بِإِذْنِ اللهِ، وأَبْرَأْتُ الأكْمهَ والأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللهِ، وَعَالَجْتُ المَوْتَى فَأَحْيَيْتُهم بِإِذنِ اللهِ، وَعَالَجْتُ الأَحْمَقَ فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى إصْلاحِهِ.

فسأل أحدُهُم عيسى عليه السلام عن مرادِهِ من «الأحمق» الذي لم يقدر على علاجه، فقال عليه السلام:

---

١. الكهف: ١٠٣ و ١٠٤.

٢. هذه ترجمة لبيت من الشعر الفارسي وهذا نصّه:

بر سيه دل چه سود خواندن وعظ نرود ميخ آهنين در سنگ

٣. البقرة: ١٤.

المُعْجَبُ بِرَأْيِهِ ونَفْسِهِ، الَّذِي يَرَى الفَضْلَ كُلَّهُ لَهُ لاَ عَلَيْهِ، ويُوجِبُ الحقَّ كُلَّهُ لِنَفْسِهِ وَلَا يُوجِبُ عَلَيْها حَقّاً، فَذاكَ الْأَحْمَقُ الَّذِي لَا حِيلَةَ فِي مُدَاواتِهِ.[١]

إنّ المؤيّدين المتعصّبين للفئات المناوئة للثورة قد ابتُلوا بهذا النوع من الحماقة، ولا سبيل لجلاء مرآة عقولهم ومعالجتهم، ولهذا فإنّ موانع المعارف العقلية لديهم ثابتة ودائميّة.

## الصحوة عند الموت

ينقسم المتعصّبون المتعنّتون ممّن تتعذّر إزالة موانع المعارف العقلية لديهم إلىٰ صنفين:

الصنف الأوّل: أُولئك الذين يفيقون من غفوتهم ويكفّون عن التعصّب واللجاج بـ«عذاب الاستئصال»؛ أي البلاء الذي يؤدّي إلى الموت والهلاك، فيعترفون بالحقّ.

والصنف الثاني: أُولئك الذين لايتنبّهون رغم «عذاب الاستئصال» بل حتّى عندما يوقفون عند المشنقة، لا يستفيقون ولا يعترفون بالحقّ.

ففرعونُ موسى عليه السلام كان من الصنف الأوّل، وأبوجهل المعاصر لنبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله ومن يُشبهه في عصرنا الحالي هم من الصنف الثاني.

ففرعون وقبيله كانوا ممّن أدّى بهمُ الهوىٰ والهَوس والتعصّب واللجاج إلى الابتلاء بالموانع الدائميّة ـ غير القابلة للإزالة ـ للمعارف العقلية. فلا عظات موسى عليه السلام[٢] ولا استدلالاته لإثبات التوحيد[٣]، ولا معجزاته لإثبات نبوّته[٤]، ولا

---

١. الاختصاص: ص ٢٢١.

٢. قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَقُلْ هلْ لَكَ الى أن تزكىٰ * وأهْدِيَكَ إلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشىٰ﴾ (النازعات: ١٨ و ١٩).

وقال تعالىٰ: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً * لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أوْ يَخْشىٰ﴾ (طه: ٤٣ و ٤٤).

٣. قال عزّوجلّ: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبّكُما يا مُوسَىٰ * قال رَبُّنا الّذي أعْطَىٰ كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (طه: ٤٩ و ٥٠).

٤. قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا موسَىٰ تِسْعَ آياتٍ بَيِّنَاتٍ...﴾ (الإسراء: ١٠١).

ماحاق بهم من البلايا والأزمات الاقتصادية[١] والاجتماعية[٢] نتيجةً لمخالفتهم لموسى، كانت لتنبّههم؛ لكنّ سوط «عذاب الاستئصال» قد نبّه رئيسهم وزعيمهم فرعون، على حدّ ما جاء في القرآن الكريم.

فهذا فرعون الذي لم يتّعظ مع كلّ هذه العظات والمعجزات التي أبداها موسىﷺ ومع كلّ المصائب التي ألمّت به وبقومه نجده عندما وقع في مخالب الموت أثناء ملاحقته لموسى وقومه وأشرف على الغرق والهلاك كفّ عن العناد واللجاج وتنبّه واعترف بِالحقّ:

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.[٣]

ففرعون الذي كان يدّعي الأُلوهية، ومن أجل إثبات إلوهيّته سَفَك الدماء وارتكب ما لا يُحصىٰ من الجنايات، وقد ختم جرائمه بملاحقته لنبيٍّ الله ليقضي عليه هو وقومه، لأنّه كان يراه منافساً له، وعندما رأىٰ أنّه وقع بين أنياب الموت وعذاب الاستئصال، أفاق وعرف الله، ولكن بعد فوات الأوان، ولم يكن لإفاقته جدوى في نجاته، وكان جوابه قوله تعالى:

﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.[٤]

### أسوأ من فرعون

لو أنّ سائلاً سأل: هل هناك أسوأ وأخبث من فرعون موسىﷺ أم لا؟ لكان الجواب بالإيجاب، فنقول: أجل، هناك من هو أسوأ من فرعون! إنّ فرعون

---

١. قال عزّ من قائل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا فِرْعَوْنَ بِالسِّنينَ ونَقْصٍ مِنَ الثَّمراتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرونَ﴾ (الأعراف: ١٣٠).

٢. قال سبحانه وتعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ والضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكبَرُوا وَكانُوا قَوْماً مُجْرِمينَ﴾ (الأعراف: ١٣٣).

٣. يونس: ٩٠.

٤. يونس: ٩١.

ـكما شاهدنا ـعندما رأى الموت يواجهه كفّ عن العناد واعترف بالحقّ. أمّا الأسوأ من فرعون فهم الذين لم ينبّههم عذاب الاستئصال ولم يكفّوا عن اللجاج حتّى حين موتهم، أمثال أبي جهل المعاصر لنبيّ الإسلامﷺ، فإنّه لمّا رأى الموت أمامه وأيقن بالهلاك لم يكفّ عن العتوّ وإنّما دعا إلٰهَيْه اللّات والعُزّىٰ.

فقد روي عن ابن عبّاس أنّه قال: وقف رسول اللهﷺ على قتلىٰ بدر، فقال:

جَزاكُمُ اللهُ مِن عِصابَةٍ شَرّاً؛ لَقَد كَذَّبتُموني صادِقاً، وخَوَّنتُم أميناً.

ثمّ التفت إلى أبي جهل بن هشام، فقال:

إنَّ هٰذا أعتىٰ عَلَى اللهِ مِن فِرعَونَ؛ إنَّ فِرعَونَ لَمّا أيقَنَ بِالهَلاكِ وَحَّدَ اللهَ، وإنَّ هٰذا لَمّا أيقَنَ بِالهَلاكِ دَعا بِاللّاتِ وَالعُزّىٰ.[1]

## أمثال أبي جهل في العصر الحاضر

إنّ أعضاء الفئات المناوئة للثورة وأنصارهم ـ أُولئك الذين يقلّدون تقليداً أعمىٰ آلهة وأوثاناً هم صنعوها وسمّوها زوراً «زعماء»، ولا يتركون ولاءهم لهم ـ حتّى على أعواد المشانق ـ هم في الحقيقة من قبيل أبي جهل، الماضون على طريقه، وهم أعتىٰ من فرعون مدّعي الأُلوهية، فلا يفيقون حتّى بعذاب الاستئصال!

## السوط الذي يوقظ الجميع

هناك سوط واحد يوقظ الجميع وينبّههم، ألا وهو سوط الموت!

النّاسُ نِيامٌ فإذا ماتوا انْتَبَهُوا.[2]

إنّ من لم تنبّههم صيحات الأنبياء وإنذاراتهم، ولا سوط البلايا والرزايا، أو

---

١. الأمالي للطوسي: ص ٣١٠ ح ٦٢٦.

٢. خصائص الأئمّةﷺ: ص ١١٢ نقلاً عن الإمام عليّﷺ.

حتّى سوط عذاب الاستئصال لايفيئون لأنفسهم إلّا بسوط الموت لا غير، فسوط الموت يهتك حجاب الغفلة، وبزوال هذا الحجاب يواجِه الإنسان حقائق طالما واجهها إلّا أنّه لم يكن ليراها. والقرآن الكريم يخاطب المذنبين الذين تنبّهوا بسوط الموت يوم القيامة بقوله تعالى:

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَـآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.[1]

مادام الإنسان في هذه الحياة الدنيا فإنّ غبار الأعمال السيئة يسدل حجاباً من الغفلة على مرآة عقله، يمنعه من إدراك موقعه من الوجود ومن أن يفهم مَنْ هو وما هي فلسفة خلقه والغاية من وجوده. إنّ حجاب الغفلة لايتيح للإنسان فرصة ادّخار عدّته للحياة الخالدة. أجل، إنّ حجاب الغفلة يرتفع عند الموت، ولات حين مناص!!

آملين من الله تعالى أن يُدركنا بعنايته فنتنبّه إلى دعوة أنبيائه قبل أن يوقظنا سوط الموت.

---

١. قۤ: ٢٢.

## الخلاصة

- موانع المعارف العقلية غير القابلة للإزالة هي عبارة عن كدورة العناد والتعصّب النافذ إلى أعماق مرآة العقل نتيجةً لتراكم الهوىٰ والهَوس، بحيث يفسد هذه المرآة التي تعكس الحقائق.
- إذا لم يفلح سوط البلاء في إزالة كدورة اللجاج عن مرآة العقل لايمكن للموعظة بل لإعجاز أيّ نبيٍّ أن يصقلها.
- أُولئك المبتلون بموانع المعارف العقلية أحياناً يمكن تنبيههم بسوط عذاب الاستئصال، وأحياناً تكون الموانع بالغة حتّى يستحيل عودتهم لرشدهم رغم سوط عذاب الاستئصال.
- إنّ التنبُّه الحاصل من عذاب الاستئصال لايفيد في نجاة الإنسان.
- المتعصّبون المعاندون الذين لايكفّون عن العناد واللجاج حتّىٰ الموت هم أسوأ من فرعون.
- من لم يتنبّه بنداء الأنبياء الإلٰهيّين أو بسوط أنواع البلايا أو حتّى بسوط عذاب الاستئصال يستفيق بسوط الموت.

الفصل الخامس

# موانع المعرفة من منظار القرآن

إنّ ما جاء في القرآن الكريم حول موانع المعرفة وطرق إزالتها والموانع غير القابلة للإزالة لم يأت في أيٍّ من الكتب الأُخرى. وهذا في الواقع جانب لهذا الكتاب السماوي من حيث إعجازه العلمي، الأمر الذي يستلزم الاهتمام والدقّة في هذا الفصل أكثر من الفصول الأُخرى.

فمن الآيات التي تعرّضت لمسألة موانع المعرفة قوله تعالى:

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.[1]

هذه الآية التي جاءت ردّاً على معتقدات المنكرين للمعاد ونفياً لزعم الزاعمين بأنّ الآيات الإلٰهية أساطير الأوّلين، تعرض ثلاث نقاط مهمّة للغاية فيما يخصّ علم المعرفة:

الأُولى: إنّ الأعمال السيّئة تخلق كدورة تتراكم على مرآة عقل الإنسان وقلبه مباشرةً، فتغيّر الوجه الطبيعي لهذه المرآة.

والثانية: عندما تكدّر الأعمال السيّئة مرآة العقل تمنعها من إراءة الواقع. فلا يتأتّىٰ للإنسان معرفة حقائق الوجود كما هي في واقعها.

والأخيرة: إنّ قدرة إدراك الإنسان ـ حسب طبيعته الأوّلية ـ أشبه بمرآة عديمة

---

١. المطفّفين: ١٤.

اللون صافية، تعكس الحقائق كما هي، وتساعد الإنسان على التمييز بين الحق والباطل وبين التقوىٰ والفجور.[١]

وهذه النقطة الأخيرة قد تناولتها الروايات الإسلامية بوضوح، فقال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

الفكر مرآةٌ صافِيَةٌ.[٢]

لقد عبّرت هذه الرواية عن فكر الإنسان وذهنه بمرآة وصفت بأنّها صافية مجلوّة لا لون لها، وهذا يعني أنّ مرآة ذهن الآدمي وفكره ـ حسب طبيعتها الأوّلية ـ شفّافة وعديمة اللون، وبالتالي فهي مَظْهر للواقع، فإذا لم يعكّرها ويلوّثها الإنسان بيده عكست له بصورة طبيعية حقائق الوجود كما هي.

يقول الإمام عليه السلام في حديثٍ آخر له:

فِكْرُ المرْءِ مِرْآةٌ تُرِيهِ حُسْنَ عملِهِ مِنْ قُبْحِهِ.[٣]

لقد شبّه عليه السلام ذهن الإنسان بالمرآة في الرواية الأُولىٰ من حيث إدراكه للحقائق على الإطلاق، وفي هذه الرواية من حيث إدراكه لحُسن العمل وقبحه.[٤]

وعليه، فإنّ مرآة العقل ـ في نظر القرآن والحديث ـ طالما لم تفقد طبيعتها الأوّلية فهي مجلى للحقيقة، أي أنّها تُرِي الإنسان ما هو حقّ وما هو باطل، وأيّ القول حقّ وأيّه باطل، وأيّ العمل حَسَنٌ وأيّه قبيح. أمّا إذا فقدت طبيعتها الأوّلية فلايمكنها أن تُجلّي الحقائق. وأمّا ما يستوجب تغيير الطبيعة

---

١. الآيتان السابعة والثامنة من سورة الشمس تعرضان هذه المسألة بصراحة أكثر: ﴿ونَفْسٍ وَمَا سوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَها وتَقْوَاهَا﴾ (راجع الميزان في تفسير القرآن: ج ٢ ص ٢٣٤).

٢. نهج البلاغة: الحكمة ٥.

٣. غرر الحكم: ح ٦٥٤٦.

٤. هذه الرواية تعبير آخر عمّا جاء في الآية الثامنة من سورة الشمس ـ والتي مرّت في هامش ١ ـ حول إراءة الحقائق من قِبَل النفس.

الأوّلية لمرآة الذهن فهو ما يرتكبه الإنسان من أعمالٍ سيّئة، ممّا يعبّر القرآن عنه بقوله:

﴿مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.[١]

إنّ الأعمال القبيحة تلوّث مرآة العقل الصافية عديمة اللون وتعكّرها، وكما يقول القرآن تستوجب الرَّيْنَ وصدأ القلب. حتّى إذا ما ازبدّت وتغيّرت طبيعتها الأولية سُلِبت منها صفة المجلي للواقع، وفقد الإنسان قدرة إدراك المعارف العقلية والقلبية.

**الأعمال التي تعكّر مرآة العقل**

إنّ ما يهمّنا هنا هو التعرّف على الأعمال السيّئة التي تؤدّي إلى ظلمة مرآة العقل. وهنا علينا أن نرى ما إذا كان القرآن ـ وهو القائل بأنّ العمل السيّئ من الإنسان يوجد صدأ يرين على مرآة القلب ويسلبها خاصِّيَّةَ عكسِها للحقائق ـ قد بيّن الأعمال الموجبة لهذا الرَّين أم لا؟

والجواب هو: إنّ القرآن قد بيّن تلك الأعمال الموجبة لظلمة القلب. وما ذكره هذا الكتاب السماوي في هذا الصدد هو القول الفصل في باب موانع المعارف العقلية والقلبية وروحه. وهذه الأعمال هي: الظلم، والكفر، والإسراف، والفسق.

وهذه العناوين ما هي إلّا قوالب تُعبَّأُ فيها جميع المفاسد التي نهى الإسلام عنها، واعتبرها القرآن الكريم سبباً في إيجاد موانع المعرفة.

وهنا ينبغي أوّلاً أن نرى معنى هذه العناوين وما هو المقصود بها، ثمّ نوضّح كيف تُغيّر هذه الأُمور الطبيعة الأوّلية لمرآة الذهن، وتَحول دون رؤية عين العقل والقلب، وتحرم الإنسان من معرفة الحقيقة.

---

١. وردت في ١٢ مورداً من القرآن الكريم، فراجع المعجم.

### ١ ـ الظلم

#### معناه اللغوي

ربما يتصوّر البعض أنّ مفهوم الظلم هو من الوضوح والبداهة بما لايحتاج إلى إيضاح أو بيان. أمّا عند مراجعة كتب اللغة والوقوف على موارد استعمال هذه الكلمة، وخاصّةً في القرآن والحديث، يتجلّىٰ أنّ مفهومها ليس من الوضوح والبداهة بما يكفي. ففي مفردات الراغب عرّف الظلم على هذا النحو:

**الظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء: وضع الشيء في غير موضعه المختصّ به؛ إمّا بنقصانٍ أو بزيادةٍ، وإمّا بعدولٍ عن وقته أو مكانه.[١]**

فلكلّ شيءٍ في نظام الخلق موضعٌ وحدٌّ خاصّ، بحيث إذا استقرّ في ذلك الحدّ وذلك الوضع فقد تحقّق العدل، وإن لم يستقرّ فيهما فقد تحقّق الظلم، وإذا قلّ حجمه عمّا ينبغي أن يكون عليه فهو ظلم، وإذا زاد فهو ظلم أيضاً، وإذا عدل عن وقته أو مكانه اللذين ينبغي أن يؤدّى فيهما فهو ظلم أيضاً.

وعليه، فالظالم من لايراعي مكان أعماله وحدّها الواقعي. وفي مقابل ذلك العادل، يُطلق على من يراعي مكان أعماله وحدّها الواقعي. وفي هذا الصدد يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

**العَدلُ يَضَعُ الاُمورَ مَواضِعَها.[٢]**

فالعدل ـ بهذا الاعتبار ـ هو قانون نظام العالَم، وبدونه يضطرب نظام الوجود. والإمام علي عليه السلام قد صرّح في تعريف العدل بهذه الواقعية حيث قال:

**العدلُ أساسٌ به قِوامُ العالَم.[٣]**

---

١. مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٣٧.

٢. نهج البلاغة: الحكمة ٤٣٧.

٣. مطالب السؤول: ج ١ ص ٢٥١.

وعلى هذا الأساس، فإنّ لكلّ ظاهرة في عالم الوجود قانوناً، لو روعي لتحقّقت كما ينبغي لها، وإلّا فلا.

روي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه كان على المائدة بمكّة، فأتاهُ رجلٌ فقال له: يا محمّدَ بنَ عليٍّ! أنت الذي تزعُم أنّه ليس شيءٌ إلّا وله حَدّ؟ فقال أبوجعفر عليه السلام:

نَعَم، أنَا أقُولُ: إنَّهُ لَيسَ شَيءٌ مِمّا خَلَقَ اللهُ صَغِيراً وكَبِيرَاً إلّا وقَد جَعَلَ اللهُ لَهُ حَدّاً، إذا جُووِزَ ذٰلِكَ الحَدَّ فَقَد تَعَدَّى حَدَّ اللهِ فِيهِ.

فقال: فما حدُّ مائِدتك هذه؟ قال:

تَذكُرُ اسمَ اللهِ حِينَ تُوضَعُ، وتَحمَدُ اللهَ حِينَ تُرفَعُ، وتَقُمُّ ما تَحتَها.

قال: فما حدُّ كوزِك هذا؟ قال:

لا تَشرَبُ مِن مَوضِعِ اُذنِهِ، ولا مِن مَوضِعِ كَسرِهِ... [١]

وعليه، يمكن القول بأنّ العدل هو مراعاة قانون نظام الوجود، والظلم هو نقض هذا القانون.

## أنواع الظلم والعدل

إنّ ما يفهمه عامّة الناس من كلمة «الظلم» هو التجاوز على حقوق الغير، وما يفهمونه من كلمة «العدل» هو عدم التجاوز على حقوقهم، ولهذا لم يكن للظلم والعدل في ثقافة المجتمعات المختلفة والمدارس المتباينة إلّا نوع واحد لا أكثر، وهو الظلم الاجتماعي والعدل الاجتماعي.

فإذا ما لاحظنا كلمتي الظلم والعدل من حيث أصليهما (الظلم بمعنى عدم رعاية موضع الاُمور وحدّها الواقعي، والعدل بمعنى رعاية هذا الحدّ والموضع. أو بعبارة اُخرى: الظلم بمعنى التخلّف عن قانون نظام الوجود) ألفينا أنّ الإسلام قد ابتدع معنىً جديداً وعميقاً ورائعاً لأنواع الظلم والعدل.

---

١. المحاسن: ج ١ ص ٤٢٨ ح ٩٨٧، وراجع: ميزان الحكمة، الباب ٢٧٤٢ (لكلّ شيءٍ حدّ).

فالعدل ـ في نظر الإسلام ـ على ثلاثة أقسام: العدل العقائدي، والعدل الفردي، والعدل الاجتماعي. والظلم على هذا الغرار من التقسيم أيضاً. وهذا التقسيم لمفهوم العدل والظلم لا نكاد نراه في أيٍّ من الثقافات.

**أ ـ الظلم العقائدي**

وهو عبارة عن عدم مراعاة المكانة الواقعيّة للأُمور في خصوص العقيدة والإيمان.

فمن يعتقد بشيءٍ لا واقع له لم يراعِ موضع هذا الشيء وقانونه الواقعي في نظام الوجود من الناحية العقائدية. ومن ثمّ كان التوحيد في نظر الإسلام عدلاً، والشركُ ظلماً. فالتوحيد عدل عقائدي، والشرك ظلم عقائدي، والموحّد في نظر العقيدة والإيمان عادل؛ ذلك لأنّه راعى الموضع الواقعي لخالق العالَم في نظام الوجود، أمّا المشرك فظالم؛ لأنّه لم يراعِ الموضع الواقعي لخالق العالَم في نظام الوجود. والقرآن الكريم يصف الشرك بأنّه ظلم عظيم:

﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.[1]

**ب ـ الظلم الفردي**

وهو عبارة عن عدم مراعاة المكانة الحقيقية للأُمور فيما يخصّ حقوق الفرد ذاته.

فمن يقْدِم على عملٍ يضرّ جسمه وروحه في الحال أو في المستقبل فقد اعتدى على حقوقه الفطرية والطبيعية، وتمرّد على قانون نظام الوجود فيما يخصّه، وظلم نفسه.

وقد جرى التعبير عن معصية الله في النصوص الإسلامية بظلم النفس.

ففي قصّة آدم وحوّاء أنّهما عندما أكلا من الشجرة المنهية تنبّها إلى أنّهما أساءا إلى نفسيهما، ولقد تابا إلى الله واعتذرا بقولهما:

---

١. لقمان: ١٣.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾.[1]

. إنّ السبب في اعتبار معصية الله ظلماً للنفس هو أنّ الإنسان لايستطيع استيفاء حقوقه الطبيعية إلّا بتنفيذ الأوامر الإلٰهية. فالأوامر الإلٰهية تهدف إلى تكامل الإنسان، والنواهي تسعى للحيلولة دون انحطاطه، فمن يعص الله فقد أضرّ بجسمه أو بروحِه أو كليهما معاً، وأنّ معصية الله تؤدّي بالإنسان إلى عدم مراعاة المواضع الواقعية للأُمور فيما يخصّ حقوقه.

والنتيجة: إنّ عصيان الله لايضرّ الله شيئاً، وإنّما ضرره يحيق بالمتمرّد العاصي بشكلٍ مباشر.

ولقد روى الإمام الصادقعليه السلام عن أبيذرٍّ كلاماً قيّماً هذا نصّه:

كَتَبَ رَجُلٌ إلىٰ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ: يا أبا ذَرٍّ، أطرِفني بِشَيءٍ مِنَ العِلمِ. فَكَتَبَ إلَيهِ: إنَّ العِلمَ كَثيرٌ، ولٰكِن إنْ قَدَرتَ أن لا تُسيءَ إلىٰ مَن تُحِبُّهُ فَافعَل. قالَ: فَقالَ لَهُ الرَّجُلُ: وهَل رَأَيتَ أحَداً يُسيءُ إلىٰ مَن يُحِبُّهُ؟ فَقالَ لَهُ: نَعَم، نَفسُكَ أحَبُّ الأَنفُسِ إلَيكَ، فَإِذا أنتَ عَصَيتَ اللهَ فَقَد أسَأتَ إلَيها.[2]

ولهذا كان الإمام الرابع (عليّ بن الحسين)عليه السلام يقول في دعائه:

أيْ ربِّ، بِأَنفُسِنا استَخْفَفْنا عِندَ مَعصِيَتِكَ لا بِعَظَمَتِكَ؛ وحَقَّنا أضَعْنَا لاكَبيرَ حَقِّكَ.[3]

**الظلم الاجتماعي**

وهو عبارة عن عدم مراعاة المكانة الواقعيّة لحقوق الناس، والتخلّف عن القوانين الموجبة لتأمين حاجات المجتمع الحقيقيّة.

وعليه، فمن يغتصب حقّ غيره لم يراعِ الموضع الواقعي لذلك الحقّ، وتمرّد على

---

١. الأعراف: ٢٣.

٢. الكافي: ج ٢ ص ٤٥٨ ح ٢٠، وراجع: ميزان الحكمة، الباب ٢٤٣٣ (ظلم النفس).

٣. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٢٥ ح ٩ نقلاً عن الكتاب العتيق الغروي.

قانون نظام المجتمع، وبذلك يكون قد ارتكب ظلماً اجتماعياً:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾.[١]

فمال اليتيم يجب أن يُعطىٰ لليتيم. فإن آلَ بغير حقّ إلى غيره فقد وضع في غير موضعه الواقعي، وبهذا يتحقّق مفهوم الظلم، وحقّ العامل يجب أن يصل إلى جيب العامل، فإن وصل إلى جيب ربّ العمل فقدْ فقدَ موقعه الواقعي، وقد تحقّق الظلم، وقس على ذلك.

### منع الظلم للمعرفة

إلى هنا بيّنّا مفهوم الظلم وأنواعه، والآن ينبغي لنا أن نرى كيف يحول الظلم دون المعرفة، وهل أنّ جميع أنواع الظلم تمنع المعرفة، أم أنّ المانعية تختصّ ببعض أنواعه؟

لقد أثبتنا فيما تقدّم أنّ الهوىٰ والهَوس يمنع عين العقل من الرؤية. والظلم هو مثال عيني واضح للهَوس. وعليه، فمادام الظلم تجسّماً للهوى والهوس فهو يقتضي حدوث الظلمة التي تعترض عين العقل، ومن ثَمّ قال رسول الله ﷺ:

اِتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَهُ ظُلُماتُ يَوْمِ القِيامَةِ.[٢]

وجاء في حديثٍ آخر أنّ رجلاً ـ في ضمن أسئلة وجّهها إلى النبيّ ﷺ ـ قال له: أُحبُّ أن أُحشر يوم القيامة في النور، فقال ﷺ:

لا تَظْلِمْ أَحداً تُحْشَرْ يومَ القيامَةِ في النُّور.[٣]

إنّ ظلمة القيامة ونورها بالنسبة للإنسان تنشأ من عمله في هذا العالم، ولهذا فإنّ المنافقين في مشهد القيامة عندما يرون المؤمنين يتحرّكون في نورهم يتوسّلون

---

١. النساء: ١٠.

٢. الكافي: ج ٢ ص ٣٣٢ ح ١١.

٣. كنز العمّال: ج ١٦ ص ١٢٨ ح ٤٤١٥٤.

إليهم أن يصبروا قليلاً حتّى يلحقوا بهم ويسيروا في نورهم، ولكنّ المؤمنين يجيبونهم بأن:

﴿ٱرْجِعُواْ وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾.[١]

فمن رانت ظلمات ظلمه في هذا العالَم وأعماله الشريرة على عين عقله وقلبه، وحَرَمته من معرفة الحقيقة والعثور على طريق الكمال، فهو بعد الموت في عالَم القيامة أيضاً في ظلمات ولا يمكنه أن يهتدي إلى طريق الجنّة.[٢]

وبهذا التوضيح، يتجلّى السبب في أنّ القرآن الكريم يعتبر الظلم مانعاً من المعرفة وأنّه يصرّح بذلك بقوله:

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.[٣]

أمّا معنى أنّ الله يضلّ الظالمين فهو: إنّه لمّا كان نظام الخلق قائماً أساساً على قانون العليّة، وكان الظلم سبباً لظلام مرآة العقل، فعندما تظلّم مرآة العقل تَحرُم رؤية الحقائق العقلية على عين الفكر، وعندها لايستطيع الإنسان التمييز بين الطريق المنحرف والصراط السويّ، فيضلّ حِينئذٍ، لا أَنّ الله يضمر عداءً خاصّاً للظالمين فلا يريدهم أن يصلوا إلى طريق تكاملهم.

بناءً عليه، فإنّ إضلال الظالمين يكون منسوباً إلى الله تعالى من حيث إنّ جميع الظواهر تنسب إلى الله على كلّ حال، أمّا النكتة الأساسية هنا فهي أنّ إضلال الله للظالمين ـ في نظر القرآن ـ إنّما يعني أنّ الظلم هو بحدّ ذاته مانعٌ من المعرفة وسببٌ لضلال الإنسان.

---

١. الحديد: ١٣.

٢. قال سبحانه: ﴿ونَحْشُرُه يَوْمَ القِيامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمىً وَقَدْ كُنْتُ بَصيراً * قَالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنَا فَنَسِيتَها وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ (طه: ١٢٤ ـ ١٢٦).

٣. إبراهيم: ٢٧.

### أيّ نوع من الظلم؟

علمنا حتّى الآن أنّ الظلم مانعٌ من المعرفة، إلّا أنّه لم يتعيّن بعدُ أيّ نوع من أنواعه يكون مانعاً منها. فهل أنّ الظلمَ المانع للمعرفة هو الظلم العقائدي، أم الظلم العملي، أم هو مطلق الظلم؟ وإذا كان الظلمَ العملي فهل أنّ المانع هو الظلم الفردي، أم الظلم الاجتماعي، أم هو مطلق الظلم العملي؟

إنّ ما يمكن استنباطه من القرآن الكريم والأحاديث الإسلامية جواباً على الأسئلة هو: إنّ مطلق الظلم العملي بما في ذلك الظلم الفردي والظلم الاجتماعي هو المانع من المعرفة، وهو الموجب للظلم العقائدي. والآيات الدالّة على هذا المدّعىٰ هي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[١] التي سبق ذكرها في أوّل هذا الفصل، والتي جرى التصريح فيها بأنّ أعمال الإنسان السيّئة ـ التي هي الظلم العملي ـ هي حجابُ القلب الموجب لظلام مرآة العقل، وبالتالي تمنع من معرفة الله تعالى.

٢ ـ قوله عزّ من قائل: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[٢] التي تدلّ بوضوح على أنّ الظلم العملي يقتضي ضلال الفكر والظلم العقائدي.

٣ ـ قوله تبارك وتعالى:

﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.[٣]

٤ ـ قوله سبحانه:

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾.[٤]

---

١. المطفّفين: ١٤.

٢. إبراهيم: ٢٧.

٣. الأنعام: ٣٣.

٤. العنكبوت: ٤٩.

والآيتان الأخيرتان تدلّان أيضاً بجلاء على أنّ إنكار آيات الله ـ وهو الظلم العقائدي ـ إنّما ينجم عن الظلم العملي.

وباختصار: فإنّ الآيات والأحاديث التي تنصّ على أنّ ضلال الفكر والظلم العقائدي معلول للظلم العملي كثيرة، ولامجال لذكرها هنا، وسنأتي إلى تفصيل هذا البحث في مبحث «موانع معرفة الله».

وفي ختام هذا البحث نرى من الضروري أن ننبّه إلى أمرين:

الأوّل: كما أنّ الظلم العملي يقتضي الظلم العقائدي، فإنّ الظلم العقائدي بدوره مؤثّر في تفاقم الظلم العملي أيضاً. فالظلم العقائدي هو أن يُزْعَمَ أنّ الطريق الخطأ طريق موصل، والظلم العملي هو ارتياد الطريق الخطأ، والسالك الذي زعم أنّ الطريق الخطأ طريقٌ موصلٌ لايزداد إلّا بُعداً عن مقصده كلّما ازداد تقدّماً فيه.

الآخر: فيما يتعلّق بمنع الظلم العملي للمعرفة، فإنّ العامل الأهمّ هو: الظلم الاجتماعي والتعدّي على حقوق الغير. فكما بيّنّا أساس مانعيّة الظلم للمعرفة هو طغيان الهوىٰ والهَوس على الظالم بحيث لايسمح له بإدراك الحقيقة كما هي، وطغيان الهوىٰ والهَوس في الظلم الاجتماعي من الشدّة بحيث لايقبل القياس بالظلم الفردي.

### ٢ ـ الكفر

#### الكفر في اللغة

جاء في كتاب مفردات القرآن في معنى الكفر أنّ:

الكفرُ في اللغة: سترُ الشيء، ووَصفُ الليل بالكافر لسترهِ الأشخاصَ، وَالزَّرّاعَ لستره البذرَ في الأرض.[1]

---

١. مفردات ألفاظ القرآن: ص ٧١٤.

وأورد ابن الأثير في معناه قائلاً:

أصل الكفر تغطية الشيء تغطيةً تستهلكه.[١]

وعليه، فإنّ المصدر اللغوي للكفر عبارة عن الستر والإخفاء التامّ، ومن يُخْفِ شيئاً يُدْعَ كافراً.

والإخفاء نوعان: الإخفاء المادّي، والإخفاء المعنوي. وبعبارة أُخرى: الإخفاء العيني، والإخفاء الاعتباري.

ويُطلق مصطلح «الكافر» في كلام العرب على من يستر البذر في الأرض، كما يُطلق على من يُلْبِسُ كلام الحقّ بكلام الباطل، أو العكس.

### الكفر في القرآن

يستعمل القرآن الكريم مصطلح الكفر باعتبار مصدره اللغوي في كلا المعنيين: الإخفاء العيني، والإخفاء الاعتباري. وفيما يختصّ بالإخفاء الاعتباري يستعمله في مجالين متناقضين، هما: إخفاء الأُمور الحسَنة، وإخفاء الأُمور السيّئة. وعلى هذا، فإنّ مصطلح الكفر في القرآن يُستخدم في المجالات الثلاثة التالية:

أ ـ الكفر اللاممدوح واللامذموم.

ب ـ الكفر الممدوح.

ج ـ الكفر المذموم.

### أ ـ الكفر اللاممدوح واللامذموم

وهو عبارة عن إخفاء شيء لايَعُدُّ العقل إخفاءه ممدوحاً أو مذموماً، كستر البذر في الأرض، فساتر البذر في نظر العقل لايستحقّ المدح أو الذمّ.

وقد جاء هذا المصطلح بهذا المعنى في قوله تعالى:

---

١. النهاية: ج ٤ ص ١٨٧.

﴿... كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾.[1]

**ب ـ الكفر الممدوح**

وهو عبارة عن إخفاء شيءٍ يَعُدُّ العقل سترهَ ممدوحاً وإظهارَه مذموماً، كالأباطيل والخرافات والأوهام التي تعتبر إشاعتها وإعلانها والاعتراف بها أمراً قبيحاً مذموماً في نظر العقل، وبالعكس فإنّ نبذها وإخفاءَها وعدم اعتبارها يُعتبر أمراً حسَناً وممدوحاً في نظره، ولهذا يمتدح القرآن الكريم مَن يكفر بالمعتقدات الباطلة ويتبع المعتقدات الحقّة. فيطالعنا قوله تعالى:

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾.[2]

**ج ـ الكفر المذموم**

الكفر المذموم عبارة عن ستر شيءٍ يَعُدُّ العقل سترَه مذموماً وإظهاره ممدوحاً، كستر الحقّ وكتمانه بدافع التعصّب واللجاج والطمع... وما إلى ذلك.

ولقد ورد مصطلح الكفر في القرآن بمختلف صوره (٥٢٦) مرّة، استُعمل فيها غالباً بالمعنى الثالث، سوى بضعة مواضع تعدّ بالأصابع (أقلّ من العشرة) استعملت فيها هذه الكلمة أو هذا المصطلح بالمعنيين الأُخريين.

## أنواع الكفر المذموم

الكفر المذموم على أربعة أنواع:

الكفر الجهلي، والكفر العلمي، وكفر النعمة، وكفر المعصية.

---

١. الحديد: ٢٠.

٢. البقرة: ٢٥٦.

### أ ـ الكفر الجهلي

وهو عبارة عن ستر الجهل بادّعاء العلم بالمجهول، فمن يستر جهلَه بدافع التعصّب والعناد والتكبّر أو لأيّ دافع آخر ويدّعِ علمه بشيءٍ وهو يجهله فهو مذموم في نظر العقل.

ولو أنّه لم يستر جهله بادّعاء العلم وإنكار ما لايعلم فهو بالنسبة للحقيقة جاهل لا كافر، ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

لَو أنَّ العِبادَ إذا جَهِلوا وَقَفوا ولَم يَجحَدوا لَم يَكفُروا.[1]

أمّا لو أنّه مع إنكاره لما لايعلم يدّعي العلم، ثُمَّ يستر جهله بهذا الادّعاء فعلاوةً على كونه جاهلاً هو كافر أيضاً.

وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام لدى بيانه لأنواع الكفر في القرآن الكريم إلى الكفر الجهلي باعتباره أوّل نوع من أنواع الكفر، واعتبر كفر «الدهرية» من ذلك القبيل، مستدلاً في ذلك بقوله تعالى:

﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.[2]

### ب ـ الكفر العلمي

وهو عبارة عن إخفاء العلم وكتمانه مع ادّعاء الجهل، أو أن يدّعي شخص علماً مّا خلافاً لما يعلم.

فالذي يعلم الحقّ ما هو أو مع مَن هو، ولكنّه بدافع التعصّب أو المصلحة، يقول: لا أعلم، أو يقول: إنّ الحقّ مع الغير، أو يقول شيئاً آخر، فهو عالمٌ كافر.

وهذا الكفر ـ في نظرِ العقل ـ أسوأ أنواع الكفر، وأشدّها تعرّضاً للذمّ في القرآن

---

١. الكافي: ج ٢ ص ٣٨٨ ح ١٩.

٢. الجاثية: ٢٤.

والأحاديث الإسلامية.[١]

يقول الإمام الصادق عليه السلام في بيان هذا النوع من الكفر:

وَأَمَّا الوَجهُ الآخَرُ مِنَ الجُحُودِ عَلى مَعرِفَةٍ وهُوَ أن يَجحَدَ الجاحِدُ وهُوَ يَعلَمُ أنَّهُ حَقٌّ قَدِ استَقَرَّ عِندَهُ.[٢]

ثمّ يذكر عليه السلام مثالين في القرآن الكريم للكفر العلمي: أحدهما فرعون وأتباعه، والآخر اليهود في المدينة المنوّرة. فعن المثال الأول جاء في قوله تعالى:

﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾.[٣]

فمع أنّ الحقّ كان ثابتاً لدى فرعون وملئه بما أتىٰ به موسىٰ من أدلّة لإثبات نبوّته، وأنّهم كانوا على يقين برسالته إلّا أنّ التجبّر والتكبّر قد منعهم من الإيمان بالتوحيد وبرسالة موسىٰ عليه السلام، ومع علمهم بأنّ ما يقوله موسىٰ عليه السلام هو حقٌّ، إلّا أنّهم كذّبوه وسلكوا طريق الكفر العلمي.

أمّا عن المثال الآخر فقد جاء في كفر يهود المدينة قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾.[٤]

كان اليهود في المدينة على علم بأوصاف نبيّ الإسلام وعلامات ظهوره في التوراة، وعلى هذا الأساس قدِموا إلى المدينة قبل بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله بسنين. حتّى إذا ما ظهر نبيّ الإسلام ـ فمع علمِهم بانطباق ما رأوه من العلامات في التوراة عليه صلى الله عليه وآله، ومع أنّهم على حدّ قول القرآن قد عرفوه نبياً للإسلام وكانوا لسنين طويلة في انتظاره، ومع علمهم بأنّه رسول الله ـ فإنّهم بدافع مصالحهم المادّية كذّبوه صلى الله عليه وآله وفضّلوا الكفر العلمي.

---

١. راجع: ميزان الحكمة: الباب ٢٨١١ و ٢٨١٢.

٢. الكافي: ج ٢ ص ٣٨٩ ح ١.

٣. النمل: ١٤.

٤. البقرة: ٨٩.

### ج ـ كفر النعمة

وهو عبارة عن كتمان إنعام الآخرين وإحسانهم قولاً وعملاً، على العكس من شكر النعمة بمعنى شكر إحسان الغير وتقديره قولاً وعملاً.

ولاشكّ في أنّ كفر النعمة كالكفر الجهلي والكفر العلمي عمل مذموم قبيح في نظر العقل، وقد ذمّه القرآن الكريم أيضاً في حالات متعدّدة، أورد منها الإمام الصادقعليه السلام ثلاث حالات لدى بيانه لأوجُه الكفر في القرآن، نكتفي بواحدة منها في هذا المجال. فقد جاء عن قول سليمانعليه السلام في قوله تعالى في سورة النمل:

﴿هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾.[١]

### د ـ كفر المعصية

وهو عبارة عن عصيان المأمور لآمره. والعاصي بعصيانه كأنّما أخفى أمر آمره وأغمض عينه عنه. ولهذا يقال له كافر.

وكفر المعصية مذموم قبيح في نظر العقل، إذا ما كان الآمر أهلاً للإمرة.

ولقد فسّر الإمام الصادقعليه السلام الكفر الوارد في الآية التالية ـ والتي يخاطب الله تعالى بها بني إسرائيل ممّن كانوا يؤدّون بعض أوامره ويعصون بعضها الآخر ـ بأنّه كفر المعصية[٢]، حيث قال تعالى:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.[٣]

### الكفر حجاب العقل

بعد أن تبيّن لنا معنى الكفر، فإنّ سؤالين قد يُطرحان هنا عن الكفر باعتباره مانعاً

---

١. النمل: ٤٠.

٢. راجع: ميزان الحكمة: الباب ٣٤٤١ (وجوه الكفر في كتاب الله).

٣. البقرة: ٨٥.

للمعرفة:

الأوّل: أيّ نوع من أنواع الكفر يؤدّي إلى ظلام مرآة العقل ويحول بينها وبين المعارف العقلية؟

والآخر: كيف يعمي الكفر عين العقل ويحول دون المعرفة؟

وللإجابة على السؤال الأوّل ينبغي القول بأنّ الكفر المذموم بجميع أنواعه من كفر جهلي وعلمي وكفر نعمة ومعصية يقتضي تلبّد الفكر، ويسلب منه رؤية المعارف العقلية والقلبية.

أمّا السؤال الآخر فيتطلّب جوابين؛ أحدهما مجمل والآخر مفصّل:

فالجواب المجمل هو: بما أنّ الكفر المذموم هو تجسّمٌ للهوىٰ والهَوس فهو مانع من المعارف العقلية.[1]

أمّا الجواب المفصّل فيتّضح من خلال المقدّمتين التاليتين:

الأُولى: إنّ الكفر المذموم هو عصيانٌ للعقل وإطاعةٌ لعدوّه الذي هو الهوى والهَوس.

والأُخرى: إنّ العصيان للعقل يؤدّي إلى ضعف عين العقل. فإن استدام انتهى بالتدريج إلى العمىٰ.

والدليل على أنّ الكفر المذموم هو العصيان للعقل والطاعة لعدوّه أنّه ـ كما وضّحنا ـ إمّا أن يكون كفراً جهلياً أو كفراً علمياً أو كفر نعمة أو كفر معصية.

والكفر الجهلي هو إبداء الرأي بدون تحقيق أو تأمّل، والكفر العلمي هو إبداء شخص لرأي على خلاف ما يعلم، وكفر النعمة هو عصيان أمر العقل مقابل إحسان الغير، وكفر المعصية هو عصيان أمر مَن يحكم العقل بوجوب طاعته. والكافر في كلّ هذه الحالات يعصي أوامر العقل ويطيع عدوّه لدوافع نفسانية.

---

١. مرّ الحديث عن ذلك في الفصول السابقة راجع مبحث (أصل موانع المعرفة في نظر القرآن).

. والدليل على أنّ عصيان العقل وطاعة عدوّه يؤدّي إلى ضعف عين العقل تدريجياً حتّى العمى، هو ما أثبتته التجربة من أنّ إدراكات الإنسان العقلية الفطرية إذا ما وجّهت بما يخالفها تضعف وتستسلم للنسيان تدريجياً. إنّ الإنسان بطبيعته الفطرية يستقبح الكذب ويستبشع الظلم، لكنّه لو دأب على مخالفة هذا الإحساس الطبيعي لديه فسيقلّ أثر قبح الكذب وبشاعة الظلم بالتدريج لديه، حتّى لايعود يسمع صرخات وجدانه، بل ربّما يشعرو على خلاف فطرته بلذّة ورضا بالكذب والظلم والغطرسة.

وقبح الكفر هو أيضاً كقبح الكذب والظلم، فكما أنّ الإنسان بفطرته يقرّ بقبح الكذب والظلم، فإنّه يعتبر الكفر أيضاً قبيحاً مذموماً. ولو سألتَ أيّ عاقل عن رأيه فيمن يبدي رأيه من دون تحرٍّ أو تحقيق، أو أن يحكم بخلاف ما وصل إليه، أو سألته عمّن يأبىٰ عن مقابلة إحسان الآخرين بالمِثل، أو عن عصيان من يحكم العقل بوجوب طاعته؟ فلا شكّ في أنّه سيراها قبيحة. والكفر المذموم ليس إلّا هذه الأُمور.

إلّا أنّ هذا العاقل بالذات لو أبدىٰ رأيه عدّة مرّات بدون تحقيق، أو على خلاف ما يعلم، أو تهاون في أمر العقل بالنسبة لإحسان الغير، أو تمرّد على مَن حَكَمَ العقل بإطاعته ولم يطعه فسيهون قبح الكفر في نظره بالتدريج حتّى يألف الكفر عادة، بحيث لا يقتصر على فقدانه الإحساس بقبحه، بل إنّه ليراه جميلاً! وهنا تكون عين عقله قد عميت تماماً.

وعليه، فالكفر أيضاً كالظلم مانعٌ من المعارف العقلية والقلبية، ومن هنا اعتبر القرآن الكريم الكفر كالظلم مانعاً من التعرّف على طريق الرشد والتكامل، مستلزماً لضلال الإنسان. ففي الآية التالية نقرأ قوله تعالى:

﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.[1]

---

١. غافر: ٧٤.

فكما أنّ الظلم يؤدّي إلى ظلمة مرآة العقل، فكذلك الكفر. وكلّما كتم الإنسان حقيقةً اشتدّت الظلمة على مرآة عقله حتّى لا تعود تعكس الحقيقة مطلقاً. وعندما يفقد الإنسان رؤية الحقيقة ولايميّز بين الطريق المنحرف والصراط السّوي فمن الطبيعي أنّه يضلّ.

ومن ثَمّ فإنّ ما يقوله القرآن الكريم من أنّ الله يضلّ الكافرين لا يعني أنّ الله عدوّ لهم، وإنّما مراد القرآن الكريم هو أنّ الكفر وكتمان الحقيقة في نظام الوجود أحد موانع المعرفة، ويؤدّي بالنتيجة إلى الضلال. ففي نظام الوجود أنّ الكفر يُخرج الإنسان من مدار الهداية الإلٰهية إلى مدار الضلال.

فبناءً على ما ذكر، يكون الكافرون أنفسهم همُ السبب في ضلالهم. ولكن لماذا يقول القرآن الكريم: إنّ الله يضلّ الكافرين؟

في الجواب عن ذلك ينبغي أن يقال: صحيح أنّهم هم سبب ضلالهم، ولكن نظراً لأنّ جميع الظواهر تؤول نسبتها في النهاية إلى الله تعالى، ولو أنّها تحقّقت بسوء اختيار الإنسان، ولهذا نسب القرآن الكريم الإضلال إلى الله. فلو أنّ الله لم يعطهم إرادةً واختياراً لما وقعوا نتيجة سوء اختيارهم في مدار الضلال الإلٰهي ولما ضلّوا. وبناءً عليه، فإنّ الله يُضِلُّ الكافرين، إلّا أنّ سبب الضلال هم أنفسهم، بكفرهم المؤدّي إلى ظلام عين العقل.

وبيان ذلك هو أنّ «تعليق الحكم على الوصف مشعرٌ بالعلّية»، يعني: لو أنّ حكماً اشترط فيه تحقّق صفةٍ، لَعُلِمَ أنّ تحقّق هذه الصفة عِلّةُ هذا الحكم وفلسفته. مثلاً عندما يقال: «إنّ يد السارق يجب أن تُقطع» يُعلم أنّ علّة قطع يد السارق هي السرقة.

وهكذا أيضاً عندما يقول القرآن الكريم: ﴿يُضِلُّ ٱللَّـهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ يُعلم أنّ علَّةَ ضلال هؤلاء هي كفرهم. والهوىٰ والهَوس حينما يتجسّد في إطار الكفر هو كالهوىٰ والهَوس حينما يتجسّد في إطار الظلم؛ يكون مانعاً عن المعارف العقلية والقلبية،

ويؤدّي إلى ضلال الإنسان وانحرافه.[١]

### ٣ ـ الإسراف

#### الإسراف في اللغة

كلمة «إسراف» مشتقّة من الأصل «سَرَفَ» بمعنى تجاوز حدّ الاعتدال في أيّ عملٍ كان. وورد تفسيرها في مفردات القرآن على هذا النحو:

السَّرَفُ تجاوز الحدّ في كلّ فعلٍ يفعله الإنسان.[٢]

وعليه، فإنّ الإسراف أخصّ من الظلم. وبعبارة أُخرى: كلّ إسراف ظلم، وليس كلّ ظلم إسرافاً. فكما وضّحنا سابقاً من أنّ الظلم عبارة عن عدم مراعاة المواضع الواقعية للأُمور، وهذا المعنى أعمّ من الإسراف بمعنى تجاوز الحدّ في الأُمور.

فمن يأكل أكثر من اللازم فهو مسرفٌ وظالمٌ في نفس الوقت؛ مسرفٌ لأنّه تجاوز الحدّ اللازم في الأكل، وظالمٌ لأنّه لم يراع المكانة الواقعيّة لتناول الطعام في نظام الوجود، فلا أقلّ من أنّه ظلم جسمه.

ومن يأكل أقلّ من الحدّ الضروري فهو ظالمٌ وليس مسرفاً، لقد ظلم نفسه ولكنّه لم يتجاوز الحدّ، إنّه ظالمٌ من حيث إنّه لم يتناول القدر الضروري لبدنه فأضرّ ببدنه.

#### الإسراف في نظر القرآن

وردت كلمة «الإسراف» في القرآن الكريم بمعناها اللغوي، فكلّ ما خرج عن حدّ الاعتدال هو في نظر القرآن إسراف، وصاحبه مسرف. ولذا نراه يصف النهمَ الأكول بأنّه مسرف، كما يصف الجاني بأنّه مسرف، وكذلك المستبدّ المتكبّر المتغطرس في

---

١. لمزيد من المعلومات عن موجبات الضلال في منطق القرآن والحديث راجع: ميزان الحكمة: الباب ٢٣٤٦ و ٢٣٤٧ و ٣٩٤٥.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٠٧.

نظره مسرف؛ فالأوّل تجاوز حدّ الاعتدال بالنسبة لجسمه، والثاني تجاوزه بالنسبة لروحه، والثالث تجاوزه بالنسبة لمجتمعه.

هذا، مع أنّ القرآن الكريم يوصي الناس بأن:

﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَاتُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥلَايُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.[١]

يعني أنّ على الإنسان في أكله وشربه أن يراعي حدّ الاعتدال كمّاً وكيفاً. فإن عدا عن حدّ الاعتدال عُدَّ مسرفاً وخرج من دائرة عطف الله ومحبّته.

ونفس الأمر بالنسبة لأعمال الإنسان السيّئة، فهي في نظر القرآن إسراف وخروج عن حدّ الاعتدال وتَعدٍّ على حقوقه الذاتية. ومع هذا يوصي القرآن أُولئك الذين أسرفوا في حقّ أنفسهم بأنّه يجب عليهم ألّا ييأسوا من عناية الله ورحمته، فلو أنّهم تابوا لشملهم عفو الله وغفرانه:

﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَاتَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.[٢]

وعلى نفس الغِرار الاستعلاء والغطرسة، فهي في نظر القرآن إسراف وخروج عن حدّ العدالة الاجتماعية وتعدٍّ على حقوق الناس، ولهذا وُصف فرعون في القرآن الكريم بأنّه أحد المسرفين:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.[٣]

### الإسراف في نظر الحديث

وردت كلمة «الإسراف» في الأحاديث الإسلامية أيضاً كما وردت في القرآن بمعناها اللغوي، أي الخروج عن حدّ الاعتدال. قال نبيّ الإسلامﷺ:

---

١. الأعراف: ٣١.

٢. الزمر: ٥٣.

٣. يونس: ٨٣.

فِي كُلِّ شَيءٍ إسرافٌ.[١]

يعني أنّه يمكن أن يكون الإنسان مسرفاً في كلّ أمر وفي كلّ شيء، فعليه أن يكون في حدّ الاعتدال في كلّ عملٍ يعمله، فإن عدا عن ذلك فهو متجاوز ومسرف.

وفي حديثٍ آخر له صلى الله عليه وآله:

إنّ مِنَ السَّرَفِ أنْ تَأْكُلَ كُلَّ ما اشْتَهَيْتَ.[٢]

يشير ظاهر الحديث إلى الإسراف في كيفية الطعام، وقد لايتناول إنسان أكثر ممّا يلزم من الطعام، ولكنّه يسرف في أنواع الغِذاء؛ فبدلاً من اختيار الغِذاء المفيد يختار الغِذاء الألَذّ، وبتعبير الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يأكل كلّ ما يشتهي، لا ماينبغي أن يأكله.

فعن سليمان بن صالح أنّه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أَدْنَى ما يجيء من حدّ الإسراف؟ فقال:

إبْذالُكَ ثَوبَ صَوْنِكَ، وإهراقُك فَضلَ إنائِكَ، وأكلُكَ التَّمرَ ورَميُكَ بالنَّوىٰ هٰاهُنا وهٰاهُنا.[٣]

وعن بشر بن مروان أنّه قال: دخلنا على أبي عبدالله عليه السلام فدعا برطبٍ، فأقبل بعضهم يرمي بالنوىٰ. قال: وأمسك أبو عبدالله عليه السلام يده، فقال:

لاتَفعَل، إنَّ هٰذا مِنَ التَّبذِيرِ، وَاللهُ لا يُحِبُّ الفَسادَ.[٤]

وعن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أيضاً أنّه قال:

إنَّ القَصدَ أمرٌ يُحِبُّهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وإنَّ السَّرفَ يُبغِضُهُ اللهُ، حَتّىٰ طَرْحُكَ النَّواةَ فَإنَّها تَصلَحُ لِشَيءٍ، وحَتّىٰ صَبُّكَ فَضلَ شَرابِكَ.[٥]

---

١. تاريخ دمشق: ج ٦٧ ص ١٢٦.

٢. سنن ابن ماجة: ج ٢ ص ١١١٢ ح ٣٣٥٢.

٣. الكافي: ج ٤ ص ٥٦ ح ١٠.

٤. تفسير العيّاشي: ج ٢ ص ٢٨٨ ح ٥٨.

٥. الكافي: ج ٤ ص ٥٢ ح ٢.

### مراتب الإسراف

نستنتج ممّا تقدّم ـ في معنى الإسراف ومفهومه في القرآن والحديث ـ أنّ لهذا المصطلح في القرآن والحديث واللغة معنًى واحداً، هو «الخروج عن حدّ الاعتدال في كلّ أمر». وللخروج عن حدّ الاعتدال مراتب، أدناها نبذ ما فيه فائدة، وأعلاها الاستعلاء والاعتداء على حقوق الخلْق.

### الإسراف حجاب العقل

بعد أن تحدّد مفهوم الإسراف ومراتبه، علينا أن نرى كيف يكون الإسراف حجاباً للعقل، مانعاً من المعارف العقلية والقلبية؟ وما إذا كانت هذه المانعية مرتبطة بجميع مراتب الإسراف أم أنّها قاصرة على بعض المراتب؟

للإجابة على السؤال الأوّل ـ وحتّى تتجلّى لنا مانعية الإسراف للمعرفة وإثبات ذلك وكيفيته أيضاً ـ ينبغي أن نمهّد بمقدّمتين:

المقدّمة الأُولى: إنّ الهوىٰ والهَوس مانع للمعرفة. المقدّمة الثانية: إنّ الإسراف هو تجسّم للهوىٰ والهَوس.

فأمّا المقدّمة الأُولى فقد أُثبتَت بصورة مفصّلة في البحوث السابقة. وأمّا المقدّمة الثانية، فهي من الوضوح بحيث لاتحتاج إلى إثبات. وبناءً عليه، فالإسراف أيضاً مثل الظلم والكفر يكون مانعاً للمعارف العقلية والقلبية، وعلى هذا الأساس اعتبر القرآن الكريم الإسراف مانعاً كالظلم والكفر من معرفة طريق الرشد والتكامل، مؤدّياً إلى الضلال، وقد صرّح بذلك في قوله تعالى:

﴿يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾.[1]

على أنّ القرآن لايعني بهذا أنّ هناك عداوة بين الله تعالى وبين المسرفين حتّى

---

١. غافر: ٣٤.

أنّه لايريدهم أن يهتدوا إلى الصراط المستقيم، وإنّما يعني أنّ الإسراف والتجاوز عن حدّ الاعتدال في الحياة بمقتضى قانون الوجود يُظْلِمُ مرآة العقل ويسلب عين الفكر نورها، الأمر الذي ينتهي بالمسرف إلى عدم التمييز بين الطريق الصواب عن الطريق الخطأ؛ فيضل ويقع في الهاوية.

وعليه، فمنع الإسراف للمعرفة وضلال المسرفين أمر طبيعي تماماً. ونسبة الإضلال إلى الله إنّما تكون من حيث إنّ كلّ ظاهرة تنسب مآلاً إلى خالق الكون.

وأمّا جواب السؤال الآخر ـ ما إذا كانت مانعية الإسراف للمعرفة تشمل جميع مراتب الإسراف أم أنّها قاصرة على البعض منها؟ ـ فهو: إنّ مراتب الإسراف كافّة من أدناها إلى أعلاها، ومن اليسيرة منها إلى البالغة كلّ منها في حدّ ذاتها حجاب للعقل ومانع من المعارف العقلية، ومن هذه الحيثية كان الصدأ الناشئ عن الإسرافات اليسيرة والموجب لتكدير مرآة العقل قابلاً للإزالة، والصدأ الناشئ عن الإسرافات البالغة غير قابل للإزالة، وما أشدّ الحاجة إلى ضرورة الالتفات إلى أنّ الإسرافات اليسيرة إذا لم يكبح جماحها في الوقت المناسب، فإنّها تتحوّل بالتدريج إلى إسرافات بالغة، ويصبح صغار المسرفين كباراً!

ففرعون ـ وهو اُنموذج المسرفين الكبار في القرآن الكريم ـ لم يكن كذلك في بداية أمره، والمجرمون الذين يقترفون اليوم باسم الجهاد من أجل الشعب ـ بزعمهم ـ أبشعَ الجرائم في حقّ الشعب لم يكونوا كذلك في بداية أمرهم.

بناءً على ذلك يجب ـ ولكي نتوقّى الإسرافات البالغة المانعة للمعارف العقلية غير القابلة للإزالة والمقتضية للضلال ـ أن نتحاشى الإسرافات اليسيرة، لكون الإسرافات اليسيرة هي الاُخرى بدورها وفي حدودها مانعة للمعرفة، مؤدّية للضلال.

## ٤ ـ الفسق

### الفسق في اللغة

يقول ابن الأثير ـ اللغويّ المعروف ـ في بيان معنى الفسق:

أصلُ الفسوقِ الخروج عن الاستقامة.[١]

وفي القاموس المحيط جاء في معنى الفسق:

الخروج عن طريق الحقّ... ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾[٢] خروج عن الحقّ.[٣]

وفي المنجد فسّر الفسقِ أيضاً على هذا النحو:

فَسَقَ: خرج عن طريق الحقّ والصواب.[٤]

وعليه، فالفسق في اللغة عبارة عن الخروج من الطريق الذي يراه العقل صحيحاً سديداً، والفاسق من ينحرف عن هذا الطريق ويرتكب الأخطاء والسيّئات.

### الفسق في نظر القرآن

لو تمعّنّا فيما مرّ من المعنى اللغوي لكلمة «الفسق»، ودقّقنا في الآيات التي استُعملت فيها هذه الكلمة، لأمكننا أن نستنتج أنّ ما قيل من أنّ الفسق هو من الكلمات التي استعملها القرآن الكريم في معناه المعروف ـ ألا وهو الذنب ـ وأنّ هذا من مبدعات هذا الكتاب السماوي؛ هو قول غير صحيح.

إنّ التحقيق الدقيق في الآيات التي وردت فيها كلمة الفسق يُثبت أنّ القرآن الكريم قد استعمل هذه الكلمة في معناها اللغوي أيضاً، بمعنى الخروج عن مسير

---

١. النهاية: ج ٣ ص ٤٤٦.

٢. الأنعام: ١٢١.

٣. القاموس المحيط: ج ٣ ص ٢٨٥.

٤. المنجد في اللغة: ص ٥٨٣.

الحقّ، فالقرآن يعتبر أنّ عصيان أمر الله من مصاديق الخروج عن طريق الحقّ، ومن ثمّ ذمّ الفسق ووبّخَ الفاسق وعدّه مستحقّاً للجزاء.

جاء في كتاب المفردات عن أصل كلمة فسق قوله:

فَسَقَ فلانٌ: خرج عن حَجْرِ الشرع، وذلك من قولهم: فَسَق الرُطَبُ؛ إذا خرج عن قشره.[١]

فإن صحّ هذا أصلاً للكلمة فحاصل ماورد في كتب اللغة من معنى هذه الكلمة هو أنّ الفسق كانت تستعمل للدلالة على الخروج المادّي، وكلّ شيء مادّي يخرج عن موضعه الطبيعي (خروج الرُطَب عن قشره) يُدْعَى في العربية فاسقاً. ثمّ أخذت هذه الكلمة تُطلق بعد ذلك بالتدريج على كلّ عمل يخرج عن مسيره الطبيعي وعلى كلّ من يعمل عملاً خارجاً عن مجراه الطبيعي. فعلى هذا الأساس، يكون كلّ عمل يحكم العقل بعدم صحّته وسداده فسقاً، وفاعله فاسقاً.

والقرآن الكريم أيضاً يستعمل هذا المصطلح بدقّة في نفس المعنى، أي بمعنى العمل الذي يراه العقل غير صحيح وسديد، فإذا كانت معصية أمر الله قد أُطلق عليها في القرآن والأحاديث الإسلامية ـ كما سيأتي بعد ـ فسقاً، فذلك من حيث إنّ العقل يعتبر مخالفة المخلوق للخالق أمراً مذموماً وغير صحيح، وإنّها لنكتة دقيقة يستوجب ملاحظتها.

إنّ جميع الآيات التي توجب التوبيخ والعذاب والبلاء على الفاسقين لفسقهم تدلّ بوضوح على أنّ كلمة الفسق قد استُعملت في القرآن الكريم بمعناها اللغوي، أي بمعنى ما يذمّه العقل، ونشير هنا ـ على سبيل المثال ـ إلىٰ آيتين من تلك الآيات؛ هما قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾.[٢]

---

١. مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٣٦.

٢. الأنعام: ٤٩.

وقوله تعالى:

﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.[1]

يلاحظ في الآية الأُولى أنّ تكذيب الأدلّة والبراهين الإلٰهية الواضحة والذي هو أمرٌ مذمومٌ قطعاً في نظر العقل قد سُمّي فسقاً، وفي الآية الأُخرى أُطلقت كلمة «الفاسق» على المستكبرين الذين يأبون الخضوع للحقّ بحيث ذمّهم العقل. والآيات الأُخرى التي وردت فيها كلمة «الفسق» جميعاً ترتبط هي الأُخرى بنحوٍ أو بآخر بأُولئك الذين يأتون بأعمالٍ قبيحة في نظر العقل.

## الفسق في نظر الحديث

لقد استعملت كلمة «الفسق» في الأحاديث الإسلامية بمعنى عصيان أمر الله عزّ وجلّ. فالإمام الصادق عليه السلام يبيّن معنى الفسق في حديثٍ له قائلاً:

كُلُّ مَعصِيَةٍ مِنَ المَعاصِي الكِبارِ فَعَلَها فاعِلٌ أو دَخَلَ فيها داخِلٌ بِجِهَةِ اللَّذَّةِ والشَّهوَةِ والشَّوقِ الغالِبِ فَهُوَ فِسْقٌ، وفاعِلُهُ فاسِقٌ خارِجٌ مِنَ الإيمانِ بِجِهَةِ الفِسقِ.[2]

وكما أسلفنا، فإنّ استعمال كلمة «الفسق» في النصوص الإسلامية بمعنى عصيان أمر الله تعالى لايقتصر على عدم منافاته لمعناها اللغوي، بل إنّه أحد مصاديق مفهومها اللغوي، فالمفهوم اللغوي للفسق هو الخروج عن طريق الحقّ بارتكاب أعمال مذمومة في نظر العقل، ومعصية أمر الله مصداق من مصاديق الأُمور القبيحة عقلاً، والأصل أنّ ما هو حسَن وخير عقلاً هو ما أمر به الله، وما هو قبيح وشرّ عقلاً هو ما نهى الله عنه:

---

١. الأحقاف: ٢٠.

٢. تحف العقول: ص ٣٣١.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ﴾.[١]

## علامات الفسق

روي عن الرسول الأكرمﷺ فيما يخصّ علامات الفسق وصفات الفُسّاق أنّه قال:

أمّا عَلامَةُ الفاسِقِ فَأَربَعَةٌ: اللَّهوُ، واللَّغوُ، والعُدوانُ، والبُهتانُ.[٢]

فطبقاً لهذا الحديث يُعرَف الفاسقون بأربع خصائص:

فأُولى خصائص الفاسقين وعلاماتهم أنّهم أهل «اللهو».

وجاء في معنى اللهو في مفردات القرآن:

اللّهوُ مايشغَلُ الإنسانَ عمّا يَعنيه وَيُهِمُّه.[٣]

وبعبارة أُخرى: اللهو عبارة عن الانشغال بالألعاب المحظورة من الناحية الشرعية. فلو أنّ اللعب كان للإنسان بمثابة المقدّمة للحصول على النشاط اللازم لأداء الواجب، وكان مطابقاً للشروط التي وردت في النصوص الإسلامية؛ فهو مفيد للبدن ضروريّ ومقبول في نظر الإسلام، بل راجح ومستحبّ، ولا يعتبر في الحقيقة لهواً ولعباً. أمّا إذا كان اللعب في حدّ ذاته هدفاً فهو من علامات الفسق، وآية ذلك أنّ اللاعب قد نسي فلسفة وجوده والهدف من حياته، وانحرف عن الطريق الذي رسمه له العقل للوصول إلى هذا الهدف.

الثانية من خصائصهم أنّهم أهل «اللغو»[٤]، فهم يُكثرون من الهراء ويعملون الكثير

---

١. النحل: ٩٠.

٢. تحف العقول: ص ٢٢.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ص ٧٤٨.

٤. لَغَا يلْغو لغواً بكذا: تكلّم به. اللغو: ما لايعتدّ به من كلام وغيره (المنجد في اللغة).

من الأعمال التافهة.

والثالثة من خصائصهم أنّهم أهل «العدوان»، أي أهل الظلم والتعدّي والتجاوز.

والرابعة من خصائصهم أنّهم أهل «البهتان» والكذب والافتراء.

### الفسق حجاب العقل

إلى هنا توصّلنا إلى نتيجة هي: إنّ الفسق في اللغة والقرآن والحديث يمكن أن نلخّصه بعبارة واحدة، وهو الخروج عن طريق الحقّ بالقيام بأعمال مذمومة لدى العقل. وأوضحنا فيما مرّ علاماتِ الفاسقين، أمّا الآن فنودّ أن نبرهن على أنّ الفسق حجابٌ للعقل ومانعٌ من موانع المعارف العقلية والقلبية.

فبما أنّ الفسق تجسّم للهوىٰ والهَوس، وأنّ الهوى والهوس ـ كما قلنا ـ مانع من المعارف العقلية، فالفسق إذاً حجابٌ للعقل والقلب.

فمن ينحرف عن الطريق المستقيم ويخرج عن الطريق الذي حكم عقله بسداده ـ بأن يتبع الهوىٰ والهَوس، ويفسق بسوء اختياره في العقيدة والعمل والقول والفعل ـ فإنّ هذا الاختيار يُضعف عين عقله بالتدريج فتغبرّ مرآة ذهنه الصافية شيئاً فشيئاً، حتّى يحرم بالكلّية من معرفة الحقائق العلمية.

ولنفترض أنّنا صرفنا النظر عن الوحي والدين، فإنّ كلّ شخص ـ أيّاً كان دينه ومذهبه ومرامه ومسلكه ـ يستطيع أن يميّز بوضوح أنّ هناك أعمالاً صالحة وأُخرى سيّئة. فكلّ شخص ـ مثلاً ـ يعرف أنّ الظلم والتعدّي والغطرسة أُمور سيّئة... إلخ، وبالعكس فكلّ عاقل يحكم على العدالة بأنّها حسَنة، والإحسان إلى الغير خير، والإيثار فضيلة... إلخ.

فلو استجاب الإنسان لهذا الحكم وهذه الصرخات الصادرة من صميم روحه وأعماق وجدانه وسلك الطريق الذي يأمر العقل بسلوكه ولم يسلك الطريق الذي ينهى عنه العقل، لَتَنَوَّر سراجُ عقله بالتدريج، أمّا إذا أحجم عن الاستجابة لنداء

العقل والوجدان فلا تلبث هذه الصرخات حتّى تخفت بالتدريج ويقلّ نور سراج عقله، حتّى لايعود نداء عقله ليُسمع أو سراج فكره ليُضيء.

بناءً على ذلك، فالفسق بمعنى الخروج عن المسير الذي يحكم العقل بسداده هو كالظلم والكفر والإسراف، مانعٌ من المعارف العقلية. وعلى قدر ابتعاد الإنسان عن هذا المسير السديد يكون حرمانه من المعارف العقلية.

وعلى هذا الأساس، اعتبر القرآن الكريم الفسق كالظلم والكفر والإسراف مانعاً من التمييز والحكم الصحيح، وحجاباً يحول دون معرفة الحقائق العقلية وموجباً للضلال والتّيه. فقد جاء في قوله تعالى:

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.[1]

أي أنّ إضلال الله قد اِقتصر على الفاسقين، أُولئك الذين خرجوا عن طريق الحقّ والحقيقة عالمين عامدين، وعملوا على خلاف الحقّ.

فعندما يُدرك الإنسان أنّ طريقاً حقٌّ ثمّ لايسلكه، أو يفهم أنّه ليس حقّاً ثمّ يسلكه، فبمجرّد أن يضع قدمه خارج الدائرة التي حدّدها العقل اغْبَرّت مرآةُ عقله إلى حدٍّ مّا، فإن تكرّر الفسق ازداد الغبارُ وتراكم حتّى يصبح الفسق ملَكة في الإنسان، والإنسان فاسقاً. وحينها يظلم سراج العقل الوهّاج تماماً ويصمُّ الإنسان عن سماع صيحة الوجدان بتاتاً.

إنّ الإنسان ـ قبل أن يصبح الفسق ملَكةً لديه ـ عندما يهمّ بعملٍ سيّئٍ فإنّ صراخ العقل ولو بحالة ضعيفة يهيب به: لا تفعل! أمّا بعدها فإنّ هذا الصراخ يخمد فيه، وهذا هو مصداق الحديث القائل:

إنَّ العِلمَ يهتفُ بالعَملِ، فإنْ أجابَه وإلّا ارتَحل.[2]

---

١. البقرة: ٢٦.

٢. ميزان الحكمة: ح ٢٨٤٢ نقلاً عن عوالي اللآلي، وراجع: الباب ٢٨٨٨ منه.

في هذه المرحلة يخرج الإنسان من مدار الهداية الإلٰهية ويستقرّ في مدار الضلال. فالله يضلّ الفاسقين كما يضلّ الظالمين والكافرين والمسرفين؛ أي أنّ الفسق كالظلم والكفر والإسراف؛ كلٌّ مانعٌ من المعارف العقلية.

فمن الطبيعي عندما تُحجَبُ عين العقل أن لا يُميّز الإنسانُ حينئذٍ الطريق الصحيح عن الطريق الخطأ؛ وحينها سيضلّ لا محالة.

فالحقيقة أنّ الفاسق هو الذي استوجب الضلال لنفسه. وبناءً عليه، فالقول بأنّ الله يضلّ الكافرين لايعني أنّ الله يُكِنُّ عداوةً لهم؛ وإنّما المقصود أنّ نظام الوجود يقتضي أن يكون الفسق والانحراف عن جادّة الحقّ مانعاً من تنوّر العقل، وبحدوث هذا المانع يَضِلُّ الإنسان طريقَ رشده وتكامله، فيضلّ بطبيعة الحال. أمّا نسبة الإضلال إلى الله فمن حيث إنّ جميع الظواهر تُنسب أخيراً إليه. أمّا المغزى هنا من أنّ الإضلال الإلٰهي مقصور على الفاسقين، فهو بمعنى أنّ الفسق مانعٌ من المعرفة وموجبٌ للضلال.

## الخلاصة

◘ القوّة المدركة في الإنسان ـ في نظر القرآن والحديث ـ هي بحسب طبيعتها الأوّلية، مثل مرآة صافية تُري الحقائق كما هي.

◘ يرى القرآن والحديث أنّ الأعمال السيّئة التي يرتكبها الإنسان تؤدّي إلى حدوث صدأ وحجب تغيّر طبيعة مرآة الإدراك البشري وتسلبها القدرة على بيان الحقائق كما هي.

◘ تتلخّص الأعمال السيّئة التي تُظْلِمُ مرآة العقل والقلب في: الظلم، والكفر، والإسراف، والفسق.

◘ الظلم عبارة عن عدم مراعاة المكانة الواقعيّة للأُمور، والعدل على نقيضه هو مراعاة هذه المكانة. وبعبارة أُخرى: العدل هو مراعاة قانون نظام الوجود، أمّا الظلم فهو نقض هذا القانون.

◘ العدل والظلم ينقسم كلّ منهما إلى ثلاثة أقسام: عقائدي، وفردي، واجتماعي.

◘ الظلم العقائدي هو عدم مراعاة المكانة الواقعيّة للأُمور من حيث العقيدة والإيمان، في مقابل العدل العقائدي الملازم لرعاية موضع الأُمور بالنسبة للعقائد.

◘ بناءً على ذلك؛ فالتوحيد عدل عقائدي، والشرك ظلم عقائدي.

◘ الظلم الفردي هو عدم مراعاة الإنسان لموضع الأُمور فيما يخصّ حقوقه الذاتية.

◘ السبب في أنّ القرآن والأحاديث الإسلامية تعتبر معصية أمر الله ظلماً للنفس هو أنّ الإنسان لايستطيع استيفاء حقوقه الطبيعية إلّا بتنفيذ الأوامر الإلٰهية. وأنّ المعصية تؤدّي إلى عدم مراعاة المكانة الواقعية للأُمور فيما يختصّ بحقوقه.

▣ الظلم الاجتماعي عبارة عن عدم مراعاة المكانة الواقعيّة والحقيقيّة لحقوق الناس، وخرق القوانين التي تضمن المتطلّبات الواقعية للمجتمع.

▣ بما أنّ الظلم تجسيد للهوىٰ والهَوس، فهو يولّد الظلمة وحجاب العقل ويحول دون المعارف العقلية والقلبية.

▣ الظلم ـ في نظر القرآن ـ أحد موانع المعرفة وموجب لضلال الإنسان. وأمّا القول بأنّ الله يضلّ الظالمين فمعناه أنّ الظلم يؤدّي إلى كدورة مرآة العقل، وبتكدّر هذه المرآة يضلّ الإنسان بطبيعة الحال.

▣ إنّ مطلق الظلم العمليّ ـ في نظر القرآن ـ مانعٌ من المعرفة ومؤدٍّ إلى الظلم العقائدي. ومانعيّة الظلم الاجتماعي أكثر من الظلم الفردي.

▣ الكفر في اللغة يعني الستر أو الإخفاء الكامل. ويُقال لمن يخفي شيئاً: كافرٌ، وأيضاً للشيء الذي يخفي شيئاً آخر.

▣ الإخفاء نوعان: الإخفاء العيني، والإخفاء الاعتباري. الإخفاء العيني كستر البذر في الأرض، والإخفاء الاعتباري كإخفاء الحقّ بإظهار الباطل.

▣ يستعمل القرآن مصطلح «الكفر» بمعناه اللغوي في ثلاثة معانٍ: الكفر اللاممدوح واللامذموم، والكفر الممدوح، والكفر المذموم.

ألف: الكفر اللاممدوح واللامذموم: هو عبارة عن ستر شيء لايعدّ العقل ستره ممدوحاً أو مذموماً، كستر البذر في الأرض ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾[1].

ب: الكفر الممدوح: هو عبارة عن ستر شيء يعدّ العقل ستره ممدوحاً وإظهاره مذموماً، كستر الباطل بالحقّ ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾.[2]

ج: الكفر المذموم: هو عبارة عن ستر شيءٍ يعدّ العقل ستره مذموماً وإظهاره

---

١. الحديد: ٢٠.

٢. البقرة: ٢٥٦.

ممدوحاً.

▣ الكفر المذموم على أربعة أنواع: الكفر الجهلي، والكفر العلمي، وكفر النعمة، وكفر المعصية.

١ـ الكفر الجهلي: عبارة عن ستر الجهل بادّعاء العلم بالمجهول.

وبعبارة أُخرى: الكفر الجهلي عبارة عن إبداء الرأي دون تحقيق، ككفر الدهرية الذي ورد في الآية الرابعة والعشرين من سورة الجاثية.

٢ـ الكفر العلمي: عبارة عن ستر العلم بادّعاء الجهل، أو ادّعاء الإنسان العلم خلافاً لما يعلم.

وبكلامٍ آخر: الكفر العلمي عبارة عن إبداء الإنسان الرأي على خلاف التحقيق، ككفر فرعون وأتباعه كما ورد في الآية الرابعة عشرة من سورة النمل.

٣ـ كفر النعمة: عبارة عن ستر إحسان الغير وجحوده قولاً أو عملاً.

وبعبارة أُخرى: كفر النعمة هو العصيان لما يراه العقل واجباً فيما يخصّ الردّ على إحسان الآخرين ﴿لِيَبْلُوَنى أأشْكُرْ أمْ أكْفُرْ﴾.[1]

٤ـ كفر المعصية: عبارة عن ستر أمر الآمر وتجاهله، وهذا الكفر مذموم لدى العقل فيما إذا كان الآمر جديراً بالإمرة ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.[2]

▣ إنّ كافّة أنواع الكفر المذموم لكونها تجسيداً للهوى فهي تؤدّي إلى إظلام مرآة العقل وتحول دون المعارف العقلية والقلبية.

▣ يَعُدُّ القرآن الكريم الكفر كالظلم مانعاً في طريق المعارف العقلية وسبباً للضلال.

▣ الإسراف في اللغة أخصّ من الظلم، ويعني تجاوز حدّ الاعتدال في كلّ عمل.

▣ استُعملت كلمة «الإسراف» في القرآن والحديث بمعناها اللغوي.

---

١. النمل: ٤٠.

٢. البقرة: ٨٥.

▣ الإسراف درجات، أدناها ـ كما ورد في النصوص الإسلامية ـ نَبْذُ ما فيه صلاحٌ مّا، وأعلاها التكبّر والتجاوز على حقوق الغير.

▣ بما أنّ الإسراف تجسيد للهوىٰ والهَوس، وأنّ الهوىٰ مانع للمعرفة؛ فالإسراف كذلك مانعٌ في طريق المعارف العقلية والقلبية.

▣ يعتبر القرآن الكريم الإسراف كالظلم والكفر مانعاً من المعرفة وموجباً لضلال الإنسان، وقوله: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[1] من هذه الحيثية.

▣ مانعيّة الإسراف للمعرفة تتناسب ودرجات الإسراف، أي أنّ المانعيّة تزداد كلّما ازدادت درجة الإسراف، وتقلّ كلّما قلّت.

▣ الفسق ـ في اللغة ـ: يعني الخروج عن الطريق الذي يعدّه العقل صحيحاً وحقّاً، والفاسق من يخرج عن هذا الطريق.

▣ استعملت كلمة «الفسق» في القرآن والحديث بمعناها اللغوي أيضاً، غير أنّ القرآن والحديث يعتبران معصية أوامر الله من مصاديق الخروج عن المسير الحقّ.

▣ تدلّ كافّة الآيات التي تذمّ الفاسقين لفسقهم على أنّ هذه الكلمة جاءت في القرآن بمعناها اللغوي، أي بمعنى الأعمال المذمومة عقلاً.

▣ بما أنّ الفسق تجسيد للهوىٰ، وأنّ الهوىٰ مانع من المعرفة؛ فالفسق حجاب للعقل والقلب.

▣ يعتبر القرآن الكريم الفسق كالظلم والكفر والإسراف؛ مانعاً من المعرفة وموجباً لضلال الإنسان. وهذا هو المقصود من القول بأنّ الله يضلّ الفاسقين.

---

١. غافر: ٧٤.

الفصل السّادس

# مَنشأ موانع المعرفة

إنّ القرآن الكريم يرىٰ أنّ هوى النفس هو الأساس في نشوء موانع المعرفة كلِّها، فمنه تتفرّع الفروع المختلفة التي منها: الظلم والكفر والإسراف والفسق.

فالهوىٰ عاصفة تثير أغبرةً بألوان الظلم والكفر والإسراف والفسق. فإذا ما تراكمت هذه الأغبرة على مرآة الفكر والذهن تكدّرت هذه المرآة وعندها يُحرم الإنسان من معرفة الحقائق العقلية والقلبية.

ولقد أشارت الآية الكريمة التالية إلى أصل موانع المعارف العقلية والقلبية بقوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَـٰوَةً﴾.[1]

فماذا يريد القرآن الكريم أن يقول في هذه الآية الجميلة العميقة المعنى؟! وكيف نستفيد منها في إثبات أنّ الهوىٰ هو الأساس في موانع المعرفة؟

بيّنّا في بحوثنا السابقة ما جاء في القرآن من قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[2] و ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾[3] و ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾[4]

---

١. الجاثية: ٢٣.

٢. إبراهيم: ٢٧.

٣. غافر: ٧٤.

٤. غافر: ٣٤.

و ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾.[١]

كما تبيّن أنّ الظلم والكفر والإسراف والفسق كلّها تحول دون حصول المعرفة، وأنّ الله ليس فقط لايهدي الظالمين والكافرين والمسرفين والفاسقين، بل ويُضلُّهم أيضاً.

إلّا أنّنا نلاحظ أنّ القرآن الكريم يقول في الآية الثالثة والعشرين من سورة الجاثية الآنفة الذكر بأنّ الله سبحانه وتعالى يُضِلُّ من اتّخذ هواه إلٰهاً له وجعله دافعاً لحركته ومواقفه الفردية والاجتماعية وهدفاً لها.

كما نلاحظ في الآيات الأربع الآنفة الذكر أنّ سبب الضلالة هو الظلم والكفر والإسراف والفسق، في حين أنّ سبب الضلالة في آية سورة الجاثية هو الهوىٰ.

فإذا قارَنّا بين هذه الآيات استنتجنا أنّ كُلّاً من الظلم والكفر والإسراف والفسق هي حُجب على العقل مانعة من المعرفة، وكذلك الهوىٰ فهو أيضاً حجاب ومانعٌ من المعرفة؛ غاية ماهنالك هو أنّ الهوىٰ أصلٌ لسائر الموانع، وإنّما يتجلّى في صورة الظلم حيناً وفي هيئة الكفر حيناً آخر، كما يتجلّى في حالة الإسراف والفسق أيضاً أحياناً أُخرىٰ.

فالهوىٰ هو الذي يدفع الإنسان إلى الاعتداء، وإلى إخفاء الحقيقة، والمغالاة، والانحراف عن طريق الحقّ.

فالأصل في نشوء جميع موانع المعرفة هو الهوىٰ، فلو أنّ الإنسان أراد أن يزيح موانع المعارف العقلية والقلبية التي تؤدّي إلى انحطاطه وفساده، وأن يعالجها بصورة قطعية جذرية، لوجب عليه أن يقتلع جذور الهَوىٰ من أعماق وجوده وأن يتصدّى له ويمنعه. ومن ثَمّ صرّح القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ * وَأَمَّا مَنْ

---

١. البقرة: ٢٦.

خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.[١]

## صَنَمُ الهوىٰ في معبد القلب

كيف يصير الهوىٰ للإنسان إلهاً؟ وكيف يتحوّل قلب الإنسان ـ وهو ما ينبغي أن يكون عرشاً للرحمٰن ـ إلى معبد لأصنام الهوىٰ؟ وعلى حدّ تعبير القرآن: كيف يتّخذ الإنسان إلٰهه هواهُ؟![٢]

في بداية الانقياد إلى الهوىٰ وفي الخطوات الأُولى من الانصياع للنفس يكون الغبار والصدأ على مرآة العقل شيئاً قليلاً، وحينما يقول العقل: لا تفعل، ويقول الهوىٰ: افعل، ويقول العقل: لا تذهب، ويقول الهوىٰ: اذهب. فصاحب الهوىٰ مع أنّه يسمع نداء العقل، لكنّه لايطيعه وينساق في مسيره مع الهوىٰ. وبالانقياد للهوىٰ مرّة فمرّة ـ هكذا بالتدريج ـ يتراكم غبار الهوىٰ وكدورته على مرآة العقل، فتظلمّ حتّى تفقد قدرتها على رؤية الواقع، وتتراكم أدخنة الهوىٰ والهَوس حول سراج العقل حتّى يُعتمَ تماماً فلا يسطع منه نور أصلاً، وإذ ذاك يكون زمام اختيار الإنسان في يد الهوىٰ، فيحتلّ الهوىٰ مكان العقل ويصير صنم الإنسان وإلٰهه. وهنا لايعود صاحب الهوىٰ يسمع نداء العقل، فهو مطيعٌ مهطعٌ لكلّ ما يأمر به الهوىٰ.

﴿وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ فعندما يسلب الهوىٰ زمام اختيار الإنسان من العقل، فسيضلّ الإنسان وينحرف عن الطريق الذي يدعوه العقل إليه، إلّا أنّه ضالٌّ يعلم الطريق الصحيح ولا يتّبعه.

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ فعندما يصبح الهوىٰ صنماً معبوداً لاتسمع الأُذن كلام الحقّ، ولايُدرك القلب الحقائق العلمية، ولا تصل صيحات العقل إلى أُذن القلب، وكأن أُذن قلبه قد أُوصد بابها وختم عليها ألّا تُفتح.

---

١. النازعات: ٣٧ ـ ٤١.

٢. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أفرايتَ مَنِ اتَّخذَ إلٰهه هواه...﴾ (الجاثية: ٢٣).

﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ وعندما تَغْبَرُّ مرآة الذهن بالهوىٰ تحرم عين العقل من رؤية الحقائق العقلية. فالغشاوة هي ذلك الغبار والصدأ الناجم عن الأعمال المذمومة، وهذه العين التي تفقد الرؤية بسبب غشاوة الهوىٰ هي عين العقل. فالإنسان الذي أعمت الغشاوة بصر عقله، يُبصر بعينه الحيوانيّة وببصره الظاهر الذي هو بصر الحسّ. وأمّا العين الباطنة ـ التي هي عين العقل والبصيرة الآدمية ـ فإنّها تكون قد عميت، ويمسى الإنسان لا يهتدي إلى طريق رشده وتكامله، فيضلّ.

﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.[1] مثل هذا الإنسان الأعمى القلب إذا ما خرج طبقاً لسنّة الخلْق الحتمية عن مدار الهداية الإلٰهية وتردّى في مدار الإضلال الإلٰهي، بمعنى أنّ الله يُضلُّه بما اقترف من أعمال، لاطريق له إلى معرفة الحقائق، فلا أحد يستطيع هدايته وإرشاده، وليس بمقدور أي نبيّ أن يجعل من عابد الهوىٰ عابداً لله.

### تلازم موانع المعرفة

إنّ اشتراك موانع المعرفة في المنشأ والأصل قد جعل بينها تلازماً شديداً، بحيث يستحيل فصلها عن بعضها من حيث المصداق، رغم اختلافها من حيث المفهوم. وبعبارة أُخرى: إنّ الظلم والكفر والإسراف والفسق عبارة عن ألوان مختلفة لغبار واحد، وكلّ صفة من هذه الصفات تمثّل بُعداً من الأبعاد الروحية لمن غلبه الهوىٰ فحرمه من معرفة الحقيقة وانحرف به عن صراط الهداية المستقيم.

فلا يمكن أن يكون الإنسان ظالماً دون أن يكون كافراً وفاسقاً ومسرفاً، فهذه الصفات كما أسلفنا متلازمة مع بعضها.

وكما أوضحنا سابقاً فإنّ الظلم عبارة عن عدم مراعاة الموقع الحقيقي للأُمور، في مقابل العدل الذي هو مراعاة موقعها الحقيقي ووضعها في نصابها، فإنّ عدم

---

١. الجاثية: ٢٣.

رعاية الموقع الحقيقي للأُمور يلازم الكفر، الذي هو إنكار الحقيقة بسبب التعصّب واللجاج، وبالعكس أيضاً.

بناءً على ذلك، فالظالم لايمكنه إلّا أن يكون كافراً، فالظلم يجبر الظالم على الكفر. والظالم لايمكنه أن يعترف بالحقّ ويظهر الحقيقة. والكافر أيضاً لايمكنه إلّا أن يكون ظالماً، فالكفر يجبر الكافر على الظلم. فمن لا يعترف بالحقّ ظالمٌ ومتعدٍّ ومتجاوزٌ ولم يراع الموقع الحقيقي للأمور.[١]

كما أنّ عدم رعاية الموقع الحقيقي للأُمور متلازم مع الإسراف، لأنّ الإسراف ـكما سبق أن وضّحنا ـ هو التجاوز عن حدّ الاعتدال، فمن لم يراع الموقع الحقيقي للأُمور فقد تجاوز عن حدّ الاعتدال. بناءً عليه، فالظالم مسرف أيضاً.

ولا يتأتّى للظالم إلّا أن يكون مسرفاً، فالظلم يشجّع الظالم علىالإسراف، فالظالم لايمكنه أن يبقىٰ على حدّ الاعتدال فلا يتجاوز حدّه وحقّه، والمسرف كذلك لايتأتّى له إلّا أن يكون ظالماً، فالإسراف يحرّض المسرف على الظلم والتعدّي على حقوق الآخرين.

وكما أنّ عدم رعاية الموقع الحقيقي للأمور متلازم مع الفسق أيضاً، فالفسق ـكما وضّحنا ـ هو الخروج عن الطريق الذي يصوّبه العقل ويراه صحيحاً، فمن لم يراع الموقع الحقيقي للأُمور فقد خرج بطبيعة الحال عن الطريق الذي يصوّبه العقل، وعليه، فهو ظالم وهو فاسق أيضاً. والظالم لايمكنه إلّا أن يكون فاسقاً، فالظلم يشجّع الظالم على الفسق، والفاسق بدوره لايمكنه إلّا أن يكون ظالماً، فالخروج والانحراف عن مسير الحقّ يحثّ الإنسان على الظلم والتعدّي.

وأخيراً، فإنّ جميع الصفات التي عرضها القرآن الكريم على أنّها موانع للمعرفة من وجهة نظره هي على هذا الغرار متلازمة بعضها مع بعض، وكلّ منها تمثّل بُعداً

---

١. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٤).

من أبعاد الشخصية الملتوّثة المنحطّة المحجوبة للشخص الذي غلب عليه الهوىٰ والهَوس واغبرّت مرآة عقله وقلبه، فمثل هذا الشخص من حيث إنّ الهَوىٰ شجّعه على الظلم فهو ظالم، ومن حيث حرّضه على نكران الحقيقة أو إخفائها فهو كافر؛ ولأنّه أخرجه عن حدّ الاعتدال فهو مسرف؛ ولأنّه انحرف به عن طريق التكامل، فهو فاسق. وهذه الأوصاف جميعاً مظاهر الباطن الملوّث لفردٍ يقال له ظالم باعتبارٍ، وكافر باعتبارٍ آخر، ومسرف أو فاسق باعتبارٍ آخر.

ولهذا يصف القرآن الكريم كلّ من لايحكم وفق الموازين الإلٰهية بثلاث صفات من هذه الصفات:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾.[1]

ومرّة أُخرى:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾.[2]

ومرّة ثالثة:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾.[3]

فالآيات الآنفة الذكر تدلّ على أنّ هذه الصفات مترابطة متلازمة من حيث المصداق رغم تفاوتها المنطقي من حيث المفهوم.

### أُمُّ الرذائل كلّها

إنّ ما يسترعي الانتباه فيما ورد من مفاهيم أطلقنا عليها موانع المعرفة هو أنّ مفهوم الظلم أكثر شمولية من سائر المفاهيم؛ ذلك ـ وكما أسلفنا ـ لأنّ الظلم عبارة عن عدم مراعاة الموقع الحقيقي للأمور، فلو أنّ كلّ شيءٍ قد وُضِعَ في نصابه الحقيقي

---

١. المائدة: ٤٤.

٢. المائدة: ٤٥.

٣. المائدة: ٤٧.

لكان ذلك عدلاً، وإلّا فهو ظلم. فحقّ العامل مثلاً إذا وصل إلى جيب العامل كان ذلك عدلاً، أمّا إذا وصل إلى جيب صاحب العمل كان ذلك ظلماً. ويد الإنسان إذا استخدمت لنصرة المظلوم والوقوف في وجه الظالم لكان ذلك عدلاً، أمّا أن يصفع بها المظلوم فذلك هو الظلم.

فإذا ما لاحظنا مفهوم الظلم من حيث اتّساعه استطعنا أن نُدرك عُمق كلام أميرالمؤمنين عليه السلام فيما قال:

الظُّلْمُ أُمُّ الرَّذائِل.[1]

أجل، إنّ الظلم بمفهومه الشامل هو أُمّ الرذائل، سواء أكان ظلماً عقائدياً أم عملياً، فردياً أم اجتماعياً، فلو أنّ جذور الظلم قد اقتُلعت واستطاع الإنسان أن يراعي الموقع الحقيقي للأُمور من حيث العقيدة والعمل بالنسبة لنفسه ولغيره؛ لبرئت نفسه من كلّ الرذائل، ولازدان بشمائل الإنسان الكامل.

---

١. غرر الحكم (طبعة النجف): ص ٢٠ ح ١٥، غرر الحكم (طبعة جامعة طهران): ح ٨٠٤ وفيه «الظلم ألأمُ الرذائل».

## الخلاصة

▣ تدلّ الآية الثالثة والعشرون من سورة الجاثية على أنّ الهوىٰ عندما يتحوّل إلى صنم يصبح حجاباً للعقل ومانعاً في طريق المعارف العقلية والقلبية.

▣ من مقارنة الآيات الدالّة على أنّ الظلم والكفر والإسراف والفسق موانع للمعرفة بالآية الثالثة والعشرين من سورة الجاثية التي تنصّ على أنّ الهوىٰ مانع للمعارف العقلية والقلبية نستنتج أنّ الهوىٰ أصل موانع المعرفة، وأنّ الظلم والكفر والإسراف والفسق فروع على هذا الأصل.

▣ إنّ الهوىٰ عاصفة يثير هبوبها غباراً بألوان الظلم والكفر والإسراف والفسق، وهذه الألوان من الغبار تشكّل الموانع من المعرفة العقلية والقلبية.

▣ إذا حلّ الهوىٰ محلّ العقل لايسمع صاحب الهوىٰ صيحات العقل على الإطلاق، ويصبح الهوىٰ بالنسبة للإنسان صنماً، وقلب الإنسان الذي ينبغي أن يكون عرشاً للرحمٰن معبداً للهوىٰ ووكراً للشيطان.

▣ بعبادة صنم الهوىٰ يخرج الإنسان من مدار الهداية الإلٰهية ويتردّى في مدار الضلالة، ويضلّ بطبيعة الحال، ولا يتأتّى لأيّ نبيٍّ أن يجعل من مثل هذا العابد للصنم عابداً لله.

▣ موانع المعرفة -أي: الظلم والكفر والإسراف والفسق- غير قابلة للتفكيك من حيث المصداق وإن تفاوتت فيما بينها من حيث المفهوم.

▣ إنّ الصفات التي يعرضها القرآن على أنّها موانع للمعرفة يمثّل كلّ منها بُعداً من أبعاد الشخصية المتلوثة لمن غلب عليه الهوىٰ والهَوس.

▣ من ملّك الهوى أمره؛ فمن حيث إنّ الهوىٰ يحثّه على الظلم فهو ظالم، ومن حيث إنّه يضطرّه لإنكار الحقيقة أو إخفائها فهو كافر، ولأنّه خارج عن حدّ الاعتدال فهو مسرف، ولأنّه منحرف عن طريق التكامل فهو فاسق.

▣ الظلم بمفهومه الشامل -بما في ذلك من الظلم العقائدي والعملي والفردي والاجتماعي- هو أُمُّ الرذائل جميعاً. ولو اقتلع الإنسان جذوره لبرئت نفسه من جميع الرذائل.

الفصل السّابع

# أمراض الفكر

يرى القرآن أنّ كلّاً من الظلم والكفر والإسراف والفسق أمراض تصيب فكر الإنسان وإدراكه، وأنّ هذه الأمراض قابلة للعلاج مادامت في مراحلها الأُولى، فإن أزمنت عزَّ العلاج.

وأمّا ما هو محلّ البحث في هذا الفصل فهو الأسماء التي يُطلقها القرآن على أمراض الفكر. فللقرآن الكريم تعابير دقيقة تسترعي الانتباه يعبّر بها عن أمراض الفكر والنفس، يشير كلّ منها إلى بُعدٍ من الأبعاد وأثرٍ من الآثار وعلامةٍ من العلامات المختلفة لهذا المرض، وهذه التعابير عبارة عن:

مرض القلب، قساوة القلب، زَيغ القلب، رَين القلب، عمَى القلب، ختم القلب، قفل القلب، وموت القلب.

### ١. مرض القلب

إنّ أحد التعابير التي أطلقها القرآن على مرض الفكر هو نفس التعبير الذي أطلقه على الأمراض الجسمية، ألا وهو «المرض». وقد جاء في مفردات ألفاظ القرآن في معناه:

المرضُ: الخروج عن الاعتدال الخاصّ بالإنسان.[1]

---

١. مفردات ألفاظ القرآن: ص ٧٦٥.

فإذا خرج جسم الإنسان وقواه الجسمانية عن حدّ الاعتدال فهو مريض، وهكذا الحال لو خرجت روح الإنسان ونفسه وقواه العقلية عن حدّ الاعتدال. إلّا أنّ مرض النفس والعقل هو أكثر خطورةٍ من أخطر الأمراض الجسمية وأكثر ضرراً، والإمام علي‌ﷺ ـ في صدد بيان درجات المصائب والآلام والبلايا والأخطار التي تحدق بالإنسان وتهدّده ـ يقول:

إنَّ مِنَ البَلاءِ الفَاقَةَ، وأَشَدُّ مِنَ الفَاقَةِ مَرَضُ البَدَنِ، وأَشَدُّ مِنْ مَرَضِ البدنِ مَرَضُ القَلْب.[1]

## ما هو مرض الفكر؟

لا شكّ أنّك مدرك أنّ المقصود من مرض الفكر في باب المعارف العقلية ليس هو الجنون، وإنّما المقصود بذلك هو أنّ مرآة العقل تخرج نتيجةً لتراكم غبار عواصف الهوى والهَوس وصدأ الظلم والكفر والإسراف والفسق عن حدّ الاعتدال والحالة الطبيعية، ممّا يؤدّي إلى عجزها عن القيام بوظيفتها في بيان الحقائق العلمية على الوجه الصحيح.

والإمام علي‌ﷺ قد بيّن وصف المبتلين بمرض الفكر والذين ليمتنع عليهم حتّى إدراك الحقائق العقلية في عالم الوجود، وعليه ينكرون خالق العالم ومدبّره حيث يقول:

وَلَو فَكَّروا في عَظيمِ القُدْرَةِ وَجَسِيمِ النِّعمَةِ لَرَجَعُوا إلى الطَّرِيقِ، وخافوا عَذابَ الحَرِيقِ، ولٰكِنَّ القُلُوبَ عَلِيلَةٌ والبَصائِرَ مَدخُولَةٌ.[2]

ولقد وردت كلمة «المرض» في القرآن الكريم إحدى عشرة مرّة فيما يختصّ بالأمراض الجسمية، وثلاث عشرة مرّة فيما يخصّ أمراض الروح والعقل.

---

١. نهج البلاغة: الحكمة ٣٨٨.

٢. المصدر السابق: الخطبة ١٨٥.

فالقرآن الكريم يرى أنّ المنافقين والكفّار والأُناس المنقادين إلى الأهواء والشهوات ـ وبالجملة كلّ من غلبهم الهوىٰ والهَوس وغبار الظلم والكفر والإسراف والفسق وسلبهم قدرة الوصول إلى المعارف العقلية ـ هم مرضىٰ بحكم العقل.[1]

وعلى سبيل المثال نذكر الآية الكريمة التالية التي تصف المنافقين بأنّهم مرضىٰ بقوله تعالى:

﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾.[2]

فالمنافقون مبتلون بنوعٍ من المرض، ألا وهو مرض الفكر والعقل، والله من جانبه يشدّد هذا المرض عليهم حتّى يموت الفكر بالكلّية فيهم، وبالوصول إلى الموت العقلي يبتلون بالشقاء والعذاب الدائم.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: إنّ تعرّض المنافقين للمرض الفكري والعقلي هو أمرٌ معقول ومنطقي؛ نتيجةً لِهَوَسهم واتّباعهم لأهوائهم، ولكن لماذا يزيد الله مرضَهم بدلاً من أن يبرئهم منه؟!

والقرآن الكريم يجيب على هذا السؤال في ذيل الآية نفسها بقوله تعالى:

﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾.

يعني: لأنّهم كانوا في أقوالهم يكذبون وفي أعمالهم يكذّبون آيات الله، ولأنّ ما فهموه صحيحاً لم يقبلوه تعصّباً ولجاجاً، وأخيراً لأنّ غبار الكفر والنفاق قد أظلم مرآة عقولهم وأدّت الزيادة التدريجية لهذا الغبار إلى اشتداد مرضهم[3]. كالمصاب بمرض الزكام مثلاً ينهاه الطبيب عن تناول الخلّ، ولكنّه بدلاً من تعاطي الدواء يشرب الخلّ، فيشتدّ مرضه ويزيد عليه.

وأمّا الأنبياء الإلٰهيون وهم الأطبّاء لأمراض النفس والعقل، فإنّهم يقولون: إنّ

---

١. راجع: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: مادّة «مرض».

٢. البقرة: ١٠.

٣. راجع: ميزان الحكمة: الباب ٣٣٤٩ و ٣٩٧٧.

على الإنسان ـ كي يزيل الغبار عن مرآة العقل ويعالج أمراض الفكر ـ أن يستفيد من دواء التقوىٰ. فإذا ما عمد إنسان ـ بدلاً من الإفادة من دواء التقوىٰ ـ إلى المضاعفة من انغماسه بسمّ الهوىٰ والهَوس وصدأ الظلم والكفر والإسراف والفسق فإنّ مرضه يأخذ في الاشتداد حتّى يبلغ درجة يموت فيها عقله ويهلك.

وعليه، فالمنافقون في الحقيقة هم العامل الفعّال في اشتداد مرضهم، وما يقوله القرآن من أنّ الله تعالى يزيدهم مرضاً لايعني أنّ بين الله وبينهم عداوة، وإنّما ـ كما سبق أن وضّحنا فيما يخصّ مانعيّة الظلم والكفر والإسراف والفسق للمعارف العقلية والقلبية ـ لمّا كانت مظاهر الوجود تؤول أخيراً إلى خالق الوجود فإنّ مرض المنافقين واشتداده يؤول إليه أيضاً.

كما أنّ المريض إذا تعاطى الدواء فالله يشفيه، فإنّه بالعكس إذا لم يتوقَّ زاده الله مرضاً، فالداء والدواء ظاهرتان كلاهما في النهاية بيد الله منوطتان بمشيئته، لكنّ الاختيار قد وكّل إلى الإنسان فإمّا أن يمهّد الأرضيّة لظهور المرض، ومن ثَمّ استفحاله، وإمّا أن يوفّر مستلزمات الوقاية أو العلاج.

## ٢. قساوة القلب

القساوة اسمٌ آخر من الأسماء التي يطلقها القرآن الكريم على أمراض الروح والعقل، وقد ورد مرض القساوة ومانعيّته للمعارف العقلية والقلبية في هذا الكتاب السماوي سبع مرّات ضمن ستٍّ من آياته.[١]

### ما هو مرض القساوة؟

القساوة والقسوة مصدر الكلمة. وفي بيان معناها قال الراغب في مفردات ألفاظ القرآن:

---

١. راجع: البقرة: ٧٤، الأنعام: ٤٣، الحديد: ١٦، المائدة: ١٣، الحج: ٥٣، الزمر: ٢٢.

القسوة: غِلَظُ القلب، وأصلُه من حَجَرٍ قاسٍ.[١]

والقساوة نوع من الأمراض النفسية التي يفقد الإنسان على أثرها الجوّ اللازم لمعرفة الحقيقة وقبول الحقّ. والمصابُ بهذا المرض لايلقى أُذناً لسماع الحقّ ولا يتأثّر بقول الحقّ، كما يقول الشاعر:

وأعلم يا أنينُ، لِمَ لَمْ تؤثِّر في ذلك القلب ※ فالنفوذ فيالحجر محال، ولا تقصير عليك.[٢]

إلّا أنّ القرآن الكريم يقول خلافاً لما قاله الشاعر، بأنّ النفوذ في الحجر ممكن، ولكنّ القلب المصاب بالقسوة أقسىٰ من الحجر وأكثر مانعيّةً للنفوذ فيه. فقد جاء في القرآن الكريم ـ وذلك بعد ذكر إحدى معجزات موسىٰ‌عليه‌السلام ـ في وصف اليهود المعاصرين له‌عليه‌السلام المصابين ـ كصهاينة اليوم ـ بمرض القساوة قوله تعالى:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.[٣]

وثمّة سؤال يطرح نفسه هنا هو: كيف يظهر هذا المرض؟ وبعبارة أُخرى: ما هي تلك الجرثومة التي تُحدِث هذا المرض؟

## كيف يوجد مرض القساوة؟

إنّ العوامل التي تؤدّي إلى ظهور هذا المرض كثيرة، يتناولها القرآن والأحاديث الإسلامية بصورة مفصّلة. فمنها: نقض العهد، والعيش لفترةٍ طويلةٍ في غفلة، وطول

---

١. مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٧١.

٢. هذه ترجمة لبيت من الشعر الفارسي فيمايلي نصّه:

دانم ای نـاله در آن دل زچـه تأثـیر نکـردی     رفته در سنگ محال است تو تقصیر نکـردی

٣. البقرة: ٧٤.

الأمل، وترك العبادة، واللغو في الكلام، والإنصات للّهو، والتلهّي بالصيد، ومصاحبة السلاطين وأهل الدنيا، والثراء الكثير، والنظر إلى وجه البخيل، والهوىٰ والهَوس، والمعصية بصورة عامّة. هذه العوامل في نظر الإسلام هي الميكروبات أو الجراثيم التي لو ابتُلي الإنسان بها ولم يعالج نفسه أُصيب تدريجياً بمرض القساوة.[1]

هذه الجراثيم تجعل الإنسان يألف الهَوس طبعاً فيثقل عليه قبول الحقّ ولا يروق له، حتّى يتحجّر قلبه وروحه ونفسه وفكره أمام الحقّ، بل يصبح أشد قسوةً من الحجر حتّى يتعَذَّر النفوذ إليه.

### خطر مرض القسوة

إنّ النصوص الإسلامية تعتبر مرض القسوة أخطر الأمراض وأضرَّ آثار الهوىٰ والهوَس وأشدَّ العقوبات فيما يرتكب من الذنوب. وقد قال الإمام الباقر عليه السلام في هذا الصدد:

> **إنّ للهِ عُقوباتٍ في القلوبِ والأبدان، ضنْكٌ في المعيشة ووهْنٌ في العبادة، وما ضُرِبَ عبدٌ بعقوبةٍ أعظمُ من قسْوةِ القلب.[2]**

ونظراً إلى أنّ الابتلاء بهذا المرض يحدث تدريجياً، وأنّ المريض المبتلى به لايستطيع ـ حتّى في أوج تفاقم المرض ـ أن يدرك أو يشخّص أنّه مريض، وأنّ علاج هذا المرض يعزُّ حتّى ليستحيل في بعض الموارد، فالواجب على الإنسان منذ بداية حياته أن يواظب على التوقّي منه حتّى لايُبتلى به.

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصاياه لأبنه العظيم الإمام المجتبى عليه السلام في هذا الصدد:

---

١. راجع: ميزان الحكمة: الباب ٣٣٤٧.

٢. تحف العقول: ص ٢٩٦.

إنَّما قلبُ الحَدَثِ كالأرضِ الخاليةِ ؛ ما أُلقيَ فيها شيءٌ قَبِلَتْهُ ، فبادرتُكَ بالأدبِ قَبلَ أن يقسوَ قلبُك ويشتَغِلَ لُبُّك.[١]

## ٣. زيغ القلب

ومن جملة الأسماء التي يطلقها القرآن على أمراض الروح والعقل هو «الزيغ»، وقد ذُكر هذا المرض في القرآن الكريم خمس مرّات.[٢]

### ما هو مرض الزيغ؟

أورد الراغب في معناه قائلاً:

الزيغ: المَيلُ عن الاِستقامة.[٣]

فالزيغ نوعٌ من الأمراض التي تصيب روح الإنسان وعقله فتُحدِث خللاً في إدراكاته العقلية، ويبلغ بالمبتلى به العجز عن الاستجابة لنداء العقل، فهذا المرض يجعل المبتلى به ينحرف عن الطريق الصحيح إلى الطريق الخطأ.

### كيف يحدث مرض الزيغ؟

يحدث هذا المرض نتيجةً لتكرار الإجابة السلبية لنداء العقل وعدم الاستجابة له، فعندما ينحرف الإنسان عن الطريق الذي يراه العقل سديداً ويفعل ما لا يصوّبه العقل ويكرّر هذا العمل المخالف للعقل عدّة مرّات، يعتاد بالتدريج على الانحراف عن الاستقامة والصحّة حتّى يصبح معتاداً عليه و لازماً لوجوده، وحينئذٍ يصعب عليه ـ بل قد يستحيل أحياناً ـ أن يسلك الطريق المستقيم أو ينتهج المسيرة التي يصوّبها العقل، وهنا يكون قلب الإنسان وفكره قد ابتليا بمرض الزيغ والانحراف. وفي هذا

---

١. نهج البلاغة: الكتاب ٣١.

٢. راجع: آل عمران: ٧ و ٨، التوبة: ١١٧، الصفّ: ٥.

٣. مفردات ألفاظ القرآن: ص ٣٨٧.

المقام يقول القرآن الكريم:

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.[١]

أي إنّ ميل الإنسان ميلاً عملياً عن طريق الحقّ يُفضي إلى إصابة قلبه وعقله بمرض الزيغ. وبعبارة أُخرى: إنّ الانحراف الظاهري يؤثّر في أعماق الفكر والنفس ويؤدّي إلى الانحراف الباطني.

إنّ انحراف قلب الإنسان وباطنه نتيجةٌ طبيعيّةٌ للرَّين على مرآة القلب، وظلمة مرآة القلب نتيجةٌ طبيعيّةٌ للهوىٰ والهَوس والانحراف العملي عن طريق الحقّ. والمعنى المقصود في أنّ الله يزيغ قلب الإنسان ويحرف باطنه هو أنّ الانحراف العملي والظاهري ينقلب وفقاً للسنن الإلٰهية ونظام الخلق إلى انحراف قلبي ونفسي.

## خطر مرض الزيغ

الزيغ والانحراف الفكري والنفسي أحد الأمراض النفسانية والعقلية الخطيرة، فلو أنّ إنساناً ابتُلي به لآثر التردّي في هوّة التعاسة والانحطاط على انتهاج طريق التكامل، ولسلك طريق الضلال وشقائه بدلاً من طريق السعادة ونعيمها، وواصل السير في الضلال حتّى ينهار في الجحيم.

وهذا المرض الخطير يهدّد الإنسان مادام حيّاً. وخطر الابتلاء به يبلغ من الخُطورة حدّاً بحيث إنّ الراسخين في العلم الذين يشاهدون باطن هذا العالم ببصيرتهم لا ينفكّون يتضرّعون إلى الله عزّوجلّ أن يحفظهم من هذا الخطر:

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ... رَبَّنَا لَاتُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا...﴾.[٢]

فالثبات على طريق الحقّ والاستقامة عليه أصعب من السلوك فيه، فما أكثر

---

١. الصفّ: ٥.

٢. آل عمران: ٧ ـ ٨.

أُولئك الذين انتهجوا الصراط الإلٰهي المستقيم واختطوا سبيل الله والإسلام منذ بدء الحياة البشرية حتّى اليوم!! وما أقلّ الذين ثبتوا في هذا الطريق حتّى بلغوا غايته!!

قال الإمام الكاظمعليه السلام في بيان الآية الآنفة الذكر:

إنَّ اللهَ عَزَّوجَلَّ حَكىٰ عَن قَومٍ صالِحينَ أنَّهُم قالوا ﴿رَبَّنَا لَاتُزِغْ قُلُوبَنَا... إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ حِينَ عَلِمُوا أنَّ القُلُوبَ تَزِيغُ وتَعودُ إلىٰ عَماها ورَداها.[١]

لأنّهم كانوا يعلمون أنّ احتمال ابتلاء القلب بالزيغ أمرٌ دائم، فتعود قلوبهم إلى ما كانت عليه من العمى قبل الهداية الإلٰهية.

فالراسخون في العلم والصالحون أصحاب الفكر الثاقب الذين يعرفون مصاعب طريق الحقّ ومشقّة المضيّ فيه، يرهبون خطر الانحراف، ويتضرّعون إلى الله دائماً كي يثبّت أقدامهم حذراً من أن ينحرف بهم الشيطان وهوى النفس بعد أن هداهم الله إلى الإسلام والإيمان.

روى جابر بن عبد الله الأنصاري أنّ رسول اللهصلى الله عليه وآله كان يكثر من تكرار هذا الدعاء:

يا مُقَلِّبَ القُلوبِ ثَبِّتْ قَلْبي على دِينِك.[٢]

يعني: إلٰهي، أَمَا وقد هديتني إلى طريقك، ووفّقتني إلى إدراك الصراط المستقيم الموصل إلى السعادة بلقائك، وفّقني للثبات على هذا الطريق.[٣]

### ٤. رَيْن القلب

وتعبير آخر من التعابير التي يُطلقها القرآن الكريم على أمراض الروح والعقل هو «الرَّيْن» وقد ورد في القرآن مرّةً واحدة.

---

١. تحف العقول: ص ٣٨٨.

٢. تفسير الطبري: ج ٣ الجزء ٣ ص ١٨٨.

٣. راجع: ميزان الحكمة: الباب ٣٣٤٥.

والرَّين يعني الدَّنس والصدأ. ويُطلق بشكل عامّ في اللغة العربية على الصدأ الذي يصيب الأجسام الشفّافة أو الصقيلة كالمرآة والسيف.

ففي رأي القرآن أنّ الأفعال السيّئة تؤدّي بالإنسان إذا مارسها إلى صدأ العقل والقلب، وعن هذا الصدأ ينشأ مرض الفكر والنفس، وبالتالي يحول دون إدراك الحقائق العقلية والقلبية، قال تعالى:

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.[1]

وتجدر الإشارة إلى أنّ الآيات السابقة على هذه الآية تختصّ بالذين يُنكرون المعاد والحياة بعد الموت، فالقرآن الكريم يستعمل كلمة «كلّا» لينفي بها تصوّرات المنكِرين، ثُمّ يبيّن أنّ هذه التصوّرات لا تقوم على أُسس عقلية علميّة، بل تنشأ من الجهل والمواقف السلبية بالنسبة لحقائق الوجود، فالذين تصدأ مرآة عقولهم وقلوبهم نتيجة اقترافهم السيّئات يفتقرون إلى المعارف العقلية، ومن ثمّ لا تتوفّر لديهم القدرة على تفهّم المعاد والحياة بعد الموت.[2]

### ٥. عمَى القلب

يعتبر القرآن الكريم المبتلين بمرض الفكر الذين حرمهم هذا المرض من معرفة الحقائق العقلية عمياناً. وقد ورد تعبير «العمَى» في القرآن أربع مرّات في مورد العمَى الظاهري، وتسعاً وعشرين مرّة في مورد مرض الفكر والعمَى الباطني. فنقرأ في قوله تعالى:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾.[3]

وتعرض آيات من سورة البقرة المبتلين بمرض الفكر بصورة الصمّ البكم العُمي

---

١. المطفّفين: ١٤.

٢. راجع: ميزان الحكمة: الباب ٣٣٤٤.

٣. الحجّ: ٤٦.

الذين سُلِبوا القدرة على التعقّل والتفكير، ولا أمل في عودتهم إلى طريق الحقّ:

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.[1]

وقوله تعالى:

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.[2]

فعندما يُصاب الإنسان بمرض الفكر تُصَمّ أُذنه عن سماع الحقّ وإدراكه، ويخرس لسانه عن الاعتراف بالحقّ، وتعمى عينه عن رؤية حقائق الوجود، ولا أمل في هداية إنسان كهذا في الحياة الدنيا، ولا سعادة له في الحياة الآخرة:

﴿مَن كَانَ فِى هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾.[3]

وفي بيان هذه الآية قال الإمام الرضا عليه السلام:

يَعنِي: أعمىٰ عَنِ الحَقائِقِ المَوجُودَةِ.[4]

### ٦. ختم القلب

سادس تعبير أطلقه القرآن الكريم على الأمراض التي تصيب فكر الإنسان وروحه هو «الختم» و «الطبع» وكلاهما بمعنى الختم كالختم الذي تختم به الرسائل أو الختم بالشمع على باب الغرفة أو الصندوق أو الظرف.

إلّا أنّ الطبع أعمّ من الختم من حيث المفهوم اللغوي. فكلّ ختمٍ طبع، وليس كلّ طبعٍ ختماً.

وفي معنى الطبع جاء في المفردات:

---

١. البقرة: ١٧١.

٢. البقرة: ١٨.

٣. الإسراء: ٧٢.

٤. التوحيد: ص ٤٣٨ ح ١.

الطبع: أن تُصَوِّر الشيءَ بصورةٍ مّا؛ كطبع السِكّة[١]، وطبع الدراهم، وهو أعمّ من الختم.[٢]

بناءً على ذلك، فالطبع عبارة عن أخذ شيءٍ صورةً وشكلاً خاصّاً. أمّا الختم فبمعنى استعمال نقش خاصّ في مهر تُمْهَرُ به الوثيقة أو الأشياء التي يُراد حفظها. فكلّ ختم طبع لأنّ في كلّ ختمٍ نقشاً خاصّاً، وليس كلّ طبعٍ ختماً كالكتاب حيث توجد نقوش خاصّة ولكنّها ليست ختماً.

كان هذا من حيث المفهوم اللغوي، أمّا من حيث القرآن والروايات الإسلامية فقد استُعمل الختم والطبع بمعنًى واحد. والإمام الرضا عليه السلام في تفسير الآية الكريمة: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[٣] يقول:

الختمُ هو الطبعُ على قلوب الكفّارِ عقوبة على كُفرهم، كما قال عزّوجلّ: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٤].[٥]

ولقد وردت كلمة «الطبع» في القرآن إحدىٰ عشرة مرّة، وكلمة «الختم» خمس مرّات، وهكذا يكون مجموع الختم على القلب ستّ عشرة مرّة.

## ما هو مرض الطبع؟

مرض الطبع هو أن يتّخذ قلب الإنسان ونفسه وفكره حالة وطبيعة خاصّة من شأنها أن تحول بينه وبين المعارف العقلية والقلبية.

أمّا ما يؤدّي إلى إيجاد هذه الحالة وابتلاء الإنسان بهذا المرض فهو الهوىٰ وحبُّ الشهوات والظلم واقتراف الجنايات والأعمال الذميمة على وجه العموم، فكلّ عمل

---

١. السكّة: فلزّ منقوش تُضرب عليه الدراهم، جمعها: سِكك (المنجد في اللغة).

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥١٥.

٣. البقرة: ٧.

٤. النساء: ١٥٥.

٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ١٢٣ ح ١٦.

قبيح يَترك أثراً خاصّاً على نفس الإنسان وفكره، وبتكرار هذه الأعمال يتفاقم ذلك الأثر حتّى يغيّر طبيعة الإنسان الأولية، ويضفي القبح على نفس الإنسان وروحه طبيعةً ثانوية. وهنا يكون قد ابتلي بمرض الطبع.[1]

يقول القرآن الكريم عن سبب ابتلاء الإنسان بهذا المرض:

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾.[2]

والمتكبّر الجبّار مَن يتكبّر أمام الحقّ ويأبىٰ قبوله. والمعنى: أنّ الباري عزّوجلّ ـ طبقاً لسنّة الخلق التي لاتتحوّل ولاتتبدّل ـ يعطي بالتدريج كلّ مَن لايقبل الحقّ طبيعةً خاصّةً تحرمه بشكلٍ كاملٍ من معرفة الحقيقة وقبولها، حتّى لكأنّ منابع المعرفة العقلية والقلبية قد أُوصدت لديهم وخُتم عليها.

وقد عرضت الآية الكريمة التالية التعدّي والتجاوزَ باعتبارهما علّة ابتلاء الإنسان بمرض الطبع، وذلك في قوله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.[3]

هذا، وقد وصف القرآن الكريم إخفاء الحقّ وكتمانه بأنّه علّة لمرض الطبع، قال عزّوجلّ:

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.[4]

**ما هو مرض الختم؟**

سبق وأوضحنا أنّ مرض الختم ومرض الطبع هما مرضٌ واحد، ومن ثَمّ فُسِّر الختم في الروايات بالطبع. وهاتان الكلمتان قد ترجمتا بختم القلب.

بناءً عليه، فمرض الختم ـ كمرض الطبع ـ عبارة عن ظهور حالة وطبيعة خاصّة

---

١. راجع: ميزان الحكمة، الباب ٣٣٤٠.

٢. غافر: ٣٥.

٣. يونس: ٧٤.

٤. الأعراف: ١٠١.

في فكر الإنسان وروحه تمنع من الوصول إلى المعارف العقلية والقلبية، على أنّ من الممكن أن نستنبط من كلٍّ من هذين التعبيرين نكتةً خاصّة:

الأُولىٰ ـ تخصّ مرض الطبع، وهي ـ: إنّ هذا المرض سبب لتغيير الطبيعة الأولية للإنسان، ويجعل من الرذالة والقبح طبيعة ثانوية له.

والثانية ـ تخصّ على ما يبدو مرض الختم ـ وهي: إنّ مرض الفكر والروح إذا بلغ أشدّه أدّى إلى تغيير طبيعة الإنسان الأُولى، ويصل أمره في هذا الوجود إلى نهايته، ويختم ملفّ أعماله السيّئة بالهلاك الحتمي:

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[1]

وأمّا لماذا يُبتلى الإنسان بمرض الختم؟ وكيف يكون ذلك؟ فالجواب تقدّمه الآية الكريمة من قوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.[2]

أي إنّ عبادة الهوىٰ تودّي بالإنسان إلى أن يصاب تدريجيّاً بمرض الختم؛ وعندها سوف يُطبع على أُذن العقل والقلب بخاتم كخاتم الشمع وتعمى عين بصيرته تماماً. وحينما يسدّ الله تبارك وتعالى طرق المعارف العقلية والقلبيّة على الإنسان فليس بإمكان أيّ مخلوق إرشاده وهدايته إلى الطريق الصواب بتاتاً.

### ٧. قفلُ القلب

سابع تعبير استخدمه القرآن الكريم لأمراض الفكر والروح هو «قفل القلب»، وقد ورد في هذا الكتاب السماوي مرّةً واحدة:

---

١. البقرة: ٧.

٢. الجاثية: ٢٣.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.[١]

وفي معناه جاء في مفردات ألفاظ القرآن:

**القُفْلُ: جمعه أَقْفال، يقال: أقْفَلْتُ البابَ. وقد جُعل ذلك مَثَلاً لكلّ مانعٍ للإنسان من تعاطي فعلٍ.**[٢]

وعليه، فمعنى الآية الكريمة هو: أنّ القرآن أمامهم فَلِمَ لايتدبّرونه ؟! فلو أنّهم تدبّروه لاهتدوا، أم أنّ أقفال قلوبهم التي تمنع المعارف العقلية والقلبية عنهم هي التي لاتسمح لهم بتدبّره ؟! وبعبارة أُخرى: هل أنّهم لايريدون التدبّر أم أنّهم لايستطيعون ذلك ؟!

وهنا يطرح السؤال نفسه: ما الذي يسبّب قفل القلب وابتلاء الإنسان بهذا المرض ؟

ويجيب أمير المؤمنين عليه السلام عن هذا السؤال ـ في رواية يخاطب بها جماعة من المبتلين بهذا المرض ـ بقوله:

**قَدْ قادَتْكُم أزِمَّةُ الحَيْنِ، وَاستَغلَقَت عَلىٰ قُلُوبِكُم أقفالُ الرَّينِ.**[٣]

وأمّا الرين الذي يؤدّي إلى قفل القلب فهو الكدورة والغبار المتراكمَين على مرآة القلب من جرّاء الهوىٰ والهَوس والأفعال القبيحة، وقد عبِّر عنهما في الآية الكريمة والرواية أعلاه بأقفال القلوب، من حيث كون هذا الرَين يغلق منابع المعرفة العقلية والقلبية إغلاقاً تامّاً.

## ٨. موت القلب

أحياناً ما يحدث أن يبلغ مرض الفكر والروح من الشدّة حتّى يفقد الإنسان

---

١. محمّد: ٢٤.

٢. مفردات ألفاظ القرآن: ص ٦٧٩.

٣. غرر الحكم: ح ٦٦٨٩.

المعارف العقلية والقلبية بالكليّة. وهنا يموت القلب، وينتج عن ذلك الموت العقلي للإنسان.

وإحدى المسائل المفيدة التي نتلقّاها من القرآن والأحاديث الإسلامية هي أنّ للإنسان حياتين: حياة الجسم وحياة الروح، أو الحياة الحسّية والحياة العقلية. فحياته الجسمية مرتبطة بسلامة حواسّه الظاهرية، وحياته الروحية والعقلية مرتبطة بسلامة حواسّه الباطنية.

بعبارة أُخرى: إنّ من تقتصر سُبل معارفهم على الحواسّ فقط تكون حياتهم جسمانية حيوانية. وأمّا من تنفتح لهم سُبل المعارف العقلية والقلبية أيضاً فهم يحظون بالحياة العقلية والروحانية والإنسانية.

والقرآن الكريم من هذه الحيثية يصف الفاقدين للمعارف العقلية والقلبية بأنّهم موتىٰ، ويخاطب نبيّ الإسلامﷺ صراحةً بذلك:

﴿إِنَّكَ لَاتُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَاتُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ﴾.[1]

يعني أنّ العِظات الإلٰهية وأقوال الأنبياء عليهم السلام لاتؤثّر إلّا في هداية مَن يتمتّعون بالحياة الإنسانية،[2] أمّا مَن فقدوا حياتهم المعنوية والحقيقية نتيجةً لأفعالهم الذميمة فلا هُم قابلون للهداية، ولا النبيّﷺ قادر على إرشادهم وهدايتهم.

## مَيِّتُ الأحياء

تُطْلَق «ميّت الأحياء» في الأحاديث الإسلامية على فاقدي الحياة المعنوية والحياة العقلية والروحية، وأنّهم همُ الأموات حقّاً. والرسولﷺ يقول في حديثٍ له:

لَيسَ مَنْ ماتَ فَاستَراح بِمَيّتٍ، إنّمَا المَيتُ مَيّتُ الأَحْياءِ.[3]

---

١. النمل: ٨٠ و ٨١، الروم: ٥٢ و ٥٣.

٢. قال سبحانه: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ (يس: ٧٠).

٣. الأمالي للطوسي: ص ٣١٠ ح ٦٢٥.

وميّت الأحياء هو من يأكل وينام ويمشي ويُنجب ويعيش حياة حيوانية، وهو يفتقر إلى الحياة الإنسانية. أي أنّ عقلَه وقلبَه قد سُلبا إحساسهما وشعورهما، ولذا لاتتوفّر لديهما القدرة على معرفة الحقائق العقلية والقلبية.

### أسباب موت القلب

إنّ ما يؤدّي إلى موت القلب والعقل هو الهوىٰ والهَوس وأعمال السوء. فالهوىٰ يُمرض عقلَ الإنسان بالتدريج، والانقياد لحبّ الشهوات يتدرّج بمرض الفكر والنفس حتّى يبلغ أوج شدّته؛ وهناك يموت العقل والقلب، وبموتهما يفقد الإنسان حياته الواقعية الإنسانية. والإمام عليّ عليه السلام يشرح معنى الموت العقلي للإنسان على هذا النحو:

مَنْ عَشِقَ شيئاً أَعْشَى بَصَرَه وأَمرضَ قَلْبَهُ.

في هذا القسم من الكلام يشبّه الإمامُ العشقَ ـ وهو شدّة الهوى وأُوجه ـ بغشاء يحجب بصر العقل ويرمي الإنسان في دياجير الفكر، كما يشبّهه أيضاً بالجرثومة التي تتسبّب في مرض قلب الإنسان ونفسه وحقيقته الإنسانية، حتّى إذا ما مرض القلب:

فَهُو يَنظُرُ بِعَينٍ غَيرِ صَحيحَةٍ، ويَسمَعُ بِأُذُنٍ غَيرِ سَميعَةٍ.

ولماذا لاتبصر عين العقل ولاتسمع أُذن العقل؟! هذا لأنّ مرض الهوىٰ يؤدّي إلى موت القلب. وعلى حدّ قول الإمام عليه السلام:

قَد خَرَقَتِ الشَّهواتُ عَقلَهُ، وأماتَتِ الدُّنيا قَلبَهُ.[1]

كما قال عليه السلام أيضاً:

مَنْ قَلَّ وَرَعُهُ ماتَ قلبُهُ، وَمن ماتَ قَلبُهُ دَخَلَ النّارَ.[2]

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٠٩.

٢. نهج البلاغة: الحكمة ٣٤٩.

**تذكير**

وضّحنا فيما سبق أنّ كلمة «القلب» قد استُعملت في القرآن على ثلاثة معانٍ، هي:

١. مركز التعقّل والفكر.

٢. مركز المعارف غير الحسّية وغيرالعقلية.

٣. النفس الإنسانية والروح.

وقيل أيضاً: إنّ المصدر أو المنبع الأصلي لجميع إدراكات الإنسان ومعارفه هو القلب بمعناه الثالث، أي بمعنى نفس الإنسان. والحقيقة أنّ كلمة القلب إذا ما استُعملت بأحد معنييها الأوّل أو الثاني فإنّما تكون قد استُعملت في بُعدٍ من أبعادها أو مَدخلٍ من مداخلها أو وسيلةٍ من وسائلها أو مرتبةٍ من مراتبها.

وهذا ملخّص ما ورد في الفصل الأوّل بخصوص ما ذكر عن معنى القلب في القرآن. ولكن يظهر من الآيات والروايات التي وقعت محلّ البحث في هذا الفصل والتي تعرّضت للأمراض التي يُصاب بها فكر الإنسان أنّ كلمة «القلب» قد استُعملت فيها بالمعنى الثالث.

هذا مع إيضاح أنّه عندما تمرض نفس الإنسان وروحه نتيجة الابتلاء بموانع المعرفة تختلّ أبعادها المختلفة، أي أنّ مركز التعقّل والتفكّر وكذلك مركز المعارف غير الحسّية وغيرالعقلية لايؤدّي عمله على الوجه الصحيح حينئذٍ، بل إنّ المعارف الحسّية في الإنسان أيضاً تختلّ هي الأُخرىٰ.

وعليه، فإنّ موانع المعارف القلبية ـ في نظر القرآن والأحاديث الإسلامية ـ هي نفس موانع المعارف العقلية، ومن ثمّ عبّرنا عن الأمراض المذكورة بأنّها «الأمراض الفكرية والنفسية». وعليه، فالمقصود من معالجة الأمراض القلبية هو معالجة الأمراض العقلية أيضاً.

## الخلاصة

▣ الظلم والكفر والإسراف والفسق جرائيمُ تتسبّب في مرض فكر الإنسان وروحه.

▣ يعبّر القرآن الكريم عن أمراض الفكر بثمانية تعابير هي: مرض القلب، قسوة القلب، زيغ القلب، رين القلب، عمى القلب، ختم القلب، قفل القلب، موت القلب.

▣ أوّل تعبير في القرآن الكريم عن أُولئك الذين لايملكون القدرة على إدراك الحقائق العقلية هو «المرضىٰ» فهو يعتبرهم مرضىٰ كالمرضىٰ بأجسامهم. وقد جاءت كلمة «المرض» في القرآن إحدىٰ عشرة مرّة في مورد الأمراض الجسمية، وثلاث عشرة مرّة في مورد الأمراض العقلية والنفسية.

▣ إنّ القرآن الكريم ينظر إلى المنافقين والكفّار وعبيد الشهوة؛ وبصورة عامّة مَنْ منعتهم غلبة الهوىٰ والهَوس من الحصول على المعارف العقلية، على أنّهم مرضىٰ.

▣ الأمراض العقلية تتفاقم أُسوةً بالأمراض الجسمية إذا لم تُتَوَقَّ، وأحياناً مايكون عدم التوقّي موجباً لموت المريض. ومعنى أنّ الله يزيد مرض أُولئك المرضىٰ شدّة على شدّة هو هذا المعنى.

▣ التعبير الثاني الذي يطلقه القرآن على الأمراض العقلية والنفسية هو «القسوة» وقد جاء هذا التعبير في القرآن سبع مرّات، وضُمِّن ستَّ آيات منه.

▣ قسوة القلب تعني غلظته. وهي نوع من الروح والعقل التي تؤدّي إلى تصلّب القلب أمام الحقّ كالحجارة، بل أغلظ منها بحيث لايمكن النفوذ فيه أبداً.

▣ الموجبات لقساوة القلب كما تراها المتون الإسلامية هي: نقض الميثاق أو العهد، نسيان الأجل وطول الأمل، ترك العبادة، اللغو في الكلام، الإنصات إلى اللهو، الصيد، مصاحبة المقتدرين، الثروة الطائلة، النظر إلى وجه البخيل، وبصورة عامّة عبادة الهوىٰ وارتكاب المحرمات.

◘ قسوة القلب من أخطر الأمراض النفسية والفكرية، والوقاية منه ينبغي أن تبدأ مع بداية الحياة.

◘ التعبير الثالث الذي يطلقه القرآن على أمراض الروح والعقل هو «الزيغ»، وقد ذُكر هذا المرض في القرآن خمس مرّات.

◘ الزيغ بمعنى الانحراف عن الطريق المستقيم، وهو نوع من الأمراض الروحيّة والعقلية يؤدّي إلى عجز الإنسان عن الحركة في الطريق الذي يراه العقل صحيحاً.

◘ انحراف الإنسان العملي عن طريق الحقّ يَؤول تدريجياً بفكر الإنسان ونفسه إلى الابتلاء بمرض الزيغ والانحراف.

◘ الإنسان معرّضٌ للابتلاء بمرض الزيغ مادام على قيد الحياة، ويبلغ هذا المرض من الخطر حتّى أنّ «الراسخين في العلم» يتضرعون إلى الله دائماً أن يحفظهم منه.

◘ التعبير الرابع من التعابير التي يطلقها القرآن على أمراض الروح والعقل هو «الرين». وقد ذُكر في القرآن مرّة واحدة.

◘ يرى القرآن أنّ الأعمال السيّئة تسبّب قذارة مرآة العقل والقلب وصدءها ومرض الفكر والنفس. وعلى أثر هذا المرض يحرم الإنسان من إدراك الحقائق العقلية والقلبية.

◘ التعبير الخامس من تعابير القرآن عن أمراض الروح والعقل هو «العمى»، وقد ذُكر في القرآن أربع مرّات بمناسبة العمى الظاهري، وتسعاً وعشرين مرّة بمناسبة العمى الباطني.

◘ مرض الفكر يؤدّي إلى صَمَمِ الأُذن عن إدراك الحقّ، وخَرَسَ اللّسان عن الاعتراف بالحقيقة، وعَمَى العين عن رؤية حقائق الوجود.

◘ التعبير السادس الذي يوظّفه القرآن الكريم لأمراض الإنسان الفكرية والروحية هو «الختم» و «الطبع» وقد أُطلق التعبير باللفظة الأُولى خمس مرّات، وبالثانية إحدى عشرة مرّة في القرآن الكريم.

◘ من الناحية اللغويّة، «الطبع» أعمّ من «الختم» معنىً، إلّا أنّهما يفيدان في القرآن الكريم والروايات الإسلامية نفس المعنى.

◘ إنّ مرض «الطبع» و «الختم» تعبير عن حصول حالة وطبيعة في نفس وفكر الإنسان تمنع من حصول المعارف العقلية والقلبية.

◘ إنّ الطبيعة التي تمنع من حصول المعارف العقلية والقلبية تغزو الإنسان نتيجة أعماله غير الصالحة.

◘ النكتة الكامنة فيما يعبّر عنه بـ«الطبع» هي أنّ تكرار الأعمال غير الصالحة هي التي تسبّب تبدّل طبيعة الإنسان الأُولى إلى طبيعة ثانية ملؤها الشرّ.

◘ النقطة المكتمنة فيما يعبّر عنه بـ«الختم» هي: أنّ مَن تغيّرت طبيعته الأُولى، فإنّ هلاكه يصبح قطعياً وأمره منتهىً منه.

◘ التعبير السابع الذي يطلقه القرآن الكريم على أمراض الروح والعقل هو «إقفال القلب» وقد جاء هذا التعبير في القرآن مرّةً واحدة.

◘ إنّ ما يوجب أن يُقفل القلب هو الأغبرة التي تغطّي مرآة القلب نتيجةَ الانقياد إلى الأهواء، والنقطة الكامنة فيما يعبّر عنه بـ«القفل» هي: الانسداد الكامل لجميع مصادر المعارف العقلية والقلبية بواسطة هذه الحجب.

◘ التعبير الثامن لأمراض الروح والعقل والنفسية في القرآن الكريم هو «الموت». وهو تعبير يطلق فيما إذا كانت الأمراض الفكرية والروحية قد تسبّب فقدان الإنسان للمعارف العقلية والقلبية كليّاً.

◘ من النقاط المفيدة في القرآن الكريم والأحاديث الإسلامية فيما يخصّ حياة الإنسان أنّها تعرّف له ضربين من الحياة: حياة الجسم وحياة الروح، أو الحياة الحسّية والحياة العقلية.

◘ في نظر القرآن والحديث: أُولئك الذين ينحصر طريقهم للمعرفة في الحسّ فإنّ حياتهم حيوانية. وأمّا الذين يتمتّعون بالحياة الإنسانية فأُولئك الذين تنفتح أمامهم سُبل المعرفة العقلية والقلبية.

◘ يرى القرآن أنّ المواعظ الإلهية وكلام الأنبياء يؤثّر فقط في هداية المتمتّعين

بالحياة الإنسانية ليس إلّا.

◘ الفاقدون للحياة العقلية يعرًّفون في الأحاديث الإسلامية بصفة «الأموات الأحياء».

◘ إنّ ما يسلب الإنسان حياته العقلية هو عبادة الهَوى والهَوس وارتكاب الخطايا والآثام.

◘ موانع المَعرفة القلبية هي نفس موانع المعرفة العقلية، وعلاجها لايختلف عن علاج الأمراض العقلية أيضاً.

الفصل الثامن



# علاج مرض الفكر

إنّ أوّل مسألة تُطرح فيما يخصُّ مرض الفكر هي: هل أنّ هذا المرض هو في الأساس قابلٌ للعلاج أم لا ؟! وهل أنّ أمراض العقل والروح قابلة للعلاج أيضاً مثل الكثير من الأمراض الجسمية، أم أنّها غير قابلة للعلاج كبعض تلك الأمراض ؟!

إنّ جواب القرآن الكريم على هذا السؤال هو الإيجاب، شريطة ألّا يكون المرض مزمناً.

**الأمراض غير القابلة للعلاج**

إنّ أمراض العقل والروح قابلة للعلاج أساساً ما لم يتراكم صدأ الأعمال السيّئة بما يسبّب فساد جوهر قدرة الفكر، أمّا إذا ازداد هذا الصدأ حتّى أفسد جوهر مرآة العقل وتفاقم ميكروب الهوىٰ والهَوس في النفس حتّى يُبتلى الإنسان «بالطبع» و«الختم» وينتابه الموت العقلي فإنّ مرض الفكر يصبح في هذه الحالة غير قابل للعلاج، وليس في وسع أيّ حكيم روحاني أو أيّ طبيب نفساني أن يعالج هذا المريض.

لقد روي عن النبيّ الأكرم ﷺ في هذا المضمار حديث قد اتّفق محدّثو الشيعة والسنّة على مضمونه، وهذا نصّه:

إذَا أذْنَبَ العبدُ نُكِتَ في قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فإنْ تَابَ صُقلَ مِنْها، فإنْ عَادَ زَادَتْ حتَّى

تَعْظُمَ في قَلْبِه.[١]

لقد روي هذا الحديث عن طريق أهل السنّة. كما روي نفس المضمون عن طريق الشيعة عن النبيّ الأكرمﷺ وعلى هذا النحو:

إنَّ المؤمنَ إذَا أذنَبَ كانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ في قَلْبِهِ، فَإن تَابَ ونَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقلَ قلبُه منه، وإنْ زادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرينُ الذي ذَكَرَهُ اللهُ في كِتابه.[٢]

ففي هذا الحديث جرى تشبيه قلب الإنسان وذهنه وعقله بصفحة مرآة نقيّة صقيلة وضّاءة تقع عليها لأوّل عمل سيّئ نقطة سوداء مظلمة، فعندما يعتدي الإنسان على حقّ الآخر أو يكذب أو يأكل الحرام، أو قل عندما يقترف عملاً ينهاه العقل عنه؛ تحطُّ بُقعةٌ سوداءُ على صفحة القلب البيضاء، فإن ندم على الفور وتاب غسل ماء التوبة مرآة العقل وأزال الغبار عنها، وانمحت تلك البقعة السوداء بالتدريج من صفحة القلب، وعاد القلب شيئاً فشيئاً إلى حالته الأُولى، أمّا إذا عَمَدَ ـ مع عدم التوبة ـ إلى تكرار خطيئته السابقة أو ارتكب خطيئةً أُخرى فإنّ تلك النقطة السوداء تزداد بالتدريج وتزداد حتى تغطّي صفحة القلب كلّها، فإذا استولى السواد على القلب كلّه فإنّ مرآة القلب والحال هذه يتعذّر غسلها. وهنا يكون مرض الفكر غير قابل للعلاج، ويكون هلاك الإنسان أمراً قطعياً لا مفرّ منه، وكما قال الإمام الصادقعليه السلام:

إذَا أذْنَبَ الرَّجلُ خَرَجَ في قَلْبِهِ نُكتَةٌ سَوداءُ، فَإنْ تابَ انمَحَتْ، وإنْ زادَ زادَتْ حَتّىٰ تَغلِبَ عَلىٰ قَلبِهِ فلا يُفْلِحُ بَعدَها أبَداً.[٣]

إنّ هذا القبيل من الأفراد ـ الذين سيطر السّواد على قلوبهم تماماً ـ لايصلحون

---

١. المستدرك على الصحيحين: ج ١ ص ٤٥ ح ٦.

٢. روضة الواعظين: ص ٤٥٤.

٣. الكافي: ج ٢ ص ٢٧١ ح ١٣.

للهداية والإرشاد، وليس للأنبياء وتحذيرهم أدنىٰ أثر في توعيتهم وهدايتهم، ومن ثمّ فإنّ القرآن الكريم يخاطب الرسولﷺ في شأن أُولئك الأفراد بقوله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَايُؤْمِنُونَ﴾.[1]

لقد أوضحنا سابقاً أنّ أحد موانع المعرفة هو «الكفر المذموم»[2] فأُولئك الذين سلكوا طريق الكفر ـ أي اتّخذوا مسير العناد واللجاج والتعصّب طريقاً لهم في مقابل طريق الحقّ، وتوغّلوا فيه حتّى لم يعودوا قادرين على التراجع، وأصبح الكفر صفة دائمة فيهم ـ لاتجدي إنذارات الأنبياء فتيلاً لعودتهم من هذا الطريق الخطر، فهم على حدّ تعبير القرآن:

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَايَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾.[3]

فالكافرون لايتسنّى لهم إدراك إنذارات الأنبياء على حقيقتها؛ لأنّهم محرومون من الحياة الإنسانية، والإنذار إنّما ينذر الأحياء، وبقول القرآن:

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾.[4]

فالرسالة الإلٰهية والرسول لايفيدان أو يؤثّران إلّا فيمن لم تمُت عقولهم، ولم تنحصر معارفهم في المعارف الحسّية الحيوانية، أمّا أُولئك الذين ماتوا من الناحية العقليه فيشملهم هذا الخطاب في قوله سبحانه:

﴿إِنَّكَ لَاتُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.[5]

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَايَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَايُبْصِرُونَ﴾.[6]

---

١. البقرة: ٦.

٢. راجع: ص ٢٦٣ (الفصل الخامس: موانع المعرفة كما يراها القرآن).

٣. البقرة: ١٧١.

٤. يس: ٧٠.

٥. النمل: ٨٠.

٦. الأعراف: ١٩٨.

فلو أنّ الأنبياء ـ على سبيل الفرض ـ قد صمّموا على هداية الموتىٰ من الناحية العقلية لما أفلحوا، فآذان عقول هؤلاء لاتسمع، وعيون بصائرهم لاترىٰ، إنّ عيونهم الحسيّة سالمة، فهم يرَوْن الأنبياء ظاهراً، أمّا عيون عقولهم فعمياء، فليس في وسعهم مشاهدة الحقائق العقلية في الوحي الإلٰهي والرسالات السماويّة. والقرآن يصف أُولئك الموتى العقليّين بقوله:

﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾.[1]

هذه الآيات تشير إلى أنّه عندما يتراكم غبار السيّئات على مرآة الفكر، يُبتلى الإنسان بالموانع الدائميّة للمعرفة، وتنسلب القدرة منه على معرفة الحقائق العقلية والقلبية بصورة تامّة، فلا يعود في إمكانه فهمَ الحقيقة، لا أنّه يقدر على فهمها ولا يفهم.

وفي هذه الحالة ليس هناك إلّا سوط الموت الذي يقدر على رفع موانع المعرفة ويخرج سكرة الهوىٰ والهَوس من رأس الإنسان وينبّهه.

ففي عالم ما بعد الموت عندما تُرفع الحجُب عن عين العقل يرى الإنسان نفسه مواجهاً بحقائق كان غافلاً عنها، يُخاطبُ بقوله تعالى:

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَـٰٓءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.[2]

وهناك عندما تنكشف الحجُب وتظهر الحقائق يتضرّع المجرمون إلى الله تعالى أن يُعيدهم إلى الحياة الدنيا حتّى يتداركوا ما سلف منهم. ويصوّر القرآن الكريم هذا المشهد على النحو التالي:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾.[3]

---

١. هود: ٢٠.

٢. قٓ: ٢٢.

٣. السجدة: ١٢.

ولكن لات ساعة مندم، حيث لايجدي الندم يوم القيامة.

هذا، وفي سورة الإسراء مشهدٌ يصوّر محشر الذين فقدوا عين العقل وأُذنه في هذا العالم على هذا النحو:

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾.[1]

وما يسترعي الانتباه في هذه الآية هو أنّ من كانت عيون عقولهم في هذه الدنيا عمياء وآذان قلوبهم صمّاء يُحشرون بوجوه عيونها عمياء وآذانها صمّاء وألسنتها بكماء على عكس ما كانوا عليه في الدنيا.

إنّ هؤلاء كانوا قبل موتهم يبصرون ويسمعون على الظاهر ولكنّهم كانوا عمياً وخرساً في الواقع، أمّا في القيامة وعالم ما بعد الموت فحالهم تكون على النقيض من ذلك، فقد صاروا في الواقع يبصرون ويسمعون:

﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾.[2]

لكن وجوههم الظاهرة تُحشر عمياء بكماء صمّاء، بما لم يروا الحقّ ولم يستمعوا كلامه ولم يقرّوا به في الحياة الدنيا.

وعندما يعترض أحدهم على الله تعالىٰ:

﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾.[3]

يأتيه الجواب بقوله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾.[4]

## الأمراض القابلة للعلاج

لقد أوضحنا حتّى الآن أنّه إذا كان مرض الفكر سبباً في الظلمة المطبقة لمرآة القلب

---

١. الإسراء: ٩٧.

٢. السجدة: ١٢.

٣. طه: ١٢٥.

٤. طه: ١٢٦.

وباعثاً لموت الفكر فلا يمكن علاجه في هذه الدنيا. ونريد الآن أن نوضّح أنّ أمراض الفكر مادامت لم تصل إلى ذلك الحدّ من التفاقم، فهي قابلة للعلاج.

وفي مجال علاج الأمراض العقلية من وجهة نظر الإسلام هناك مسألتان جديرتان بأن تطرحا على بساط البحث:

المسألة الأُولى هي: من هو طبيب أمراض العقل والروح؟

المسألة الأُخرى هي: ما هو دواء أمراض العقل والروح؟

## طبيب أمراض العقل والروح

أوّل مسألة في خصوص علاج أمراض الفكر هي العثور على الأطبّاء الأخصّائيّين في هذه الأمراض، ممّن تكون مراجعتهم واستعمال ما يرتأُونه مناسباً من دواء سبباً لأن يستعيد المريض سلامة فكره ونفسه.

هؤلاء الأطبّاء في رأي الإسلام هم الأنبياء، وليس إلّا الرسل الإلٰهيّون من يختصّون بذلك. فليس في وسع أيّ أخصّائي في علم النفس كائناً من كان أن يعالج أمراض الإنسان الفكرية والنفسية.

لقد وصف الإمامُ عليّ عليه السلام الرسولَ الأكرم صلى الله عليه وآله بأنّه:

طبيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّه... مُتَتَبِّعٌ بِدَوائِه مَواضِعَ الغَفْلَةِ ومَواطِنَ الحَيْرَةِ.[١]

فالإمام في كلامه هذا يصف رسل الله بأنّهم الأطبّاء المتخصّصون في علاج الأمراض الفكرية والنفسية الذين لاينتظرون حتّى يراجعهم المريض، بل إنّهم ليحملون أدويتهم ووسائلهم الطبيّة ويدورون باحثين عن المرضىٰ.

فهمُ الذين يستأصلون موانع المعارف العقلية والقلبية ويزيلون غبار الهوىٰ والهَوس عن مرآة الفكر بعملية جراحية نفسانية دقيقة فائقة، وبهذا ينتشلون جوهر

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٠٨.

العقل المتلألئ من مستنقع الشهوة ويجلون سراج الفكر الوضّاء من حُجب أدخنة الهوىٰ والهَوس. ومن ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام آخر له عن فلسفة بعث الأنبياء:

وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفائِنَ العُقُولِ.[1]

يعني أنّ أحد الأسرار في بعث الأنبياء والرسل هو انتشال العقول المدفونة، هذا لأنّهم عليهم السلام بعلاج أمراض الفكر واستخراج جوهر العقل وإضاءة سراج الفكر يخرجون الناس من ظلمات موانع المعرفة وحُجب الهوىٰ والهَوس، ويدخلونهم إلى عالم الإشراق والنور حيث تتجلّى حقائق الوجود كما هي. ولذا نرى القرآن الكريم يقول حول فلسفة بعث موسى عليه السلام:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.[2]

كما جاء في فلسفة القرآن ونبوّة الرسول صلى الله عليه وآله:

﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.[3]

وهذا النور ليس نوراً حسّياً، فالرسل لم يبعثوا لاختراع الكهرباء أو تغيير موارد النور المحسوس، فهذا العمل لايخصّ الأنبياء بل إنّ كلّ الناس قادرون عليه. أمّا ما جاء الأنبياء من أجله وليس في وسع باقي الناس القيام به فهو التنوير والإشراق العقلي، وهذا أحد أهمّ الأسرار الأساسية في بعث الأنبياء.

### دواء أمراض العقل والروح

المسألة الأُخرىٰ في مجال علاج أمراض الفكر هي أنّ دواء هذه الأمراض ما هو؟ وبأيّ دواء يعالج الرسل الإلهيّون هذه الأمراض باعتبار أنّهم المتخصّصون

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١.

٢. إبراهيم: ٥.

٣. إبراهيم: ١.

في علاجها؟

### أ ـ الوحي

إنّ دواء الفكر في منظار القرآن الكريم هو «الوحي» والأنبياء يعالجون المبتلين بالأمراض الفكريّة والروحية بهذا الدواء:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾.[1]

فالدليل الواضح والدواء الناجع الشافي الذي يُبْرئ الإنسان من الأمراض الباطنية والفكرية والنفسية هو الوحي[2]. والأنبياء ومَن تتلمذ عليهم في الطبّ هم القادرون فقط على معالجة أُولئك المرضىٰ، ولا يتعافي من هذه الأمراض إلّا المرضى الذين يتّبعون وصايا الأنبياء ويستعملون دواء الوحي، وبقول أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخاطب الأجيال القادمة في تاريخ الإسلام:

اعلَموا أنّكم إن اتَّبعتُم طالِعَ المَشْرِقِ سَلَكَ بِكُم مَناهِجَ الرسولِ صلى الله عليه وآله فَتَداويْتُمْ مِنَ العمَى والصَمَم والبَكَم.[3]

إنّ المخاطبين بهذا الكلام همُ الناس في عهد ظهور صاحب العصر والزمان أرواحنا فداه، كما يمكن أن يكون خطاباً للناس في عصرنا الحاضر أيضاً. فالإمام في هذا الكلام يشير إلى إمامٍ زعيمٍ قائدٍ يطلع في مستقبل التاريخ الإسلامي من المشرق طلوع الشمس بدواء أمراض البشر العقلية، فيداوي الناس فتصبح عيون بصائرهم مبصرة، وآذان عقولهم سميعة، وألسنتهم بالإقرار بالحقّ ناطقة، وبرفع موانع المعرفة وإضاءة سراج الفكر، يسير بالناس في الطريق الذي دعا إليه نبيّ الإسلام والأنبياء جميعاً، طريق الله، ومسيرة الوصول إلى سعادة الدنيا

---

١. يونس: ٥٧.

٢. راجع: ميزان الحكمة: الباب ٣٣٥٠.

٣. الكافي: ج ٨ ص ٦٦ ح ٢٢.

والآخرة.

**ب ـ البلاء والمصائب**

هناك ـ في نظر القرآن ـ إلى جنب دواء الوحي الذي يعتبر العلاج الأساسي للأمراض العقلية دواء آخر مسكّن يساعد على علاجها، وهو البلاء ومشاكل الحياة وحوادثها المريرة، لهذا كان الله سبحانه وتعالى عندما يرسل الأنبياء لعلاج هذه الامراض يصيب المبتلين بها بالشدائد، حتّى تنكشف عنهم حُجب الفكر ولو بصورة مؤقّتة، ليدركوا رسالة الأنبياء التي تهبهم الانعتاق والسعادة، وفي هذه المناسبة يقول القرآن الكريم:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾.[1]

هذا على أنّنا قد بحثنا سابقاً بصورة مفصّلة في هذا الصدد وأنّ ضغط الحياة ومصائبها هي أحد الأدوية التي تجلي مرآة العقل. فمن أخطأ وسلك الطريق الخطأ يفيق إذا ما اصطدم رأسه بصخرة المصائب، ومن ثَمّ كانت مشاكل الحياة ومصائبها من النِعَم الإلٰهية الكبيرة لدى البُرَآء من موانع المعرفة الدائميّة.

---

١. الأعراف: ٩٤.

## الخلاصة

◙ إنّ أمراض الفكر إذا قضت على الحياة العقلية للإنسان تصبح غيرقابلة للعلاج.

◙ إنّ نفس الإنسان صفحة بيضاء تظهر فيها نقطة سوداء عند الإتيان بأول سيّئة، فإن ندم وتاب انمحت هذه النقطة، وإن أصرّ وداوم ازداد ذلك السواد حتّى غطّى الصفحة كلّها.

◙ إذا استغرق السواد القلب كلّه انتهت الحياة العقلية في الإنسان.

◙ ليس في مقدور أيّ نبيّ أن يشفي فكر من استغرق السواد قلبه وقضىٰ على حياته العقلية، أو أن يهديه.

◙ اُولئك الذين أدّى ابتلاؤهم بأمراض الفكر في الدنيا إلى عمى عيون عقولهم وصمَم آذان قلوبهم هم في القيامة مبصرون سميعون، مهطعون نادمون. وترىٰ وجوههم الظاهرة عمياء صمّاء بكماء حينما يتضرّعون إلى الله كي يعيدهم إلى الدنيا ليتداركوا مافاتهم.

◙ إذا لم تؤدّ أمراض الفكر إلى اسوداد القلب بكامله، ولم تقض على حياة الإنسان العقلية، فهي قابلة للعلاج.

◙ إنّ الأنبياء هم الأطبّاء الأخصّائيون في علاج أمراض العقل والروح، وليس في وسع علماء النفس معالجة الأمراض العقلية والنفسية في الإنسان.

◙ إنّ الأنبياء هم أطبّاء يتّبعون المرضىٰ بأنفسهم، وبمعالجتهم للأمراض الفكرية وتنويرهم لعقول الناس يُخرجونهم من ظلمات موانع المعرفة ويدخلونهم إلى عالم النور حيث تتجلّى الحقائق كما هي.

◙ إنّ الوحي دواء الأمراض الفكرية الذي يعالج به الأنبياءُ الإنسانَ من أمراضه الفكرية والنفسية.

◙ إلى جنب دواء الوحي ـ الذي هو العلاج الأساسي للأمراض العقلية ـ هناك في نظر القرآن دواء آخر مسكّن هو البلاء من شأنه أنّه يبصّر عيون العقول بصورة مؤقّتة فيمن لم يفقدوا الحياة الإنسانية.

# القسم الرابع

# شرائط المعرفة

المدخل

الفصل الأول شرائط الحصول على المعرفة

الفصل الثاني طرق تحصيل شرائط المعرفة

# المَدخَلُ

المعرفة طاقة التكامل الماديّ للإنسان ورُشده المعنوي، وتوجد منابعها في أعماق وجود الإنسان، وباستطاعة الإنسان أن يستفيد منها فيما إذا اطّرحَ موانعها جانباً ووفّر الشروط اللازمة لذلك.

لقد تبيّن من البحوث السابقة أنّ وسائل المعرفة عبارة عن: الحسّ، والعقل، والقلب، وهذه الوسائل كامنة وخفية في وجود الإنسان، ومنها تصدر جميع معارف الإنسان ومعلوماته. كما علمنا أيضاً أنّ لكلٍّ من هذه الوسائل مايناسبه من الموانع التي يلزم إزالتها لتحقّق الاستفادة منها.

أمّا موضوع بحثنا في هذا القسم من مباحث علم المعرفة فهو شرائط المعرفة. بمعنى أنّنا نريد أن نثبت أنّ المعرفة تلزمها ـ فضلاً عن رفع موانعها ـ شرائط، لاتتحقّق المعرفة من دونها.

بعبارة أُخرى: إنّ مجرّد وجود المنابع الطبيعية للمعرفة في الإنسان لايحقّق له الفائدة المرجوّة منها، كما أنّ مجرّد رفع الموانع منها لايكفي لذلك، بل إنّ هناك ـ بالإضافة إلى رفع الموانع ـ شرائط ضروريّة للإنسان ليتمكن من إدراك حقائق الوجود إدراكاً صحيحاً، وأن يؤمّن هذا الإدراك طاقةً لحركته التكاملية.

### شرائط المعرفة الحسّية

إنّ شرائط المعرفة ـ كموانع المعرفة ـ نبدأها من الحسّ أيضاً.

فكما لايتسنّى الإحساس والإدراك لأيٍّ من الحواسّ مع وجود المانع، كذلك لايتسنّىٰ الإحساس بشيء مع فقدان الشرائط وإن لم يوجد المانع. فَالعينُ مثلاً ـ إضافة إلى عدم وجود المانع ـ تحتاج أيضاً إلى النور لكي ترى، فالنور والإضاءة شرط في رؤية العين، وما لم يتحقّق هذا الشرط لايتمكّن الحسّ البصري من إيفاء دوره في تحقيق المعرفة.

وهكذا سائر الحواسّ أيضاً. فبإمكانها أن تكون أسباباً للمعارف الحسّية إذا لم يعترضها مانع، مع تحقّق الشرط أو الشرائط اللازمة لذلك.

على أنّه لاضرورة لبسط القول في شرائط المعارف الحسّية. فما يعنينا هنا هو بيان شرائط المعرفة العقلية والقلبية.

## حاجة المعارف العقلية إلى النور

كما أنّ عين الحسّ تحتاج في معرفة المحسوسات إلى النور وأنّ وجود النور شرط للرؤية الحسّية، فإنّ عين العقل والقلب أيضاً تحتاج في معرفة المعقولات إلى النور والاستنارة. والسراج الذي يمكن أن يمدَّ عينَ العقل والقلب بالنور لابدّ من أن يتناسب مع هذه العين. كما أنّ ضوء هذا السراج لا يمكن إدراكه بعين الحسّ.

وهنا تلوح أمامنا ثلاثة أسئلة:

السؤال الأوّل: بأيّ دليل نُثبت أنّ العقل محتاج إلى النور لمعرفة الحقائق؟

السؤال الثاني: ما هو هذا السراج الذي يُنير عين العقل وبدونه لاتستطيع أن ترى الحقائق أو تهدي الإنسان إلى طريق تكامله؟

السؤال الثالث: أيوجد في نظام الخلق سراجٌ يمكنه أن يُنير عين العقل أم لا؟

والجواب عن هذه الأسئلة بالإجمال هو:

إنّ السراج الذي يهَبُ عين العقل نورَها هو سراج الوحي، ولايتأتّى للعقل مطلقاً أن يعرف حقائق الوجود كما هي، أو أن يرشد الإنسان إلى طريق تكامله من دون

الاستفادة من هذا السّراج، والباري الذي برأ الشمس والأنوار التي تستمدّ منها لتنير عين الحسّ وجعلها في قلب الطبيعة شرطاً للمعرفة الحسّية هو من هَـيّأ سـراج الوحي والأنوار التي تستمدّ منه لتنير عين العقل أيضاً.

فكما أنّ العين لاتميّز بدون نور الشمس بين سواء الطريق والبئر، فالعقل لايميّز دون الاستعانة بنور الوحي بين طريق التكامل والسعادة وبئر الضلال والهلاك أيضاً.

وسيأتي تفصيل هذا البحث في بحث النبوّة العامّة وفلسفة الوحي، لكـن الذي يستحقّ التدقيق في مبحث شرائط المعرفة مسألتان:

الأُولى: ما هي شرائط معرفة الحقائق العقلية في نظر القرآن؟

الثانية: كيف يمكن للإنسان أن يحصل على شرائط المعرفة؟

وقد جعلنا هاتين المسألتين محلّاً للبحث ضمن فصلين.

## الفصل الأوّل

# شرائط الحصول على المعرفة

إنّ شرط المعرفة العقلية ـ في نظر القرآن الكريم ـ كشرط الرؤية الحسّية هو الخروج من الظلمات إلى النور، وإن تفاوتَت هاتان الرؤيتان معاً من حيث الحقيقة، وتفاوتت الظلمات والنور.

وهذا هو الشرط الأساسي للمعارف العقلية وإليه تعود سائر الشرائط. فمن منظار القرآن أنّ السبب في عدم صحّة الرؤية الكونية لدىٰ البعض من الناس والأمر الذي يدعوهم إلى تكذيب دلائل التوحيد البيّنة القطعية هو أنّهم مغمورون بالظلمات بما لايسمح لعيون عقولهم برؤية الحقائق العلمية:

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّـلُمَـٰتِ﴾.[1]

وفي سورة النور مَثَلٌ تَضَمَّن تصويراً للحياة الظلمانية الموحشة المفزعة التي يعيشها من غمرت الظلمات عيون عقولهم وحرموا من رؤية الحقائق العقلية، على هذا النحو:

﴿أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَـٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾.[2]

---

١. الأنعام: ٣٩.

٢. النور: ٤٠.

وفي هذا المَثَل تشبيهٌ لمن يعيشون في ظلمةٍ عقلية ؛ أُولئك المحرومين من النور المعنوي ، بأفرادٍ جُلوسٍ في سفينة تبحر في ليلةٍ ليلاء في بحرٍ عميق الغور ، ويموج البحر فتفقد السفينة تعادلها لتلاطم الأمواج الصاخبة كالجبال ، فهم يتوقّعون في كلّ لحظةٍ طغيان الموج على السفينة ومَن فيها فيلقيهم إلى قاع البحر ، وهناك إلى جانب ظلمة الليل السُحُب السوداء المخيّمة على البحر والتي تحجُبُ وراءها نور القمر والنّجوم ، فتُهيمن الظلمة بدياجيرها المطبقة على الجلوس ، حتّى لو أنّ أحدهم وضع يده أمام عينيه لم يكد يراها .

ثمّ يردف القرآن الكريم بعد ذكر هذا المَثَل بقوله تعالى :

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾.[١]

يعني هذا مَثَل المحروم من نور مشعل الهداية الإلٰهية الوضّاء ، ومَن لم يقيض اللهُ له نوراً فهو هكذا مبتلىً في مسير حياته بظلماتٍ مهولة كهذه.[٢]

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو : ما هو المصباح أو المصابيح التي خلقها الله لتستضيء بها عين العقل ؟

## المصابيح التي تنير عين العقل

يجيب القرآن الكريم بأنّ هناك في نظام الوجود ثلاثة مصابيح لإنارة عين العقل هي : مصباح الوحي ، ومصباح الإمام ، ومصباح البصيرة .

فالقرآن يرى أنّ الخالق ـ الذي خلق مصباح الشمس لتستنير به عين الحسّ ـ قد أظهر أيضاً مصباح الوحي حتّى تستنير به عين العقل. وكما أنّ سائر المصابيح التي تنير عين الحسّ ـ عدا الشمس ـ كلّها تستمدّ نورها من شعاع الشمس ، فكذلك سائر المصابيح التي تنير عين العقل ـ عدا الوحي ـ تستمدّ نورها من شعاع الوحي .

---

١. النور : ٤٠.

٢. عُرضت هذه الحقيقة في صورة مَثَل في آيات أُخرى أيضاً ؛ كالآيتين الثامنة والتاسعة من سورة يسٓ .

إنّ مصباحي الوحي والإمام ينيران عيني العقل والقلب من الخارج، ومصباح البصيرة يمدّ عين العقل من داخل النفس، وفي الحقيقة أنّ شروط المعرفة العقلية والقلبية في الرؤية القرآنيّة هي الاستفادة من هذه المصابيح والاستنارة بها، بعد رفع موانع المعرفة.

وعليه، سنبدأ بمصباح الوحي باعتباره أصل شروط المعرفة العقلية والقلبية وأوّلها في نظر القرآن، ثمّ نأتي على سائر المصابيح التي تستمدّ نورها من هذا المنبع.

## مصباح الوحي

عُرّف الوحي في القرآن الكريم والأحاديث الإسلامية ـ والذي يُعتبر رسالة رُشد الإنسان وتكامله ـ بأنّه مصباح ينير عين العقل، والله تعالى يخاطب النبيّ ﷺ بقوله:

﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.[1]

بناءً على هذه الآية يكون النبيّ ﷺ قد عُهدت إليه مهمّة إنقاذ الناس بواسطة هذا الكتاب من الظلمات والوصول بهم إلى النور، وعليه، فالقرآن يقرّر أنّ المصباح الذي ينير عين العقل ويُخرج الناس من ظلمات الضلال والضياع ويوردهم موارد استنارة الهداية والسعادة هو كتاب الله والوحي.

وهكذا يقول في آيةٍ أُخرى:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾.[2]

---

١. إبراهيم: ١.

وقد تكرّر هذا المعنى في الآية (١١) من سورة الطلاق، والآية (٩) من سورة الحديد، كما جاء في الآية (٥) من سورة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا موسَىٰ بآياتِنَا أن أخْرِجْ قومَكَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّور﴾.

٢. النساء: ١٧٤.

كما يقول في آية أُخرى:

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ﴾.[١]

كما تكرّر التعبير عن الوحي في الأحاديث والروايات الإسلامية أيضاً بـالنور والضياء؛ النور الذي لايقبل الرؤية إلّا ببصيرة القلب، وأصحاب القلوب المبصرة هم الذين يشاهدون هذا النور.

فالإمام عليّ عليه السلام في الخطبة القاصعة، يتكلّم عن مشاهداته الغيبيّة في مستهلّ بعثة الرسول صلى الله عليه وآله ويصرّح بقوله:

أرىٰ نورَ الوحي والرسالة.[٢]

وقد نستفيد من هذا الكلام أنّ الوحي مصباح وضّاء، إلّا أنّ رؤية نور الوحي قَصْرٌ على أمثال الإمام عليّ عليه السلام من أصحاب القلوب المبصرة.

ويصف النبيّ صلى الله عليه وآله القرآن ـ رسالةَ هداية الإنسان ورُشده والوحي الإلٰهي ـ بقوله:

فيهِ مَصابيحُ الهُدىٰ ومَنارُ الحِكْمَة.[٣]

وقال الإمام عليّ عليه السلام في نفس المقام:

جعَلَه اللهُ... نوراً ليسَ معَه ظلمة.[٤]

وقال عليه السلام في كلامٍ آخر له:

أفضل الذكر القرآن، به تُشرَحُ الصُّدورُ وتستنير السرائر.[٥]

---

١. المائدة: ١٥.

وهناك آيات أُخرى يعبّر فيها عن الوحي بـالنور، مثل: الأعراف: ١٥٧، المائدة: ٤٤ و ٤٦، الأنعام: ٩١، التغابن: ٨.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

٣. الكافي: ج ٢ ص ٥٩٩ ح ٢.

٤. نهج البلاغة: الخطبة ١٩٨.

٥. غرر الحكم: ح ٣٢٥٥.

كما أنّ الإمام الحسن المجتبىعليه السلام يقول عن نورانية القرآن:

فيه مصابيحُ النور وشفاءُ الصدور.[١]

ومن ثَمَّ جاء هذا الدعاء الذي هو من أدعية النبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله:

اللّهم نَوِّرْ بكتابكَ بَصَري.[٢]

ودعاء أمير المؤمنينعليه السلام أيضاً عند ختم القرآن:

اللّهم... نَوِّرْ بالقرآن بصري.[٣]

فالعين التي تستضيء بالقرآن والوحي الإلٰهي ليست عين الحسّ، إنّما هي عين العقل والقلب. وعليه، يمكن أن نستنتج من الآيات والروايات الآنفة الذكر أنّ الوحي أحد المصابيح التي خلقها الله لإنارة عين العقل وكما أنّه بانعدام شعاع الشّمس تعجز عينُ الحسّ عن إدراك الحقائق الحسّية فلا يميّز الطريق السويّ من البئر، فكذلك إذا غاب نور الوحي تعجز عينُ العقل عن إدراك الحقائق العقلية وعن إرشاده إلى طريق الهداية والسعادة.

واختلاف الأديان وذهاب كلّ قومٍ أو ملّةٍ أو جماعةٍ أو حزبٍ أو منظّمةٍ إلى عرض برنامجٍ أو نظامٍ لحياة الإنسان وطريقٍ لسعادته وتكامله بالنحو الذي يروق لها، إن دلَّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ عين العقل وحدها لاتستطيع بدون مصباح الوحي أن ترى الحقيقة كما هي، أو ترشد الإنسان إلى طريق النجاة بصورة كاملة.

## مصباح الإمام

إنّ وجود الإمام مصباحٌ منيرٌ، وهو في منظار القرآن والحديث مصباحٌ آخر من المصابيح التي تنير عين العقل طبقاً لنظام الخلق.

---

١. نزهة الناظر: ص ١١٦ ح ٢١٣.

٢. قرب الإسناد: ص ٥ ح ١٦.

٣. مصباح المتهجّد: ص ٣٢٣ ح ٤٣١.

فمن هو الإمام؟ وكيف يصبح الإنسان إماماً؟ وكيف ينير الإمامُ عينَ العقل؟

والجواب عن هذه الأسئلة سوف يتّضح عند الخوض في بحث فلسفة الإمامة إن شاء الله. وما هو جدير بالذكر هنا بالإجمال أنّ:

الإمام مثال عينيٌّ للوحي. فالوحي يكون حيناً في صورة رسالة، وفي حينٍ آخر يتعيّن ويتشخّص، و تعيّنه هو أن يتحقّق ويتجلّىٰ في وجود إنسان، فعندما تتحقّق الرسالة الإلٰهية والتي هي رسالة رُشد وتكامل الإنسان وتتجلّى في وجوده، تتفتّح فيه الاستعدادات الإنسانية، ويصبح الآدمي مثالاً عينياً للوحي، ويصبح وحياً مجسّماً، أو تجسيداً للوحي وقرآناً ناطقاً.

الإمام هو مَن يتعيّن مصباح الوحي في وجوده، وهو مَن قد صارت ذاته مصباحاً عينياً للوحي، لهذا يصف القرآن الكريم النبيّ ﷺ ـ وهو أكمل مَثَل للوحي، وأرفع إنسانٍ، وإمام الأئمّة ـ بأنّه «سراج منير»:

﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّـآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾.[1]

على أنّ ما يسترعي الانتباه هنا هو أنّ القرآن لايقول: إنّ النبيّ يحمل في يده مصباحاً لهداية الناس، وإنّما يقول: إنّ النبيّ ذاته مصباحٌ منير.

والإمام عليّ عليه السلام يقول في وصف النبيّ الأكرم ﷺ أيضاً:

سِراجٌ لَمَعَ ضَوؤُهُ، وشَهابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ.[2]

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام في بيان مقام إمامته أيضاً:

إنَّما مَثَلي بَينَكُم كَمَثَلِ السِّراجِ فِي الظُّلْمَةِ.[3]

---

١. الأحزاب: ٤٥ و٤٦.

٢. نهج البلاغة: الخطبة ٩٤.

٣. نهج البلاغة: الخطبة ١٨٧.

ونقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة:

السَّلامُ عَلى أئمَّةِ الهُدىٰ ومَصابِيحِ الدُّجىٰ.[١]

فقد وصف الإمام في هذه العبارات بأنّه السراج أو المصباح الذي ينير عين العقل، وأنّ الإنسان محتاج ـ لكي يعرف الحقائق العقلية ويهتدي إلى طريق رُشده وتكامله ـ إلى الاستفادة والاستضاءة من هذا المصباح.

ويروي أبوخالد الكابلي روايةً عن الإمام الباقر عليه السلام، فيها يتّضح هذا المعنى بصراحةٍ أكثر، فبعدما يفسّر الإمام عليه السلام كلمة «النور» في الآية الكريمة: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِى أَنزَلْنَا﴾[٢] بأنّها أئمّة بيت الرسالة، يقول عليه السلام:

وَاللهِ يا أبا خالِدٍ، لَنورُ الإمامِ في قُلُوبِ المُؤمِنينَ أنوَرُ مِنَ الشَّمسِ المُضِيئَةِ بِالنَّهارِ، وَهُمْ وَاللهِ يُنَوِّرونَ قُلُوبَ المُؤمِنينَ، ويَحجُبُ اللهُ عَزَّوجَلَّ نُورَهُم عَمَّن يَشاءُ، فَتُظلَمُ قُلُوبُهُم.[٣]

فالاستفادة من مصباح وجود الإمام والاستضاءة به تعني العثور على طريق التكامل في ضوء هُداه، واتّباع طريق سلَكَهُ هو حتّى بلغ قمّة الكمال.

بعبارة أُخرى: إنّ الإمام هو مَن باستقراره على أوج قمّة التكامل الإنساني قد صار مصباحاً للسالكين طريقَ الكمال، وعلى كلّ من أراد أن يحظى بقبسٍ من هذا المصباح وأن يكتمل أن يتبع الطريق الذي سلكه الإمام. وهنا يتجلّىٰ أمامنا «خطّ الإمام»، فخطّ الإمام يعني نهج من تعيَّن الوحي في وجوده، فنهجه وخطّه نهج الوحي وطريق الكمال، وعلى مَن أراد أن يتحرّك في هذا الخطّ ولاينحرف أن يقتفي خطوات الإمام، ومن ثمَّ جرى التعبير عن الإمام بأنّه «الصراط» و «السبيل».

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢ ص ٢٧٣ ح ١.

٢. التغابن: ٨.

٣. الكافي: ج ١ ص ١٩٤ ح ١.

وفي دعاء الندبة بعد آيات تشير إلى إمامة أهل البيت عليهم السلام نصل إلى قوله:

فَكانُوا هُمُ السَّبِيلَ إلَيكَ والمَسلَكَ إلىٰ رِضوانِكَ.

## مصباح البصيرة

البصيرة إشراقٌ ونورٌ خاصّ يظهر في أعماق نفس الإنسان نتيجة استضاءته بمصباح الوحي والإمام، وبعبارة أُخرى: إنّ مصباح الوحي ومصباح وجود الإمام مقدّمتان لإشراق مصباح البصيرة في عمق وجود الإنسان.

ومساعي جميع الأنبياء والتابعين الصادقين لهم إنّما تُبذل حتّى يشرق هذا المصباح وينير باطن نفس الإنسان وروحه فيرى الوجود كما هو، وينتخب طريق الحياة كما ينبغي.

والقرآن الكريم يعقد مقارنة ملفتة للنظر بين من تتنعّم نفوسهم بمصباح البصيرة وبين الفاقدين لهذا المصباح، الهائم فكرهم في الظلمات المعنوية، فيقول:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِى بِهِ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾.[1]

أي إنّ الناس طائفتان، الطائفة الأُولى: من اجتازوا الحياة الحيوانية حتّى بلغوا الحياة الإنسانية. والطائفة الأُخرىٰ: أُولئك الذين يفتقرون إلى الحياة الإنسانية.

فالذين بلغوا الحياة الإنسانية يتمتّعون بنورانية ورؤية إلٰهية مشرقة ينفردون بها، ويعرفون كيف ينبغي أن تكون حياتهم. وعلى العكس منهم، مَن فقدوا حياتهم الإنسانية وفكرهم غارق في الظلمات المطلقة، ولأنّهم لايرون الحقيقة لايعرفون طريق الرشد والسعادة، ولاكيف ينبغي أن يعيشوا حياتهم.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء له:

---

١. الأنعام: ١٢٢.

وَهَبْ لي نوراً أمشي بِهِ في النّاسِ، وأهتَدِي بِهِ في الظُّلُماتِ، وأستَضِيءُ بِهِ مِنَ الشَّكِّ والشُّبهاتِ.[١]

فلو أنّ مصباح البصيرة الإلٰهية كان في متناول الفكر لما أخطأ الإنسان في آرائه وأفكاره، ولم يكن يشكّ أو يتردّد في المسائل العقائدية. ولمّا كانت النورانية في القيامة والحياة بعد الموت انعكاساً لنورانية بصيرة الإنسان في هذا العالم، فإنّ المتزوّدين بمصباح البصيرة في هذا العالم هم المتنوّرون في مشهد القيامة أيضاً.

فلاشمس ولا قمر ولا كواكب ولا سراج ينير ظلم يوم القيامة، وإنّما ينيره إشراق مصباح النفس الإنسانية، إنّه نور البصيرة، وهو ما يظهر في ذلك اليوم؛ يوم يمشي كلٌّ بنوره ويهتدي به في ذلك الظلام المطلق.

والقرآن الكريم يشير إلى مآل كلٍّ ممّن يستضيئون يوم القيامة بمصباح نورهم الباطني ومن حرموا هذا النور بقوله:

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم... يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا﴾.[٢]

وقال الإمام الصادقعليه السلام في تفسير هذه الآية:

إنَّما المُؤمِنونَ يَومَ القِيامَةِ نُورُهُم يَسعىٰ بَينَ أيدِيهِم وبِأيمانِهِم حَتّىٰ يَنزِلُوا مَنازِلَهُم مِنَ الجِنانِ.[٣]

وروى عبد الله بن مسعود عن النبيّ الأكرمصلى الله عليه وآله حديثاً مفاده: إنّ الله سبحانه وتعالى في القيامة يجعل لكلّ إنسان بقدر عمله نوراً؛ يعني أنّ كلّ إنسان له نورٌ

---

١. الصحيفة السجادية: ص ٩٥، الدعاء ٢٢.

٢. الحديد: ١٢ و ١٣.

٣. تفسير القمّي: ج ٢ ص ١٠٦.

وإشراق في القيامة بمقدار استنارته في هذا العالم من مصباح الوحي واستفادته من شمس وجود الإمام، حيث يقولﷺ:

**فَمِنْهُم مَنْ يُعْطَىٰ نُورَهُ مِثلَ الجَبَلِ العَظِيمِ يَسْعَىٰ بَيْنَ يَدَيْهِ، ومِنْهُمْ مَنْ يُعْطَىٰ نُورَه أصْغَرَ مِنْ ذلك.**

فمن رجحت موازينهم بالصالحات القيّمة سطع من ذواتهم في ظلمات القيامة نور كأنّه جبل عظيم من النور يتلألأ ويتحرّك أمامهم، ومن كانت أعمالهم أقلّ قيمة فإنّ النور الذي يسطع من ذواتهم يكون أصغر وأقلّ. قال النبيّﷺ:

**ثُمَّ يَقولُ ـ يَعني الرَّبّ تبارك وتعالى ـ: اِرفَعُوا رُؤوسَكُم، فَيَرفَعُونَ رُؤوسَهُم فَيُعطِيهِم نُورَهُم عَلىٰ قَدرِ أعمالِهِم، فَمِنهُم مَن يُعطىٰ نُورَهُ مِثلَ الجَبَلِ العَظِيمِ يَسعىٰ بَينَ يَدَيهِ، ومِنهُم مَن يُعطىٰ نُورَهُ أصغَرَ مِن ذلِكَ، ومِنهم مَنْ يُعْطَىٰ مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمينِهِ، ومِنْهُمْ مَنْ يُعْطَىٰ نوراً أَصْغَرَ مِنْ ذلكَ، حَتّىٰ يَكُونَ رَجُلاً يُعطىٰ نُورَهُ عَلىٰ إبْهامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً ويُطْفَأُ مرَّةً.**[1]

وعلى هذا فإنّ المؤمنين في ضوء نور أعمالهم الذي أحاط بذوات أنفسهم يتّجهون إلى حيث ينبغي أن يتوجّهوا، أمّا المحرومون من هذا النور مَنْ يطلق عليهم القرآن صفة المنافقين والمنافقات، فعندما يشاهدون المؤمنين من بعيد مواصلين سَيرهم على طريقهم في نورهم يصيحون: أن اصبروا حتّى نلحق بكم ونستفيد من إشراقكم ونستضيء، ولكنّهم يسمعون الجواب: أن ارجعوا إلى الوراء ـ أي إلى الدنيا ـ وهناك ابحثوا عن النور. إنّ هذا النور نور العمل ولايقبل الانتقال إلى الغير، وهو لاينفكّ عن ذواتنا، ولقد كسبناه من عالم ما قبل الموت الذي خلفناه، فإن كنتم تريدون هذا النور لأنفسكم أيضاً ارجعوا ـ لو كان في استطاعتكم ـ إلى عالم ما قبل الموت إلى حيث يمكنكم أن تجدوه!

---

١. المعجم الكبير: ج ٩ ص ٣٥٨ ح ٩٧٦٣.

كان هذا النور ثالث الأنوار التي أودعها الله في نظام الوجود لإنارة عين القلب والعقل. والمعرفة المباشرة لحقائق الوجود والخالية من الوسائط منوطةٌ بظهور هذا النور وإشراق مصباح البصيرة في قلب الإنسان.

فلو أنّ هذا المصباح قد أضاء إضاءةً كاملةً في القلب فإنّ الإنسان لايقتصر على معرفة ماوراء الطبيعة بعين عقله، بل إنّه يشاهدها بعين قلبه أيضاً مصداقاً لقول أميرالمؤمنين عليه السلام:

أَرَىٰ نورَ الوَحْيِ.[1]

إنّ قبول عليّ عليه السلام لرسالة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله لم يكن مقتصراً على الأدلّة العقلية، بل إنّه كان أيضاً يشاهد إشراق الوحي النازل على النبيّ صلى الله عليه وآله بعين القلب على ضوء البصيرة.

## علم النور أو نور العلم

يتردّد في الأحاديث الإسلامية وأقوال العرفاء وعلماء الأخلاق ذكر علم غيرقابل للتلقين، ولايتمّ تحصيله عن طريق التعليم والتعلّم، أو كما قال الشاعر:

كم من علم حصّلناه في المدرسة     وفي الحانة علم ليس بمستحصل.[2]

هذا العلم الذي لايتحصّل وإنّما يفيض من باطن ذات الإنسان، هو نور البصيرة الذي يشرق في قلب الإنسان ومركز وجوده؛ نتيجةً لاستنارته بمصباحي الوحي والإمام.

فبإشراق هذا المصباح في باطن الإنسان يصل الإنسان إلى علم النور أو نور العلم. وفي شعاع هذا النور والعلم ترى عين العقل أشياء لم ترها من قبل، وتشاهد

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

٢. هذه ترجمة لبيت من الشعر الفارسي، وفيما يلي نصّه:

در مدرسه هرچند كه خوانديم بسى علم     در ميكده علمى است كه آموختنى نيست.

عين القلب أشياء لم تشاهدها من قبل، ويصل الإنسان إلى حقائق لاتوجد في كتاب ولا علّمه إيّاها أُستاذ، فهي غيرقابلة للتعليم والتعلّم أصلاً، وإنّما بقول المرحوم إقبال: هي نوع من التجربة الباطنية، بحيث يمكن لفرد أُمّي لم يتعلّم أن يكون على حظّ من نور العلم في مقابل عالم وفيلسوف قضى السنين في دراسة العلم والفلسفة، ولا حظّ له من هذا النور.

هناك رواية تسترعي الاهتمام وتستحقّ التأمّل تُروىٰ عن الإمام الصادقؑ بخصوص علم النور أو نور العلم والمعرفة، والراوي لهذه الرواية هو شخص يُدعىٰ «عِنوان» من أهالي البصرة، رجلٌ في الرابعة والتسعين من عمره قضى عمراً في تحصيل العلم والاستفادة من الأساتذة، إلّا أنّه كان لايزال رغم كِبَر سنّه يتتلمذ على مالك بن أنس أحد العلماء المعروفين في زمانه.

كان عِنوان يتردّد على الإمام الصادقؑ ليأخذ الحديث عنه، وكان الإمام يرىٰ فيه شيخاً آذنت شمس حياته بالمغيب، ومع أنّه درس وسمع الحديث عمراً طويلاً، لكنّه إلى الآن لم يشرق نور العلم في قلبه، ولم يجد العلم الحقيقي، وإنّما فكره مشحون بالاصطلاحات العلمية، مثل حجرة زانتها النقوش ولكنّها مظلمة، والنور الذي ينبغي أن يشرق في هذه الغرفة ويُبرز جمالَها لاوجود له، فكان عنوان في نظر الإمام عالماً بلاعلم وسراجاً بلانور، وساعياً وراء الاصطلاحات العلمية يحشو بها ذهنه.

ولكي يحرّك الإمامؑ العطش للعلم الواقعي في قلب عنوان قال له:

إنّي رَجُلٌ مَطلُوبٌ، ومَعَ ذلِكَ لِي أورادٌ فِي كُلِّ ساعَةٍ مِن آناءِ اللَّيلِ وَالنَّهارِ، فَلا تَشغَلني عَن وِردِي وخُذ عَن مالِكٍ، وَاختَلِف إلَيهِ كَما كُنتَ تَختَلِفُ إلَيهِ.

اغتمّ عنوان من طريقة تعامل الإمام معه، وتصوّر أن الإمام لم يتفرّس فيه الخير وإلّا لما زجره عن الاختلاف إليه والأخذ عنه. إلّا أنّ شدّه علاقته وحبّه للإمام وشدّة رغبته في الأخذ من علومه ترك الذهاب إلى أُستاذه مالك بن أنس وبقي

جليس بيته فشغلاً بالدعاء لكي يعطف الله قلب الإمام الصادقعليه السلام. إلى أن يصمّم بعد أيّام بإعادة الكرّة ويذهب مرّة أُخرىٰ لملاقاة الإمامعليه السلام.

ولمّا استأذن للدخول على الإمام وجلس عنده، قال لهعليه السلام:

ما مَسأَلَتُكَ؟

فأجابه عنوان قائلاً: سألتُ الله أن يعطف قلبك عليَّ ويرزقني من علمك، وأرجو أنّ الله تعالى أجابني في الشريف ما سألته.

وهنا لمّا رأى الإمامعليه السلام أنّ الأرضيّة مهيّئة لتنويره بنور العلم، قال لعنوان:

يا أبا عَبدِاللهِ، لَيسَ العِلمُ بِالتَّعَلُّمِ، إنَّمَا هُوَ نُورٌ يَقَعُ في قَلبِ مَن يُـريدُ اللهُ تَـبارَكَ وتَعالىٰ أن يَهدِيَهُ.[1]

أي: يا عنوان، ماذا تريد أن تتعلّم فيما بلغت من العمر؟! إنّ العلم الذي يشرق في قلب الإنسان ويهديه إلى طريق التكامل والسعادة والعلم الذي هو مصباح طريق الإنسان في الدنيا والآخرة لايُستفاد بالتعلّم؛ إنّه نورٌ يقع في قلب من يريد الله أن يهديه.

طالما درست وسمعت الفقه والتفسير والحديث سنيناً ولَمّا تصلْ إلى علم النور، ولم يشرق قلبك بنور العلم، ألم يَأْنِ أن تسأل نفسك لماذا؟

اطلب علماً يكون نوراً في القلب    ويكون الصدر «طوراً» لتجليه
فالعلم الذي يستدعي الجدال    نوره من مصباح أبي لهب[2]

إنّ هذا النور هو هبة إلٰهية تستقرّ في قلب كلّ من يريد الله أن يهديه إلى النحو

---

١. مشكاة الأنوار: ص ٥٦٣ ح ١٩٠١.

٢. هذه ترجمة لبيتين من الشعر الفارسي، وفيما يلي نصّهما:

علمى بطلب كه به دل نوراست    سينه ز تجلى آن طور است
علمى كه مجادله را سبباست    نورش زچراغ ابو لهب است

المؤدّي إلى مقصده، فكلّ من أراد الله تبارك وتعالى أن يهديه بصورة خاصّة وضع في لدن فكره المصباح المنير للبصيرة ونوّر قلبه بنور هذا المصباح.

وما أحوجنا إلى التذكير هنا بأنّ إرادة الله لاتنقصها الحكمة أو تفتقر إلى الحساب، فالسبب في أنّ الله يمنُّ على بعض الناس بهذا المصباح ولايمنُّ به على البعض الآخر هو أن أُولئك استناروا بمصباحي الوحي والإمام، وهؤلاء لم يستنيروا بهما. وشاءت إرادة الله أن ينير مصباحُ البصيرة هيكلَ روحِ من توفّرت لديهم شروط الاستنارة واجتنبوا موانعها، ولا موجد لشروط هذا النور ولارافع لموانعه إلّا تقبّل النور من مصباحي الوحي والإمام.

والظاهر أنّ الإمام يشير بالعبارة: «... يَقَعُ فِي قَلبِ مَنْ يُرِيدُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالىٰ أن يَهدِيَهُ» إلى ذيل آية النور في سورة النور:

﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾.[1]

### معرفة الحقيقة بمصباح البصيرة

ما أصعب السلوك في دهاليز الفكر المظلمة المتشابكة الملتوية على الإنسان في سبيل معرفة حقائق الوجود ما لم يشرق مصباح البصيرة في هيكل روحه وقلبه! أمّا إذا أشرق هذا المصباح فإنّ الحقائق تصبح من الوضوح، بحيث يمكن بسهولة لكلّ إنسان أن يميّز الحقّ ويأخذ به. ويقول الإمام الرابع عليه السلام في مناجاة منسوبة إليه:

سُبحانَكَ ما أضيَقَ الطُّرُقَ عَلىٰ مَن لَم تَكُن دَلِيلَهُ، وما أوضَحَ الحقَّ عِندَ مَنْ هَدَيْتَهُ سَبِيلَهُ.[2]

خلاصة القول: إنّ إنارة مصباح البصيرة في رأي الإسلام شرطٌ للمعارف العقلية والقلبية. وما لم يُنِر هذا المصباح فإنّ آراء الإنسان وعقائده بالنسبة لحقائق الوجود

---

١. النور: ٣٥.

٢. بحار الأنوار: ج ٩٤ ص ١٤٧.

تكون فاقدةً للاعتبار والقيمة العلمية.

**المعارف الثابتة**

إنّ الدَور الأهمّ الذي تؤدّيه مصابيح المعرفة الثلاثة في حياة الإنسان هو توصّله إلى المعارف الثابتة.

والمعارف الثابتة عبارة عن المعارف الحقيقية، فإذا ما عينُ العقل رأت الحقيقة ووصلت إلى الواقع، فإنّ عقيدته بالنسبة لحقائق الوجود تصبح غيرقابلة للتغيير، حيث تصبح واقعية وثابتة، فالمعرفة الواقعية لايمكن إلّا أن تكون ثابتة أصلاً.

فعينُ العقل لايتأتّى لها أن‌ترى حقائق الوجود مادامت لم تستنر بأنوار الوحي والإمامة والبصيرة، والإنسان ـ وإن تمتّع بفكر قوي ومستوي دراسي رفيع وثقافة جمّة ـ لايستطيع تفسير عالم الوجود تفسيراً واقعياً صحيحاً ثابتاً مادام لم يستمدّ علمه من أنوار هذه المصابيح.

وبدون الاستنارة من هذه الأنوار فإنّ تفسير الإنسان أو معرفته عن نفسه وعن الوجود وطريق التكامل لاتخرج عن كونها فرضياتٍ وتصوّراتٍ تافهة بلامعنى لاتتمتّع بأيّ صفة من الواقعية، الأمر الذي ينتهي بها إلى الاضطراب وعدم الثبات، فتراه يصل اليوم إلى نظرية وفي الغد يصل إلى غيرها... وهكذا دواليك؛ من دون أن يرى الحقيقة كما هي مطلقاً، الحقيقة التي توصله إلى العقيدة الصحيحة والمعرفة الثابتة.

وقد رُويت عن الإمام الكاظمعليه السلام بهذه المناسبة رواية بالغة الدقّة ملفتة للنظر هذا نصّها:

مَنْ لَمْ يعقِل عَنِ اللهِ لَم يَعقِد قَلبُهُ عَلىٰ مَعرِفَةٍ ثابِتَةٍ يَبصُرُها ويَجِدُ حَقِيقَتَها فِي قَلبِهِ.[١]

يعني أنّ الإنسان لا يدرك الحقيقة إلّا بالإمدادات الغيبية فيصل إلى عقيدة

---

١. الكافي: ج ١ ص ١٨ ح ١٢.

صحيحة ثابتة غيرقابلة للتغيير.

إنّ هناك باباً في الأحاديث الإسلامية بعنوان «المعرفة صُنع الله»[1] بمعنى: أنّ المعرفة يوجدها الله حسب أمره وشأنه. وفي هذا الشأن آيات وروايات كثيرة، نكتفي هنا بذكر آية ورواية منها:

قوله تعالى:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾.[2]

وفي رواية يرويها عبد الأعلى يقول فيها: قلتُ لأبي عبد الله (الإمام الصادق)عليه السلام: هل جُعِلَ في الناس أداةٌ ينالون بها المعرفة؟ قال: لا، قلت: فهل كُلِّفوا المعرفة؟ قال:

لا، إنَّ عَلَى اللهِ البَيانُ، لايُكَلِّفُ اللهُ نَفساً إلّا وُسعَها.[3]

فمعرفة الحقيقة والاهتداء إلى طريق الحياة ليس في مقدور العقل، فهو خارج عن عهدة الإنسان، إنّ الله لايكلّف الإنسان إلّا بما يسعه القيام به، فلم يكِلْه إلى نفسه في معرفة الحقيقة. والأصل في فلسفة الوحي هو أنّ العقل لاتتوفّر لديه القدرة اللازمة لمعرفة الحقيقة وهداية الإنسان إلى طريق رُشده وتكامله، وإلّا فلا داعي أصلاً للوحي والنبوّة.

ناشدتك الحقّ، كيف بالإنسان إذا لم يكن ضياء الوحي ونور الإمام ليُنعما على عين العقل بالإشراق أنْ يجد طريق سعادته وتكامله بين كلّ هذه الآراء المختلفة والعقائد المتلوّنة؟!

يروي المرحوم المحدّث القمّي في كتابه «الكُنىٰ والألْقاب» أنّ ابن عربي كتب في كتابٍ إلى الفخر الرازي العالم السنّي المعروف، يقول:

---

١. راجع: ميزان الحكمة: الباب ٧١٧.

٢. الليل: ١٢.

٣. الكافي: ج ١ ص ١٦٢ ح ٥.

لقد أخبرني مَنْ أَلِفتَ مِنْ إخوانك ومن له فيك نيّة حسنة أنّه رآك وقد بكـيتَ يوماً، فسألك هو ومن حضر عن بكائك، فقلتَ: مسألةٌ اعتقدتها منذ ثلاثين سـنة تبيّن لي الساعة بدليل لاح لي أنّ الأمر على خلاف ما كان عندي فبكيتُ وقلت: لعلّ الذي لاح لي أيضاً يكون مثل الأوّل![1]

إذا كان عالمٌ كالفخر الرازي يفهم بعد المطالعة ثلاثين عاماً أنّه كان فيما يـرى بالنسبة للمسائل العلمية أو العقائدية مبتلى بمرض اعتبار النفس عالماً، فما بالك بوضع عامّة الناس ؟! فلو أنّنا طرحـنا العـقائد المـتضاربة ـ التـي قـدّمها العـلماء قاطبة على مدى التاريخ حول حقائق الوجود وطريق سعادة الإنسان وتكـامله ـ على بساط البحث الدقيق لفهمنا بوضوح وجلاء مدى العمق في كـلام الإمـامعليه السلام المتقدّم آنفاً حيث قال: «من لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة»، ولو أنّنا تَنَخَّلْنَا هذا الكلام لاستخلصنا السرَّ في أنّ الإسـلام يأمـر المسـلم بـوجوب الوقوف أمام ربّه سبع عشرة مرّة على الأقلّ في كلّ يوم وليلة ليقول: «اِهْدِنَا الصِّراطَ المستقيم». فلولا الإمدادات الغيبية والإنعامات الفكرية من جانب الله تـعالى لمـا استطاع الإنسان أن يهتدي إلى صراط الحياة المستقيم الصحيح ولما استطاع التحرّك فيه.

ومن هنا أنّنا نرى أُولئك الذين فاضت على عيون عقولهم أمداد أنوار الهدايـة الإلٰهية وأشرقت بصائرهم بمصابيح الوحـي وأنـوار الإمـام مـن دون أن يـتأهّلوا بالدراسات العالية قد وجدوا طريق تكامل الإنسان هكذا دقيقاً صحيحاً، ووصلوا إلى هكذا تفسيرٍ حقيقٍ عميقٍ للوجود، حتّى أنّهم وصلوا إلى ما لم يصل إليه أكبر العلماء والفلاسفة المحرومين من هذه الأنوار.

وبينما نشاهد الفلاسفة الكبار يضعون كلّ يوم نظريات جديدة تنقض ما قـدّمه سلَفهم بشأن تفسير الوجود وتكامل الإنسان، وأنّهم مازالوا رغم القرون المتمادية

---

١. الكنىٰ والألقاب: ج ٣ ص ١٥.

على أوّل عتبة في الطريق، وأنّ البعض لم يصلوا حتّى إلى هذه العتبة، نشاهد أنّ أفراداً ممَّن استناروا بمدد الهداية الإلٰهية قد عَبَروا أقطار العشق السبعة ووصلوا إلى قمّة الكمال واستقرّوا في كنف حضرة الحقّ:

﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾.[1]

وهنا ربما يسأل سائل: إذا كانت المعرفة من صُنع الله وكان شرط العقل للرؤية هو الاستنارة بنور الوحي وأنّ العقل لايقدر على معرفة حقائق الوجود وطريق الحياة من دون العون الإلٰهي، فما هو إذاً تكليف العقل في تشخيص أُصول العقائد؟ وهل أنّ هذا الشرط يتنافىٰ مع ما تقدّم في مباحث العقيدة من أنّ التقليد في العقائد ممنوع، وأنّ الإنسان مكلّف بالتحقيق في أُصول العقائد؟

والجواب: كلّا، فما قيل في المقدّمة هو: إنّ الواجب على العقل أن يحقّق في أُصول العقائد. وما نقوله هنا هو: إنّ تحقيقات العقل بخصوص حقائق الوجود ومعرفة طريق الحياة لاتسفر عن نتيجة صحيحة دون الهداية الإلٰهية، كأَنْ يقال في مناسبة: إنّه يلزم حتّى يمكن التمييز بين سواء الطريق والبئر أن تكون العين مفتوحة وأن يقال في مناسبة أُخرىٰ: إنّ العين لايمكنها أن ترىٰ سواء الطريق بلا نور.

فالإسلام من جهة يقول بأنّه يجب على كلّ إنسان أن يحلّ مسائله العقائدية بنفسه، ومن جهةٍ أُخرىٰ يقول بأنّ الإنسان غير قادر على حلّ هذه المسائل دون هداية من الله تبارك وتعالى. ومن ثمّ كان الإمام السجّاد عليه السلام يقول في دعائه:

سَيِّدي، لَولا نُورُكَ عَمَيْتُ عَنِ الدَّليلِ، وَلَولا تَبصِيرُكَ ضَلَلْتُ عَنِ السَّبِيلِ.[2]

---

١. القمر: ٥٥.

٢. بحارالأنوار: ج ٩٤ ص ١٦١ ح ٢٢.

## الخلاصة

▣ المعرفة طاقّة التكامل الماديّ ورصيد الحياة المعنوية للإنسان، ولايمكن للإنسان استثمار هذا المصدر من مصادر الطاقّة استثماراً صحيحاً كاملاً، إلاّ إذا أزاح مايعتريها وهيّأ الشرائط اللازمة لاستثمارها.

▣ كما أنّ وجود النور ضروري للرؤية الحسّية، فكذلك لايمكن الاستغناء عنه بالنسبة للرؤية العقلية.

▣ المصباح الذي ينير العقل ينبغي أن يتناسب مع عين العقل، وهذا المصباح هو الوحي.

▣ إنّ مصباح الوحي والمصابيح الأُخرىٰ التي تستنير به هي في مركز الخليقة، كالشمس والمصابيح التي تستمدّ النور منها.

▣ شرط الرؤية العقلية في رأي القرآن كشرط الرؤية الحسّية هو الخروج من الظلمات إلى النور.

▣ الحقيقة أنّ هناك تفاوتاً بين الرؤية الحسّية والرؤية العقلية، وبين النور الحسّي والنور العقلي.

▣ السبب في الرؤية الكونية الخاطئة وتكذيب آيات التوحيد الجلية ـ كما يراه القرآن ـ هو ظلْمة عين العقل.

▣ يقرّر القرآن والحديث أنّ في نظام الكون ثلاثة مصابيح تستنير بها عين العقل، هي: مصباح الوحي، ومصباح الإمام، ومصباح البصيرة. وأنّ الاستنارة بهذه المصابيح شرط الرؤية العقلية.

▣ يطلق على الوحي في النصوص الإسلامية: «المصباح» و «النور»، وهذا المصباح هو المصباح الأوّل والأصيل لإنارة عين العقل.

▣ الوحي هو الرسالة الإلٰهية لتكامل الإنسان، وقد عهد الله تعالى إلى الأنبياء بمهمّة إخراج الناس من الظلمات إلى النور بمصباح الوحي.

▣ لاتمكن معرفة الحقائق العقلية والاهتداء إلى طريق التكامل والسعادة إلّا بالاستنارة بمصباح الوحي، واختلاف الأديان دليل على أنّ عين العقل لاتكفي لرؤية الحقيقة ما لم تهتد بمصباح الوحي.

▣ يعبّر القرآن والحديث عن الإمام أيضاً «بالسراج» و «المصباح»، والإمام هو ثاني المصابيح لإنارة عين العقل.

▣ الإمام مثال عينيّ للوحي، وهو ذلك الإنسان الذي يصير مصباحاً مجسّماً للوحي نتيجةً لتعيّن الوحي في وجوده.

▣ الإمام مصباح السالكين سبيل الرشاد والتكامل، وعلى مَن يريد أن يستنير بهذا المصباح وتحقّق التكامل في ذاته أن يقتفي خُطاه فيما سلك من طريق، وخطّ الإمام عبارة عن نهج من تعيّن الوحي في وجوده.

▣ البصيرة نورٌ خاصّ يشرق في أعماق وجود الإنسان على أثر الاستنارة بمصباحَي الوحي والإمام.

▣ لو أشرق مصباح البصيرة في نفس الإنسان لم يخطئ في أُصول العقائد أو في كثير من المسائل النظرية الأُخرى.

▣ النور الذي يضيء آفاق القيامة للإنسان هو بالذات نور البصيرة الباطني الذي يتجلّىٰ في عالم القيامة ويهدي الإنسان في تلك الظلمة المطلقة حيث يبصر كلّ إنسان بنوره الذاتي.

▣ من حيث إنّ نور البصيرة ثمرة الاستنارة بمصباحَي الوحي والإمام، فنور كلّ إنسان يكون في القيامة على قدر أعماله الصالحة في عالم ما قبل الموت.

▣ لو أنّ مصباح البصيرة قد اكتملت إضاءته في قلب الإنسان لأمكنت له رؤية بعض الحقائق العقلية بعين القلب.

▣ لو أنّ مصباح البصيرة قد أشرق في قلبٍ لتوصّل الإنسان إلى علم النور أو نور العلم، ولأدرك من الحقائق ما لايحفل به كتاب أو يعلّمه إيّاه أُستاذ.

▣ العلم ـ الذي يعتبر مصباح طريق الإنسان في الدنيا والآخرة ـ يطلع من مشارق نور الوحي في باطن الإنسان، وهو غيرقابل للتعليم والتعلّم.

▣ نور البصيرة هبة إلٰهية، كلّ من حظي بها تحتّم وصوله إلى الغاية من الوجود، هذه الهبة قصرٌ على من برأوا من موانعها وتجمّلوا بشرائطها.

▣ المعرفة الثابتة هي المعرفة الحقيقية التي يصل إليها الإنسان عندما يجد الحقيقة، وهذه المعرفة غير قابلة للتغيّر.

▣ عين العقل عاجزة عن معرفة حقائق الوجود ما لم يتوفّر لها نور الوحي، ومن ثمّ لاتتاح للإنسان معرفة ثابتة عن الوجود وتفسير صحيح لطريقة الحياة من دون الإمدادات الإلٰهية.

▣ من الممكن أن يكون المقصود من الروايات التي تدلّ على أنّ المعرفة من صنع الله وأنّ الإنسان ليس مكلّفاً بالمعرفة هو: إنّ الإنسان غيرقادر على إصابة الحقيقة والعقيدة الصحيحة والمعرفة الثابتة من دون الإمدادات الإلٰهية.

▣ مع أنّ الإسلام يرفض التقليد في أُصول العقيدة ويكلّف العقل بالتحقيق فيها فإنّه يقول بأنّ تحقيقات العقل فيما يختصّ بحقائق الوجود وسبيل التكامل لن تتوصّل إلى النتائج المطلوبة إلّا بهداية الله تبارك وتعالىٰ.

الفصل الثاني

# طُرُقُ تَحصيلِ شَرائِطِ المَعْرِفَةِ

علمنا في الفصل الأوّل أنّ الإنسان يكون قادراً على معرفة حقائق الوجود والمضيّ في طريق التكامل والرشاد على أساس الرؤية الكونية الصحيحة فيما لو أنّه استنار بمصابيح الوحي والإمام والبصيرة، وأنّ إنارة كلّ مصباح من هذه المصابيح هي في منطق القرآن شرط من شرائط المعرفة. وأمّا مطالب هذا الفصل فتدور حول الكيفية التي تُحرَز بها شرائط المعرفة، وكيفية الاستنارة بالمصابيح التي قُدِّرت في نظام الكون لتهب لعين العقل إشراقها.

وقد وضّحنا سابقاً أنّ المصباحين الأوّلين ـ أي الوحي والإمام ـ مقدّمتان للمصباح الثالث ـ أي مصباح البصيرة ـ.

بعبارة أُخرىٰ: إنّ فلسفة الوحي والإمامة هي تحقيق الرؤية للإنسان وتأهيله بالبصيرة. وعليه ـ وحتّى تتبيّن كيفية إحراز شرائط المعرفة ـ ينبغي أن تتعيّن الكيفية التي يمكن للإنسان أن يستنير بها من مصباحي الوحي والإمام فيشرق مصباح البصيرة في وجوده، وكذلك ما لدى الوحي والإمام من هداية وإرشاد يستنير بهما هذا المصباح ويشرق في قلب الإنسان. وأخيراً بأيِّ الشرائط يشرق مصباح البصيرة؟ وفي أيِّ الشرائط يظلّ محتفظاً بإشراقه؟ فبيان هذه الشرائط هو قوام هذا الفصل وموضوعه الأساسي.

هذه الشرائط عبارة عن: اجتناب موانع المعرفة، والتقوى، والزهد، والعمل،

والجهاد، والإخلاص.

### ١. اجتناب موانع المعرفة

أوّل شرط لإشراق مصباح البصيرة في قلب الإنسان هو إزالة موانع المعرفة من أمام عين العقل.

إنّ الأُمور التي ذكرناها في القسم الثالث تحت عنوان «موانع المعرفة» فضلاً عن كونها حجاباً على عين العقل، هي أيضاً مانعة لطلوع نور البصيرة وإشراقه، إذ لايمكن الجمع بينها وبين هذا النور، ولهذا فإنّ القرآن الكريم إلى جانب أنّه يصف هذه الأُمور بأنّها حُجب تؤدّي إلى الضلال والضياع[1] فإنّه يعتبرها على حدة أو في حدّ ذاتها موانع من إفاضة أنوار الهداية الإلٰهية أيضاً. ويعلن صراحةً أنّ الظالمين والكفَرة والفسَقة والمسرفين والكاذبين والكذّابين لانصيب لهم البتّة من هداية الله تعالى. من ذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.[2]

أي أنّ نور الهداية الإلٰهية ـ نور الوحي ونور الإمامة ونور البصيرة ـ لايُفاضُ على قلوب من تخلّقوا بالظلم وصار الظلم عادةً وملَكةً لهم، ولا على أرواحهم وعقولهم، إنّ مصباح الهداية الإلٰهية لايشرق إلّا في قلب من يحرزون إمكانية الاستنارة ممّن ليسوا من أهل الظلم. فالنور والظلمة لايجتمعان. الهداية الإلٰهية نور، والظلم ظلمة، والنقيضان لايجتمعان.

كما يقول سبحانه:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.[3]

---

١. راجع: ص ٢٢٧ «القسم الثالث: موانع المعرفة».

٢. المائدة: ٥١، الأنعام: ١٤٤، القصص: ٥٠، الأحقاف: ١٠.

٣. المائدة: ٦٧.

أُولئك الذين يذهب بهم العناد واللجاج إلى ستر الحقيقة وكتمانها، وأصبح الكفر عادةً وملَكة راسخة فيهم هم أيضاً لا حظّ لهم من الهداية الإلٰهية.

ويقول عزّ من قائل في سورة المنافقون:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.[1]

ويقول سبحانه وتعالىٰ في سورة غافر:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.[2]

وكذلك يقول عزّوجلّ في سورة الزمر:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾.[3]

وهكذا نلاحظ في هذه الآيات أنّ شرط الاستنارة بمصباحي الوحي والإمام وإشراق مصباح البصيرة في قلب الإنسان أن لايكون الإنسان من أصحاب الظلم أو الكفر أو الإسراف أو الفسق. وعليه، يكون الشرط الأوّل للمعرفة كما يقرّره القرآن هو الاحتراز من هذه الأُمور وتجنّبها.

### ٢. التقوىٰ

وهي الشرط الثاني من الشرائط اللازمة لإشراق مصباح البصيرة في القلب.

فبعد التحكّم في إعصار الهوىٰ والهَوس، والبرء من غبار الظلم والكفر والإسراف والفسق بهداية الوحي والإمام وإرشادهما؛ يأخذ مصباح البصيرة تدريجياً في الإشراق بقلب الإنسان ومركز وجوده، فتبصر عين العقل وتصبح قادرة على تشخيص الحقائق العلمية، إلّا أنّه من حيث كون الإنسان موجوداً ذا قطبين مركّباً من العقل والشهوة فإنّ عوامل إثارة إعصار الهوىٰ وعواصف الهَوس متوفّرة فيه

---

١. المنافقون: ٦.

٢. غافر: ٢٨.

٣. الزمر: ٣.

دائماً، ويُخشىٰ أن يهيج الإعصار ويخنق مصباح البصيرة.

فإنارة المصباح مسألة، وبقاؤه منيراً مسألة أُخرى، فحتّى يدوم إشراق مصباح البصيرة يتحتّم أن يقام سدٌّ محكمٌ يصدّ زوابع الهوىٰ والهَوس. والسدُّ القويّ المتين الذي يتحكّم في هيجان الهوى والهَوس هو سدُّ التقوىٰ.

## ما هي التقوىٰ؟

التقوىٰ مشتقّة من «الوقاية» بمعنى التحفّظ والمهابة، وتحصل للإنسان نتيجةً لاستمرار توقّيه واجتنابه لموانع المعرفة:

فعندما يقف الإنسان أمام أهوائه ونزواته ويقاومها فإنّ تكرار هذه المقاومة يجعل بالتدريج من الإباء وتمالك النفس أمام الهوىٰ عادةً وملَكةً في الإنسان. وعليه، فالتقوىٰ عبارة عن تعوّد الإنسان على مقاومة الأهواء.

إذا ما قاوم الإنسانُ الأهواءَ والنزواتِ ـ والتي تتمثّل بالظلم والكفر والإسراف والفسق ـ يصل بالتدريج إلى حدّ التّنفّر منها والاعتياد على العدالة والسداد والرغبة في الحقيقة والصدق في القول، وهذا الاعتياد هو مايُعرف بالتقوىٰ.

## دور التقوىٰ في المعرفة

إنّ اعتياد الاحتراز من موانع المعرفة وتوقّيها بمثابة سدٍّ منيعٍ وقلعةٍ راسخةٍ تصدّ إعصار الهوىٰ وزوابع الهَوس وتقي مصباح البصيرة الذي أشرق في قلب الإنسان ومركز وجوده من أن ينطفئ، ومن ثَمّ كانت التقوىٰ هي الضمان لدوام معرفة الحقائق العقلية بالنسبة للإنسان.

## دور التقوىٰ كما يراه القرآن

يرى القرآن الكريم أنّ للتقوىٰ دَورين أساسيّين في معرفة الحقائق، أحدهما: إنّها هي الباعث على خلق قدرة تمييز الحقّ من الباطل في الإنسان. والآخر: إنّها شرط

الهداية الإلٰهية.

بمناسبة الدَور الأول جاء في القرآن الكريم في سورة الأنفال قوله تعالى:

﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾.[١]

فما هو «الفرقان»؟ الفرقان: عبارة عن: القدرة على تمييز الحقّ من الباطل. الفرقان نور ونورانية ورؤية ونظر ثاقب خاصّ يتمتّع به الإنسان التقي.

هذا، كما تفيد الآية التالية في سورة البقرة بيان دَور التقوى الآخر:

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.[٢]

يعني أنّ شرط الهداية الإلٰهية هو التقوىٰ، وهنا قد يطرأ سؤال يقول: إذا كان الإنسان يصل إلى التقوىٰ نتيجةً لهداية الله فلماذا كانت الهداية في هذه الآية مشروطة بالتقوىٰ؟ وإضافة إلى هذا، أنّ هداية المتّقين تحصيل حاصل فهُم مهتدون أصلاً ولا فضل في ذلك، بينما الواجب يقتضي بأن يهدي القرآن غير الأتقياء فيصبحون بفضل هدايته من أهل التقوىٰ!

والجواب على ذلك: إنّ هناك فرقاً بين هدايةٍ تمهّد لحصول التقوىٰ وبين هدايةٍ تحصل نتيجةً للتقوىٰ، والتقوىٰ شرط لها.

فالهداية الأُولى إنّما تكون إرشاداً لرفع موانع المعرفة. والهداية الأُخرى إنّما تكون إرشاداً لمعرفة حقائق الوجود وطريق التكامل والوصول إلى الغرض من الخلق.

ففيما يخصّ الأُولى: إنّ إرشاد الوحي وهدايته تأكيدٌ على إرشاد العقل وهدايته إلى أنّه لاتُتاح له رؤية الحقائق مع وجود المانع، وحتّى تبصر عين العقل لابدّ من إزالة حجاب الهوىٰ والهوَس، وبإزالة هذا الحجاب بإرادة الإنسان واختياره والدوام

---

١. الأنفال: ٢٩.

٢. البقرة: ٢.

على هذه الإرادة بالتقوىٰ يتهيّأُ المجال للحظوة بالهداية الإلٰهية بمعناها الآخر. وكلّما ازداد سدُّ التقوى استحكاماً، فإنّ مصباح الهداية الإلٰهية الوضّاء في قلب الإنسان يزداد إشراقاً وتوهّجاً. وبِطَيٍّ درجات التقوىٰ يبلغ الإنسان أعلى مراتب المعرفة.

### ٣. الزهد

الزهد في اللغة هو عدم الميل إلى الشيء أو الرغبة فيه مطلقاً. أمّا في اصطلاح الأحاديث الإسلامية فهو: كناية عن نوع خاصّ من الاعراض وعدم الميل، وذلك هو الإعراض وعدم الميل إلى الأُمور التي توصد طريق الرشد والتكامل في وجه الإنسان وتمنعه من معرفة الحقائق، كعدم الميل إلى الظلم مثلاً.

بناءً على هذا التعريف يكون الزهد والتقوىٰ من أصلٍ واحد، فالإنسان يصل إلى رتبة الزهد عند بلوغه أعلى درجات التقوى، بمعنى أنّه مادام له ميل إلى السيّئات ومع ذلك يتجنّبها بقُدرة تقواه، فهو متّقٍ وليس زاهداً. وباستدامة التقوىٰ يصل الإنسان بالتدريج إلى حيث يموت فيه هذا الميل إلى السيّئات والأعمال الذميمة.

يقول الإمام عليّ عليه السلام في وصف الإنسان الكامل: «مَيِّتَةٌ شَهوَتُهُ».[1]

أي أنّ الهوىٰ والهَوس ميّت فيه. أَجَلْ، إنّ الإنسان يصل في ذروة تقواه إلى مقام الزهد. وعليه، فالزهد أعلىٰ من التقوى.

ففي التقوىٰ يوجد ميلٌ للانحراف ولايوجد انحراف، أمّا في الزهد فلا مَيْلَ ولا انحراف. التقوىٰ تؤدّي إلى إشراق مصباح العقل والقلب أيضاً، والزهد يقوّي إشراق هذا المصباح ويضمن دوام نور البصيرة.

ويقترن الزهد بالتقوىٰ في لغة الإسلام باعتبارهما شرطاً من شروط إشراق مصباح البصيرة في قلب الإنسان وظهور العلم فيه بغير تعلّم. والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

حديث له يقول:

مَنْ يَرْغَبْ في الدُّنيا فَطالَ فيها أَمَلُهُ، أَعْمَى اللهُ قَلْبَهُ عَلَى قَدْرِ رَغْبَتِهِ فيها. وَمَنْ زَهِدَ فيها فَقَصُرَ فيها أَمَلُهُ، أَعْطاهُ الله عِلْماً بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ، وهُدَىً بِغَيْرِ هِدَايَةٍ، وَأَذْهَبَ عَنْهُ الْعَمَاءَ وَجَعَلَهُ بَصيراً.[١]

وجاء في حديثٍ آخر أنّ رسول الله ﷺ خرج مع أصحابه ذات يوم فقال:

هَلْ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ عِلْماً بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ وَهَدْياً بِغَيْرِ هِدَايَةٍ؟! هَلْ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُذْهِبَ عَنْهُ العَمَىٰ ويَجْعَلَهُ بَصيراً؟! أَلاَ إِنَّه مَنْ زَهِدَ في الدُّنْيَا وقَصُرَ أملُهُ فيها أَعْطاهُ اللهُ عِلْماً بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ وَهَدْياً بِغَيْرِ هِدَايَةٍ.[٢]

وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عن أثر الزهد في المعرفة:

مَنْ زَهِدَ فِي الدُّنيا ولَم يَجزَعْ مِن ذُلِّها ولَم يُنافِسْ فِي عِزِّها هَداهُ اللهُ بِغَيرِ هِدايَةٍ مِن مَخلُوقٍ، وعَلَّمَهُ بِغَيرِ تَعلِيمٍ، وأثبَتَ اللهُ الحِكمَةَ فِي صَدْرِهِ، وأجْراها عَلىٰ لِسانِهِ.[٣]

إنّ دور الزهد في تقوية عين القلب ومعرفة حقائق الوجود بالغ الأثر حتّى أنّ الإنسان في أعلىٰ مراتبه ـ كما يقول الرسول الأكرم ﷺ ـ يشاهد الملائكة ويصافحهم.

فقد روى سلّام بن المستنير قال:

كنت عند أبي جعفر عليه السلام فدخل عليه حمران بن أعيَن وسأله عن أشياء، فلمّا همّ حمران بالقيام قال لأبي جعفر عليه السلام: أُخبرك ـ أطال الله بقاءك لنا وأمتعنا بك ـ أنّا نأتيك فما نخرج من عندك حتّى تَرِقَّ قلوبنا وتسلو أنفسنا عن الدنيا ويهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثمّ نخرج من عندك، فإذا صرنا مع الناس والتجّار

---

١. تحف العقول: ص ٦٠.

٢. حلية الأولياء: ج ٨ ص ١٣٥.

٣. تحف العقول: ص ٢٢٣.

أحببنا الدنيا!! قال أبو جعفر عليه السلام:

إنّما هِيَ القُلُوبُ مَرَّةً تَصعَبُ ومَرَّةً تَسهَلُ.

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: أمَا إنّ أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله قالوا: يا رسول الله، نخاف علينا النفاق. قال: فقال: ولِمَ تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنّا عندك فذكّرتنا ورغّبتنا وَجِلْنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتّى كأنّا نعاين الآخرة والجنّة والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشَمَمْنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن نُحوَّل عن الحال التي كنّا عليها عندك، وحتّى كأنّا لم نكن على شيء، أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً؟! فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله:

كَلاَّ، إنَّ هٰذِهِ خُطُواتِ الشَّيطانِ فَيُرغِّبُكُم فِي الدُّنيا. وَاللهِ لَو تَدومُونَ عَلَى الحالَةِ الَّتي وَصَفتُم أنفُسَكُم بِها لَصافَحَتكُمُ المَلائِكَةُ ومَشَيتُم عَلَى الماءِ...!![1]

كما توجد في مستهلّ دعاء الندبة أيضاً إشارة إلى دَور الزهد في تقوية عين القلب والمعارف القلبية باعتباره شرطاً لتنزّل الملائكة على أولياء الله وحظوتهم بالعلوم الإلٰهية الغيبية.[2]

### ٤. العمل

وشرط آخر من شرائط إشراق مصباح البصيرة ومعرفة الحقيقة هو العمل.

والعمل[3] عبارة عن الحركة في طريق التكامل، يعني الطريق الذي يرى العقل أنّه طريق الحقّ والصواب وأنّ انتهاجه ضروري لوصول الإنسان إلى الهدف من الخلْق.

---

١. الكافي: ج ٢ ص ٤٢٣ ح ١.

٢. ... بعد أن شرطت عليهم الزهد... فشرطوا لك ذلك، وعلمت منهم الوفاء به فقبلتهم... وأهبطت عليهم ملائكتك، وكرّمتهم بوحيك، ورفدتهم بعلمك (الإقبال: ج ١ ص ٥٥).

٣. العمل في اللغة: يعني الفعل بقصد وباعث. وعليه، فإنّ «العمل» أخصّ من «الفعل»؛ ذلك لأنّ الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعلٌ بغير قصدٍ (راجع: مفردات ألفاظ القرآن: ص ٥٨٧).

وقد يطرأ سؤال هنا مؤدّاه أنّه: بناءً على هذا تكون معرفة الحقيقة متوقّفة على الحركة في طريق التكامل، والحركة في هذا الطريق متوقّفة على المعرفة. أو بعبارة أُخرى: إنّ العلم متوقّف على العمل، والعمل متوقّف على العلم أليس هذا دوراً، والدور مُحال؟!

والجواب هو: كلّا، وحتّى تتّضح المسألة فلنضرب لها مثلاً:

عندما تقود سيّارتك وتتحرّك بها ليلاً لاتمكنك الحركة ما لم يكن الطريق منيراً. والطريق لاينير ما لم تتحرّك. وعليه، فالشرط في حركة السيّارة إنارة الطريق، والشرط في إنارة الطريق دوام حركة السيّارة فيه.

وهكذا الحركة في طريق التكامل؛ فهذا الطريق مالم يُنره مصباح البصيرة لايستطيع الإنسان أن يتحرّك فيه، وما لم يتحرّك الإنسان لاينير الطريق، فالحركة في طريق التكامل تقتضي إنارة الطريق، وإنارة الطريق تهيّئ الأسباب لدوام الحركة واستمرارها.

إنّ كلّ خطوة يخطوها الإنسان في طريق التكامل تكشف له المزيد من المعرفة بهذا الطريق وحقائق الوجود، وكلّ معرفة جديدة توفّر المجال لمزيد من التكامل، والعكس هو الصحيح، فإنّ التوقّف في هذا الطريق يقتضي انطفاء مصباح البصيرة ويفضي إلى الضلال، وهذا المعنى هو ما تعبّر عنه الروايات الإسلامية بقولها: العمل باعث لظهور العلم، والعلم بلاعمل لادوام له.

والقرآن الكريم يقول:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ...﴾.[1]

ويقول العلّامة الطباطبائي ـ رحمه الله ـ في تفسير الميزان في ذيل هذه الآية: إنّ

---

١. الأنعام: ١٢٢.

المقصود من النور في هذه الآية هو علم يتولّد من الإيمان، كما قال النبيّ الأكرمﷺ في حديث رواه العامّة والخاصّة:

**مَن يَعْمَلُ بِما يَعْلَمُ رَزَقَهُ اللهُ عِلم ما لَم يَعلَم (أو) عَلَّمَهُ ما لَم يَعلَمْ.[١]**

وروى العامّة هذا الحديث على هذا النحو:

**مَن تَعَلَّمَ فَعَمِلَ عَلَّمَهُ اللهُ ما لَم يَعلَم.[٢]**

كما رواه الخاصّة عن الإمام الباقرعليه السلام:

**مَن عَمِلَ بِما يَعلَمُ عَلَّمَهُ اللهُ ما لم يَعلَم.[٣]**

وأمّا الروايات الدالّة على أنّ مصباح البصيرة ينطفئ إذا توقّفت الحركة في طريق التكامل وأنّ العلم بلاعمل لادوام له فما أكثرها، ويكفينا هنا أن نذكر روايتين على سبيل المثال:

قال الإمام الصادقعليه السلام:

**العلمُ مقرونٌ إلى العمَل، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، ومَنْ عَمِلَ عَلِمَ. والعلْمُ يَهْتِفُ بالعَمَلِ، فإنْ أجابَهُ، وإلّا ارْتَحَل.[٤]**

وفي روايةٍ أُخرى له قالعليه السلام:

**لا مَعرِفَةَ إلّا بِعَمَلٍ، فَمَنْ عَرِفَ دَلَّتْهُ المَعرِفَةُ عَلَى العَمَلِ، ومَنْ لَم يَعْمَلْ فَلا مَعرِفَةَ لَهُ.[٥]**

---

١. الميزان في تفسير القرآن: ج ٧ ص ٣٣٩.

٢. كنز العمّال: ج ١٠ ص ١٣٢ ح ٢٨٦٦١.

٣. نزهة الناظر: ص ١٦٠ ح ٣١٤.

٤. مشكاة الأنوار: ص ٢٤٣ ح ٧٠٩.

٥. الكافي: ج ١ ص ٤٤ ح ٢. ولمزيد من الاطّلاع على الروايات الدالّة على المطلب المذكور راجع: ميزان الحكمة: الباب ٢٥٤٦ (دور العمل في المعرفة) و ٢٨٤٢ (دور العمل في العلم).

### ٥. الجهاد

وهو الهداية الخامسة من أجل دوام إشراق مصباح البصيرة.

والمقصود من الجهاد[1] هو بذل الجهد كلّ الجهد في سبيل المضيّ على طريق التكامل، فعندما يشرق مصباح البصيرة ويهتدي الإنسان إلى طريق التكامل ويبدأ بالحركة يلزمه الجهاد لاستدامة هذه الحركة، وهذا يعني استفراغ الطاقة في هذا السبيل.

بعبارة أُخرى: إنّ التقوى والزهد يقتضيان العمل حتّى يتحقّق لهما الدوام، ودوام العمل يقتضي الجهاد.

والقرآن الكريم يرى أنّ الإنسان إذا بذل كلّ ما في وسعه في سبيل الله ـ سبيل رُشد الإنسان وتكامله ـ وهبه الله مايحتاجه من المعارف:

﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.[2]

ويقول الإمام عليّ‌ؑ في هذه المناسبة:

مَنْ كانَ مَقْصَدُهُ الحَقَّ أدرَكَهُ وَلَو كانَ كَثِيرَ اللَّبْسِ.[3]

### ٦. الإخلاص

وهو الهداية السادسة اللازمة لدوام إشراق مصباح البصيرة.

والمراد من الإخلاص هو أن تكون حركة الإنسان في طريق التكامل حركةً خالصة لوجه الله، لا لدوافع نفسانية. فبتحقّق هذا الشرط يكون دوام إشراق مصباح

---

١. الجهاد والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدوّ. والجهاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدوّ الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس، وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ (الحجّ: ٧٨) (مفردات ألفاظ القرآن: ص ٢٠٨).

٢. العنكبوت: ٦٩.

٣. غرر الحكم: ح ٩٠٠٢.

البصيرة قطعياً وبلوغ الإنسان إلى غاية الكمال الإنساني حتميّاً.

بعبارة أُخرىٰ: إنّ توقّي موانع المعرفة يحتاج في دوامه إلى التقوى والزهد، ودوام التقوى والزهد يحتاج إلى العمل، والعمل يتطلّب الجهاد، والجهاد لايكون مؤثّراً في استدامة إشراق البصيرة والتكامل ما لم يقترن بالإخلاص؛ وهذا هو الشرط الذي يعنيه القرآن الكريم في الآية الآنفة الذكر بكلمة «فِينَا». يعني أنّ الجهاد وبذل الطاقة في سبيل ما يراه الإنسان صواباً يؤدّي قطعاً إلى هدايته فيما إذا كان جهاداً في سبيل الله ومقروناً بالإخلاص.

وفي حديثٍ رواه الخاصّة والعامّة عن الرسول الأكرمﷺ أنّه قال صراحة:

مَا أَخْلَصَ عَبدٌ لله عزَّوجلَّ أربعينَ صباحاً إلّا جَرَتْ ينابيعُ الحكمةِ منْ قلْبِهِ على لسانِهِ.[1]

التدقيق في الآيات والأحاديث التي تختصّ بالمعرفة، يرشدنا إلى أنّ معرفة حقائق الوجود لها درجات ومراتب، يُشترط تجنّب موانع المعرفة من أجل الوصول إلى أدناها، ويُشترط الإخلاص من أجل الوصول إلى أعلاها.

بعبارة أُخرى: إنّ مصباح البصيرة يشرق في صميم قلب الإنسان ومركز وجوده نتيجةً لتوقّي موانع المعرفة، ويزداد إشراقاً بالتقوىٰ والجهاد والإخلاص ـ بما تعني هذه الألفاظ لغوياً ـ فإن كانت بمعانيها الشرعية وكانت قرينة بالإخلاص بلغ غاية الإشراق واهتدى الإنسان بوضوح إلى سبيل الرُشد والتكامل فسلكه، وتحقّق الهدف من خلقه.

ويمكن الاهتداء إلى صفوة القول في شرائط المعرفة في نظر الإسلام من خلال آيةٍ ورواية.

فأمّا الآية فهي:

---

١. عيون أخبار الرضاﷺ: ج ٢ ص ٦٩ ح ٣٢١ وأيضاً راجع، ميزان الحكمة: باب ١٠٥٢ (آثار الإخلاص).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾.[١]

فنلاحظ في هذه الآية الكريمة أنّ الله سبحانه وتعالى يأمر «الذين آمنوا» بأن يتّقوا الله ويؤمنوا بالرسولﷺ في حين أنّهم كانوا قد آمنوا بالرسول فعلاً، ولولا ذلك لما خاطبهم سبحانه وتعالى بقوله: «الذين آمنوا».

كما نقرأ في آيةٍ أُخرى في سورة النساء قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾.[٢]

والسؤال الذي ينبعث بمناسبة هذا المعنى هو: إنّ طلب الايمان ممّن قد آمن بالفعل، أمرٌ لامعنى له، إنّه تحصيل حاصل، وعليه، فماذا يقصد القرآن من طلب الإيمان ممّن هم مؤمنون فعلاً؟

يقول المفسّرون ـ ومنهم العلّامة الطباطبائي‌ﷺ في الميزان في تفسير القرآن[٣] ـ: إنّ المقصود من الإيمان الثاني هو الاجتهاد في تحقّق آثار الإيمان والمتابعة التامّة للرسولﷺ.

هذا، كما أنّ إنساناً يعلم شيئاً ولايكون لعلمه أثر عليه، فاطّلاعه على علمه بذلك الشيء تذكيرٌ له. كأن يقال لمن يعرف مضارّ المشروبات الروحية ولايترتّب على علمه بذلك أثرٌ ما: إعلَم أنّ المشروبات الروحية مضرّة بالصحّة. فهذا يعني: تأثّر واعمل بما تعلم.

ومن ثمّ، فإنّ الآية الكريمة الآنفة الذكر تعني: يا أيّها الذين آمنوا أوفوا بإيمانكم وأتمّوا شروطه وآثاره بصورة كاملة في حياتكم. فالوفاء بالإيمان يفيء عليكم

---

١. الحديد: ٢٨.

٢. النساء: ١٣٦.

٣. الميزان في تفسيرالقرآن: ج ٥ ص ١١١ ـ ١١٢. وراجع: التبيان في تفسير القرآن: ج ٣ ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨، مجمع البيان: ج ٣ ص ١٩١.

بثمرتين، الأُولى: أجرٌ مضاعف من رحمة الله مناسبٌ للإيمان المضاعف، والأُخرى: نور بصيرة وسداد نظر يهدي الإنسان إلى التكامل.

فلو أنّنا دقّقنا النظر في معنى هذه الآية لرأينا أنّها تلخّص كلّ ما ورد عن شروط المعرفة فيما سبق من هذا البحث من وجهة نظر الإسلام؛ هذا لأنّ الإيمان المضاعف والاستقصاء الكامل لآثار الإيمان لا يتأتّىٰ إلّا بتحصيل هذه الشروط جميعاً. وبعبارة أُخرى: إنّ التقوىٰ والزهد والعمل والجهاد والإخلاص تتلخّص كلّها في الإيمان المضاعف، وعليه فإنّ تعبير الإيمان المضاعف في الآية الكريمة هو في نظر القرآن تلخيص لكلّ شروط المعرفة.

وأمّا الرواية التي تحفل بتلخيص لما سلف من شروط المعرفة فهي تتمّة الحديث الذي رواه عِنوان البصري عن الإمام الصادقعليه السلام، والذي سبق أن ذكرناه في الفصل الأوّل من شروط المعرفة بعنوان «عِلم النور أو نور العِلم».

فقد قلنا هناك بأنّ عِنْوان ذهب إلى الإمام الصادقعليه السلام بعد جهود مضنية بقصد تحصيل العِلم، فقال له الإمامعليه السلام:

لَيسَ العِلمُ بِالتَّعَلُّمِ وإنَّما هُوَ نُورٌ يَقَعُ فِي قَلبِ مَن يُريدُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالىٰ أن يَهدِيَهُ.

ثمّ إنّ الإمام الصادقعليه السلام استمرّ في حديثه مبيّناً كيفية تحصيل هذا العلم، فقال:

فإن أَرَدت العِلمَ فَاطلُبْ أوّلاً في نَفْسِكَ حَقيقَةَ العُبودِيَّةِ، وَاطْلُبِ العِلمَ بِاستِعمالِهِ.[1]

فكلمة «العبودية» وجملة «واطلب العلم باستعماله» هما أيضاً جامعتان لجميع شروط المعرفة كما يراها القرآن الكريم، بمعنىٰ أنّه لا يمكن أن يكون المرء عبداً حقيقياً لله وهو لايتجنّب موانع المعرفة التي سبق بيانها، ولايمكن أن يصل امرؤ إلى حقيقة العبودية بغير تقوىٰ وزهد وجهاد وإخلاص، كما أنّ المراد من تحصيل العلم باستعماله والعمل به ليس إلّا الحركة في طريق الرُشد والتكامل، والحركة في هذا

---

١. مشكاة الأنوار: ص ٥٣٦ ح ١٩٠١.

الطريق لاتمكن إلّا باجتناب موانع المعرفة والاستعانة بالتقوىٰ وما إليها، وحينذاك ـ كما يرى الإمام الصادقعليه السلام ـ يصل الإنسان إلى نور العِلم أو عِلم النور أو العِلم الحقيقي المؤثّر، العِلم الذي يعطي كلّ عِلم من علوم الإنسان وجهته ويوجّه جميع إدراكاته إلى الرُشد والتكامل.

## الخلاصة

◘ يمكن للإنسان أن يحرز شروط المعرفة العقلية والقلبية بشكلها الكامل، وأن يتحرّك في طريق التكامل وفق رؤية كونية صحيحة فيما لو تخلّىٰ عن موانع المعرفة وتحلّى بالتقوىٰ والزهد والعمل والجهاد والإخلاص.

◘ يعتبر القرآن الكريم الظلم والكفر والإسراف والفسق حُجباً على عين العقل وموانع تحول دون سطوع أنوار الهداية الإلٰهية، ويُعلن بصراحة أنّ الظالم والكافر والمسرف والفاسق والكذّاب كُلّ أُولئك لا حظّ لهم من هدايته تعالىٰ.

◘ كلمة التقوى مشتقّة من المصدر «وقاية» وتعني في اللغة: التحفّظ والمهابة.

◘ التقوىٰ كشرط لإشراق مصباح البصيرة، تتحقّق للإنسان نتيجةً لاستمرار مقاومة الهوىٰ والهَوس. هذه التقوىٰ بمعنى الاعتياد على مقاومة الأهواء.

◘ التقوىٰ بمثابه السدّ المنيع يحول دون هيجان النزوات ويحفظ مصباح البصيرة من الانطفاء.

◘ للتقوىٰ -في رأي القرآن- دوران أساسيان في المعرفة، الأوّل: إنّها تبعث في الإنسان قدرة على تشخيص الحقّ والباطل، والآخر: إنّها شرط للهداية الإلٰهية.

◘ الزهد في اللغة ضدّ الرغبة، ويعني عدم الميل، والمراد منه في الأحاديث هو عدم الميل وفقدان الرغبة في كلّ ما من شأنه أن يمنع المعرفة ويمثّل سدّاً في طريق التكامل.

◘ التقوىٰ والزهد كلاهما من أصلٍ واحد، والإنسان يصل إلى الزهد لو وصل إلى درجة عالية من التقوىٰ.

◘ التقوىٰ تؤدّي إلى إشراق مصباح البصيرة، ومن ثَمّ إلى معرفة الحقائق العقلية. والزهد يقوّي هذا المصباح ويديم إشراقَه.

◘ كلّ خطوة يخطوها الإنسان في طريق التكامل يكتشف فيها مزيداً من المعرفة بهذا الطريق وبحقائق الوجود، وكلّ معرفة جديدة تهيّئ مزيداً من

الدوافع للحركة والتكامل، والتوقّف في هذا الطريق موجب لانطفاء مصباح البصيرة والضلال، وهذا المعنى هو ما يعبّر عنه في الروايات الإسلامية بأنّ العمل موجب للعلم، والمعرفة والعلم والمعرفة بلا عمل لا دوام لهما.

▣ الجهاد ـ بمعنىٰ بذل غاية الإمكان لقطع طريق التكامل ـ أحد الشروط اللازمة لإشراق مصباح البصيرة ومعرفة الحقيقة.

▣ التقوىٰ والزهد يلزمهما العمل في دوامهما، والعمل يلزمه الجهاد.

▣ الشرط النهائي لدوام إشراق مصباح البصيرة هو الإخلاص.

▣ المراد بالإخلاص هو أن تكون حركة الإنسان في طريق التكامل لوجه الله تعالى لا لدوافع أو رغبات نفسانية.

▣ لايمكن للتقوىٰ والزهد والعمل والجهاد أن تؤدّي دَورها الكامل بالنسبة لتكامل الإنسان ومعرفة حقائق الوجود ما لم يتوفّر لها الإخلاص.

▣ يصرّح القرآن الكريم بأنّ الإنسان إذا ما بذل غاية وسعه في طريق التكامل لوجه الله خالصاً، منّ الله علية قطعاً بما يحتاج إليه من المعارف.

▣ معرفة الحقائق الوجودية على مراتب، فشرط الوصول إلى أدناها اجتناب موانع المعرفة، وشرط الوصول إلى أعلاها الإخلاص.

▣ إحياء العقل وإماتة النفس وتهذيب الأخلاق، هي صفات الأفراد الذين استناروا بنور الوحي والإمام، وبلغ توقّد مصباح بصيرتهم في مركز وجودهم إلى أقصى درجات التوقّد والإنارة، ووصلوا ـ بعد اجتيازهم مراحل عديدة في السلوك والعمل ـ إلى قمّة الكمال.

▣ خلاصة الكلام بالنسبة لشروط المعرفة هي في القرآن «الإيمان المضاعف»، وفي الحديث هي «العبودية» و«طلب العلم باستعماله».

# الفهارس


١ . فهرس الآيات ........ ٣٧٧

٢ . فهرس الأحاديث ........ ٣٨٩

٣ . فهرس الأعلام ........ ٤٠١

٤ . فهرس الأديان والفرق والمذاهب ........ ٤٠٥

٥ . فهرس الجماعات والقبائل ........ ٤٠٦

٦ . فهرس البلدان والأماكن ........ ٤٠٨

٧ . فهرس الأشعار ........ ٤٠٩

٨ . فهرس الحوادث والوقائع والأيّام والأزمنة ........ ٤١٠

٩ . فهرس المنابع والمآخذ ........ ٤١١

١٠ . الفهرس التفصيلي ........ ٤١٧

(١)

# فهرس الآيات


| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| **الفاتحة** | | |
| ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ | ١ | ٣٥١ |
| **البقرة** | | |
| ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ | ٢ | ٣٦١ |
| ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ...﴾ | ٦ | ٣٢١ |
| ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ﴾ | ٧ | ٣٠٨، ٣١٠ |
| ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ | ١٠ | ٢٩٩ |
| ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ | ١٠ | ٢٩٩ |
| ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ | ١١١ | ٢٠ |
| ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ...﴾ | ١٤ | ٢٤٧ |
| ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ | ١٨ | ٣٠٧ |
| ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ | ٢٦ | ٢٨٢، ٢٩٠ |
| ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ...﴾ | ٧٤ | ٣٠١ |
| ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ | ٨٥ | ٢٦٨، ٢٨٦ |

| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ | ٨٩ | ٢٦٧ |
| ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ | ١٧٠ | ٢٣ |
| ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا...﴾ | ١٧١ | ٣٢١ |
| ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ | ١٧١ | ٣٠٧ |
| ﴿... وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ | ٢٢٥ | ١٦٧ |
| ﴿لَا إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ | ٢٥٦ | ١١٨، ١١٩ |
| ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ ...﴾ | ٢٥٦ | ٢٦٥، ٢٨٥ |
| ﴿... وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ | ٢٨٣ | ١٦٧ |

## آل عمران

| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ...﴾ | ٧ | ٣٠٤ |
| ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا...﴾ | ٨ | ٣٠٤، ٣٠٥ |
| ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ...﴾ | ١٩٠ | ١٨١ |

## النساء

| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى...﴾ | ١٠ | ٢٦٠ |
| ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ | ١٥٥ | ٣٠٨ |
| ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ | ١٧٤ | ٣٣٧ |
| ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ءَامِنُواْ﴾ | ١٣٦ | ٣٦٩ |

## المائدة

| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ﴾ | ١٥ | ٣٣٨ |

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ | ٤٤ | ٢٩٤ |
| ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ | ٤٥ | ٢٩٤ |
| ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ | ٤٧ | ٢٩٤ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ | ٥١ | ٣٥٨ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ | ٦٧ | ٣٥٨ |
| ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ...﴾ | ١٠٤ | ٢٣ |


## الأنعام


| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ | ٣٣ | ٢٦٢ |
| ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّـلُمَـٰتِ﴾ | ٣٩ | ٣٣٥ |
| ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ...﴾ | ٤٩ | ٢٧٨ |
| ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾ | ١١٦ | ٦٧، ١٠٨ |
| ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ | ١٢١ | ٢٧٧ |
| ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ...﴾ | ١٢١ | ١٨٢ |
| ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ...﴾ | ١٢٢ | ٣٤٢، ٣٦٥ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ | ١٤٤ | ٣٥٨ |


## الأعراف


| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿رَبَّنَا ظَـلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ | ٢٣ | ٢٥٩ |
| ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ | ٣١ | ٢٧٣ |
| ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ...﴾ | ٩٤ | ٣٢٧ |
| ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ | ١٠١ | ٣٠٩ |

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ...﴾ | ١٦٩ | ٦٧ |
| ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا...﴾ | ١٧٩ | ٢٢، ٢١٢ |
| ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ...﴾ | ١٩٨ | ٣٢١ |

## الأنفال

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ | ٢٢ | ٢١ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ | ٢٩ | ٣٦١ |

## يونس

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ | ٨٣ | ٢٧٣ |
| ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ | ٣٩ | ٦٧ |
| ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِى...﴾ | ٩٠ | ٢٤٩ |
| ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ | ٧٤ | ٣٠٩ |
| ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا...﴾ | ٩٩ | ١١٩ |
| ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ...﴾ | ٥٧ | ٣٢٦ |
| ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ | ٩١ | ٢٤٩ |
| ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ...﴾ | ٩٠ | ١١٧ |

## هود

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ | ٢٠ | ٣٢٢ |

## يوسف

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا...﴾ | ٣١ | ٢٢٧ |

| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ ...﴾ | ٣١ | ٢٢٦ |
| ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ...﴾ | ١٠٨ | ١٢٧ |
| ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن...﴾ | ٣٠ | ٢٢٦ |

## إبراهيم

| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ | ١ | ٣٢٥، ٣٣٧ |
| ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ...﴾ | ٥ | ٣٢٥ |
| ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ | ٢٧ | ٢٦١، ٢٦٢، ٢٨٩ |

## النحل

| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا...﴾ | ٧٨ | ١٦٣ |
| ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ | ٧٨ | ١٦٥ |
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ...﴾ | ٩٠ | ٢٨٠ |
| ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ...﴾ | ١٢٥ | ١٢٤ |

## الإسراء

| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ | ٣٦ | ٢١، ٦٥ |
| ﴿مَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ | ٧٢ | ٣٠٧ |
| ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ | ٨٤ | ١٢ |
| ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا...﴾ | ٩٧ | ٣٢٣ |

## الكهف

| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـٰذَا...﴾ | ٦ | ١٢١ |

| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ...﴾ | ٧ | ١٢١ |
| ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلاً﴾ | ١٠٣ | ٢٤٧ |
| ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ ...﴾ | ١٠٤ | ٢٤٧ |

## طه

| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ | ١٢٥ | ٣٢٣ |
| ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ | ١٢٦ | ٣٢٣ |

## الأنبياء

| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ | ٦٢ | ١٣٠ |
| ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ | ٦٣ | ١٣٠ |
| ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ | ٦٦ | ١٣١ |
| ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ | ٦٧ | ١٣١ |

## الحجّ

| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى...﴾ | ٤٦ | ٣٠٦ |
| ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ﴾ | ٥٤ | ٤٤ |

## النور

| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ | ١٥ | ٦٥ |
| ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ | ٣٥ | ٣٤٨ |
| ﴿أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَـٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ...﴾ | ٤٠ | ٣٣٥ |

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ | ٤٠ | ٣٣٦ |

## الشعراء

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ | ٣ | ١٢١ |
| ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ...﴾ | ٤ | ١٢١ |
| ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ | ٨٩ | ١٦٨ |
| ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ | ١٩٣ | ١٦٦ |
| ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ | ١٩٤ | ١٦٦ |

## النمل

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ | ١٤ | ٤٧، ٢٦٧ |
| ﴿هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن...﴾ | ٤٠ | ٢٦٨، ٢٨٦ |
| ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا۟...﴾ | ٨٠ | ٣١٢، ٣٢١ |
| ﴿وَمَا أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ﴾ | ٨١ | ٣١٢ |

## القصص

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ | ٥٠ | ٣٥٨ |
| ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ...﴾ | ٧ | ١٨٢ |

## العنكبوت

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ | ٤٩ | ٢٦٢ |

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ | ٦٩ | ٣٦٧ |

## الرّوم

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ...﴾ | ٧ | ١٨٠، ٢٠٧، ٢١٩ |
| ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِى أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ...﴾ | ٨ | ١٨١ |
| ﴿إِنَّكَ لَاتُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَاتُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْاْ...﴾ | ٥٢ | ٣١٢ |
| ﴿وَمَا أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ﴾ | ٥٣ | ٣١٢ |

## لقمان

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ | ١٣ | ٢٥٨ |

## السجدة

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ...﴾ | ١٢ | ٣٢٢ |
| ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ | ١٢ | ٣٢٣ |
| ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ...﴾ | ٢١ | ٢٣٧ |

## الأحزاب

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّـآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ | ٤٥ | ٣٤٠ |
| ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ | ٤٦ | ٣٤٠ |

## سبأ

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ...﴾ | ٦ | ٤٤ |

| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |

## يس

| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ | ٧٠ | ٣٢١ |

## ص

| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلاً ذَٰلِكَ...﴾ | ٢٧ | ٦٦ |

## الزمر

| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿إِنَّ ٱللَّـهَ لَايَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ | ٣ | ٣٥٩ |
| ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَـٰٓئِكَ...﴾ | ١٧ | ٦٩ |
| ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ | ١٧ | ٦٩، ١١٦ |
| ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ | ١٨ | ١١٦ |
| ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَاتَقْنَطُواْ مِن...﴾ | ٥٣ | ٢٧٣ |

## غافر

| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿إِنَّ ٱللَّـهَ لَايَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ | ٢٨ | ٣٥٩ |
| ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ | ٣٤ | ٢٧٥، ٢٨٩ |
| ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ | ٣٥ | ٣٠٩ |
| ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ | ٧٤ | ٢٧٠، ٢٧١، ٢٨٩ |

## الجاثية

| الآية | الرقم | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ...﴾ | ٢٣ | ٢٨٩، ٣١٠ |

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ | ٢٣ | ٢٩٢ |
| ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا...﴾ | ٢٤ | ٦٦، ٢٦٦ |

## الأحقاف

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ | ١٠ | ٣٥٨ |
| ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ...﴾ | ٢٠ | ٢٧٩ |

## محمّد

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ﴾ | ١٢ | ٢٢٢ |
| ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ | ٢٤ | ٣١١ |

## الحجرات

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُواْ...﴾ | ١٤ | ١١٥ |

## قٓ

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَـآءَكَ...﴾ | ٢٢ | ٢٥١، ٣٢٢ |
| ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ | ٣٣ | ١٦٧ |
| ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ | ٣٧ | ١٥٧، ١٦٦ |
| ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ | ٤٥ | ١٢١ |

## النجم

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ | ٢٣ | ٦٤ |
| ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ...﴾ | ٢٩ | ١٧٨ |

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن...﴾ | ٣٠ | ١٧٨ |

## القمر

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ | ٥٥ | ٣٥٢ |

## الحديد

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ...﴾ | ١٢ | ٣٤٣ |
| ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا...﴾ | ١٣ | ٣٤٣ |
| ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ | ١٣ | ٢٦١ |
| ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ | ٢٠ | ٢٦٥، ٢٨٥ |
| ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ...﴾ | ٢٨ | ٣٦٩ |

## الصف

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ | ٥ | ٣٠٤ |

## المنافقون

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ | ٦ | ٣٥٩ |

## التغابن

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ | ٨ | ٣٤١ |

## النازعات

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ | ٣٧ | ٢٩٠ |

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ | ٣٨ | ٢٩٠ |
| ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ | ٣٩ | ٢٩٠ |
| ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ | ٤٠ | ٢٩٠ |
| ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ | ٤١ | ٢٩٠ |

## المطفّفين

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ | ١٤ | ٢٥٣، ٢٦٢، ٣٠٦ |

## الغاشية

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ | ٢١ | ١٢٠ |
| ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ | ٢٢ | ١٢٠ |

## البلد

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ | ١٠ | ٢٧ |

## الليل

| الآية | الرقم | الصفحة |
|---|---|---|
| ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ | ١٢ | ٣٥٠ |

# (٢)

# فهرس الأحاديث


| المعصوم | الحديث | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| عيسى ؑ : | خُذُوا الحَقَّ مِن أَهلِ الباطِلِ، ولا تَأخُذُوا الباطِلَ مِن أَهلِ الحَقِّ | ٧٠ |
| عيسى ؑ : | دَاوَيْتُ المَرْضَى فَشَفَيْتُهُمْ بِإِذْنِ اللهِ، وأَبْرَأْتُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ... | ٢٤٧ |
| عيسى ؑ : | المُعْجَبُ بِرَأْيِهِ ونَفْسِهِ، الَّذِي يَرَى الفَضْلَ كُلَّهُ لَهُ لَا عَلَيْهِ، ويُوجِبُ... | ٢٤٨ |
| النبي ﷺ : | اِتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّهُ ظُلُماتُ يَوْمِ القِيامَةِ | ٢٦٠ |
| النبي ﷺ : | إذَا أَذْنَبَ العبدُ نُكِتَ في قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فإنْ تَابَ صُقِلَ مِنْها... | ٣١٩ |
| النبي ﷺ : | أفضَلُكُم إيماناً أَفضَلُكُم مَعرِفَةً | ٤١ |
| النبي ﷺ : | اللّهم نَوِّرْ بكتابكَ بَصَري | ٣٣٩ |
| النبي ﷺ : | أمّا عَلامَةُ الفاسِقِ فَأَربَعَةٌ: اللَّهوُ، واللَّغوُ، والعُدوانُ، والبُهتانُ | ٢٨٠ |
| النبي ﷺ : | إنَّ المؤمنَ إذَا أذنَبَ كانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ في قَلْبِهِ، فَإن تَابَ ونَزَعَ... | ٣٢٠ |
| النبي ﷺ : | أنتَ العالِمُ وأَنَا الجاهِلُ | ٨٧ |
| النبي ﷺ : | إنَّ مِنَ السَّرَفِ أنْ تَأْكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَيْتَ | ٢٧٤ |
| النبي ﷺ : | إنَّ هٰذا أعتىٰ عَلَى اللهِ مِن فِرعَونَ؛ إنَّ فِرعَونَ لَمَّا أيقَنَ بِالهَلاكِ... | ٢٥٠ |
| النبي ﷺ : | إيّاكَ وَاللَّجاجَةَ؛ فَإِنَّ أوَّلَها جَهلٌ وآخِرَها نَدامَةٌ | ٧٤ |
| النبي ﷺ : | ثُمَّ يَقولُ ـ يَعني الرَّبَّ تبارك وتعالى ـ: اِرفَعُوا رُؤوسَكُم ... | ٣٤٤ |

| المعصوم | الحديث | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| النبي ﷺ : | جَزاكُمُ اللهُ مِن عِصابَةٍ شَرّاً؛ لَقَد كَذَّبتُموني صادِقاً وخَوَّنتُم أميناً | ٢٥٠ |
| النبي ﷺ : | حبُّكَ للشَّيءِ يُعمِي ويُصِمّ | ٢٢٧ |
| النبي ﷺ : | العِلمُ حَياةُ الإسلامِ وعِمادُ الإيمانِ | ٤٥ |
| النبي ﷺ : | فَمِنْهُم مَنْ يُعْطَىٰ نُورَهُ مِثْلَ الجَبَلِ العَظِيمِ يَسْعَىٰ بَيْنَ يَدَيْهِ... | ٣٤٤ |
| النبي ﷺ : | فِي كُلِّ شَيءٍ إسرافٌ | ٢٧٤ |
| النبي ﷺ : | فيهِ مَصابيحُ الهُدىٰ ومَنارُ الحِكْمَة | ٣٣٨ |
| النبي ﷺ : | كَلاّ، إنَّ هٰذِهِ خُطُواتِ الشَّيطانِ فَيُرغِّبُكَم فِي الدُّنيا. وَاللهِ لَو تَدومُونَ... | ٣٦٤ |
| النبي ﷺ : | لا تَظْلِمْ أحداً تُحْشَرُ يومَ القيامَةِ في النُّور | ٢٦٠ |
| النبي ﷺ : | لا تَكونوا إمَّعَةً؛ تَقولونَ: إن أحسَنَ النّاسُ أحسَنّا، وإن ظَلَموا... | ٢٦ |
| النبي ﷺ : | لَيسَ مَنْ ماتَ فَاستَراح بِمَيِّتٍ، إنَّما المَيتُ مَيِّتُ الأَحْياءِ | ٣١٢ |
| النبي ﷺ : | مَا أَخْلَصَ عَبدٌ للهِ عزَّوجلَّ أربعينَ صباحاً إلّا جَرَتْ ينابيعُ الحكمةِ... | ٣٦٨ |
| النبي ﷺ : | ما مِن أحدٍ إلّا عَلىٰ بابِهِ مَلَكانِ، فَإذا خَرَجَ قالا: أُغدُ عالِماً أو... | ٢٤ |
| النبي ﷺ : | مَن تَأَنّىٰ أصابَ أو كادَ، ومَن عَجِلَ أخطأَ أو كادَ | ٧٥ |
| النبي ﷺ : | مَن تَعَصَّبَ أو تُعُصِّبَ لَهُ فَقَد خَلَعَ رَبَقَ الإيمانِ (رِبقَةَ الإسلامِ) مِن عُنُقِهِ | ٧١ |
| النبي ﷺ : | مَن تَعَلَّمَ فَعَمِلَ عَلَّمَهُ اللهُ ما لَم يَعلَم | ٣٦٦ |
| النبي ﷺ : | مَن قالَ «أنا عالِمٌ» فَهُوَ جاهِلٌ | ٩٤ |
| النبي ﷺ : | مَنْ يَرْغَبْ في الدُّنيا فَطالَ فيها أَمَلُهُ، أَعْمَى اللهُ قَلْبَهُ عَلَى قَدْرِ... | ٣٦٣ |
| النبي ﷺ : | مَن يَعْمَلُ بِما يَعْلَمُ رَزَقَهُ اللهُ عِلم ما لَم يَعلَم (أو) عَلَّمَهُ ما لَم يَعلَمْ | ٣٦٦ |
| النبي ﷺ : | النّاسُ اثنانِ: عالِمٌ ومُتَعَلِّمٌ، وما عَدا ذٰلِكَ هَمَجٌ رَعاعٌ | ٢٤ |
| النبي ﷺ : | وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفائِنَ العُقُولِ | ٣٢٥ |
| النبي ﷺ : | هَلْ مِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ عِلْماً بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ وَهَدْياً بِغَيْرِ... | ٣٦٣ |

| المعصوم | الحديث | الصفحة |
|---|---|---|
| النبي ﷺ: | يا أَيُّهَا النَّاس، إنَّما هُما نَجدانِ: نَجدُ خَيرٍ ونَجدُ شَرٍّ؛ فَلاَ يَكُن... | ٢٦ |
| النبي ﷺ: | يا مُقَلِّبَ القُلوبِ ثَبِّتْ قَلْبي على دِينِك | ٣٠٥ |
| الإمام علي ؑ: | إذَا أَرادَ الله بِعَبْدٍ خَيْراً فَأَذْنَبَ ذنباً تَبِعَهُ بِنِقْمَةٍ وَيُذَكِّرُه الاِسْتِغْفار | ٢٣٨ |
| الإمام علي ؑ: | إذَا رَأَيْت اللهَ سُبْحانه يُتَابع عليْكَ البلاء فقد أيقظَكَ | ٢٣٨ |
| الإمام علي ؑ: | أرىٰ نورَ الوَحيِ وَالرِّسالَةِ، وأَشُمُّ ريحَ النُّبُوَّةِ | ١٧٢، ٣٣٨، ٣٤٥ |
| الإمام علي ؑ: | الاِستِبدادُ بِرَأيِكَ يُزِلُّكَ ويُهَوِّرُكَ فِي المَهاوي | ٧٢ |
| الإمام علي ؑ: | اِضربوا بَعضَ الرَّأيِ بِبَعضٍ يَتَوَلَّدُ مِنهُ الصَّوابُ | ٧٨ |
| الإمام علي ؑ: | اعلَموا أنّكم إن اتَّبعتُم طالِعَ المَشْرِقِ سَلَكَ بِكُم مَنَاهِجَ الرسولِ ﷺ... | ٣٢٦ |
| الإمام علي ؑ: | أفضل الذكر القرآن، به تُشرَحُ الصُّدورُ وتستنير السرائر | ٣٣٨ |
| الإمام علي ؑ: | أقرَبُ الآراءِ مِنَ النُّهىٰ أبعَدُها مِنَ الهَوىٰ | ٦٨ |
| الإمام علي ؑ: | اللّهم... نَوِّرْ بالقرآن بصري | ٣٣٩ |
| الإمام علي ؑ: | إمامُ المُتَعَصِّبينَ وسَلَفُ المُستَكبِرينَ، الَّذي وَضَعَ أساسَ العَصَبِيَّةِ | ٦٩ |
| الإمام علي ؑ: | أملَكُ النّاسِ لِسَدادِ الرَّأيِ كُلُّ مُجَرِّبٍ | ٧٦ |
| الإمام علي ؑ: | إنَّ الجاهِلَ... إذا وَرَدَ عَلَيهِ مِنَ الأمورِ ما لَم يَعرِفهُ أنكَرَهُ وكَذَّبَ... | ٩٩ |
| الإمام علي ؑ: | إنَّ الجاهِلَ مَن عَدَّ نَفسَهُ بِما جَهِلَ مِن مَعرِفَةِ العِلمِ عالِماً، وبِرَأيِهِ... | ٩٣ |
| الإمام علي ؑ: | إنَّ العالِمَ مَن عَرَفَ أنَّ ما يَعلَمُ فيما لا يَعلَمُ قَليلٌ، فَعَدَّ نَفسَهُ... | ٨٣ ٨٤ ٨٦ |
| الإمام علي ؑ: | إنَّ مِنَ البَلاءِ الفَاقَةَ، وأَشَدُّ مِنَ الفَاقَةِ مَرَضُ البَدَنِ، وأَشَدُّ مِنْ... | ٢٩٨ |
| الإمام علي ؑ: | اِندَمَجتُ عَلىٰ مَكنونِ عِلمٍ لو بُحتُ بِهِ لَاضطَرَبتُمُ اضطِرابَ... | ٨٧ |
| الإمام علي ؑ: | إنّكَ إن أطعتَ هَواكَ أصمَّكَ وأعماكَ، وأفسدَ مُنقلبَكَ وأرداك | ٢٢٨ |
| الإمام علي ؑ: | إنَّما الدُّنيا مُنتَهَى بَصَرِ الأعمىٰ، لا يُبصِرُ مِمّا وَراءَها شَيئاً... | ١٧٨، ٢٠٦ |
| الإمام علي ؑ: | إنَّما قلبُ الحَدَثِ كالأرضِ الخاليةِ؛ ما أُلقيَ فيها شيءٌ قَبِلَتْهُ... | ٣٠٣ |

| المعصوم | الحديث | الصفحة |
|---|---|---|
| الإمام علي عليه السلام : | إنّما مَثَلي بينَكُم كَمَثَلِ السِّراجِ فِي الظُّلمَةِ | ٣٤٠ |
| الإمام علي عليه السلام : | أنهاكَ عَنِ التَّسَرُّعِ بِالقَولِ وَالفِعلِ | ٧٥ |
| الامام علي عليه السلام : | أنّهم لا يستغلّون العلم، ولا يستعملون آلة الدين للدنيا، ولا ينقدح... | ٣٣ |
| الامام علي عليه السلام : | أُولئِكَ وَاللهِ الأَقَلّونَ عَدَداً | ٣٣ |
| الامام علي عليه السلام : | الإيمانُ وَالعِلمُ أخَوانِ تَوأَمانِ ورَفيقانِ لا يَفتَرِقانِ | ٤٤ |
| الإمام علي عليه السلام : | أمخِضُوا الرأيَ مَخضَ السِّقَاءِ يُنتِج سَديدَ الآراءِ | ٧٨ |
| الإمام علي عليه السلام : | بِرَأيِهِ مُكتَفِياً | ٩٧ |
| الإمام علي عليه السلام : | البصيرُ منْها شاخِصٌ والأعمَى إليها شاخصٌ، والبصيرُ منْها... | ٢٠٧ |
| الامام علي عليه السلام : | تَشهَدُ لَهُ أعلامُ الوُجودِ عَلىٰ إقرارِ قَلبِ ذِي الجُحودِ | ٤٧ |
| الإمام علي عليه السلام : | جعَلَه اللهُ... نوراً ليسَ معَه ظلمة | ٣٣٨ |
| الإمام علي عليه السلام : | الحِدَّةُ ضَربٌ مِنَ الجُنُونِ لأنَّ صاحِبَها يَندَمُ، فَإن لَم يَندَم فَجُنُونُهُ... | ٢٣٠ |
| الإمام علي عليه السلام : | خَيرُ الآراءِ أبعَدُها مِنَ الهَوىٰ وأقرَبُها مِنَ السَّدادِ | ٦٨ |
| الإمام علي عليه السلام : | دَعوهُ؛ فَإنَّ الَّذي يُريدُهُ الأعرابِيُّ هُوَ الَّذي نُريدُهُ مِنَ القَومِ! | ١٤ |
| الإمام علي عليه السلام : | رَأيُ الرَّجُلِ عَلىٰ قَدرِ تَجرِبَتِهِ | ٧٦ |
| الإمام علي عليه السلام : | الرَّأيُ مَعَ الأَناةِ، وبِئسَ الظَّهيرُ الرَّأيُ الفَطيرُ | ٧٥ |
| الإمام علي عليه السلام : | سِراجٌ لَمَعَ ضَوؤُهُ، وشَهابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ | ٣٤٠ |
| الإمام علي عليه السلام : | سَلوني قَبلَ أن تَفقِدوني | ٨٧ |
| الإمام علي عليه السلام : | طَبيبٌ دَوّارٌ بِطِبِّهِ، قَد أحكَمَ مَراهِمَهُ، وأحمىٰ مَواسِمَهُ، يَضَعُ... | ٢٠٤ |
| الإمام علي عليه السلام : | طبيبٌ دَوّارٌ بِطِبِّه... مُتَتَبِّعٌ بِدَوائِه مَواضِعَ الغَفْلَةِ ومَواطِنَ... | ٣٢٤ |
| الإمام علي عليه السلام : | الظُّلْمُ أُمُّ الرَّذائِلِ | ٢٩٥ |
| الإمام علي عليه السلام : | العالِمُ الَّذي لا يَمِلُّ مِن تَعَلُّمِ العِلمِ | ٨٨ |

| المعصوم | الحديث | الصفحة |
|---|---|---|
| الإمام علي ﷺ : | العالِمُ مَن عَرَفَ قَدرَهُ، وكَفىٰ بالمَرءِ جَهلاً أن لا يَعرِفَ قَدرَهُ | ٨٨ |
| الإمام علي ﷺ : | العالِمُ مَن لا يَشبَعُ مِنَ العِلمِ وَلا يَتَشَبَّعُ بِهِ | ٨٨ |
| الإمام علي ﷺ : | العَجَلُ يوجِبُ العِثارَ | ٧٥ |
| الإمام علي ﷺ : | العدلُ أساسٌ به قِوامُ العالَم | ٢٥٦ |
| الإمام علي ﷺ : | العَدلُ يَضَعُ الأُمورَ مَواضِعَها | ٢٥٦ |
| الإمام علي ﷺ : | العَقلُ عَقلانِ: عَقلُ الطَّبعِ وعَقلُ التَّجرِبَةِ وكِلاهُما يُؤَدّي المَنفَعَةَ | ٧٦ |
| الامام علي ﷺ : | عَلَيكُم بِالدِّراياتِ لا بِالرِّواياتِ | ٤٢ |
| الإمام علي ﷺ : | عِندي عِلمُ الأَوَّلينَ وَالآخِرينَ | ٨٧ |
| الإمام علي ﷺ : | العُيونُ طَلائعُ القُلوبِ | ١٦٩ |
| الإمام علي ﷺ : | فَالبَصيرُ مِنها شاخِصٌ، والأعمىٰ إلَيها شاخِصٌ. والبَصِيرُ مِنها... | ١٧٩ |
| الإمام علي ﷺ : | فإن لم يندم فجنونه مستحكَم | ٢٣٠ |
| الإمام علي ﷺ : | فَقُلتُ: يارَسولَ اللهِ، ما هٰذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقالَ: هٰذَا الشيطان قَد أيِسَ... | ١٧٣ |
| الإمام علي ﷺ : | فِكْرُ المرْءِ مِرْآةٌ تُريهِ حُسْنَ عملهِ مِنْ قُبْحِهِ | ٢٥٤ |
| الإمام علي ﷺ : | الفكر مرآةٌ صافِيَةٌ | ٢٥٤ |
| الإمام علي ﷺ : | فَما يَزالُ مَن لِلعُلَماءِ مُباعِداً، وعَلَيهِم زارِياً | ٩٨ |
| الإمام علي ﷺ : | فَما يَنفَكُّ بِما يَرىٰ ممّا يَلتَبِسُ عَلَيهِ رَأيُهُ مِمّا لايَعرِفُ لِلجَهلِ... | ١٠٠ |
| الإمام علي ﷺ : | فَهُو يَنظُرُ بِعَينٍ غَيرِ صَحيحَةٍ، ويَسمَعُ بِأُذُنٍ غَيرِ سَميعَةٍ | ٣١٣ |
| الإمام علي ﷺ : | فِي التَّجارِبِ عِلمٌ مُستَأنَفٌ | ٧٦ |
| الإمام علي ﷺ : | قد أحكم مراهِمَه وأَحْمىٰ مواسَمه | ٢٠٥ |
| الامام علي ﷺ : | قَد خَرَقَتِ الشَّهواتُ عَقلَهُ، وأماتَتِ الدُّنيا قَلبَهُ | ٣١٣ |
| الإمام علي ﷺ : | قَدْ قادَتْكُم أزِمَّةُ الحَيْنِ، وَاستَغلَقَت عَلىٰ قُلوبِكُم أقفالُ الرَّينِ | ٣١١ |

| المعصوم | الحديث | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| الإمام علي عليه السلام : | القَلبُ مُصحَفُ الفِكرِ | ١٦٩ |
| الإمام علي عليه السلام : | القَلبُ يَنبوعُ الحِكمَةِ، والأُذُن مَغيضُها | ١٦٩ |
| الإمام علي عليه السلام : | قولُ «لا أعلَمُ» نِصفُ العِلمِ | ٩٠ |
| الإمام علي عليه السلام : | كُلُّ مَعرِفَةٍ تَحتاجُ إلَى التَّجارِبِ | ٧٥ |
| الإمام علي عليه السلام : | كَيفَ يُراعي النَّبأةَ مَن أصَمَّتهُ الصَّيحَةُ | ٢٤٥ |
| الإمام علي عليه السلام : | لا تَرُدَّ عَلَى النّاسِ كُلَّ ما حَدَّثوكَ بِهِ، فَكَفىٰ بِذٰلِكَ جَهلاً | ١٠٠ |
| الإمام علي عليه السلام : | لا تَقولوا بِما لا تَعرِفونَ، فَإِنَّ أكثَرَ الحَقِّ فيما تُنكِرونَ | ٩٢ |
| الإمام علي عليه السلام : | لا تَنظُر إلىٰ مَن قالَ وَانظُر إلىٰ ما قالَ | ٧٠ |
| الامام علي عليه السلام : | لا يُعرَفُ الحَقُّ بِالرِّجالِ، اعرِفِ الحَقَّ تَعرِف أهلَهُ | ٣٥ |
| الإمام علي عليه السلام : | اللَّجاجَةُ تُسِلُّ الرَّأيَ | ٧٣ |
| الإمام علي عليه السلام : | اللَّجاجُ يُفسِدُ الرَّأيَ | ٧٣ |
| الإمام علي عليه السلام : | اللَّجوجُ لا رَأيَ لَهُ | ٧٣ |
| الإمام علي عليه السلام : | لم يستضيئوا بأضواءِ الحكمةِ، ولم يَقْدَحوا بِزِنادِ العلُومِ... | ٢٠٥ |
| الامام علي عليه السلام : | لَو أنَّ العِبادَ حينَ جَهِلوا وَقَفُوا لَم يَكفُروا ولَم يَضِلّوا | ٤٩ |
| الإمام علي عليه السلام : | لَو سَكَتَ الجاهِلُ مَا اختَلَفَ النّاسُ | ٩٦ |
| الإمام علي عليه السلام : | لو لا الأَجَلُ الذي كتبَ اللهُ عليْهم لم تَسْتَقِرَّ أرواحُهم في أجسادهم... | ٢٠٧ |
| الإمام علي عليه السلام : | ما أُعجِبَ بِرَأيِهِ إلّا جاهِلٌ | ٩٨ |
| الإمام علي عليه السلام : | متتبّع بدوائه مواضعَ الغفلةِ ومواطنَ الحيرة | ٢٠٦ |
| الامام علي عليه السلام : | مُتَعَلِّمٌ عَلىٰ سَبيلِ نَجاةٍ | ٣١ |
| الإمام علي عليه السلام : | المُجَرِّبُ أحكَمُ مِنَ الطَّبيبِ | ٧٦ |
| الإمام علي عليه السلام : | المُستَبِدُّ مُتَهَوِّرٌ فِي الخَطَأِ وَالغَلَطِ | ٧٢ |

| المعصوم | الحديث | الصفحة |
|---|---|---|
| الإمام علي عليه السلام: | مَنِ ادَّعىٰ مِنَ العِلمِ غايَتَهُ فَقَد أَظهَرَ مِن جَهلِهِ نِهايَتَهُ | ٩٤ |
| الإمام علي عليه السلام: | مَنِ استَقبَلَ وُجوهَ الآراءِ عَرَفَ مَواقِعَ الخَطَأ | ٧٨ |
| الإمام علي عليه السلام: | مَن جَهِلَ وُجوهَ الآراءِ أعيَتهُ الحِيَلُ | ٧٩ |
| الإمام علي عليه السلام: | مَن حَفِظَ التَّجارِبَ أصابَت أفعالُهُ | ٧٦ |
| الإمام علي عليه السلام: | مَنْ زَهِدَ فِي الدُّنيا ولَم يَجزَعْ مِن ذُلِّها ولَم يُنافِسْ فِي عِزِّها هَداهُ... | ٣٦٣ |
| الإمام علي عليه السلام: | مَنْ عَشِقَ شَيئاً أعْشَىٰ بَصَرَهُ وأمرَضَ قَلبَهُ، فَهُوَ يَنظُرُ بِعَينٍ غَيرِ... | ٢٢٧، ٣١٣ |
| الإمام علي عليه السلام: | من قلوبٍ عُمْيٍ، وآذانٍ صُمٍّ، وألسِنَةٍ بُكْمٍ | ٢٠٤ |
| الإمام علي عليه السلام: | مَنْ قَلَّ وَرَعُهُ ماتَ قلبُهُ، وَمن ماتَ قَلبُهُ دَخَلَ النّارَ | ٣١٣ |
| الإمام علي عليه السلام: | مَنْ كانَ مَقْصَدُهُ الحَقَّ أدرَكَهُ وَلَو كانَ كَثِيرَ اللَّبْسِ | ٣٦٧ |
| الإمام علي عليه السلام: | مَن لَم يَغُرَّهُ النّاسُ مِن نَفسِهِ، ومَن لَم تَغُرَّهُ الدُّنيا بِتَشَوُّفِها | ٦٨ |
| الإمام علي عليه السلام: | مَن لَم يَنفَعهُ اللهُ بِالبَلاءِ والتَّجارِبِ لَم يَنتَفِعْ بِشَيءٍ مِنَ العِظَةِ | ٢٤٥ |
| الإمام علي عليه السلام: | المَواعِظُ صِقالُ النُّفوسِ، وجَلاءُ القُلُوبِ | ٢٣٦ |
| الإمام علي عليه السلام: | مَيِّتَةٌ شَهوَتُهُ | ٣٦٢ |
| الامام علي عليه السلام: | النّاسُ ثَلاثَةٌ: فَعالِمٌ رَبّانِيٌّ، ومُتَعَلِّمٌ عَلىٰ سَبيلِ نَجاةٍ، وهَمَجٌ رَعاعٌ... | ٣١ |
| الإمام علي عليه السلام: | الناسُ نِيامٌ فإذا ماتوا انْتَبَهُوا | ٢٥٠ |
| الإمام علي عليه السلام: | وذلِكَ لِثِقَتِهِ بِرَأيِهِ وقِلَّةِ مَعرِفَتِهِ بِجَهالَتِهِ | ١٠٠ |
| الإمام علي عليه السلام: | وعَن طَلَبِ العِلمِ مُستَكبِراً | ١٠١ |
| الإمام علي عليه السلام: | وفِي الجَهالَةِ مُتَحَيِّراً | ١٠١ |
| الإمام علي عليه السلام: | ولَقَدْ سَمِعتُ رَنَّةَ الشَّيطانِ حينَ نَزَلَ الوَحْيُ عَلَيْهِ صلى الله عليه وآله | ١٧٤ |
| الإمام علي عليه السلام: | ولِمَن خالَفَهُ مُخَطِّئاً | ٩٩ |
| الإمام علي عليه السلام: | وَلَو فَكَّروا في عَظيمِ القُدْرَةِ وَجَسِيمِ النِّعمَةِ لَرَجَعُوا إلى الطَّرِيقِ... | ٢٩٨ |

| المعصوم | الحديث | الصفحة |
|---|---|---|
| الامام علي عليه السلام : | هِمَّةُ السُّفَهاءِ الرِّوايَةُ، وهِمَّةُ العُلَماء الدِّرايَةُ | ٤٣ |
| الإمام علي عليه السلام : | الهَوىٰ شَريكُ العَمىٰ | ٢٢٨ |
| الإمام علي عليه السلام : | يا أعرابِيُّ، إنَّ القَولَ في أنَّ اللهَ واحِدٌ عَلىٰ أربَعَةِ أقسامٍ :فَوَجهانِ... | ١٥ |
| الإمام علي عليه السلام : | يَابنَ غَفلَةَ، إنَّ اللَّبيبَ لايَتَأَنَّثُ في دارِ النُّقْلَةِ، ولَنا دار أَمْنٍ قَد... | ١٨٠ |
| الامام علي عليه السلام : | ياكُمَيلُ ما مِن حَرَكَةٍ إلّا وأنتَ مُحتاجٌ فيها إلىٰ مَعرِفَةٍ | ٤٠ |
| الإمام علي عليه السلام : | يضع ذلك حيث الحاجة إليه | ٢٠٥ |
| الإمام المجتبى عليه السلام : | فيه مصابيحُ النور وشفاءُ الصدور | ٣٣٩ |
| الإمام السجّاد عليه السلام : | أيْ ربِّ، بِأنفُسِنا استَخْفَفْنا عِندَ مَعصِيَتِكَ لا بِعَظَمَتِكَ؛ وحَقَّنا... | ٢٥٩ |
| الإمام السجّاد عليه السلام : | سُبحانَكَ ما أضيَقَ الطُّرُقَ عَلىٰ مَن لَم تَكُن دَليلَهُ، وما أوضَحَ... | ٣٤٨ |
| الإمام السجّاد عليه السلام : | سَيِّدي، لَولا نُورُكَ عَمَيْتُ عَنِ الدَّليلِ، وَلَولا تَبصيرُكَ ضَلَلْتُ عَنِ... | ٣٥٢ |
| الإمام السجّاد عليه السلام : | وأعوذُ بِكَ مِن دُعاءٍ مَحجوبٍ، ورَجاءٍ مَكذوبٍ، وحَياءٍ مَسلوبٍ | ٨١ |
| الإمام السجّاد عليه السلام : | وَهَبْ لي نوراً أمشي بِهِ في النّاسِ، وأهتَدِي بِهِ في الظُّلُماتِ... | ٣٤٣ |
| الإمام الباقر عليه السلام : | اِعلَم أنَّهُ لاعِلمَ كَطَلَبِ السَّلامَةِ، ولاسَلامَةَ كَسَلامَةِ القَلبِ | ١٤٠ |
| الإمام الباقر عليه السلام : | إنَّ لِلّٰهِ عُقوباتٍ في القلوبِ والأبدان، ضنْكٌ في المعيشة ووهْنٌ... | ٣٠٢ |
| الإمام الباقر عليه السلام : | إنَّما هِيَ القُلُوبُ مَرَّةً تَصعَبُ ومَرَّةً تَسهَلُ | ٣٦٤ |
| الامام الباقر عليه السلام : | إنّي نظرتُ في كتابٍ لعليّ عليه السلام فوجدت في الكتاب : إنّ قيمَةَ كُلِّ امرِئٍ... | ٤٢ |
| الإمام الباقر عليه السلام : | تَذكُرُ اسمَ اللهِ حِينَ تُوضَعُ، وتَحمَدُ اللهَ حِينَ تُرفَعُ، وتَقُمُّ ما تَحتَها | ٢٥٧ |
| الإمام الباقر عليه السلام : | قَد حَجَبَها حُبُّهُ عَنِ النّاسِ فلا تَعقِلُ غَيرَهُ. والحِجابُ هو الشَّغاف... | ٢٢٨ |
| الإمام الباقر عليه السلام : | لا تَشرَبْ مِن مَوضِعِ أذنِهِ، ولا مِن مَوضِعِ كسرِهِ... | ٢٥٧ |
| الإمام الباقر عليه السلام : | لا يَنفَعُ مَعَ الشَّكِّ وَالجُحودِ عَمَلٌ | ١٢ |
| الإمام الباقر عليه السلام : | مَن عَمِلَ بِما يَعلَمُ عَلَّمَهُ اللهُ ما لم يَعلَم | ٣٦٦ |

| المعصوم | الحديث | الصفحة |
|---|---|---|
| الإمام الباقر عليه السلام : | نَعَم، أنَا أقُولُ :إنَّهُ لَيسَ شَيءٌ مِمّا خَلَقَ اللهُ صَغِيراً وكَبِيراً إلّا وقَد... | ٢٥٧ |
| الإمام الباقر عليه السلام : | وَاللهِ يا أبا خالِدٍ، لَنورُ الإمامِ في قُلُوبِ المُؤمِنينَ أنوَرُ مِنَ الشَّمسِ... | ٣٤١ |
| الامام الباقر عليه السلام : | وبِالدِّراياتِ لِلرِّواياتِ يَعلُو المُؤمِنُ إلىٰ أقصىٰ دَرَجاتِ الإيمانِ | ٤٢ |
| الامام الباقر عليه السلام : | يا بُنَيَّ، اعرِف مَنازِلَ الشّيعَةِ عَلىٰ قَدرِ رِوايَتِهِم ومَعرِفَتِهِم، فَإنَّ المَعرِفَةَ... | ٤١ |
| الإمام الصادق عليه السلام : | إبْذالُكَ ثَوبَ صَوْنِكَ، وإهراقُكَ فَضلَ إنائِكَ، وأكلُكَ التَّمرَ ورَميُكَ... | ٢٧٤ |
| الإمام الصادق عليه السلام : | إذا أذْنَبَ الرَّجلُ خَرَجَ في قَلْبِهِ نُكتَةٌ سَوداءُ، فَإنْ تابَ انمَحَتْ... | ٣٢٠ |
| الإمام الصادق عليه السلام : | العلمُ مقرونٌ إلى العمَل، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ، ومَنْ عَمِلَ عَلِمَ. والعلْمُ... | ٣٦٦ |
| الإمام الصادق عليه السلام : | المُستَبِدُّ بِرَأيِهِ مَوقوفٌ عَلىٰ مَداحِضِ الزَّلَلِ | ٧٣ |
| الإمام الصادق عليه السلام : | النّاسُ ثَلاثَةٌ: عالِمٌ ومُتَعَلِّمٌ وغُثاءٌ | ٢٤ |
| الإمام الصادق عليه السلام : | إنَّ اللهَ خَصَّ هٰذِهِ الاُمَّةَ بِآيَتَينِ مِن كِتابِهِ: أن لا يَقولوا إلّا ما يَعلَمونَ... | ٦٧ |
| الإمام الصادق عليه السلام : | إنَّ القَصدَ أمرٌ يُحِبُّهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وإنَّ السَّرفَ يُبغِضُهُ اللهُ، حَتّىٰ... | ٢٧٤ |
| الإمام الصادق عليه السلام : | إنَّ لِلقَلْبِ أُذُنَينِ، فَإذا هَمَّ العَبْدُ بِذَنْبٍ قالَ لَهُ رُوحُ الإيمانِ... | ١٧٢ |
| الإمام الصادق عليه السلام : | إنَّ مَن أجابَ في كُلِّ ما يُسأَلُ عَنهُ لَمَجنونٌ | ٩٠ |
| الإمام الصادق عليه السلام : | إنَّما المُؤمِنونَ يَومَ القِيامَةِ نُورُهُم يَسعىٰ بَينَ أيدِيهِم وبِأيمانِهِم... | ٣٤٣ |
| الإمام الصادق عليه السلام : | إنَّما يَكفُرُ إذا جَحَدَ | ٤٩ |
| الإمام الصادق عليه السلام : | إنّي رَجُلٌ مَطلُوبٌ، ومَعَ ذلِكَ لِي أورادٌ فِي كُلِّ ساعَةٍ مِن آناءِ... | ٣٤٦ |
| الإمام الصادق عليه السلام : | أبلِغ خَيراً وقُل خَيراً وَلا تَكُن إمَّعَةً | ٢٦ |
| الإمام الصادق عليه السلام : | تَقولُ: أنَا مَعَ النّاسِ وأنَا كَواحِدٍ مِنَ النّاسِ | ٢٦ |
| الإمام الصادق عليه السلام : | ثَلاثُ خِلالٍ يَقولُ كُلُّ إنسانٍ إنَّهُ عَلىٰ صَوابٍ مِنها: دينُهُ الَّذي... | ٥٧ |
| الإمام الصادق عليه السلام : | حَديثٌ تَدريهِ خَيرٌ مِن أَلفِ حَديثٍ تَروِيهِ | ٤٢ |
| الإمام الصادق عليه السلام : | خَمسُ خِصالٍ مَن فَقَدَ واحِدَةً مِنهُنَّ لَم يَزَل ناقِصَ العَيشِ زائِلَ... | ٧٧ |

| المعصوم | الحديث | الصفحة |
|---|---|---|
| الإمام الصادق ؈ : | ذَكَرتَ الحَواسَّ الخَمسَ ، وهِيَ لا تَنفَعُ شَيئاً بِغَيرِ دَليلٍ ، كَما لا... | ١٥٥، ٢١١ |
| الإمام الصادق ؈ : | علمتَ أنّا لانقبل إلّا ما أدركناه بأبصارنا ، أو سمعناه بآذاننا ، أو... | ٢١٠ |
| الإمام الصادق ؈ : | فإن أَرَدت العِلمَ فاطلُبْ أوّلاً في نَفْسِكَ حَقيقَةَ العُبودِيَّةِ ، وَاطلُبِ... | ٣٧٠ |
| الإمام الصادق ؈ : | كَتَبَ رَجُلٌ إلىٰ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ : يا أبا ذَرٍّ ، أطرِفني بِشَيءٍ... | ٢٥٩ |
| الإمام الصادق ؈ : | كُلُّ مَعصِيَةٍ مِنَ المَعاصِي الكِبارِ فَعَلَها فاعِلٌ أو دَخَلَ فيها داخِلٌ... | ٢٧٩ |
| الإمام الصادق ؈ : | لا ، إنَّ عَلَى اللهِ البَيانُ ، لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفساً إلّا وُسعَها | ٣٥٠ |
| الإمام الصادق ؈ : | لاتَفعَل ، إنَّ هٰذا مِنَ التَّبذيرِ ، وَاللهُ لا يُحِبُّ الفَسادَ | ٢٧٤ |
| الإمام الصادق ؈ : | لا تَقُل أنَا مَعَ النّاسِ وأنَا كَواحِدٍ مِنَ النّاسِ | ٢٦ |
| الإمام الصادق ؈ : | لا تَكونَنَّ إمَّعَةً | ٢٦ |
| الإمام الصادق ؈ : | لا مَعرِفَةَ إلّا بِعَمَلٍ ، فَمَنْ عَرِفَ دَلَّتْهُ المَعرِفَةُ عَلَى العَمَلِ ، ومَنْ... | ٣٦٦ |
| الإمام الصادق ؈ : | لَو أنَّ العِبادَ إذا جَهِلوا وَقَفُوا ولَم يَجحَدوا لَم يَكفُروا | ٤٨، ٢٦٦ |
| الإمام الصادق ؈ : | لَيسَ العِلمُ بِالتَّعَلُّمِ وإنَّما هُوَ نُورٌ يَقَعُ فِي قَلبِ مَن يُريدُ اللهُ تَبارَكَ... | ٣٧٠ |
| الإمام الصادق ؈ : | مَن دَخَلَ في هٰذَا الدّينِ بِالرِّجالِ أخرَجَهُ مِنهُ الرِّجالُ كَما أدخَلوهُ... | ٢٨ |
| الإمام الصادق ؈ : | مَن عَرَفَ دينَهُ مِن كِتابِ اللهِ ﷻ زالَتِ الجِبالُ قَبلَ أنْ يَزولَ... | ٢٨ |
| الإمام الصادق ؈ : | مَوضِعُ العَقلِ الدِّماغُ ، وَالقَسوَةُ وَالرِّقَّةُ فِي القَلبِ | ١٥٩، ١٦٠ |
| الإمام الصادق ؈ : | وإن وَرَدَ عَلَيهِ ما لا يَعرِفُ لَم يُنكِرهُ ؛ لِما قَرَّرَ بِهِ نَفسَهُ مِنَ الجَهالَةِ | ٨٤ |
| الإمام الصادق ؈ : | وَأمَّا الوَجهُ الآخَرُ مِنَ الجُحُودِ عَلى مَعرِفَةٍ وهُوَ أن يَجحَدَ الجاحِدُ... | ٢٦٧ |
| الإمام الصادق ؈ : | يا أبابَصيرٍ ، إنَّ أكثَرَ مَنْ تَرىٰ قِرَدَةٌ وخَنازيرُ | ١٧١ |
| الإمام الصادق ؈ : | يا أبا عَبدِاللهِ ، لَيسَ العِلمُ بِالتَّعَلُّمِ ، إنَّما هُوَ نُورٌ يَقَعُ في قَلبِ مَن... | ٣٤٧ |
| الإمام الصادق ؈ : | ... يَقَعُ فِي قَلبِ مَنْ يُريدُ اللهُ تَبارَكَ وتَعالىٰ أن يَهدِيَهُ | ٣٤٨ |
| الإمام الكاظم ؈ : | إنَّ اللهَ عَزَّوجَلَّ حَكىٰ عَن قَومٍ صالِحينَ أنَّهُم قالوا (رَبَّنا لَا تُزِغْ... | ٣٠٥ |

| المعصوم | الحديث | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| الإمام الكاظم ؑ : | مَنْ لَمْ يعقِلِ عَنِ اللهِ لَم يَعقِد قَلبُهُ عَلىٰ مَعرِفَةٍ ثابِتَةٍ يَبصُرُها... | ٣٤٩ |
| الإمام الكاظم ؑ : | يا هِشامُ، إنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقولُ في كِتابِهِ :(إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ... | ١٥٧ |
| الإمام الرضا ؑ : | مَا كُنتُ لِأَلقَى اللهَ ﷻ بِبِدعَةٍ لَم يُحدِث إِلَيَّ فيها شَيئاً ومَا أنَا مِنَ... | ١٢٠ |
| الإمام الرضا ؑ : | يَعنِي : أعمىٰ عَنِ الحَقائِقِ المَوجُودَةِ | ٣٠٧ |
| الإمام الهادي ؑ : | السَّلامُ عَلى أئمَّةِ الهُدىٰ ومَصابِيحِ الدُّجىٰ | ٣٤١ |
| الإمام العسكري ؑ : | ما مِنْ بليَّةٍ إلَّا وللهِ فيها نعمةٌ تحيط بها | ٢٤٢ |
| المعصوم ؑ : | إنَّ العِلمَ يهتفُ بالعَمَلِ، فإنْ أجابَه وإلّا ارتَحل | ٢٨٢ |
| المعصوم ؑ : | إنَّما كانَ طالِباً لِرَبِّهِ ولَم يَبْلُغْ كُفراً، وإنَّهُ مَن فَكَّرَ مِنَ النّاسِ في... | ٤٩ |
| المعصوم ؑ : | بَعضُكُم أكثَرُ صَلاةً مِن بَعضٍ، وبَعضُكُم أكثَرُ حَجًّا مِن بَعضٍ... | ٤١ |
| المعصوم ؑ : | ما مِنْ عَبْدٍ إلَّا في وَجهِهِ عَيْنانِ يُبصِرُ بها أمْرَ الدُّنيا، وعَيْنانِ... | ١٧١ |

(٣)

# فهرس الأعلام


الإسم الصفحة

إبراهيم عليه السلام ٤٩، ١٢٩، ١٣٠

ابن الأثير ٣٢، ٢٧٧

ابن سينا ٨٦، ٩١

ابن عربي ٣٥٠

أبو بصير ٤٨، ١٧١

أبو جهل ٢٤٨، ٢٥٠

أبو خالد الكابلي ٣٤١

أبو ذر ٢٥٩

أبو شاكر الديصاني ١٥٤، ١٥٥، ٢١٠

أبو عبد الله (عنوان البصري) ٣٤٧

إحسان طبري ٢٤١

أرسطو ٦٠، ٦٢، ١١٣

أرنست رونان ١١٣

أفلاطون ٦٠

الكسس كارل ٧٩

الإسم الصفحة

الإمام الباقر عليه السلام ـ أبو جعفر الباقر ـ محمّد بن علي الباقر عليه السلام ١٢، ٤١، ٤٢، ٤٩، ١٣٩، ١٤١، ٢٢٧، ٢٥٧، ٣٠٢، ٣٤١، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٦

الإمام الرضا عليه السلام ١٢٠، ٣٠٧، ٣٠٨

الإمام زين العابدين عليه السلام ١٧٠، ٣٤٢

الإمام السجّاد عليه السلام ٨١، ٣٥٢

الإمام الصادق عليه السلام ـ أبو عبد الله الصادق ـ جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٤١، ٤٢، ٤٨، ٤٩، ٥٧، ٥٨، ٦٧، ٧٣، ٧٧، ٩٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٩، ١٦٠، ١٧٠، ١٧١، ٢١١، ٢٥٩، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٤، ٢٧٩، ٣٢٠، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٥٠، ٣٦٦، ٣٧٠، ٣٧١

الإمام العسكري عليه السلام ٢٤٢

الإمام علي عليه السلام (أنظر: أمير المؤمنين ـ علي بن

أبي طالبعليه السلام) ١٣، ١٥، ١٦، ٢٥، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٤٤، ٤٧، ٤٩، ٦٨، ٦٩، ٧٢، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٨٣، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩٤، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٧٣، ٢٣٦، ٢٤٧، ٢٥٦، ٢٩٨، ٣٢٤، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٦٢، ٣٦٧
الإمام الكاظمعليه السلام ٢٦، ١٥٧، ١٦٦، ٣٠٥، ٣٤٩
الإمام المجتبىعليه السلام(أُنظر: الحسن المجتبىعليه السلام) ٧٥، ٣٠٢، ٣٣٩
أُمّ موسىعليه السلام ١٨٢
أُمّ المؤمنين (عائشة) ٣٣، ٣٤
أميرالمؤمنينعليه السلام(أُنظر: الإمام علي - علي بن أبي طالبعليه السلام) ١٣، ٢٩، ٣٤، ٤٠، ٤٢، ٧٠، ٧٣، ٧٤، ٧٧، ٨٣، ٩٢، ٩٤، ١٠٠، ١٠١، ١٢٠، ١٦٩، ١٧٩، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٣٠، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٩٥، ٣٠٢، ٣١١، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٥، ٣٦٣
أُمية بن خلف ١٣١
برونو (القس الايطالي) ١٣٤
بشر بن مروان ٢٧٤
بيكن ٦١، ٦٢
جابر بن عبدالله الأنصاري ٣٠٥
جابر بن يزيد الجعفيّ ١٣٩
جاك هادا مارا ٧٩
الحارث بن حوط ٣٣
حُذَيْفَة ٢٦
العلّامة الحِلّي ٦٨
ديكارت ٦١، ٦٢، ٦٣
الراغب الإصفهاني ٢٥٦، ٣٠٣
رسول اللهصلى الله عليه وآله(أُنظر: محمّد بن عبد الله - النبيصلى الله عليه وآله) ٢٧، ٧١، ٧٤، ١٢٠، ١٣١، ١٣٢، ٢٥٠، ٢٦٠، ٣٠٥، ٣٦٣، ٣٦٤
الزبير ٣٤
زرارة ٤٨، ٤٩
زليخا ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨
زيد بن صوحان العبدي ٦٨
سقراط ٦٠، ٨٦
سلّام بن المستنير ٣٦٣
سليمانعليه السلام ٢٦٨
سليمان بن صالح ٢٧٤
سويد بن غفلة ١٧٩
سهيل بن عمر ١٣٢
الشهيد الثاني ٩٠
الشيطان ٦٩، ١٣٥، ١٧٣
الشيخ الصدوق ١٣
صفوان بن أُميّة ١٣١
العلّامة الطباطبائي ٣٦٥، ٣٦٩

طلحة ٣٤
طه حسين ٣٤
ابو الفضل العبّاس بن علي عليه السلام ١٧٧
عبدالله بن سهيل ١٣٢
عبد الله بن مسعود ٣٤٣
علي بن أبي طالب عليه السلام (اُنظر: الإمام علي ـ أمير المؤمنين عليه السلام) ٢٩، ٣٤، ٤٠، ٤٢، ٦٨، ٧٣، ٨٤، ١٠٠، ١٧٠، ١٨٠، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٥٤، ٣٤٥، ٣٦٣
عليّ بن الحسين عليه السلام (اُنظر: الإمام زين العابدين ـ الإمام السجّاد عليه السلام) ٢٥٩
عُمير بن وهب ١٣٢
عنوان البصري ٣٤٦، ٣٧٠
عيسى عليه السلام ٧٠، ٢٤٧
الفخر الرازي ٣٥٠، ٣٥١
فرعون ١١٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠
الفضل بن يونس ٢٦
فيلشْتي دِي لامِنِهْ ٨٥
القاسم بن محمّد بن أبي بكر ٩٠
القدام بن شريح بن هانئ ١٣
كميل بن زياد ٣٠، ٣١، ٣٣، ٤٠
ليلى ٢٢٥
مالك بن أنس ٣٤٦
المجنون ٢٢٥
المحدّث القمّي ٣٥٠
محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله (اُنظر: رسول الله ـ النبي صلى الله عليه وآله) ١١٨، ١٢٠، ١٣٢
محمد بن علي الباقر عليه السلام (اُنظر: أبو جعفر ـ الإمام الباقر عليه السلام) ٢٥٧
محمّد بن مسلم ٤٨
المرتضى المطهّري ١٢٨، ١٣٥، ١٦٨
معاوية ٣٣
موسى عليه السلام ٤٧، ٤٨، ١١٧، ١٢٩، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦٧، ٣٠١، ٣٢٥
ميرفندرسكي ١٦٤
النبي صلى الله عليه وآله (اُنظر: رسول الله ـ محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله) ٢٠، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٣٢، ٤١، ٤٥، ٧٠، ٨٧، ٩٤، ١١٥، ١١٦، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٣، ١٦٧، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ٢٤٨، ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٧٣، ٢٧٤، ٣١٢، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٦٦
وليّ العصر (عج) ٣٢٦
ويل ديورانت ١١٣، ١١٤
هشام بن الحكم ١٥٤، ١٥٧
يوسف عليه السلام ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧

# (٥)

# فهرس الجماعات والقبائل


الإسم الصفحة

أصحاب الآراء والعقائد ٩٨

أصحاب الآراء والعقائد الباطلة ١٠١

أصحاب الآراء والعقائد العلمية ٨٤

أصحاب الآراء والعقائد غير العلمية ٩٨، ١٠٢

أصحاب الإمام الصادق ﷺ ٤٨، ١٧٢

أصحاب أمير المؤمنين ﷺ ٦٨

أصحاب الجحيم ٢١٢

أصحاب الجمل ٣٤

أصحاب العقائد الزائفة ١٤١

أصحاب محمّد ﷺ ٣٦٤

أصحاب المعارف السطحية ٢٠٤

الأعراب ١١٥

الإلهيّون ١٩٧، ٢٠٨، ٢١٩، ٢٩٩

الأنبياء ﷺ ٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٨٤، ١٩٤، ٢٠٦، ٢٩٩، ٣١٢، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٤٢

الإسم الصفحة

أهل البيت ﷺ ٢٥، ١٢٦، ٣٤١

أهل التحقيق ٤٣

أهل التحقيق والبحث ٧٨

أهل الحجاز ١٣١

بنو أسد ١١٥

التابعون ٣٤٢

تلاميذ الإمام الصادق ﷺ ١٥٤

السّفسطائيون ٦٠

الشهداء ٤٠

العلماء ١٧، ٤٠، ٨٠، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٨، ١٠٢، ١٠٣، ١٣٤، ١٥٥، ١٦٩، ٣٤٦

العلماء الأوربيون ٦٤

الغربيّون ١١٣

(٤)

# فهرس الأديان والفرق والمذاهب

**الإسم الصفحة**

الإسلام ١٢، ١٣، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٥١، ٥٩، ٦٠، ٦٩، ٧٠، ٧١، ١٠٦، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٦، ١٧٥، ١٧٩، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٥٨، ٢٦٧، ٢٧٣، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٥٢

الشيعة ٤١، ٤٢، ٣٢٠

القاسطون ٢٩

المارقون ٢٩

المسلمون ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٤١، ٥٣، ٩٠، ١١٨، ١٣١

الناكثون ٢٩

اليهود ٢٦٧، ٣٠١

فقهاء المدينة ٩٠

الفلاسفة ١٣٥، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ٣٥١

الكافرون ٢٧١، ٢٩٠، ٣٢١

المادّيون ٨١، ١٥٤، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢

المتكلّمون ١٤١، ١٤٤

محدّثوا الشيعة ١٣، ١٧٠

المستشرقون ١٣٣

المسؤولون الأمريكيون ٥٨

المشركون ١١٣

المصريات ٢٢٦، ٢٢٧

المعصومون عليهم السلام ٤١

الملائكة ٤٠، ٣٦٣

المنافقون ٢٣٩، ٢٩٩، ٣٠٠

نساء مصر ٢٢٥، ٢٢٧

(٦)

# فهرس البلدان والأماكن


| الاسم | الصفحة |
| --- | --- |
| أُوربا | ٦١ |
| الجِعِرّانة | ١٣٢ |
| الحجاز | ١٣١ |
| الروضة العبّاسية | ١٧٧ |
| كربلاء | ١٧٧ |
| الكنيسة | ١٣٤ |
| المدينة | ٢٦٧ |
| مسجد الرسول ﷺ | ٣٤٦ |
| مشهد ابو الفضل العبّاس عليه السلام | ١٧٧ |
| مصر | ٢٢٧ |
| مكّة | ١٣١، ١٣٢، ٢٥٧ |
| النجف الأشرف | ١٧٧ |
| النهروان | ٣٣ |

(٧)

# فهرس الأشعار


إذا المشكلاتُ تصدَّينَ لي *** كشفتُ حقائقَها بالنظَرْ ٢٥

اطلب علماً يكون نوراً في القلب *** ويكون الصدر «طوراً» لتجليه ٣٤٧

أيّ فائدة هناك من وعظٍ لذي قلب أسود ؟! *** إنّ المسمار الحديديَ لاينفذ في الصَفاة ٢٤٧

متى غبتَ عن قلبي حتى يتمنّاك *** ومتى خفيت حتّى تشتاق العين مرآك ١٧٢

كم من علم حصَّلناه في المدرسة *** وفي الحانة علم ليس بمستحصل ٣٤٥

لو جلست بإنسان عيني *** لم تر من ليلى إلّا كل زيْن ٢٢٥

قال الخليفة لليلى : أأنت التي *** جُنّ بها المجنون وهام وغوى ؟! ٢٢٥

(٨)

# فهرس الحوادث والوقائع والأيام والأزمنة

نام صفحه

بدر ١٣١، ٢٥٠

بعثة الرسول ﷺ ١٧٢

حنين ١٣٢

زمان الإمام الصادق عليه السلام ٢١٠

زمن الرسول ﷺ ١١٣

صدر الإسلام ٢٩

عام ١٦٠٠م ١٣٤

العصر الحاضر ٢٥٠

قبل بعثة النبي ﷺ ٢٦٧

القرون الوسطى ١٣٤

معركة الجمل ٣٣

يوم الجمل ١٣

# (٩)

# فهرس المنابع والمآخذ


* . القرآن الكريم، كلام الله المجيد.

١ . آشنايى با علوم اسلامى، الشهيد مرتضى المطهّري (م ١٣٥٨ ش)، طهران: منشورات صدرا، ١٣٧١ ش.

٢ . آشنايى با قرآن، الشهيد مرتضى المطهّري (م ١٣٥٨ ش)، طهران: منشورات صدرا.

٣ . الاجتهاد والتقليد، السيّد أبو القاسم بن علي أكبر الخوئي (م ١٤١٣ق)، قم: دارالهادي، الطبعة الثالثة، ١٤١٠ ق.

٤ . الاختصاص، المنسوب إلى محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد) (م ٤١٣ ق)، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤١٤ ق.

٥ . الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد) (م ٤١٣ ق)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأُولى، ١٤١٣ ق.

٦ . الإشارات والتنبيهات، أبو علي حسين بن عبد الله بن سينا (الشيخ الرئيس ابن سينا) (م ٤٢٨ ق)، ١٣٧٧ ق.

٧ . الإقبال بالأعمال الحسنة في ما يعمل مرّة في السنة، علي بن موسى الحلّي (السيّد ابن طاووس) (م ٦٦٤ ق)، تحقيق: جواد القيّومي، قم: مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأُولى، ١٤١٤ق.

٨ . أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، سعيد الخوري الشرتوني، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٤ م.

٩ . الأمالي، محمّد بن الحسن الطوسي (م ٤٦٠ ق)، تحقيق: مؤسسة البعثة، قم: دار الثقافة، الطبعة الأُولى، ١٤١٤ ق.

١٠ . الأمالي، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد) (م ٤١٣ ق)، تحقيق: حسين أُستاد ولي وعلي أكبر الغفّاري، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ ق.
١١ . الأمالي، محمّد بن علي ابن بابويه القمّي (الشيخ الصدوق) (م ٣٨١ ق)، تحقيق: مؤسسة البعثة، قم: مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ ق.
١٢ . امدادهاى غيبى در زندگى بشر، الشهيد مرتضى المطهّري (م ١٣٥٨ ش)، طهران: منشورات صدرا، ١٣٧٢ ش.
١٣ . انسان موجود نا شناخته، الكسيس كارل (م ١٩٤٤ م)، ترجمة: عنايت الله شكيبا پور، طهران: دنياى كتاب، ١٣٦٨ ش.
١٤ . بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار عليهم السلام، محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي (العلّامة المجلسي) (م ١١١١ ق)، بيروت: مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ ق.
١٥ . بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، محمّد بن محمّد الطبري (م ٥٢٥ ق)، النجف الأشرف: المطبعة الحيدريّة، الطبعة الثانية، ١٣٨٣ ق.
١٦ . بصائر الدرجات، محمّد بن الحسن الصفّار القمّي (ابن فرّوخ) (م ٢٩٠ ق)، قم: مكتبة آية الله المرعشي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ ق.
١٧ . پيرامون جمهورى اسلامى، الشهيد مرتضى المطهّري (م ١٣٥٨ ش)، طهران: منشورات صدرا، ١٣٧٠ ش.
١٨ . تاريخ بردگى، يد الله نيازمند شيرازى، طبعة طهران.
١٩ . تاريخ تمدّن.
٢٠ . تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله (ابن عساكر الدمشقي) (م ٥٧١ ق)، تحقيق: علي شيري، بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٥ ق.
٢١ . التبيان في تفسير القرآن، محمّد بن الحسن الطوسي (الشيخ الطوسي) (م ٤٦٠ ق)، النجف الأشرف: مكتبة الأمين، ١٣٨١ ق.
٢٢ . تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، الحسن بن علي الحرّاني (ابن شعبة) (م ٣٨١ ق)، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ ق.
○ . تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن.
٢٣ . تفسير العيّاشي، محمّد بن مسعود السلمي السمرقندي (العيّاشي) (م ٣٢٠ ق)، تحقيق: هاشم الرسولي المحلّاتي، طهران: المكتبة العلميّة، الطبعة الثانية، ١٣٨٠ ق.

٢٤ . تفسير القرآن الكريم، لابن عربي.

٢٥ . تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمّي (م ٣٠٧ ق)، إعداد: السيّد الطيّب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف الأشرف.

٢٦ . التوحيد، محمّد بن علي ابن بابويه القمّي (الشيخ الصدوق) (م ٣٨١ ق)، تحقيق: هاشم الحسيني الطهراني، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٩٨ ق.

٢٧ . جامع الأخبار أو معارج اليقين في أصول الدين، محمّد بن محمّد الشعيري السبزواري (ق٧ق)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٤ ق.

٢٨ . جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، محمّد بن جرير الطبري (م ٣١٠ ق)، بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ ق.

٢٩ . جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبدالبرّ النمري القرطبي (م ٤٦٣ ق)، بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٠ . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله الإصبهاني (أبو نعيم) (م ٤٣٠ ق)، بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، ١٣٨٧ ق.

٣١ . خصائص الأئمّة عليهم السلام (خصائص أمير المؤمنين عليه السلام)، محمّد بن الحسين الموسوي (الشريف الرضي) (م ٤٠٦ ق)، تحقيق: محمّد هادي الأميني، مشهد: مجمع البحوث الإسلاميّة التابع للحضرة الرضويّة المقدّسة، ١٤٠٦ ق.

٣٢ . الخصال، محمّد بن علي ابن بابويه القمّي (الشيخ الصدوق) (م ٣٨١ ق)، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤١٤ ق.

٣٣ . دانش نامهٔ عقايد اسلامی، محمّد محمّدي ري شهري و آخرون، قم: دارالحديث، الطبعة الأولى، ١٣٨٥ ش.

٣٤ . الدروع الواقية، علي بن موسى الحلّي (ابن طاووس) (م ٦٦٤ ق)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٤ ق.

٣٥ . راهنمای سازمان ملل متّحد (ترجمه منصور فراسيون).

٣٦ . روضة الواعظين، محمّد بن الحسن الفتّال النيسابوري (م ٥٠٨ ق)، تحقيق: حسين الأعلمي، بيروت: مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ ق.

٣٧ . زبدة البيان في براهين أحكام القرآن، أحمد بن محمّد المعروف بالمحقّق الأردبيلي (م ٩٣٣ق)، تحقيق: رضا أستادي و علي أكبر زماني نژاد، قم: منشورات مؤمنين، ١٤٢١ ق.

٣٨ . سنن ابن ماجة، محمّد بن يزيد القزويني (ابن ماجة) (م ٢٧٥ ق)، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٣٩٥ ق.
٣٩ . سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، محمّد بن عيسى الترمذي (م ٢٩٧ ق)، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، بيروت: دار إحياء التراث.
٤٠ . سير حكمت در اروپا، محمّد علي فروغي، طهران: صفي عليشاه، ١٣٦٨ ش.
٤١ . الصحيفة السجّاديّة، المنسوبة إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام، تصحيح: علي أنصاريان، دمشق: المستشارية الثقافية للجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، ١٤٠٥ ق.
٤٢ . صراط النجاة، الشيخ جواد التبريزي (م ١٣٨٥ ش)، قم: دار الصدّيقة الشهيدة، ١٣٨٥ ش.
٤٣ . صفات الشيعة، محمّد بن علي ابن بابويه القمّي (الشيخ الصدوق) (م ٣٨١ ق)، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي (عج)، قم: مؤسسة الإمام المهدي (عج).
٤٤ . الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، علي بن موسى الحلّي (ابن طاووس) (م ٦٦٤ ق)، قم: مطبعة الخيّام، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ ق.
٤٥ . عدّة الأُصول، شيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسي (م ٤٦٠ ق)، تحقيق: محمّد رضا الأنصاري، مطبعة ستارة، قم.
٤٦ . عدّة الداعي ونجاح الساعي، أحمد بن محمّد الحلّي الأسدي (م ٨٤١ ق)، تحقيق: أحمد الموحّدي، طهران: مكتبة وجداني.
٤٧ . علل الشرائع، محمّد بن علي ابن بابويه القمّي (الشيخ الصدوق) (م ٣٨١ ق)، بيروت: دار إحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ ق.
٤٨ . عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمّد بن علي ابن بابويه القمّي (الشيخ الصدوق) (م ٣٨١ ق)، تحقيق: السيّد مهدي الحسيني اللاجوردي، طهران: منشورات جهان.
٤٩ . غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد الآمدي التميمي (م ٥٥٠ ق)، تحقيق: مير جلال الدين محدّث أُرمَوي، طهران: جامعة طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٦٠ ش.
٥٠ . الفتاوى الميسّرة، السيّد علي الحسيني السيستاني، تصحيح: عبد الهادي محمّد تقي الحكيم، قم: مدين، ١٤٢٥ ق.
٥١ . فروغ ابديت، جعفر السبحاني، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الرابعة عشر، ١٣٧٧ ش.
٥٢ . فرهنگ عميد، حسن عميد، طهران: أمير كبير، ١٣٧٤ ش.
٥٣ . فرهنگ فارسى، محمّدمعين (م ١٣٥٠ش)، طهران: أميركبير، ١٣٧١ ش.
٥٤ . فطرت، الشهيد مرتضى المطهّري (م ١٣٥٨ ش)، طهران: منشورات صدرا، ١٣٧٢ ش.

٥٥ . الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام ، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، مشهد : المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام .

٥٦ . القاموس المحيط، محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي (م ٨١٧ ق )، بيروت : دار الفكر .

٥٧ . قرب الإسناد، عبدالله بن جعفر الحِمْيري القمّي (بعد ٣٠٤ ق )، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، قم : مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، الطبعة الأُولى ، ١٤١٣ ق .

٥٨ . الكافي ، محمّد بن يعقوب الكليني الرازي (م ٣٢٩ ق )، تحقيق : علي أكبر الغفّاري، بيروت : دار صعب ودار التعارف ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠١ ق .

٥٩ . كتاب من لا يحضره الفقيه، محمّد بن علي ابن بابويه القمّي (الشيخ الصدوق) (م ٣٨١ ق )، تحقيق : علي أكبر الغفّاري ، قم : مؤسسة النشر الإسلامي ، الطبعة الثانية .

٦٠ . كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، علي بن عيسى الإربلي (م ٦٨٧ ق )، تصحيح : السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي ، بيروت : دار الكتاب ، الطبعة الأُولى ، ١٤٠١ ق .

٦١ . كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال ، علي المتّقي بن حسام الدين الهندي (م ٩٧٥ ق )، تصحيح : صفوة السقّا ، بيروت : مكتبة التراث الإسلامي ، الطبعة الأُولى ، ١٣٩٧ ق .

٦٢ . كنز الفوائد، محمّد بن علي الكراجكي الطرابلسي (م ٤٤٩ ق )، إعداد : عبد الله نعمة ، قم : دار الذخائر ، الطبعة الأُولى ، ١٤١٠ ق .

٦٣ . الكنى والألقاب، عبّاس القمّي (م ١٣٥٩ ق )، طهران : مكتبة الصدر ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٧ ق .

٦٤ . گفتگوی تمدّن‌ها در قرآن و حديث ، محمّد محمّدي ري شهري ؛ بمساعدة رضا برنجكار ، ترجمة : محمّد علي سلطاني ، قم : دار الحديث ، ١٣٧٩ ش .

٦٥ . لغت‌نامه، علي أكبر دهخدا و آخرون ، طهران : جامعة طهران ، ١٣٧٢ ش .

٦٦ . مجمع البيان في تفسير القرآن (تفسير مجمع البيان)، الفضل بن الحسن الطبرسي (أمين الإسلام) (م ٥٤٨ ق )، تحقيق : السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي والسيّد فضل الله اليزدي الطباطبائي ، بيروت : دار المعرفة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨ ق .

٦٧ . المحاسن ، أحمد بن محمّد البرقي (م ٢٨٠ ق )، تحقيق : السيّد مهدي الرجائي ، قم : المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ، الطبعة الأُولى ، ١٤١٣ ق .

٦٨ . محمّد خاتم پيامبران ، إعداد و تنظيم : حسينية إرشاد في طهران ، ١٣٨٨ ق .

٦٩ . المستدرك على الصحيحين ، محمّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (م ٤٠٥ ق )، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، بيروت : دار الكتب العلميّة ، الطبعة الأُولى ، ١٤١١ ق .

٧٠. مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، علي بن الحسن الطبرسي (ق ٧ق)، تحقيق: مهدي هوشمند، قم: دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤١٨ ق.

٧١. مصباح المتهجّد، محمّد بن الحسن الطوسي (الشيخ الطوسي) (م ٤٦٠ ق)، تحقيق: علي أصغر مرواريد، بيروت: مؤسسة فقه الشيعة، الطبعة الأولى، ١٤١١ ق.

٧٢. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، محمّد بن طلحة الشافعي (م ٦٥٤ ق)، قم: النسخة المخطوطة في مكتبة آية الله المرعشي.

٧٣. معاني الأخبار، محمّد بن علي ابن بابويه القمّي (الشيخ الصدوق) (م ٣٨١ ق)، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٦١ ش.

٧٤. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني (م ٣٦٠ ق)، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبد الحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥ ق.

٧٥. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني (م ٣٦٠ ق)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ ق.

٧٦. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمّد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الفكر، ١٤١١ ق.

٧٧. مفردات ألفاظ القرآن، حسين بن محمّد الراغب الإصفهاني (م ٤٢٥ ق)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، بيروت: دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٢ ق.

٧٨. المنجد في اللغة، لويس معلوف، بيروت: دار المشرق، الطبعة الحادية والعشرين، ١٩٧٣ م.

٧٩. منية المريد، زين الدين علي العاملي (الشهيد الثاني) (م ٩٦٥ ق) قم: مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٥ق.

٨٠. ميزان الحكمة، محمّد المحمّدي الرَّيشَهري، قم: دار الحديث، ١٤١٦ق.

٨١. الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمّد حسين الطباطبائي (م ١٤٠٢ ق)، قم: إسماعيليان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٤ ق.

٨٢. نزهة الناظر وتنبيه الخواطر، الحسين بن محمّد الحلواني (ق ٥ق) تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي (عج)، قم: مؤسسة الإمام المهدي (عج)، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ ق.

٨٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، مبارك بن مبارك الجَزَري (ابن الأثير) (م ٦٠٦ ق)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، قم: مؤسسة إسماعيليان، الطبعة الرابعة، ١٣٦٧ ش.

٨٤. نهج البلاغة، محمّد بن الحسين الموسوي (الشريف الرضي) (م ٤٠٦ ق)، ترجمة: السيّد جعفر الشهيدي، طهران: علمى و فرهنگى، الطبعة الرابعة عشر، ١٣٧٨ ش.

# الفِهرِسُ التَّفصِيليُّ

كلمة للقارئ الكريم ........ ٧

## القسم الأوّل: مدخل لمعرفة العقيدة

الفصل الأوّل: منزلة العقيدة ........ ١١
معنى العقيدة ........ ١١
دور العقيدة في الحياة ........ ١١
قصّةٌ تَربويّة ........ ١٣
الخلاصة ........ ١٦
الفصل الثاني: التقليد في العقيدة ........ ١٧
ما التقليد ؟ ........ ١٧
حكم العقل بالنسبة للتقليد في العقائد ........ ١٨
المقلِّد بالوهم والخيال ........ ١٨
التقليد في العقائد من وجهة نظر الإسلام ........ ١٩
التقليد في العقائد من وجهة نظر القرآن ........ ٢١
التقليد في العقائد من منظار الحديث ........ ٢٣
لا تكن إمّعَة ........ ٢٤
تقليد الشخصيّات في العقائد ........ ٢٧
ظاهرة التبعية العمياء في صدر الإسلام ........ ٢٩
التقليد في فروع الدين ........ ٣٥

التقليد في فروع الدين حكمٌ عقلائي ............ ٣٥
الخلاصة ............ ٣٧
الفصل الثالث: التحقيق في العقيدة ............ ٣٩
أوّلاً : التحقيق في العقيدة من وجهة النظر الإسلامية ............ ٣٩
ثانياً : علاقة العلم بالإيمان ............ ٤٣
ثالثاً : العلاقة بين الجهل والكفر ............ ٤٥
أ ـ معنى الكفر والكافر ............ ٤٦
ب ـ مواقف الإنسان في مواجهة الحقائق ............ ٤٦
الكافر الذي ليس جاهلاً ............ ٤٧
الجاهل الذي ليس كافراً ............ ٤٨
الجاهل الكافر ............ ٥٠
الفاصل بين الإيمان والكفر ............ ٥١
الخلاصة ............ ٥٣
الفصل الرابع: تصحيح العقيدة ............ ٥٥
رواج داء اعتبار الإنسان نفسه عالماً ............ ٥٥
احتمال الخطأ في العقائد الدينية ............ ٥٧
احتمال الخطأ في المعتقدات السياسية ............ ٥٨
احتمال الخطأ في إدارة الأُمور ............ ٥٨
أضرار داء اعتبار النفس عالماً ............ ٥٩
علاج داء اعتبار الإنسان نفسه عالماً ............ ٦٠
موانع تصحيح العقيدة ............ ٦٠
موانع تصحيح العقيدة في القرآن ............ ٦٤
أ ـ الظنّ ............ ٦٥
ب ـ الميول النفسيّة ............ ٦٧
ج ـ التَّعَصُّب ............ ٦٨

إمام المتعصّبين ........ ٦٩
نتائج التعصّب ........ ٦٩
د ـ التقليد ........ ٧١
هـ ـ الاستبداد ........ ٧٢
و ـ اللجاجَة ........ ٧٣
شروط تصحيح العقيدة ........ ٧٤
١. التأنّي ........ ٧٤
٢. التجربة ........ ٧٥
٣. تمركز الفكر ........ ٧٧
عوامل تمركز الفكر ........ ٧٧
٤. حيوية الفكر ........ ٧٧
٥. تبادل وجهات النظر ........ ٧٨
٦. الامدادات الغيبية ........ ٧٩
الخلاصة ........ ٨٢
**الفصل الخامس: علامات صحّة العقيدة ........ ٨٣**
علائم العقائد العلمية ........ ٨٣
١. الالتفات للمجهولات ........ ٨٤
٢. التّعطُّش المتنامي لاكتساب العِلم ........ ٨٨
٣. التواضع إزاء أهل العلم ........ ٨٨
٤. اتّهام الشخص رأيه ........ ٨٩
٥. اختيار الصمت ........ ٩٠
٦. التحفّظ من الخطأ ........ ٩١
٧. عدم إنكار المجهول ........ ٩١
علائم المعتقدات غير العلميّة ........ ٩٢
١. عدم الاهتمام بالمجهولات ........ ٩٣

أساس الاختلافات العقائدية ........ ٩٦
٢ . عدم الاكتراث بآراء الآخرين ........ ٩٧
٣ . الابتعاد عن العلماء ........ ٩٨
٤ . تخطئة المخالفين ........ ٩٩
٥ . إنكار ما يجهلون ........ ٩٩
٦ . حَيرَةُ الجَهالَة ........ ١٠١
٧ . الأَنَفُ من تحصيل العلم ........ ١٠١
الخلاصة ........ ١٠٢
الفصل السادس : حرّية العقيدة ........ ١٠٥
معنى العقيدة ........ ١٠٦
منشأ العقيدة ........ ١٠٧
١ . التحقيق ........ ١٠٧
٢ . التقليد ........ ١٠٧
حرّية العقيدة ........ ١٠٨
حرّية العقيدة في رؤية العقل ........ ١٠٩
أ ـ حرّية اختيار العقيدة ........ ١٠٩
ب ـ حرّية الإفصاح عن العقيدة ........ ١١٠
ج ـ حرّية نشر العقيدة ........ ١١٢
الاعتقاد بالرقّ ........ ١١٣
الاعتقاد بوأد البنات ........ ١١٣
الاعتقاد بالتغذية على الدم ........ ١١٤
الإسلام وحرّية العقيدة ........ ١١٤
حرّية اختيار العقيدة في رأي الإسلام ........ ١١٥
حرّية التظاهر بالعقيدة في رأي الإسلام ........ ١١٦
ما الإيمان؟ ........ ١١٧

مكافحة العقائد الموهومة في الإسلام ........................ ١٢٢
طريقة الإسلام في مكافحة العقائد الباطلة ........................ ١٢٣
الكفاح الإعلامي ضدّ المعتقدات الباطلة ........................ ١٢٤
١. الحكمة ........................ ١٢٤
٢. الموعظة ........................ ١٢٥
٣. المناظرة ........................ ١٢٥
الكفاح من أجل حرّية الفكر ........................ ١٢٧
حرّية تبليغ العقيدة في الإسلام ........................ ١٣٣
حرّية العقيدة في العصر الحاضر ........................ ١٣٤
الخلاصة ........................ ١٣٧
الفصل السابع: تعليم العقيدة ........................ ١٣٩
ضرورة تعليم العقائد الصحيحة ........................ ١٣٩
التعليم الإلزامي ........................ ١٤٠
أساليب تعليم العقيدة ........................ ١٤١
ميزات أُسلوب الأنبياء ........................ ١٤٢
١. العمومية ........................ ١٤٢
٢. الشموليّة ........................ ١٤٢
الخلاصة ........................ ١٤٤

## القسم الثاني: مصادر المعرفة

الفصل الأوّل: مصادر المعرفة في كيان الإنسان ........................ ١٤٧
النوافذ الحسّية ........................ ١٤٨
مصدر العقل ........................ ١٤٩
ما هو العقل؟ ........................ ١٤٩
تعريف العقل ........................ ١٥٠

مركز الفكر ........................................ ١٥٠
ما هو التفكير ؟........................................ ١٥١
وظائف العقل ........................................ ١٥١
تركيب المفاهيم الحسّية ........................................ ١٥١
تجزئة المفاهيم الحسّية........................................ ١٥٢
تجريد المفاهيم الحسّية........................................ ١٥٣
مصدر القلب ........................................ ١٥٦
تعريف القلب........................................ ١٥٦
معنى القلب في بحث المعرفة ........................................ ١٥٨
الفرق بين المعارف العقلية والمعارف القلبية ........................................ ١٥٨
أ ـ اختلافهما في مركز الارتباط........................................ ١٥٨
ب ـ اختلافهما في نوع المعرفة........................................ ١٦٠
الخلاصة........................................ ١٦٢
**الفصل الثاني: طرق المعرفة من منظار القرآن** ........................................ ١٦٣
المعارف الحسّية والعقلية في القرآن ........................................ ١٦٣
المعارف القلبية في القرآن ........................................ ١٦٥
معاني القلب في القرآن........................................ ١٦٦
المصدر الأساسي لكافّة المعارف ........................................ ١٦٨
المعارف القلبية من منظار الأحاديث الإسلامية ........................................ ١٧٠
عيون القلب ........................................ ١٧٠
نموذج للرؤى القلبية ........................................ ١٧١
آذان القلب........................................ ١٧١
الإيمان بالغيب بالبصر الغيبي........................................ ١٧٢
الخلاصة........................................ ١٧٤
**الفصل الثالث: نطاق مصادر المعرفة** ........................................ ١٧٥

**دليل تحديد نطاق مصادر المعرفة** ........................................ ١٧٥
نطاق مصادر المعرفة في الرؤية القرآنية ........................................ ١٧٧
دائرة نطاق الحسّ في القرآن ........................................ ١٧٨
**المعرفة الحسّية معرفة ظاهرية** ........................................ ١٨٠
نطاق العقل في القرآن ........................................ ١٨٠
نطاق القلب في القرآن ........................................ ١٨١
الخلاصة ........................................ ١٨٣
**الفصل الرابع : المعارف الفطرية** ........................................ ١٨٥
أ ـ معنى الفطرة والمعارف الفطرية ........................................ ١٨٥
الصفات الفطرية ........................................ ١٨٦
الصفات الاكتسابية ........................................ ١٨٦
المعارف الفطرية ........................................ ١٨٦
ب ـ إمكان المعارف الفطرية ........................................ ١٨٧
ج ـ أنواع المعارف الفطرية ........................................ ١٨٨
١. المعارف الفطرية الحسّية ........................................ ١٨٨
٢. المعارف الفطرية العقلية ........................................ ١٨٩
أنواع المعارف العقلية ........................................ ١٨٩
المثال الأول : ........................................ ١٨٩
المثال الثاني : ........................................ ١٩٠
المثال الثالث : ........................................ ١٩٠
٣. المعارف الفطرية القلبية ........................................ ١٩١
الفرق بين المعارف الفطرية العقلية والقلبية ........................................ ١٩٢
المعارف غير الفطرية ........................................ ١٩٢
د ـ تشخيص المعارف الفطرية ........................................ ١٩٢
علامات المعارف غير الفطرية ........................................ ١٩٣

١. الاحتياج إلى آلات أو أدوات .................... ١٩٣
٢. عدم العمومية .................... ١٩٤
الخلاصة .................... ١٩٥
الفصل الخامس : نقد نظرية المادّيين .................... ١٩٧
دليل المادّيين .................... ١٩٧
نقد النظرية المادّية .................... ١٩٨
العقل يتغذّى على الحسّ .................... ١٩٩
ثمار العقل .................... ١٩٩
انتزاع المفاهيم العقلية .................... ٢٠٠
تعميم المفاهيم الحسّية .................... ٢٠٠
تعميق المفاهيم الحسّية .................... ٢٠٢
المعارف : سطحيّها وعميقها ، في الروايات .................... ٢٠٤
ملخّص ما ورد في هذا الفصل .................... ٢٠٨
ما العون الذي يقدّمه العقل للحاسّة ؟ .................... ٢٠٩
القرآن ونظرية المادّيين .................... ٢١١
خصائص أصحاب الجحيم .................... ٢١٢
الخلاصة .................... ٢١٥

## القسم الثالث : موانع المعرفة

المدخل .................... ٢١٩
موانع المعرفة وشرائطها .................... ٢١٩
الفصل الأوّل : الموانع الحسّية .................... ٢٢١
أنواع الموانع الحسّية .................... ٢٢١
الفصل الثاني : الموانع العقلية والقلبية .................... ٢٢٣
صدأ مرآة العقل .................... ٢٢٣

أنواع موانع المعارف العقلية ........................................ ٢٢٨
عمىٰ عين العقل ........................................ ٢٢٨
ضعف عين العقل ........................................ ٢٢٩
الموانع التي يمكن إزالتها ........................................ ٢٢٩
الموانع التي لا يمكن إزالتها ........................................ ٢٢٩
الخلاصة ........................................ ٢٣٣
الفصل الثالث: إزالة موانع المعرفة ........................................ ٢٣٥
إزالة الغبار عن مرآة العقل بالموعظة ........................................ ٢٣٥
نار البلاء وحُجُب العقل ........................................ ٢٣٦
فلسفة البلاء والرزايا ........................................ ٢٣٧
صيحة اليقظة الإلٰهية ........................................ ٢٣٨
لماذا التحق إحسان طبري بركب الإسلام؟ ........................................ ٢٤١
الخلاصة ........................................ ٢٤٤
الفصل الرابع: الموانع غير القابلة للإزالة ........................................ ٢٤٥
الصحوة عند الموت ........................................ ٢٤٨
أسوأ من فرعون ........................................ ٢٤٩
أمثال أبي جهل في العصر الحاضر ........................................ ٢٥٠
السوط الذي يوقظ الجميع ........................................ ٢٥٠
الخلاصة ........................................ ٢٥٢
الفصل الخامس: موانع المعرفة من منظار القرآن ........................................ ٢٥٣
الأعمال التي تعكّر مرآة العقل ........................................ ٢٥٥
١. الظلم ........................................ ٢٥٦
معناه اللغوي ........................................ ٢٥٦
أنواع الظلم والعدل ........................................ ٢٥٧
أ ـ الظلم العقائدي ........................................ ٢٥٨

ب ـ الظلم الفردي ............ ٢٥٨
الظلم الاجتماعي ............ ٢٥٩
منع الظلم للمعرفة ............ ٢٦٠
أيّ نوع من الظلم ؟ ............ ٢٦٢
٢. الكفر ............ ٢٦٣
الكفر في اللغة ............ ٢٦٣
الكفر في القرآن ............ ٢٦٤
أ ـ الكفر اللاممدوح واللامذموم ............ ٢٦٤
ب ـ الكفر الممدوح ............ ٢٦٥
ج ـ الكفر المذموم ............ ٢٦٥
أنواع الكفر المذموم ............ ٢٦٥
أ ـ الكفر الجهلي ............ ٢٦٦
ب ـ الكفر العلمي ............ ٢٦٦
ج ـ كفر النعمة ............ ٢٦٨
د ـ كفر المعصية ............ ٢٦٨
الكفر حجاب العقل ............ ٢٦٨
٣. الإسراف ............ ٢٧٢
الإسراف في اللغة ............ ٢٧٢
الإسراف في نظر القرآن ............ ٢٧٢
الإسراف في نظر الحديث ............ ٢٧٣
مراتب الإسراف ............ ٢٧٥
الإسراف حجاب العقل ............ ٢٧٥
٤. الفسق ............ ٢٧٧
الفسق في اللغة ............ ٢٧٧
الفسق في نظر القرآن ............ ٢٧٧

الفسق في نظر الحديث ........ ٢٧٩
علامات الفسق ........ ٢٨٠
الفسق حجاب العقل ........ ٢٨١
الخلاصة ........ ٢٨٤
**الفصل السادس : مناشيءُ موانع المعرفة ........ ٢٨٩**
صَنَمُ الهوىٰ في معبد القلب ........ ٢٩١
تلازم موانع المعرفة ........ ٢٩٢
أُمُّ الرذائل كلّها ........ ٢٩٤
الخلاصة ........ ٢٩٦
**الفصل السابع : أمراض الفكر ........ ٢٩٧**
١. مرض القلب ........ ٢٩٧
ما هو مرض الفكر ؟ ........ ٢٩٨
٢. قساوة القلب ........ ٣٠٠
ما هو مرض القساوة ؟ ........ ٣٠٠
كيف يوجد مرض القساوة ؟ ........ ٣٠١
خطر مرض القساوة ........ ٣٠٢
٣. زيغ القلب ........ ٣٠٣
ما هو مرض الزيغ ؟ ........ ٣٠٣
كيف يحدث مرض الزيغ ؟ ........ ٣٠٣
خطر مرض الزيغ ........ ٣٠٤
٤. رَيْن القلب ........ ٣٠٥
٥. عمَى القلب ........ ٣٠٦
٦. ختم القلب ........ ٣٠٧
ما هو مرض الطبع ؟ ........ ٣٠٨
ما هو مرض الختم ؟ ........ ٣٠٩

٧. قفلُ القلب ........................................ ٣١٠
٨. موت القلب ........................................ ٣١١
مَيِّتُ الأحياء ........................................ ٣١٢
أسباب موت القلب ........................................ ٣١٣
تذكير ........................................ ٣١٤
الخلاصة ........................................ ٣١٥
**الفصل الثامن: علاج مرض الفكر** ........................................ ٣١٩
الأمراض غير القابلة للعلاج ........................................ ٣١٩
الأمراض القابلة للعلاج ........................................ ٣٢٣
طبيب أمراض العقل والروح ........................................ ٣٢٤
دواء أمراض العقل والروح ........................................ ٣٢٥
أ ـ الوحي ........................................ ٣٢٦
ب ـ البلاء والمصائب ........................................ ٣٢٧
الخلاصة ........................................ ٣٢٨

## القسم الرابع : شرائط المعرفة

**المدخل** ........................................ ٣٣١
شرائط المعرفة الحسّية ........................................ ٣٣١
حاجة المعارف العقلية إلى النور ........................................ ٣٣٢
**الفصل الأوّل: شرائط الحصول على المعرفة** ........................................ ٣٣٥
المصابيح التي تنير عين العقل ........................................ ٣٣٦
مصباح الوحي ........................................ ٣٣٧
مصباح الإمام ........................................ ٣٣٩
مصباح البصيرة ........................................ ٣٤٢
علم النور أو نور العلم ........................................ ٣٤٥

**معرفة الحقيقة بمصباح البصيرة** ........................................ ٣٤٨
المعارف الثابتة ........................................ ٣٤٩
الخلاصة ........................................ ٣٥٣
**الفصل الثاني: طرق تحصيل شرائط المعرفة** ........................................ ٣٥٧
**١. اجتناب موانع المعرفة** ........................................ ٣٥٨
٢. التقوىٰ ........................................ ٣٥٩
**ما هي التقوىٰ ؟** ........................................ ٣٦٠
دور التقوىٰ في المعرفة ........................................ ٣٦٠
دور التقوىٰ كما يراه القرآن ........................................ ٣٦٠
٣. الزهد ........................................ ٣٦٢
**٤. العمل** ........................................ ٣٦٤
**٥. الجهاد** ........................................ ٣٦٧
٦. الإخلاص ........................................ ٣٦٧
الخلاصة ........................................ ٣٧٢
**الفهارس** ........................................ ٣٧٥
فهرس الآيات ........................................ ٣٧٧
فهرس الأحاديث ........................................ ٣٨٩
فهرس الأعلام ........................................ ٤٠١
فهرس الأديان والفرق والمذاهب ........................................ ٤٠٥
فهرس الجماعات والقبائل ........................................ ٤٠٦
فهرس البلدان والأماكن ........................................ ٤٠٨
فهرس الأشعار ........................................ ٤٠٩
فهرس الحوادث والوقائع والأيّام والأزمنة ........................................ ٤١٠
فهرس المنابع والمآخذ ........................................ ٤١١